المم-لكة الع-ربية الس-عودية
وزارة التـعليم الع-الي
جـامعة أم القـرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا – قسم العقيدة

الأدلة العقلية على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

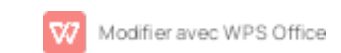
عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة
إيمان بنت صالح بن سالم العلواني
برقم جامعي
42870003

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد بن سعد حمدان الغامدي

عام 1431 هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص الرسالة "

الرسالة بعنوان :

الأدلة العقلية على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

عرض ونقد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

من أسباب تأليف الرسالة :

1 - عدم اهتمام الكثير من الباحثين بموضوع الأدلة العقلية على أهم مسألة عند الا ثني عشرية , وهي مسألة الإمامة التي تعد ركنًا من أركان الدين عندهم .

2 - بيان عدم حجية الأدلة العقلية التي اعتمد عليها الاثني عشرية في إثبات مسألة الإمامة التي كفّروا بسببها جمهور المسلمين

محتويات الرسالة : تشتمل الرسالة على مقدمة , وتمهيد , ومدخل , وستة فصول , وخاتمة .

المقدمة : تناولت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري للموضوع وخطة البحث.

التمهيد : وفيه تعريف الإمامة , وبيان مكانتها , وحكم من أنكرها , ومكانة الدليل العقلي في ا لاستدلال .

المدخل : وفيه بيان لقاعدة اللطف الإلهي , ومدى التزام الاثني عشرية بها في مسألة الإمامة .

الفصل الأول:" دليل الحكمة",وفيه بيان لصورة هذا الدليل وأطواره ومناقشته بما يجلي فساده في الاستدلال على الإمامة.

الفصل الثاني : " دليل ضرورة الارتباط بالغيب ", وفيه عرضه وبيان بطلانه في الاستدلال على الإمامة .

الفصل الثالث : " دليل الفطرة " , وفيه بيان لصوره ومقدماته مع إظهار الخلل في كونه دليلا عقليا على الإمامة .

الفصل الرابع : " دليل الغاية ", وفيه بيانه مع مناقشته بما يجلي بوضوح بطلانه في الاستدلا ل على الإمامة .

الفصل الخامس :" دليل العناية ", وفيه عرض صوره ومقدماته مع مناقشته بما يوضح فساده في الاستدلال على الإمامة

الفصل السادس : " دليل الأفضلية " , وفيه عرضه بصوره ومناقشته بإظهار ضعفه في الاستد لال على الإمامة .

ثم الخاتمة : وذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها وأهمها :

1 – تخلو مسألة الإمامة من الأدلة النقلية الصحيحة السند الصريحة الدلالة , لذا لجأ الاثني عشرية إلى الأدلة العقلية , مصرحين بأنّ الشرع لا يُعتمد عليه في إثبات هذا الأصل ؛ لأنّه ثابت عندهم بالعقل , سواء ورد به الشرع أم لم يرد بلا خلاف بين المتقدمين والمعاصرين , وبين الأخباريين والأصوليين .

2- تعتبر قاعدة اللطف الإلهي –مع ضعفها-اللبنة الأساسية التي تبنى عليها الأدلة العقلية على ا لإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

3 - ضعف الأدلة العقلية التي استدل بها الإثنا عشرية على مسألة الإمامة , ومعارضتها للعقل الصريح , والنقل الصحيح, وبالتالي تسقط أهم مسألة عند الإمامية الاثني عشرية , ويسقط

المذهب برمته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المشرف: أ.د/ أحمد سعد حمدان الغامدي **الطالبة :** إيمان بنت صالح بن سالم العلواني

In the Name of Allah, the All-Merciful, Most Merciful

"Brief of Thesis"

Thesis in the Title of:

The Mental Evidences of Imamate for Twelver Shiites
A Presentation and Criticism

Praise be to Allah alone, peace and prayers be upon the prophet who there is no prophet after him and will never be.

Some Reasons of Authoring this Thesis:

1- The Lack of interest of many researchers in the subject of mental evidences of most important issue to the Twelver Shiites, which is Imamate, a basic issue of religion for them.

2- Stating non-authenticity of the mental evidences that Twelver Shiites relied upon in proving the Imamate issue, which they considered the majority of Muslims as miss-believers because of it.

Contents of Thesis:The thesis contains an introduction,preface,entrance,six chapters and a conclusion.

The Introduction: Where I've mentioned the thesis importance, the reason behind choosing it, and the thesis plan.

The Preface: Contains definition of Imamate, stating its importance, the judgment on who denies it and the importance of mental evidence in the inference procedure.

Entrance: Contains declaration of "Divine Kindness" rule, and the extent of Twelver Shiites commitment of it in the Imamate issue.

First Chapter: "Evidence of Wisdom", where there is a stating of this evidence description, stages and discussion, with what clearing its perversity for inference procedure of Imamate.

Second Chapter: "Evidence of Engagement's Necessity with the Unknown", where there is its presentation, and clearing its perversity for inference procedure of Imamate.

Third Chapter: "Evidence of Instinct", where there is a stating of this evidence descriptions and introductions, with clearing the defect for its being a mental evidence of Imamate.

Fourth Chapter: "Evidence of Purpose", where there is a stating of it, with a discussion, with what clearing its perversity for inference procedure of Imamate.

Fifth Chapter:"Evidence of Attention"where there is a presentation of its descriptions and introductions,with adiscussion,with what clearing its perversity for inference procedure of Imamate.

Sixth Chapter: "Evidence of Preference", where there is a presentation of its descriptions, with a discussion, with what clearing its weakness for inference procedure of Imamate.

Then, the Conclusion: Where I've mentioned some of the results I've reached, and the most important of it are:

1- The Imamate issue is empty of appropriate delivered evidences with reliable chain of transmission, and explicit indication, so Twelver Shiites refuge to the mental evidences, Stating that they can not rely on Islam texts to proof this origin, because its proved to them by mind, Whether Islam texts mentioned it or not, with no difference of opinion between the applicants, and contemporaries, and the chroniclers and fundamentalists.

2-"Divine Kindness" rule is considered -despite its weakness- as the basic unit which Imamate's mental evidences was built on by the Twelver Shiites.

3-The weakness of the mental evidences that the Twelver Shiites inferred to in the Imamate issue and its opposition to regular mentality, and appropriate delivery, therefore the most important issue for Twelver Shiites falls down and the whole doctrine falls down.

Peace and prayers be upon our Prophet Mohamed, and on his family and companions.

Supervisor: Prof. Ahmad Sa'd Hamdan Al-Ghamidi **Student**: Eiman Saleh Salem l-Elwani

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرّحمن الرّحيم , منزل الآيات و الذكر الحكيم , خالق الإنسان , ومعلمه البيان , بإرشاد وإحسان , هاديه طريق الجنان , وحافظه من نزغات الشيطان , ثمّ الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيّد بني عدنان , خاتم الأنبياء والمرسلين , المبعوث رحمة للعالمين , إمام المتقين , قائد الغر المحجل-ين , وعلى آله الطيبين , وأصحابه أجمعين , وعلى التابعين , ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد .

فإن ّ الله قد رضي لنا الإس-لام ديناً ، ونص ّب لن-ا الدلالة على صحته بالوحي برهاناً مبينا ً, فمن تمسك به كان من الفائزين، ومن انقطع دونه كان من الهالكين , قال تعالى :

, [النساء /115] , فطريق الحق المبين , ما كان عليه الصادق الأمين , وأصحابه – خاصة خلفاءه الراشدين - الذين أم-رنا النبي باتباع سيرتهم , والتمسك بسنتهم , فقال: (عليكم بسنتي, وسنة الخلفاء المهديين الراشدين, تمسكوا بها ,وعضوا عليها بالنواج-ذ) [1] ، ثم من تربى

على نهجهم من التابعين , وسلف الأمة الصالحين .

ثم ظهر في الأمة من ضَ عَ فُ ً تمسكه بالكتاب و السُنة ، فتشعبت المسالك بالمسلمين ، وظهرت الفرق و المذاهب , وكان منها فرقة : الإمـامية الاثني عشرية ، والتي أصبح ظهورها – خاصة في العالم الإسلامي- واضحـًا ، تقوم بها دول تتبنى عقيدتها , وتوسع انتشارها .

وتعد عقيدة الإمامة من أعظم المسائل التي شذّ فيها الا ثني عشرية عن جمهور المسلمين , وافترقوا عنهم بسببها , إذ عدوها ركنـًا من أركان الدين .

ولما كانت هذه العقيدة خالية من الأدلة النقلية القطعية سندًا ودلالة لجأ القوم إلى ما يزعمونه بالأدلة العقلية معتمدين عليها في إثبات معتقدهم , فوجب علينا أن نقف على أهم أدلتهم العقلية – خاصة الأدلة التي أصلوا لها بروايات منسوبة إلى أئمتهم - , ونحللها تحليلا ً علميًا , موثقـًا من كتب الإمامية الاثني عشرية , ومن ثم مناقشتها , والرّد عليها .

سبب اختيار البحث :

1.طائفة الشيعة الاثنى عشرية بمصادرها في التلقي وكتبها، وتراثها تمثل نحلة كبرى، حتى أنهم يسمون مسائل اعتقادهم دين الإمامية لا مذهب الإمامية[(2)] .

2.انتشار الفكر الإمامي الاثني عشري - بعد توسع نشاطاتهم عبر وسائل كثيرة منذ ثورة الخميني وعن طريق المؤسسات الدعوية والعلمية والإعلامية والسياسية وغيرها لا سيما عن طريق الشبكات العنكبوتية والفضائيات المرئية , فوجب على أهل الاختصاص دراسة أهم معتقدات هذه الطـ ائفة , وعرضها على الكتاب والسُنة , ومناقشتها مناقشة

علمية موضوعية , وبما أنّ بحثي في مرحلة الماجستير متعلق بمصادرهم في التلقي فقد شجعني الكثير من المشايخ – جزاهم الله خيرًا – المضي على الطريق , وإكمال ما بدأت ؛ لكـشف المعتقد الإمـامي الاثني عشري وإسقـاطه من جذوره .

3.عدم اهتمام الكثيرين من الباحثين بموضوع الأدلة العقلية على الإمامة عند الاثني عشرية , وخاصة قاعدة اللطف الإلهي التي قامت عليها هذه الأدلة العقلية عندهم .

4.بيان عدم حجية الأدلة العقلية التي اعتمد عليها الاثنا عشرية في إثبات أهم مسائل العقيدة عندهم وهي مسألة الإمامة التي كفروا بسببها جمهور المسلمين .

هذه أهم الأسباب التي جعلتني أبحث في هذا الموضوع , ولقد واجهت صعوبات وعوائق فكانت على مرحلتين كل منهما مرتبط بالآخر :

الأولى : مرحلة تجميع المادة العلمية من كتب الإمامية الاثني عشرية ؛ وذلك لتشعب الأدلة العقلية , وتفرقها في كتبـهم – خاصة كتب المتقدمين منهم - .

الثانية : كان يتطلب مني أثناء بحثي النظر بكل موضوعية في كثير من المواطن ، خاصة في تقرير الدليل , وعرضه بصوره , ومقدماته , وعرض الروايات وأقوال علماء المذهب فيه ! فالمنهج الشيعي مختلف اختلافًا جذريًا في هذه المسألة عن منهج أهل السُنة المعتمد على النقل الصحيح الصريح , إضافة إلى أنّ التعامل مع مصادر الاثني عشرية المضطربة فيه من الصعوبة الشيء الكبير , وأرجو أن أكون قد وُفقت في هذا الأمر, فقد بذلت كل ما أستطيع من جهد ووقت لتجاوز هذه الصعوبات , أسأل الله أن يكتبه لي في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا

من أتى الله بقلب سليم .

منهجي في هذا البحث

المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذا البحث كان مبنيـًا على الأسس الآتية :

1. الاعتماد على أمّات كتبهم , ومصادرهم القديمة ما أمكن مع الاستعانة بكتب الشروح ؛ لفهم بعض النصوص قديمة كانت أو حديثة .
2. تتبع أدلة الإمامية الاثني عشرية العقلية على مسألة الإ مامة من كتبهم المعتمدة.
3. تقديم الروايات - التي تمسك بها علماء الاثني عشرية لصياغة أدلتهم - على أقوال علمائهم ؛ وإن كانت ضعيفة السند , أو الدلالة فهي تعد عند علماء الاثني عشرية أصل في الاستدلال .
4. رتبت أقوال علمائهم الخاصة بالمسألة حسب أقدمية قائليها دون بتر للنص , وإن أطلت فمما يستوجب اطالة النقل في بعض الأحيان عنهم , ثم أذيله بالإشارة إلى اسم الكتاب , واسم المؤلف , ورقم الجزء – إنْ وجد - , والصفحة .
5. ألزمت نفسي في المطلب الذي أعرض فيه أقوالهم عدم التعليق , وإنْ لزم الأمر أكتفي بالتعليق , وذكر ما أريد في الحاشية .
6. حاولت قدر الإمكان الرد عليهم بالدليل العقلي , ثم من كتبهم , وأقوال أئمتهم , وعلمائهم – إذ أقوالهم ينقض بعضها بعضـًا - كما أضفت أقوال المعاصرين , ثم التنوع بالرد سواء من القرآن والسُنة أو من أقوال علماء أهل السُنة , ملتزمة بالأسلوب العلمي الجاد , والمجادلة بالتي هي أحسن دون تجنٍ عليهم , أو تعصب , أو افتراء.
7. التزمت بأن لا أرد عليهم إلا بالأحاديث النبوية

الصحيحة , أو الحسنة, وما عدا ذلك فلم أستشهد به مطلقـًا .

8. قمت بعزو الآيات القرآنية الواردة في البحث - عقب الآية مباشرة - بذكر اسم السورة , ورقم الآية في أول موضع ترد فيه الآية .

9. قمت بتخريج جميع الأحاديث النبوية بذكر المحدِّث , واسم كتابه , ورقم الجزء – إن وجد - , ورقم الصفحة , ورقم الحديث , واسم الكتاب , والباب .

10. فإن كان الحديث في الصحيحين , أو في أحدهما لا أتعرض للحـكم عليه ؛ للقطع بصحته , أما إن كان واردًا في غيرهما فإني ألتزم بالحكم عليه , وبيان درجة سنده دون توسع , إما بذكر أقوال العلماء فيه , وإما بوقوفي مباشرة على السند , وألتزم الأمرين أحيانـًا إن كان الحديث يشتمل على مسألة متعلقة بالبحث .

11. تخريج الآثار الواردة عن الصحابة التي أستدل بها من كتب السُنة مع بيان درجة إسنـادها .

12. عزو الآثار الواردة عند الإمامية على لسان أحد أئمتهم إلى مصادرها الأصلية عندهم , مع التعليق على أسانيدها - قدر الإمكان – بمنظور الاثني عشرية , خاصة الآثار التي قامت عليها أدلتهم العقلية.

13. اجتهدت في بيان معنى الألفاظ , والعبارات الغريبة – في نظري - من كتب اللغة .

14. ترجمت لأعلام أهل السُنة وغيرهم – عدا الخلفاء الأربعة , وأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - ممن ورد ذكرهم في البحث ترجمة مختصرة موجزة بذكر اسم الكتاب , ورقم الجزء – إن وجد – ورقم الصفحة , واسم المؤلف .

كما قمت بترجمة أعلام الشيعة إلا ما ندر , وتعذر الحصول على ترجمة له من كتبهم , أما رواتهم فقمت

بترجمتهم من كتب أهل السُنة الخاصة بالجرح و التعديل – إن وجد - ثم التعقيب مباشرة من كتب الإ مامية الخاصة بتبيين درجة الراوي , ومدى توثيقه من تجريحه ؛ ليقف القارئ على أحوال الرواة لدى السُنة , و الإمامية .

15. ختمت الرسالة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث بشكل مختصر .
16. قمت بعمل فهارس فنية للبحث مثل فهرست الآ يات القرآنية , والأحاديث النبوية , والآثار , والأعلام , و الأشعار , والفرق , والمصادر والمراجـع الشيعية , و المصادر والمراجع السنيّة , وأخيرًا الموضوعات .
17. ورتبت الآيات حسب ترتيبها من السور في القرآن الكريم , أما الأحاديث , والآثار, والأعلام , والأشعار , و الفرق , والدول , والمراجع على حسب حروف الهجاء , ولم أعتد في فهرست الأعلام بكلمة" أبو ", أو " ابن " .

خطة البحث :

وفيها مقدمة , وتمهيد , ومدخل , وستة فصول , وخاتمة , وفهارس .

أما المقدمة : فاستهللتها بأهمية التمسك بالقرآن العظيم , وسـنة النبي الكريم , واتباع سبيل المؤمنين مضمنةً ذلك عقوبة مخالفتهم , ثم عرجت على أهمية الموضوع, وأسباب اختياره , والمنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث , وخطة البحث .

أما التمهيد : فقد قسمته إلى قسمين :

القسم الأول : الإمامة تعريفها , مكانتها , حكم من أنكرها .

القسم الثاني : مكانة الدليل العقلي في الاستدلال .

أما المدخل والفصول الرئيسة : فبيانها كالآتي :

المدخل

قاعدة اللطف الإلهي , ومدى التزام الاثني عشرية بها في مسألة الإمامة

وفيه قسمان :

القسم الأول

معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف من الاثني عشرية.

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u>

عرض معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف الإلهي .

<u>المبحث الثاني</u>

مناقشة قاعدة اللطف الإلهي واضطراب موقف الاثني عشرية فيها.

القسم الثاني

مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام ومناقشته .

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u>

مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام .

<u>المبحث الثاني</u>

مناقشة مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام .

الفصل الأول

" دليل الحكمة "

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u>

صورة دليل الحكمة ومقدماته وتقريره من خلال أقوال علماء الاثني عشرية

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : صورة دليل الحكمة ومقدماته.
المطلب الثاني : تقرير دليل الحكمة من خلال الأ
قوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

<u>المبحث الثاني</u>

نقد دليل الحكمة ومناقشته

وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : نقد دليل الحكمة بالدليل العقلي .
المطلب الثاني : نقد دليل الحكمة من كتب الاثني
عشرية.
المطلب الثالث : نقد دليل الحكمة من القرآن و
السُنة .
المطلب الرابع : نقد دليل الحكمة من أقوال علماء
أهل السُنة .

الفصل الثاني

" ضرورة الارتباط بالغيب "

وفيه مبحثان :

<u>المبحث الأول</u>

صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته .

المطلب الثاني : تقرير دليل ضرورة الارتباط بالغيب من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

<u>المبحث الثاني</u>

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومناقشته

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب بالدليل العقلي.

المطلب الثاني : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من كتب الاثني عشرية .

المطلب الثالث : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من القرآن والسُنة .

المطلب الرابع : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من أقوال علماء أهل السُنة .

الفصل الثالث

" دليل الفطرة "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

صورة دليل الفطرة ومقدماته وتقريره من خلال الروايات وا
لأقوال
الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل الفطرة ومقدماته .
المطلب الثاني : تقرير دليل الفطرة من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الا
ثني عشرية .

المبحث الثاني

نقد دليل الفطرة ومناقشته

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل الفطرة بالدليل العقلي.
المطلب الثاني : نقد دليل الفطرة من كتب الاثني عشرية , وواقعهم المعاصر .
المطلب الثالث : نقد دليل الفطرة من القرآن الكريم .
المطلب الرابع : نقد دليل الفطرة من أقوال علماء أهل السُّنة .

الفصل الرابع

" دليل الغاية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

صورة دليل الغاية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأ
قوال
الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : صورة دليل الغاية ومقدماته.
المطلب الثاني : تقرير دليل الغاية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الا ثني عشرية .

المبحث الثاني

نقد دليل الغاية ومناقشته

وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : نقد دليل الغاية بالدليل العقلي.
المطلب الثـاني : نقد دليل الغاية من كتب الاثني عشرية .
المطلب الثالث : نقد دليل الغاية من القرآن و السُنة .
المطلب الرابع : نقد دليل الغاية من أقوال علماء أهل السُنة .

الفصل الخامس
" دليل العناية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

صورة دليل العناية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات وا
لأقوال
الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل العناية ومقدماته .
المطلب الثاني : تقرير دليل العناية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الا
ثني عشرية .

المبحث الثاني

نقد دليل العناية ومناقشته

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل العناية بالدليل العقلي.
المطلب الثاني : نقد دليل العناية من كتب الاثني عشرية وواقعهم المعاصر.
المطلب الثالث : نقد دليل العناية من القرآن و السُنة .
المطلب الرابع : نقد دليل العناية من أقوال علماء أهل السُنة .

الفصل السادس
" دليل الأفضلية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

صورة دليل الأفضلية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال
الواردة في كتب الاثني عشرية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل الأفضلية ومقدماته .
المطلب الثاني : تقرير دليل الأفضلية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الا
ثني عشرية .

المبحث الثاني

نقد دليل الأفضلية ومناقشته

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل الأفضلية بالدليل العقلي.
المطلب الثـاني : نقد دليل الأفضلية من كتب الإ
مامية .
المطلب الثالث : نقد دليل الأفضلية من القرآن و
السُنة .
المطلب الرابـع : نقد دليل الأفضلية بمنهج
الصحابة .
المطلب الخامس : نقد دليل الأفضلية من أقوال
علماء أهل السُنة .

أما الخاتمة : ففيها عرض لأهم النتائج - العامة والخاصة - التي توصلت إليها في البحث .

وبعد فإني أحمد الباري أولا ً وأخيرًا على ما أولاني به من نعم عظيمة لا أحصى عدّها , ولا أبلغ شكرها , ومن أعظمها نعـمة الإسلام , ثم نعمة سلوك طريق العلم , وتيسيره لي , ومن ذلك إتمام هذا البحث من غير حـول مني و لا قوة , بل بتوفيقه , وكـرمه , فما كان فيه من صواب وتسديد فمن فضله ومنّه عليّ , وما كان فيه من ضعف البشر , وقصر النظر , فمن نفسي , وأستغفر الله , وحسبي في ذلك أن أقول :

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط ؟

وأخيرًا أود أن أتقدم بشكر كل من ساندني , وأعانني على إخراج هذه الدراسة بهذا الكيان العلمي مبتدئة بالسبب ا لأسبق في ارتفاع منار العلم في مهبط الوحي جامعة أم القرى - ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين , وقسم العقيدة - على ما تقدمه من خدمة , ورعاية للعلم , وأهله , وطلبته , فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء .

وأخص بوافر شكري , وعظيم تقديري , وصادق دعواتي لشيخي صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور : أحمد بن سعد حمدان الغامدي – حفظه الله ورعاه -, الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ؛ لييسر دربها , ويسهل صعبها , ويظهر أمرها , فقد أولاها من جهده الوفير , وعلمه الغزير الشيء الكثير مما كانت لتوجيهاته الكريمة , وملا حظاته النافعة , واستدراكاته القيمة أكبر الأثر على هذا البحث , فله مني خالص الشـكر والثناء , وبالغ التقدير و الوفاء , ومن الله وافر المثوبة والجزاء , وعظيم الإحسان وجزيل العطاء .

كما أشكر كل من ساعدني في هذا العمل بملاحظة , أو بإشارة ,   أو بعبـارة , أو بتوفير كتاب , وإن كنت خاصةً أحدًا بالذكر فهو الأستاذ الفاضل : فيصل نور , فالشكر له موصول غير مقطوع , والتقدير له ممدود   غير مجذوذ , فجزاه الله خيرًا , وبوأه من الجنة غرفـًا.

ثمّ الشكر لأختي الفاضلة : سيرين أبو سيف , التي لم تبخـل علي بكثير وقت , أو قليله في إبداء الملاحظات العلمية والفنية لإخراج هذا البحث بهذه الصورة , فكانت بحق نعم المعين على مواصلة بحثي , وشدّ أزري , أسأل المولى - تبارك وتعالى - أنْ يرزقها الفوز والصلاح , والتوفيق والفلاح في الدارين .

ولا أنسى تقديم الشكر لأختي الكريمة : سماح (أم شاكر) التي لم تتوانَ لحظة من الدعاء لي بالتوفيق و السداد , فجزاها الله خير الجزاء , وأثابها الفردوس الأعلى من الجنة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين , والصلاة , والسلا م على رسوله الأمين , وعلى آله وصحبه أجمعين , والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

التمهيد

وفيه قسمان :

القسم الأول :

الإمامة تعريفها , مكانتها , حكم من أنكرها .

القسم الثاني :

مكانة الدليل العقلي في الاستدلال.

القسم الأول

الإمامة تعريفها , مكانتها , حكم من أنكرها .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الإمامة عند الاثني عشـرية :

وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإمامة لغة وفي اصطلاح الاثني عشرية .

المطلب الثاني : مكانة الإمامة ومنزلتها عند الاثني عشرية .

المطلب الثالث : النص على إمامة الاثني عشر .

المطلب الرابع : حكم من أنكر الإمامة عند الاثني عشرية .

المبحث الثاني : الإمامة عند أهل السُنة ومناقشة الاثني عشرية فيما ذهبوا إليه :

وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإمامة اصطلاحـًا عند أهل السُنة .

المطلب الثاني : الإمامة أصل وفرع .

المطلب الثالث : الإمامة بالشورى لا بالنص .

المطلب الرابع : تكفير الاثني عشرية لمنكر الإمامة

يعود عليهم .

المبحث الأول

الإمامة عند الاثني عشـرية

المطلب الأول

تعريف الإمامة لغة وفي اصطلاح الاثني عشرية

أولا : الإمامة في اللغة :

التقدم ، تقول : أمّ القوم وأمّ بهم تقدمهم وهي الإمامة ، والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم ، أو كانوا ضالين ، ويطلق الإمام على الخليفة، وعلى العالم المقتدى به ، وعلى من يؤتم به في الصلاة [3].

ثانيا: الإمامة عند الاثني عشرية اصطلاحًا :

يرى الإمامية الاثنا عشرية - قديمـًا وحديثـًا - أنّ الإ مامة هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا ؛ وهي الامتداد الطبيعي للنبوة , والجزء المتمم لاستمرار الرسالة , لذا فهي ركن من أركان الدين عندهم [4].

ثالثا : مرادفة لفظ الإمامة مع لفظي الولاية والخلافة :

يعد الإمامية أنّ الإمامة هي الولاية الغظمى أو الولاية المطلقة [5] , ويعرفونها بأنها الرياسة على الناس في أمور دينهم ودنياهم ومعاشهم ومـعادهم , فهي

الإمـارة والسلطنة على الغير في نفسه أو ماله أو أمر من أموره [6].

ويذهب بعض الإمامية أنّ الولاية هي باطن النبوة المطلقة , وصاحبها هو الموسوم بالخليفة الأعظم , وقطب الأ قطاب , والإنسان الكبير , والولاية توجب لصاحبها التصرف في العالم العنصري وتدبيره بإصلاح فساده , وإظهار الكمالا ت فيه , لاختصاص صاحبها بعناية إلهية توجب له قوة في نفسه , لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوي واكتساب العلم الغيبي منه في حال الصحة واليقظة بل تجمع بين الأمرين لما فيها من القوة التي تسع الجانبين والو لاية بهذا المعنى عندهم مرادفة للإمامة [7].

فالإمام – حسب زعمهم – هو المتقدم العالم الحاكم المنصرف على الإطلاق بالنسبة الى الخلق أما تقدمه فلأن الو لاية هي العلة الغائية في كمال الأصول والفروع والمعقول و المشروع فلها التقدم بالفرض و التأخر بالحكم لأن الولي المطلق – كما يعتقد الإمامية - هو الإنسان الذي يلبسه اللّه خلقة الجمال والكمال ويجعل قلبه مكان نشيته وعلمه ويلبسه قباء التصرف والحكم فهو الأمر الإلهي في العالم البشري , فالرب حكم عدل , نافذ الحكم , غني عن الظلم لا يتوهم ولا يتهم , والولي المطلق كذلك[8].

فأعظم درجات الولاية – في زعمهم – هي أعـلى درجات الإمامة والقيادة [9].

وقد ذهب بعض الإمامية إلى أن هناك فرق بين الإمامة و

الخلافة , فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله , فهو مأخوذ من أنه خلف غيره , وقام مقامه , والإ مام مأخوذ من التقدم , فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الا قتداء بغيره , وفرض طاعته فيما تقدم فيه [10] .

ومنهم من يعتبر أنّ الإمامة رئاسة دين ، والخلافة رئاسة دولة [11]، ويريدون من ذلك إثبات أن عليًا كان إمامًا زمن خ لافة الثلاثة الذين سبقوه . وفي ذلك فصل للدين عن الدولة . وهذا لا يقره الإسلام .

وذهب بعض الإمامية أنّ الإمامة والخلافة – المطلقة - شيء واحد لا تكون إلا عند معادن العلم , وينابيع الحكمة , ومواضع الرسالة ممن لا تعجزهم المسألة, ولا يفوتهم شيء من العلوم مهما تنوعت أشكالها , وتعددت أقسامها وهم أئمتهم الاثنا عشر – في معتقدهم - [12].

ومنهم من يرى أن الخلافة والإمامة مسألتان متلازمتان , إلا أنّ مسألة الإمامة مسألة أصولية , والخلافة مسألة كلامية [13].

المطلب الثاني

مكانة الإمامة ومنزلتها عند الاثني عشرية

اتفق الإمامية على أنّ الإمامة أصل من أصول الدين ؛ ولأجـل ذلك يُعَدُّ الاعتقاد بإمامة الأئمة من أركان الإيمـان الصحيح , ولا يتم إلا بالاعتقـاد بها عندهم .

فقد روى الكليني [14] بسنده , عن أبي جعفر أنّه قال: (بُني الإسلام على خمس: على الصّلاة , والزّكاة , والصّوم , والحجّ , والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ النّاس بأربع وتركوا هذه – يعني الولاية -) [15].

ومنها ما رواه بخبر طويل عن زرارة [16] , عن أبي جعفر أنّه قال : (بُني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة , و الزكاة , والحج , والصوم , والولاية ... إلى أن قال : أما أنّ لو رجلاً قام ليله , وصام نهاره , وتصدق بجميع أعماله بدلالته إليه ما كان على حق في ثوابه , ولا كان من أهل الإيـمان) [17].

وبسنده عن زرارة أيضـًا , عن أبي جعفر أنّه قـال : (بُني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة , والزكاة , والحج , والصوم , والولاية . قال زرارة : فقلت وأي شيء أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ؛ لأنّها مفتاحهـن, والوالي هو الدليل عليهن ...) [18].

وروى أنّ سائلا ً طلب من أبي عبد اللّه أن يوقفه على حدود الإيمان , فأجابه : (شهادة أنّ لا إله إلا اللّه وأنّ محمدًا رسول اللّه , والإقرار بما جاء به من عند اللّه , وصلاة الخمس , وأداء الزكاة , وصوم شهر رمضان , وحج البيت , وولاية ولينا , وعداوة عدونا , والدخول مع الصادقين)[19].

ورووا عن أبي عبد اللّه أنّه قال : (ع ُرج بالنّبيّ - صلى اللّه عليه وآله - السّماء مئة وعشرين مرّة ، ما من مرّة إلا وقد أوصى اللّه فيها إلى النّبيّ بالولاية لعليّ , والأئمّة من بعده أكثر ممّا أوصاه بالفرائض)[20].

وعن موسى بن جعفر أنّه قال : (ما وكّد على العباد في شيء مـا وكد

عليهم بالإقرار بالإمامة، وما جحد العباد شيئًا ما جحدوها)[21] .

فمنزلة الإمامة عند بعض الاثني عشرية تعلو منزلة النبوة كما في الروايات التي أوردهـا الكليني [22] في الكــافي[23] , و التي أوردها العـياشي [24] [25] ,

والحميري[26] [27], وهاشم البحراني [28] [29], والطهراني [30] [31].

يقول الخميني [32] : (إن ّ من ضرورات مذهبنا أن لأ ئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب , ولا نبي مرسل.. وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع الله حالات[33] لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل) [34].

ويقول كاظم الحائري [35]: (إنّ الذي يبدو من الروايات أنّ مقام الإمامة فوق المقامات الأخرى- ماعدا مقام الربوبية– التي يمكن أن يصل إليـها إنسان)[36] .

ومنهم من يرى أنّ منزلتها كمنزلة النبوة ، وكما يصطفي الله – سبحانه - من خلقه أنبياء ، يختار - سبحانه - أئمّة، وينصّ عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجّة .

أي أنّ الإمامة – عندهم - هي النّبوّة، والإمام هو النّبيّ ، والتّغيير في الاسم فقط , كما يقول بذلك المجلسي[37] : (إنّ استنباط الفرق بين النّبيّ والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال ... ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنّبوّة إلا رعاية خاتم الأنبياء ، ولا تصل عقولنا لفرق بين النّبوّة والإمامة) [38].

والإمامة رديفة التوحيد والنبوة كما يقول محمد حسين آل كاشف الغطا[39] ما نصه : (الشيعة ترى أنّ الإمامة أصل من أصول الدين , وهي رديفة التوحيد والنبوة , وأنّها منوطة بالنص من الله ورسوله , وليس للأمة فيها من الرأي والا ختيار شيء , كما لا اختيار لهم في النبوة) [40].

وتبعه الإمامي الهمداني [41] في كتابه " الإمام علي بن أبي طالب " [42].

المطلب الثالث

النص على إمامة الاثني عشر

يعتقد الإمامية أن ّ الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من اللّه على لسان رسوله ، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه ، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي من بعده .

فقد نسبوا إلى أبي عبد اللّه أته قال: (إن ّ الإم‍امة عهد من اللّه لرجلٍ مُسمى ليس للإمام أن ْ يزويها عمن يكون من بعده) [43].

وفي أخرى نسبوها إلى علي بن موسى الرضا أته قال: (أترون أنّ هذا الأمر إلينا نجعله حيث نش‍اء؟ لا واللّه ، ما هو إلا عهد من رس‍ول اللّه ، رجل فرجل مسمى) [44].

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنّ الرسول قد نصّ على الأئمة من بعده، وعينهم بأسمائهم، وهم اثنا عشر إماماً , لا ينقصون ولا يزيدون، وهم:

الإمام الأول‍ـ : علي بن أبي طالب ، ويلقبونه بـالمرتضى ، وكنيته أبو الحسن ، ولد سنة 23 قبل الهجرة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين , وصهر رسول اللّه ، قتله الضـّال المضل عبد الرحمن بن ملجم[45] في مسجد الكوفة سنة 40 ه‍ـ.

الإمام الثان‍ي : الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنهما - ويلقبونه بالمجتبى ، وقيل بالزكي ، وكنيته أبو

محمد ولد سنة 2 هـ , وتوفى سنة 50هـ .
الإمام الثالـث : الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ، ويلقبونه بالشهيد، وكنيته أبو عبد الله , ولد سنة 3 هـ, واستشهد سنة 61 هـ .
الإمام الرابـع : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويلقبونه بالسّجّاد ، وزين العابدين، وكنيته أبو محمد , ولد سنة 38 هـ , وتوفي سنة 95 هـ .
الإمام الخامس : محمد بن علي بن الحسين ، ويلقبونه بـ الباقر ، وكنيته أبو جعفر , ولد سنة 57 هـ , وتوفي سنة 114 هـ .
الإمام السادس : جعفر بن محمد بن علي ، ويلقبونه بـ الصادق , وكنيته أبو عبد الله , ولد سنة 83هـ , وتوفي سنة 148هـ .
الإمام السابع : موسى بن جعفر الصادق ، ويلقبونه بـ الكاظم ، وكنيته أبو إبراهيم , ولد سنة 128 هـ , وتوفي سنة 183 هـ .
الإمام الثامن : علي بن موسى بن جعفر ، ويلقبونه بالرضي ، وكنيته أبو الحسن , ولد سنة 148 هـ, وتوفي سنة 203 هـ .
الإمام التاسع : محمد بن علي بن موسى ، ويلقبونه بـ التقي ، و الجواد ، وكنيته أبو جعفر , ولد سنة 195 هـ , وتوفي سنة 220 هـ .
الإمام العاشر : علي بن محمد بن علي ، ويلقبونه بالنقي ، وقيل بالهادي ، وكنيته أبو الحسن , ولد سنة 212هـ , وتوفي سنة 254 هـ .
الإمام الحادي عشر : الحسن بن علي بن محمد ، ويلقبونه بالزكي ، وقيل بالعسكري ، وكنيته أبو محمد , ولد سنة 232 هـ , وتوفي سنة 260هـ .
الإمام الثاني عشر : محمد بن الحسن العسكري ،

ويلقبونه بالمهدي ، و بالحجة القائم المنتظر، وكنيته أبو القاسم ، وهو الحجة الغائب عند الشيعة ، زعموا أنه ولد سنة 256 هـ ، وغاب غيبة صغرى سنة 260هـ ، وغيبة كبرى سنة 329هـ ، فقد دخل سرداباً في دار أبيه، (بِسُرّ مَنْ رأى) , ولم يخرج حتى الآن [46]!!

ويستدلون على ذلك بروايات منسوبة للنبي في كتبهم منها :

ما رُوي منسوبـًا إلى علي أنه قال : (قال رسـول الله – صلى الله عليه وآله - : لما أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربي ، فقال: يا محمد، إني اطلعت على الأرض اطلاعةً فاخترتك منها، فجعلتك نبياً، واشتققت لك اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت ثانية فاخترت منها علياً، فجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى وهو علي، وجعلت فاطمة , والحسن , والحسين من نوركما، ثم عرضتُ ولايتَكم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقربين.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد ، أتحب أن تراهم؟ قال: نعم يا رب، فقال : ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا أنوار علي، وفاطمة، والحسن ، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن الحسين، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ومحمد بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب، من هؤلاء ؟ فقال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يشفي قلوب شيعتك

من الظالمين , والجاحدين , والكافرين ...) [47].

وفي رواية أخرى أنه قال : (ليلة أسري بي إلى السماء أوحى اللّه إلي : أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا ؟ فقلت : علام بعثتم ؟ قالوا : على نبوتك ، وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما ، ثم أوحى إلي أن التفت عن يمين العرش ، فالتفت فإذا علي ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، و المهدي ، في ضحضاح[48] من نور يصلون ، فقال الرب - تعالى -: هؤلاء الحجج لأوليائي ، وهذا المنتقم من أعدائي) [49].

ونسبوا إلى الرضا أنه قال : (إن النبي -صلى اللّه عليه وآله- قال لعلي : من سرّه أن يلقى اللّه وهو مقبل عليه ليس بمعرض عنه فليتولّ علياً، ومن سرّه أن يلقى اللّه وهو راضٍ عنه فليتولّ ابنك الحسن، ومن أحب أن يلقى اللّه لا خوف عليه فليتولّ ابنك الحسين، ومن سرّه أن يلقى اللّه وهو ممحو عنه ذنبه فليتولّ علياً بن الحسين السجاد، ومن سرّه أن يلقى اللّه قرير العين فليتولّ محمداً بن علي الباقر، ومن أحب أن يلقى اللّه وكتابه بيمينه فليتولّ جعفر بن محمد الصادق، ومن أحب أن يلقى اللّه طاهراً مطهراً فليتولّ موسى الكاظم ، ومن أحب أن يلقى اللّه وهو ضاحك مستبشر فليتولّ علي الرضا، ومن أحب أن يلقى اللّه وقد رفعت درجاته, وبدلت سيئاته حسنات فليتولّ محمداً الجواد، ومن أحبّ أن

ْ يلقى اللّه وهو من الفائزين فليتولّ علياً الهادي، ومن أحبّ أن ْ يلقى اللّه وهو من الآمنين فليتولّ الحسن العسكري، ومن أحب ّ أن ْ يلقى اللّه وقد كمل إيمانه , وحسن إسلامه فليتولّ الحجة صاحب الزمان المنتظر فهؤلاء مصابيح الدجى , وأئمة الهدى , وأعلام التقى من أحبهم وتو لاهم كنت ضامنـًا له على اللّه بالجنة) [50].

ومما نسبوه إلى جابر بن عبد اللّه الأنصاري[51] أنّه قال: لما أنزل اللّه على نبيه – صلى اللّه عليه وآله - :

, [النساء/
59] قلت: يا رسول اللّه، عرفنا اللّه ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ قال : (هم خلفائي يا جابر، أئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فأقرئه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم سميي وكنيتي حـجة اللّه على أرضه ، وبقيته في عباده ، ابن الحسن بن علي) [52].

المطلب الرابع

حكم من أنكر الإمامة عند الاثني عشرية

بما أنّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين عند الاثني عشرية , فقد جاء حكمهم على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر بالكفر , ودخول النار .

وإليكَ طائفة من رواياتهم ونصوص علمائهم التي صرحت بكفر من لا يعتقد بالإمامة وبعضهم نقل الإجماع على ذلك :

أ – الروايات الواردة في تكفير من أنكر الإمام والإمامة :

نسب الاثنا عشرية إلى أبي جعفر أنه قال : (من جحد إمامًا من الله وبريء منه , ومن دينه فهو كافر مرتد عن الإسلام ؛ لأنّ الإمام من الله , ودينه من دين الله , ومن بريء من دين الله فدمه مباح في تلك الحال إلا أن يرجع , أو يتوب إلى الله – تعالى - مما قاله) [53].

وعنه أيضًا أنه قال: (... من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهر عادل ، اصبح ضالاً تائهاً , وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق) [54].

ونسب له أيضًا : (إنما يعبد الله من يعرف الله , فأما من لا يعرف الله , فإنما يعبده هكذا ضلالاً ... فتصديق الله , وتصديق رسوله – صلى الله عليه وآله - , وموالاة علي , والإئتمام به , وبأئمة الهدى – عليهم السلام - , و البراءة إلى الله من عدوهم , هكذا يعرف الله) [55].

وعنه ما نصه : (ذروة الأمر , وسنامه , ومفتاحه , وباب ا لأشياء , ورضا الرحمن - تبارك وتعالى - الطاعة للإمام بعد معرفته) [56].

ويروي الكليني بسنده عن أبي عبد اللّٰه أنّه قال : (نحن الذين فرض اللّٰه طاعتنا، لا يَسَعُ الناس إلا معرفتنا ولا يُعْذَر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً, ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا , ولم ينكرنا كان ضالا ً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض اللّٰه عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل اللّٰه به ما يشاء) [57].

ويروي أيضًا عن الحارث بن المغيرة [58] قال: قلت لأبي عبد اللّٰه ، قال رسول اللّٰه – صلى اللّٰه عليه وآله - من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: (نعم) ، قلت : جاهلية جهلاء , أو جاهلية لا يعرف إمامه ؟ قال : (جاهلية كفر , ونفاق , وضلال) [59].

وعن حـمران بن أعين [60], قال : سألت أبا عبد اللّٰه عن الأئمـة

– عليهم السلام - , فقال : من أنكر واحدًا من الأحياء , فقد أنكر الأموات) [61].

بل ذهب الاثنا عشرية في رواياتهم بأنّ المراد بـ المشركين هم من أشركوا في ولاية علي غيره !

فنسبوا إلى أبي جعفر أنّه قال في تفسير قوله:

, [الزمر / 65] : (تفسيرها لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك , ولتكونن من الخاسرين) [62].

ونسبوا إلى الرضا أنّه قال : (نحن ورثة الأنبياء , ونحن ورثة أولي العزم من الرسل أن أقيموا ما قال , ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين من أشرك بولاية علي...) [63].
وأيضـًا فسروا قوله تعالى: ...
, [الكهف /110] , أي التسليم لعلي , وعدم الشرك معه أحداً في الخلافة [64].

ب – أقوال علماء الإمامية في تكفير من أنكر الإمام والإمامة :
قال ابن بابويه [65]: (اعتقدنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمّة من بعده أنّه بمنزلة من جحد نبوّة الأنبياء .
واعتقدنا فيمن أقرّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنّه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء , ثم أنكر

نبوة محمد – صلى اللّه عليه وآله -) [66].

وينقل المرتضى [67]إجماعهم على تكفير من لا يؤمن بإمامة أئمتهم الاثني عشر , فيقول : (إنّ المعرفة بهم [أي بالأئمة] كالمعرفة به - تعالى - في أنّها إيمان وإسلام ، وأنّ الجهل والشك فيهم كالجهل به , والشك فيه في أنّه كفر, وخروج من الإيمان ، وهذه منزلة ليس لأحد من البشر إلا لنبينا - صلى اللّه عليه وآله - وبعده لأمير المؤمنين , والأئمة من ولده على جماعتهم السلام .... والذي يدل على أنّ المعرفة بإمامة من ذكرناه - عليهم السلام - من جملة الإيمان وأنّ الإخلال بها كفر , ورجوع عن الإيمان ، إجماع الشيعة الإمامية على ذلك ، فإنهم لا يختلفون فيه) [68].

وقال شيخ طائفة الاثني عشرية الطّوسي [69] : (دفع الإمامة كفر ، كما أنّ دفع النّبوّة كفر ؛ لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد) [70].

ويعرّف الإيمان بقوله : (هو التصديق باللّه وبالرسول , وبما جاء به الرسـول , و الأئمة - عليهم السلام - . كل ذلك بالدليل ، لا بالتقليد ، وهو مركب على خمسة أركان ، من عرفها فهو مؤمن ، ومن جهلها كان كافرًا ، وهي : التوحيد، والعدل ، والنبوة , والإمامة ، والمعاد) [71] .

وقال أيضـًا : (الجهل بالإمام كفر , وقد استفسروا عنه , فقالوا : هو ميتة كفر وضلال) [72] .

كما نقل نصير الدين الطوسي[73] إجماع الشيعة على أنّ النجاة يوم القيامة بدخول الجنة لا تكون لمن لا يعتقد بالإ مامة , إذ يقول : (إن ّ الإمامية قد تفردوا بأنّ دخول الجنة والنجاة لا يكون إلا بعد ولاية آل محمد - عليهم السلام - واعتقاد إمامتهم، وأما باقي الفرق الإسلامية، فقد أطبقوا على أن ّ أصـل النجاة هو الإقرار بالشهادتين)[74].

وكذلك يرى ابن المطهّر الحلّي[75] أن ّ إنكار إمامة الاثني عشر أعظم من إنكار النبوة، إذ يقول : (الإمامة لطف عامّ، و النّبوّة لطف خاصّ لإمكان خلو الزّمان من نبيّ حيّ بخلاف الإ مام ... وإنكار اللّطف العامّ شرّ من إنكار اللّطف الخاصّ)[76].

ويقول الكركي[77] : (يجب على كل مكلف حر وعبد، ذكر وأنثى أن يعرف الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان ، وهي: التوحيد، والعدل ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد ، بالدليل لا بالتقليد. ومن جهل شيئ ًا من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين واستحق العقاب الدائم مع الكافرين)[78].

كما ينقل زين الدين العاملي[79] الإجماع على دخول المخالفين النار , فيقول : (نقلوا الإجماع على دخولهم النار)[80] .

وذهب إلى أنّ التصديق بإمامة الإثنا عشر أصل في

تحقق الإيمان ؛ لأنّه من ضروريات مذهب الاثني عشرية [81].

ويقول نعمة اللّه الجزائري[82] بانفصال الاثني عشرية عن باقي الأمة بسبب ما اعتقدوه في الإمامة بما نصه : (لم نجتمع معهم على إله , ولا نبي , ولا على إمام، وذلك أنّهم يقولون: إن ّ ربهم هو الذي كان محمد- صلى اللّه عليه وآله وسلم- نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الر ّ ب ,ولا بذلك النبي ، بل نقول إن ّ الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ,ولا ذلك النبي نبينا)[83].

ويقول أبو القاسم الخوئي [84] معترفـًا بأن منكر الامامة كافر ؛ لأن الإسلام مبني على الولاية وذلك بموجب ما ورد عندهم من روايات : (وحمل الكفر في الاخبار المتقدمة على الكفر الواقعي وإن كانوا محكومين بالإسلام ظاهرًا أو على الكفر في مقابل الايمان إلا أنّ الأول أظهر إذ الإسلام بُنيَ على الولاية وقد ورد في جملة من الأخبار أن الإسلام بنى على خمس وعد منها الولاية ولم يناد أحد بشئ منها كما نودي بالولاية ، كما هو مضمون بعض الروايات فبانتفاء الولا ية ينتفي الإسلام واقعـًا) [85] .

ويرى عبد الحسين الموسوي [86]أنّ أخبار الشيعة لا تثبت النجاة يوم القيامة لجميع الموحدين بل هي مخصصة بمن يعتقد بالولاية والإمامة ، ومن ثم فهي تحكم على باقي الموحدين من عدا الإمامية بالخلود بالنار[87].

خلاصة ما سبق :

من روايات ونصوص تقتضي تكفير الإمامية الاثني عشرية كل فرق المسلمين حتى فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ ، مع أنّها تتلـقى عنهم دينها ؛ لأنّ الكثير من رواة الأخبار منهم[88] .

المبحث الثاني

الإمامة عند أهل السُنة [89] ومناقشة الاثني عشرية فيما ذهبوا إليه

المطلب الأول

تعريف الإمامة اصطلاحـًا عند أهل السُنة

عرف علماء أهل السُنة الإمامة بعدة تعريفات منها :
ما ذكره الماوردي [90]حيث قال : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) [91] .

ويقول إمام الحرمين الجويني [92] : (الإمامة رياسة تامة ، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا) [93] .

وعرفها النسفي[94] في عقائده بقوله : (نيابة عن الرسول في إقـامة

الدي-ن بحيث يجب على كافة الأمم الاتباع) [95] .

ويقول الإيجي[96]: (هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة) [97].

أما ابن خلدون [98] فيعرفها بقوله : (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية و الدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلا فة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) [99] .

إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول هذه المعاني .

والمطلع على ما أثر عن الرسول والصحابة والتابعين من روايات فإنهم لم يفرقوا بين لفظ خليفة وإمام ، ومن بعد تولية عمر بن الخطاب أضافوا إليها لفظ : أمير المؤمنين[100] , وإلى ذلك ذهب العلماء فجعلوها من الكلمات المترادفة المؤدية إلى معنى واحد فيقول النووي [101] – رحمه الله - : (يجوز أن يقال للإمام: الخليفة ، والإمام، وأمير المؤمنين) [102].

ويقول ابن خلدون : (وإذ قد بيّنّا حقيقة هذا المنصف وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة

الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام) [103].
وإلى ذلك ذهب الأستاذ محمد رشيد رضا [104] [105] .

ويفسـر الشيخ أبو زهرة [106] – رحمه اللّه - الترادف بين لفظي الخلافة والإمامة بقوله : (المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة وهي الإمامة الكبرى ، وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي في إدارة شؤونهم ، وتسمى إمامة : لأنّ الخليفة كان يسمى إمامًا ، ولأن طاعته واجبة ، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم الصلاة) [107].

فقد كان الخلفاء هم الذين يتولون إمامة الصلاة خاصة الجمع والأعياد لكن لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وضعفت الناحية العلمية عند الخلفاء ، أخذوا ينيبون عنهم من يقومون مقامهم في إمامة الصلاة ، وخطب الجمع والأ عياد [108].

المطلب الثاني
الإمامة أصل وفرع

ذكرت سابقًا [109] كيف عدّ الاثنا عشرية الإمامة أصلا ً من أصول الدين , على اعتبار أنّ كلمة أصل ترادف كلمة ركن .

ولكن هذا قد يوهم القارئ أنّ المراد بالأصولية الأحكام العلمية المتعلقة بأعمال القلوب وهي ما تسمى بالعقيدة ، و الفرعية الأحكام العملية المتعلقة بأعمال الجوارح وهي ما تسمى بالفقه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[110]– رحمه الله - : (إنّ هذه تسمية محدثة ، قسمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين...) [111] .

ويقول ابن قيم [112]- رحمه الله - عن هذا التقسيم : (إنّه لم يرد في كتاب ولا سنة ... وكل تقسيم لم يشهد له الكتاب والسُنة وأصول الشرع بالاعتبار فهو تقسيم باطل يجب إلغاؤه ، وهذا التقسيم أصل من أصول ضلال القوم ، فإنهم فرقوا بين ما سمّوه أصولا ً وما سمّوه فروعًا) [113] .

والذي يهمنا في هذا الأمر هو ما يتعلق بموضوع الإ مامة , فالإمامة في حقيقة الأمر لها جانبان :

الأول : جانب عقدي .

الثاني : جانب فقهي .

أما الجانب العقدي : فلا نكاد نجد أحدًا من علماء السلف

– رحمهم اللّه تعالى – إلا وقد ذكر عقيدته في مسائل مختلفة , كمسألة الترضي على الخلفاء الأربعة , وأنّ ترتيبهم في الخلافة على ترتيبهم في الفضل ، كما ينصون على أنّ الإمامة في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه اللّه في النار ، وينصون على الصلاة خلف كل إمام بر أو فاجر و الجهاد والحج معه ، وعلى تحريم الخروج على الأئمة ، وعلى السمع والطاعة لهم في غير معصية ، وهذه كلها من مباحث الإمامة ، ولذلك نجد المتكلمين ينصون على باب الإم ـامة في أواخر كتبهم في العقيدة (114) .

كما أتهم يوردون ذلك في مسائل العقيدة للرد على الا نحرافات والبدع التي نشأت حول هذا الموضوع ، كبدعة الا ثني عشرية ، واعتقادهم الفـاسد في الإمامة ، وأتها من أركان الدين ، واعتقاد العصمة ، والرجعة ، وعلم الغيب ونحو ذلك في أئمتهم ، فيذكرها علماء السلف للرد عليهم ، ولتبيين مخالفتهم في ذلك ، ومع بدعة الاثني عشرية بدعة الخوارج (115) في وجوب الخروج على الأئمة الفسقة ونحو ذلك .

أما الجانب الفقهي في موضوع الإمامة فكثير : من ذلك شروط الأئمة ، وكيفية اختيار إمام المسلمين ، وأهل الحل و العقد ، وشروطهم ، وعددهم ، والشورى وأحكامها ، والبيعة وأحكامها ، ونحو ذلك (116).

مناقشة الإمامية في كون الإمامة أصل من أصول الدين :

أما ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ الإمامة أصل من أصول الدين على اعتبارها ركن من أركانه فباطل من وجوه :

1 - أنّ المعلوم بالضرورة أنّ الكفار على عهد النبي كانوا إذا أسلموا أجري عليهم أحكام الإسلام , ولم تذكر لهم ا لإمامة بحال , فكيف تكون ركنـًا من أركان الدين !

2 - كما أنّ النبي قد فسر الإيمان , وشعبه , ولم يذكر ا لإمامة في أركانه , ولا جاء ذلك في القرآن الكريم .

فكيف يكون الإيمان بإمامة محمد بن الحسن الغائب – على فرض صحة وجوده - أهمُ من الإيمان بالله , وملا ئكته , وكتبه , ورسله الذي نصّ عليها كتاب الله في عشرات الآيات ؟!

فإن كان ما بأيديهم كافيـًا , فلا حاجة إلى منتظرهم !

وإن لم يكن كافيـًا , فقد أقروا بالنقص والشقاء حيث كانت سعادتهم موقوفه على أمر آمر لا يعلمون بماذا أمر (117) .

3 - قولهم : إنّ الإمامة من أصول الدين , وركن من أركانه , وإنّ منكرها كافر مستحق للنار ، وإنّ معرفة الإ مام إيمان , والجهل به كفر ! فاسد ؛ لأنّ الله - تبارك وتعالى - لم يذكرها في كتابه , وهو لا يعجزه ذكر الإمام بالنص الصريح في القرآن ؛ لإقامة الحجة على الناس بمعرفته , ودفع الاختلاف بينهم في أمره , وكما قال تعالى :

, [الأنفال / 42].

4- أنّ الله إنما أنزل القرآن ليكون هاديـًا ومبينـًا لأص ـول الدين وتشريعاته ، فقال تعالى : ...

, [النحل /44] ،

وقال أيـضًا : ...

, [النحل / 89] ، ويقول :

, [إبراهيم/1],وقوله :

.... , [الطلاق / 11] ، فما دام الغرض من إنزال القرآن هو لبيان الدين للناس , وكذلك لهدايتهم، فلا بد من ذكر أصول الدين فيه مفصلة وليست مبهمة؛ ليحصل البيان و الهداية , أي يجب ذكر النص على الإمام في القرآن.

5 - إنّ الباري - تبارك وتعالى - قد ذكر الغاية التي لأجلها بيّن في القرآن أصول الدين والشريعة، وهذه الغاية هي للتفريق بين الحق والباطل ليرتفع بذلك الخلاف والنزاع، فقال تعالى :

, [النحل / 64]

،وسمى الله كتابه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، فقال :

,

[الفرقان / 1] .

فتبين أنّ الغرض من إنزال هذا القرآن هو بيان الحق وإزالة الخلاف والنزاع، ومعلوم أنّ من أهم وأخطر مسائل أصول الدين – عند الشيعة الإمامية - المتنازع فيها هي معرفة الإمام وطاعته ، فيتحتم ذكر النص على الإمام في القرآن؛ لتقوم به الحجة القاطعة للعذر , ولتتحقق الغاية من إنزال هذا القرآن !

فما دامت الإمامة من أصول الدين عند الإمامية , يلزمهم أن يكون النص عليها قطعياً يورث اليقين وليس ظنيا يورث الظن، وقد صرح بذلك مكارم الشيرازي [118]حيث قال: (ينبغي الالتفات إلى أن أصل الدين يختلف عن فروعه وجزئياته فلا يمكن إرساء أصل الدين وأساسه على الشك أو الظن ولا يمكن قبول الوحي الإلهي مقروناً بالاحتمال و الشك والتردد، في حين أن احتمال الخطأ والاشتباه في

الفروع والجزئيات لا يؤثر في أساس العقيدة) [119].

ومعلوم أنّ القطع واليقين في النص على الإمام يتحقق إن كان بالاسم الصريح للإمام في القرآن الكريم , أو فيما ثبت في سنة رسول اللّه ..

المطلب الثالث

الإمامة بالشورى لا بالنص

أولا ً: الشورى لغةً :

الشورى المشاورة والمشورة : مصادر للفعل شاور , يقال : شار العسل يشوره شورًا ، وشيارة ومشارًا ومشارة استخرجه من الوَقْبَة واجتباه ، ويقال : اشرني على العسل أي أعني ، وشرت الدابة شورًا عرضتها على البيع أقبلت بها , وأدبرت [120] . فأصل الشورى إذن الاستخراج , والإظهار , والإعانة على ذلك .

ثانيًا : الشورى اصطلاحـًا :

أما في الاصطلاح فهي : استخراج الرأي من اهل العلم و الدين [121], أو استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق [122] .

ثالثـًا : أدلـة مشروعيتها :

1 - قـول الـباري - تبـارك وتـعالى - :

,[آل عمران / 159] .

2 - قوله :

[الشورى / 36 - 38] .

3 – كان النبي المؤيد بالوحي الإلهي ،كثير المشاورة لأ صحابه ، وقد ذكرت السيرة النبوية مواقف كثيرة استشار فيها النبي أصحابه ,منها :

- أخذ مشورتهم في التوجه إلى قتال المشركين في بدر [123] .

- أخذ مشورتهم في أسرى بدر [124].

- واستشار عليًا وأسامة [125] - رضي اللّه عنهما - في أمر السـيدة عائشة – رضي اللّه عنها – في حادثة الإ فك [126].

- واستشار في عقوبة المنافقين الذين آذوه في أهله فقال : (ما تشيرون عليّ في قوم يسبون أهلي , ما علمت عليهم من سوء قط) [127]. وغير هذه المواقف كثير .

رابعـًا : اختيار أهل الحل والعقد [128] في تعيين الإمام :

الإمامة وسيلة لا غاية ، وسيلة إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وهذا واجب على جميع أفراد الأمة الإسلا مية ، وبما أته لا يمكن القيام به إلا بتنصيب إمام للمسلمين يقودهم , وينظمهم ، فالأمة مسؤولة عن اختيار الإ مام , وليس له في نظر الإسلام أية ميزة , أو قداسة , أو صفة من الصفات التي ينفرد بها عن بقية أفراد المسلمين .

فمسؤولية الاختيار واقعة على أعناق عقلاء الأمة

وعلمائها وفضلائها ، فهم الذين يختارون من يرونه أهلا ً للقيام بهذا الواجب الشرعي الذي أوجبه الله عليهم وهو إقامة شرع الله في أرضه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء المعمورة , كما سيترتب على المسلمين عمومًا له من الواجبات والحقوق الشيء الكثير , وستكون طاعته في غير معصية واجبة على جميع أفراد الأ مة حفاظـًا على وحدة الأمة لا أنّ له حقـًا زائدًا لشخصه .

ومن شعورهم بثقل هذه المسؤوليات , فإن اختيارهم سيكون بعد تروٍّ وتحرٍّ بعيدًا من الأهواء ، أو المطامع ، أو التعصبات ، وبالتالي فحريٌّ به أن يكون موفقًا وصائبًا إن شاء الله - تعالى - [129].

والمطّلع على كيفية اختيار الصحابة لأبي بكر [130] , ثم لعـمر [131] - رضي

اللّه تعالى عنهما - ، لا يجد أحدًا اعترض على هذه الطريقة وخالف فيـها ، فدلّ على إجماعهم [132] .

خامسًا : مناقشة الإمامية في كون الإمامة لا تكون إلا بـالنص :

لم يخالف في مسألة اختيار أهل الحل والعقد الإمام , وأنّ الإمامة شورى بينهم إلا الإمامية الاثني عشرية ؛ لأنّهم يزعمون أنّ الإمامة بالنص .

ويتبين بطلان ما ذهبوا إليه بأمرين :

الأمر الأول : إبطال قضية النص , وذلك من عدة أوجه , أهمها :

الوجه الأول : أنّ هذه الوصية من مفتريات عبد اللّه بن سبأ اليهودي[133] الذي تظاهر بالإسلام ؛ ليفسد الإسلام ، فهو الذي أشاع القول بأن ّ الإمامة هي وصاية من النبي ، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره.

وقد أقرّت كتب الاثني عشرية بأنّ عبد اللّه بن سبأ كان أوّل من أشهر القول بفرض إمامة عليّ ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفّرهم ؛ لأنّه كان يهودي الأصل، يرى أنّ يوشع بن نون هو وصي موسى ، فلم ّا أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب [134].

الوجه الثاني : إنّ اللّه - تعالى - قد وصف كتابه العزيز بأوصاف يستحيل معها عدم التصريح على الإمام نصـًا , فقال :

, [هود / 1] ، وقال تعالى :

,

[الأنعام / 114] , فعليه لابد أن تذكر فيه المسائل التي تتوقف عليها نجاة العبد بالتفصيل والوضوح، ومن أهم هذه المسائل هي معرفة الإمام وطاعته – على حد زعمهم - .

كما أنّ اللّه قال في كـتابه العـزيز :

, [يونس / 57] ، فعليه لابد أن يذكر ما يحتاج العبد فيه إلى الهداية , وهي هداية البيان و التوضيح، ومعرفة الإمام أهم المسائل التي يحتاج العبد فيها إلى الهداية والبيان فلا بد من ذكره في القرآن.

خاصة وأتهم رووا عن أبي عبد اللّه في قوله تعالى :

... ،

أته قال: (يهدي إلى الإمام) [135] ، وبموجب هذه الرواية يكون القرآن هادٍ للمكلفين ومرشدهم إلى الإمام ولا يتحقق ذلك بصدق إلا بذكر النص على الإمام فيه.

الوجه الثالث : أنّ اللّه - تعالى - قد ذكر في القرآن اسم الصحابي زيد بن حارثة [136], كما قال تعالى :

, [الأحزاب / 37]

, فإذا كان اللّه - تعالى - قد ذكر اسم زيد في القرآن في هذه مسألة لا تتعلق بركن من أركان الدين , ولا يترتب على

الجهل بها كفر , وعقاب فمن باب أولى أن يذكر اللّه - تعالى - في القرآن النص على الإمام حتى يعرفه الناس ولتُقامَ به الحجة على منكره والجاهل به وخصوصاً أنّ الجاهل به كافر باللّه كما تقدم.

الوجه الرابع : ورد في نهج البلاغة[137] على لسان علي أنّ الإمامة ش‍ورى , إذ يقول : (دعوني و التمسوا غيري ,فإنا مستقبلون أمراً له وجوه , وألوان , لا تقوم له القلوب , ولا تثبت عليه العقول , وإنّ الآفاق قد أغامت , والمحجة قد تنكرت , واعلموا أتي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم , ولم أصغ إلى قول القائل , وعتب العاتب , وإن تركتموني فأنا كأحدكم , ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم , وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا) [138].

فقوله : (التمسوا غيري) دل ّ على أن ّ الإمامة ليست بالنص إنما هي شورى بين المسلمين .

وقوله : (ولعلي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم) فقوله : (وليتموه) نص في أن ّ الأمر شورى .

ونسب إليه أيض‍ًا أته قال في كتابه إلى معاوية[139] – رضي اللّه عنهما - : (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار , ولا للغائب أن يرد , وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار, فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمام ‍ًا كان ذلك لله رضا ....) [140].

ففي هذا النّص زكى بيعة الخلفاء الثلاثة وبالتالي شرعية خلافتهم في قوله : (إنه بايعني القوم الذين بايعوا

أبا بكر وعمر وعثمان....فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمام
ًا كان ذلك لله رضا) . وبالتالي فالإمامة الشرعية هي التي
جاءت من اجتماع أهل الحل والعقد عليها ودلالة شرعيتها
قوله : (كان ذلك لله رضا) .

وأيضًا زكى الآلية التي جرى بها اختيار الثلاثة بدء ً ب
أبي بكر في "السقيفة" , فهو انضم إلى تلك البيعة
الشرعية والتحق بركب المهاجرين و الأنصار الذين قال
فيهم : (إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار , فإن اجتمعوا
على رجل وسموه إمام ًا كان ذلك لله رضا) .
فتعليق رضا الله ببيعة المهاجرين و الأنصار دلالة منه
على أنّه لا نص في الخلافة والإمامة وهو موطن
الشاهد هنا .
إذ لو كان ثمة نص في نصب الإمام بعد الرسول لكان
الرضا حيث عمل بالنص لا حيث اختار المهاجرون والأنصار .
أيضًا لم يقتصر كلامه على تزكيته لهذه الآلية , بل نقل
لنا إجماع الصحابة على بيعة الثلاثة الذين
تقدموه بقوله : (فإن اجتمعوا) .
ومن الملاحظ من هذا النص أن ّ عليًا لم يحتج عليهم
بنصوص من الكتاب أو السُنة , ولا دليل للإثني عشرية على
ما ادعوه , فلما لم يحتج بأية نصوص دل ّ ذلك على أنّه لا
نص عليه لا من كتاب الله ,ولا من سنة رسوله .

الوجه الخامس : ورد في كتب الإمامية ما ينفي قضية
النص , من ذلك ما رووه عن أبي عبد الله أنّه دخل عليه رجلا
ن من الزيدية [141] فقالا له : أفيكم إمام مفترض الطاعة ؟
فقال : (لا) فقالا له : قد أخبرنا عنك الثقات أنك تفتي وتقر
وتقول به ونسميهم لك ، فلان وفلان ، وهم أصحاب ورع

وتشمير, وهم ممن لا يكذب , فغضب أبو عبد اللّه , وقال : (ما أمرتهم بهذا) فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا [142].

وعن سليمان بن خالد[143] قال : بينا مع أبي عبد اللّه في ثقيفة له إذا استأذن عليه أناس من أهل الكوفة , فأذن لهم فدخلوا فقالوا: يا أبا عبد اللّه إن ّ أناسا يأتوننا يزعمون أن ّ فيكم أهل البيت إمام مفترض الطاعة.فقال: (ما أعرف ذلك في أهل بيتي) قالوا : يا أبا عبد اللّه يزعمون أنّك أنت هو . قال: (ما قلت لهم ذلك)[144] .

الأمر الثاني : إبطال دعوى حصر الأئمة بعدد معين , وذلك من عدة أوجه أهمها :

الوجه الأول : ظهور ملامح الحيرة والتردد في عدد الأئمة، مما يدل على أنّ تلك الروايات موضوعة قبل وفاة الحسن العسكري ، وأنّه قبل ذلك لم تعرف عقيدة الإيمان بالاثني عشر الذين تنتسب إليهم الاثنا عشرية، أو أنّها موضوعة قبل أن تحدد هذه العقيدة عند الجعفرية، ولا شك أنّ تلك الروايات نقد واضح للاتجاه الاثني عشري.

فقد كان أول كتاب ظهر للشيعة وهو كتاب سليم بن قيس [145] , قـرر أنّ

عدد الأئمة ثلاثة عشر[146]، وكان هذا من أسباب القدح فيه عند طائفة من شيوخ الاثني عشرية.

وكذلك أورد الكليني عدة روايات أن ّ الأئمة ثلا ثة عشر , منها ما رواه بسنده عن أبي جعفر أنه قال: (قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - : إني واثني عشر إمامًا من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض – يعني أوتادها وجبالها – بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ [147]بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها , ولم ينظروا) [148].

و نسب إليه أيضـًا أنه قال : (قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - : من ولدي اثنا عشر نقيبًا , نجباء , محدثون , مفهمون , آخرهم القائم بالحق , يملؤها عدلا ً كما ملئت جورًا) [149].

فالنصوص تفيد أنّ أئمتهم بدون علي اثنا عشر , ومع علي يصبحون ثلاثة عشر! وهذا ينسف بنيان الاثني عشرية .

كذلك روت كتب الشيعة الاثني عشرية عن أبي جعفر عن جابر قال: (دخلت على فاطمة وبين يديها لوح [150] فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد , وثلاثة منهم علي) [151].

فيظهر من النص أنّ أئمتهم اثنا عشر كلهم من أولاد فاطـ مة – رضي الله عنها - ، وعلي ليس من أولاد فاطمة – رضي الله عنها - ، فيكون مجموع أئمتهم مع سيدنا علي ث

لاثة عشر.
ومما يدل أيضًا على أن ّ الرواية لم تعتمد عليًا من أئمتهم قوله: (ثلاثة منهم علي) ، فإن ّ المسمى بعلي من ا لأئمة عند الاثني عشرية أربعة: أمير المؤمنين علي ، وعلي بن الحسين، وعلي الرضا، وعلي الهادي [152]!
والقول : إنّ الأئمة ثلاثة عشر قامت فرقة من الشيعة تقول به، ولعل تلك النصوص من آثارها، وقد ذكر هذه الفرقة الطوسي في رده على من خالف الاتجاه الاثني عشري، الذي ينتمي إليه [153]، وكذلك في ترجمة هبة الله أحمد بن محمد ضعفه ابن داود الحلي[154] لقوله بثلاثة عشر إمامًا [155].
الوجه الثاني : أما ما يحتجّ به الاثنا عشريّة في أمر تحديد عدد الأئـمّة بما جـاء في صحيحي البـخاري [156], ومسـلم [157], عن جابر بن سمرة [158]قال: (يكون اثنا عشر أميرًا) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: (كلّهم من قريش)[159] .

وعن جابر أيضـًا قال: سمعت رسول الله يقول: (لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة) , ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي : ما قال؟ فقال: (كلّهم من قريش) .
وفي لفظ: (لا يزال هذا الدّين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة) .
وفي لفظ آخر: (لا يزال أمر النّاس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلا ً) [160] .

فيتعلق الاثنا عشرية بهذه الأحاديث ويحتجون بها على أهل السُنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب أهل السُنة , ولكن للاحتجاج عليهم بما يس۔لمون به .

وبالتأمل في النصوص بكل حيدة وموضوعية نجد أنّ هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأتهم يتولون الخلافة، وأن ّ الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن ّ الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضيًا وصالحًا في عهدهم.

وكلّ هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدّعي الاثنا عشريّة فيهم الإمامة، فلم يتولّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن – رضي اللّه عنهما - مدّة قليلة، ولم تجتمع في عهدهما الأمة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر – في نظر الشيعة أنفسهم – بل ما زال أمر الأمة فاسدًا .

ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد؛ بل نبوءة منه بأن ّ الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء , ثم إنّ الشيعة أنفسهم مختلفون في شأنهم وفي أعدادهم وأعيانهم اختلافًا لا يكاد يحصى إلا بكلفة .

كما أن ّ عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه - : (إن ّ الإسلام وشرائعه في زمن بني أميّة أظهر وأوسع ممّا كان بعدهم ...

فكان الخلفاء أبو بكر وعثمان وعلي ، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له ع۔ز ومنعة مع۔اوية , وابن۔ه يزيد [161] , ثم عبد الملك [162] وأولاده الأربعة , وبينهم عمر بن عبد العزيز [163] ,

وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن...) [164].

ونجد أن ّ الاثني عشرية ترى دوام ولاية المنتظر إلى آخر الدهر، وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثني عشر خليفة ، وإذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين: نوع يقوم فيه أمر الأمة، ونوع لا يقوم بل هو قائم في الأزمان كـ لها وهو خلاف الحديث , وخلاف الواقع [165].

ثم إنه قوله في الحديث: (كلهم من قريش) لا يعني اختصاص علي وأولاده , ولو كان مختصـًا بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنّه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، وإن كانوا كذلك ؛ لأنّه قصد القبيلة التي يمتازون بها، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنّهم من قريش ، بل لا يختصون بقبيلة، فكل قبائل قريش سواء بنو تيم وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم ، فإن ّ الخلفاء الراشـدين كانوا من هذه القبائل [166].

إذن لم يبق َ من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد ، والعدد لا يدل على شيء ؛ إذ قد و ُصف به أيضـًا أضدادهـم ، فقد روى الإمـام مسلم عن النبي قوله : (في أمتي اثنا عشر منافقًا) [167].

المطلب الرابع

تكفير الاثني عشرية لمنكر الإمامة يعود عليهم

أوردت فيما سبق [168] الكثير من الروايات والنصوص عند الإمامية الاثني عشرية التي تكفر كل من أنكر الإمامة , مما يترتب عليه تكفير كل فرق المسلمين حتى فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ ، ولكن في الوقت ذاته تتلـقى الا ثنا عشرية بعض أمور دينها عنهم ؛ لأن ّ الكثير من رواة الأ خبـار منهم .

فنجد من رواة الاثني عشرية الموثقين من كان من الواقفة [169] ,كعلي بن أبي حمزة البطائني [170],و أبي خالد السجستاني [171] , وعلي بن جعفر المروزي [172]، وعثمان بن عيسى[173],وحمزة بن بزيع [174] ، ومع ذلك وثقوهم , وعملوا بمروياتهم معرضين عن القول المنسوب لعلي الرضا قوله : (والواقف عاند عن الحق , ومقيم على سيئة , إن مات بها كانت جهنم مأواه , وبئس المصير) [175].

ونسب إليه أيضـًا فيهم قوله: (يعيشون حيارى , ويموتون زنادقة) [176].

وقوله : (إنهم كفار , مشركون , زنادقة) [177].

وفيما روي عنه أنّه قال لما ذُكرت الممطورة [178] , وشكهـم : (يعيشون ماعاشوا على شك , ثم يموتون زنادقة) [179] .

وعن إبراهيم بن عقبة [180] قال : كتبت إلى العسكري : جعلت فداك قد عَرَفتَ هؤلاء الممطورة فأقنت عليهم في صلواتي ؟ قال : (نعم , اقنت عليهم في صلواتك) [181].

وحُكي عن إمامهم المعصوم علي الهادي بأنه كان يعد الزيدية , والواقفة , والنصاب[182] بـمنزلة واحـدة [183].

وكذا لو تأملنا كتب الرجال عندهم لوجدنا أنّ أكثر رواتهم من الفطحية[184],
ومع ذلك يعدون جملة من رجالها ثقات , قال أبو عمرو الكشي[185] في محمد بن الوليد الخزار ، ومعاوية بن حكيم ، ومصدق بن صدقة ، ومحمد بن سالم بن عبد الحميد : (وهؤلاء كلهم فطحية , وهم من أجلة العلماء , والفقهاء , و العدول ، وبعضهم أدرك الرضا , وكلهم كوفيون)[186].

كما كان علي بن الحس-ن بن علي بن فضال [187] ، وعلي بن حـديد ابن حك-يم [188] ، وعمرو بن سعيد المدايني [189] كلهم من الفطحية .

فالواقفة والفطحية تنكر بعض أئمة الاثني عشرية , ومن أنكر واحدًا من الأئمة كان كمن أنكر الجميع ، كما رووا عن

أبي محمد علي بن موسى الرضا أنه قال : (إنّ الجاحدَ أمرَ آخرِنا جاحد أمر أولنا , والزائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا)[190].

ويقول الإمامي يوسف البحراني[191] : (ينبغي أن يعلم أنّ جميع من خرج من

الفرقة الاثني عشرية من أفراد الشيعة كالزيدية, والواقفية , والفطحية ونحوها فإنّ الظاهر أنّ حكمهم كحكم النواصب ... ؛ لأنّ من أنكر واحدًا منهم – عليهم السلام – كان كمن أنكر الجميع كما وردت به أخبارهم ...) [192].

ولكنّ الإمامية الاثني عشرية – وخاصة الأخباريين منهم - اضطروا إلى توثيق أمثال هؤلاء ؛ لأنّ سقوط مروياتهم معناه سقوط المذهب !

ويقر الطوسي بأنّ أكثر رواتهم كانوا ينتحلون مذاهب فاسدة , إذ يقول : (إنّ كثيرًا من مصنفي أصحابنا , وأصحاب الأصول كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة , وكانت كتبهم معتمدة ...) [193].

كما سلك المتأخرون من أصحاب المصطلح طريقة المتقدمين في تعامـلهم مع الأخبار , قال البهائي العاملي [194]: (ثم إنهم - أعلى الله مقامهم - ربما يسلكون طريقة القدماء في بعض الأحيان ... فيصفون بعض الأحاديث التي في سندها من يعتقدون أته فطحي , أو ناووسي [195] بالصحة ؛ نـظرًا إلى اندراجه

فيمن أجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم ...)[196].

إضافة إلى تصريح محمد صادق الصدر[197] بأنّ جميع رواة العقائد والتاريخ من الإمامية مجهولون !! فيقول : (إنّ أعلامنا الأوائل , إذ ألفوا في علم الرجال وصنفوا في تراجم الرواة اقتصروا في ذلك – في كتبهم – على الرجال الرواة للأحاديث الفقهية التشريعية التي تتعرض للأحكام الشرعية , و أولوها العناية الخاصة بصفتها محل الحاجة بالنسبة إلى إطاعة الأوامر الإسلامية , ولكنهم أهملوا إهمالاً يكاد يكون تامًا ذكر حال الرجال الذين وجدت لهم روايات في حقول أخرى من المعارف الإسلامية , كالعقائد والتاريخ والملاحم ...وغيرها ممن قد يربوا عددهم على رواة الروايات الفقهية , فإن صادف – من حسن حظ الرواي – أنّه روى في التاريخ والفقه معًا , وجدنا له ذكرًا في كتبهم , أمّا إذا لم يرو شيئًا في الفقه فإنه يكون مجهولاً) [198].

القسم الثاني

مكانة الدليل العقلي في الاستدلال.

وفيه مبحثان :
المبحث الأول : الدليل العقلي عند الاثني عشـرية .
وفيه مطالب :
المطلب الأول : مفهوم العقل والدليل العقلي عند الا
ثني عشرية .
المطلب الثاني : مكانة العقل والدليل العقلي عند الا
ثني عشرية .
المطلب الثالث : مكانة الاستدلال العقلي في مسألة ا
لإمامة عند الاثني
عشرية.
المبحث الثاني : الدليل العقلي عند أهل السُنة ومناقشة الا
ثني عشرية فيما ذهبوا إليه .
وفيه مطالب :
المطلب الأول : تعريف العقل ومكانته في القرآن
الكريم .
المطلب الثاني : الاستدلال العقلي على المسائل
العقدية عند أهل السُنة
المطلب الثالث : النقل الصحيح لا يعارض العقل
الصريح .
المطلب الرابع : أسباب لجوء الإمامية للدليل العقلي

في تقرير عقيدتهم

المبحث الأول

الدليل العقلي عند الاثني عشرية

المطلب الأول

مفهوم العقل والدليل العقلي عند الاثني عشرية

أولا ً: العقل في اللغة :

العقل : ضد الجهل والحمق , مصدر عقل يعقل عقلا ً , فهو معقول وعاقل, وأصل معنى العقل : المنع , يقال : عقل الدواء بطنه , أي أمسكه , وعقل البعير : إذا ثنِىَ وظيفَه إلى ذراعه , وشدّهما جميعـًا بحبل ؛ لمنعه من الهرب, و أطلق العقل على معاني كثيرة , منها : الحجر والنهى , ومنها الدية ؛ لأنّ القاتل يسوق الإبل إلى فناء المقتول ثم يعقلها هناك, ويطلق – أيضـًا – على الملجأ والحصن [199].

ثانيـًا : العقل والدليل العقلي في اصطلاح الإمامية :

تنقسم الإمامية في تفسير العقل إلى قولين :

القول الأول : وهو لعامة الأخباريين إذ فسروا العقل بأنّه ملكة , وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخيرات , و المنافع , واجتناب الشرور , ومضارها[200] .

فاصطلح إطلاقه عندهم على أمرين :

الأول : ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخير , والنفع , واجتناب الشرور , والمضار , وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية , والغضبية , والوساوس الشيطانية .

الثاني : هو قوة إدراك الخير , والشر , والتمكن من معرفة أسباب الأمور , وذوات الأسباب, وما يؤدي إليها , وما يمنع منها , والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والثواب , والعقاب [201].

وبهما يفسر العقل بما يشمل الغريزة الفطرية , والعلم الضروري الذي يقع في النفس ابتداء .

يقول نعمة اللّه الجزائري : (العقل في اصطلاح الشرع ما عُبد به الرحمن, واكتسب به الجنان , وتدبير النظر في عواقب الأمور) [202].

ويستند قولهم على أساس ما نسبوه إلى النبي بأنّه أوصى عليـًا بن أبي طالب يومـًا فقال : (يا علي أوصيك بوصية فاحفظها , فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي : يا علي من كظم غيظـًا وهو يقدر على إمضائه أعقبه اللّه يوم القيامة أمنـًا , وإيمانـًا يجد طعمه ... إلى أن قال : يا علي العقل ما اكتسبت به الجنة , وطلبت به رضى الرحمن) [203].

ومن ذلك أيضـًا ما رووه عن علي بن أبي طالب أنّه قال : (العقل غطاء ستير , والفضل جمال ظاهر , فاستر خلل خلقك بفضلك , وقاتل هواك بعقلك تسلم لك المودة , وتظهر لك المحبة)[204] .

ورووا عن الحسن أنّه قال عندما سئل عن معنى العقل : (التجـرع للغصة , حتى تنال الفرصة) [205].

وما نسبوه إلى أبي عبد الله أته قال عندما سئل عن معنى العقل : (ما عُبِدَ به الرحمن , واكتسب به الجنان)[206] .

القول الثاني : وهو لعامة الأصوليين , الذي يرون أنّ العقل هو : ما يكون به التفكير , والاستدلال , وتركيب التصورات , والتصديقات [207].

يعرفه ابن مطهر الحلي بأته : الإدراك العقلي الموصل إلى الحكم الشرعي , وينتقل من العلم بالحكم العقلي إلى العلم بـ الحكم الشرعي [208].

والمطـّلع على كتب متقدميهم مثل ابن إدريس الحلي[209] لا يجد تعريفـًا للدليل العقلي ولكنه يكتفي بذكر أقسامه كما فعل في السرائر [210] , وكذلك محمد بن مكي [211]في مقدمة الذكرى [212] , واقتفى محققهم الكركي خـطاهم في هـذا الأمر [213].

ويبين المظفر [214]حال الدليل العقلي عند متقدمي الإ مامية , فيقول : (إنّ علماءنا الأصوليين من المتقدمين حصروا الأدلة على الأحكام الشرعية في الأربعة المعروفة التي رابعها الدليل العقلي , ولم يظهر لي بالضبط ما كان يقصد المتقدمون من علمائنا بالدليل العقلي ، حتـى أنّ الكثير منهم لم يذكره من الأدلة ، أو لم يفسره ، أو فسره بما لا يصلح أن يكون دليلاً قبال الكتاب , والسُّنة ...)[215].

يقول عبد الهـادي الفضلي [216]: (يظـهر أنه لم تتجـل فك
ـرة الدليل العقلي في تلك العصـور [217]، فوسعوا في مفهومه
إلى ما يشمل الظواهر اللفظية مثل لحن الخطاب ، وهو أن
تدل قرينة عقلية على حذف لفظ ، وفحوى الخطاب ،
ويعنون به مفهوم الموافقة ، ودليل الخطاب ويعنون به
مفهوم المخالفة, وهذه كلها تدخل في حجية الظهور ، ولا ع
لاقة لـها بدليل العقل المقابل للكتاب والسُنة , وكذلك الا
ستصحاب [كما ذهب محققهم الحلي[218] [219]]، فإنه
أصل عملي قائم برأسه ، كما بحثه المتقدمون في مقابل
دليل العقل) [220].

وقريبـًا من هذا ذهب محمد باقر الصدر[221] وفسـر
الدليل العقـلي بقوله: (كل قضية يدركها العقل ، ويمكن أن
يستنبط منها حكم شرعي) [222].

وينفرد الوائلي [223] بحصر الدليل العقلي في العقل العملي
[224] , فيقول : (هو إدراك العقل بما هو عقل للحسن , والقبح
في بعض الأفعال الملازم لإدراكه تطابق العقلاء عليه , وذلك
ناتج من تأدب العقل بذلك) [225].

ويُعدّ الدليل العقلي عند الأصوليين من أبرز مظاهر الا
جتهاد ؛ حيث لا نص , ولا إجماع, لذا سموه بالدليل الا

اجتهادي [226].

المطلب الثاني

مكانة العقل والدليل العقلي عند الاثني عشرية

أولا ً : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

نسب الإمامية الكثير من الروايات إلى النبي , وإلى أئمة آل البيت تشير إلى أهمية العقل, وأنه الحجة الباطنة , وبه يثاب المرء ويعاقب , منها الوصية التي نسبوها إلى النبي بأنه قال لعلي بن أبي طالب فيها : (يا علي إنّ أول خلق خلقه الله العقل , فقال له: أقبل فأقبل , ثمّ قال له : أدبر فأدبر , فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقـاً هو أحب إلي منك , بك آخذ, وبك أعطي , وبك أثيب , وبك أعاقب)[227] .

ونحوه رواه الكليني بسنده عن علي أنه قال : (هبط جبرائيل على آدم فقال : يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين ! فقال له آدم :يا جبرائيل وما الثلاث ؟ فقال : العـقل , والحياء , والدين ، فقال آدم : إني قد اخترت العقل فقال جبرائيل للحياء , و الدين :انصرفا ودعاه. فقالا: يا جبرائيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، قال: فشأنكما وعرج)[228] .

ومما رووه عن أبي جعفر أنه قال : (لما خلق الله العقل استنطقه! ثم قال له : أقبل ! فأقبل , ثم قال له : أدبر ! فأدبر , ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقـاً هو أحب إلي منك , ولا أكمَلتـُكَ إلا فيمن أحِب ، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى, وإياك أعاقب ، وإياك أثيب)[229] .

وما رووه عن أبي الجارود [230] ,عن أبي جعفر أته قال :
(إنما يداق [231] الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا)[232] .

ومما رووه عن أبي عبد الله أته قال : (من كان عاقلا ً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة) [233].
ومما نسبوه أيضـًا لموسى الكاظم أته وصى هشام بن الحكم [234]بقوله : (ياهشام ! إنّ الله - تبارك وتعالى - بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : ...

, [الزمر / 17 – 18] .
يا هشام ! إنّ الله-تبارك وتعالى-أكمل للناس الحجج بـ العقول،ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال :

, [البقرة / 163 – 164] .
يا هشام ! قد جعل الله ذلك دليلا ً على معرفته بأنّ لهم مدبرًا ، فقال :

, [النمل / 12], وقال :

, [غافر / 67].

يا هشام ! ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة , فقال :

, [الأنعام / 32] .

يا هشام ! ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه , فقال تعالى :

,[الصافات/136 – 138] , وقال :

, [العنكبوت / 34 – 35] .

يا هشام ! إنّ اللّه – تعالى - يقول في كـتابه :

.. , [ق / 37] .

يعني : عقل , وقال :

... , [لقمان / 12] الفهم والعقل ...

يا هشام ! إنّ لكل شئ دليلا ً, ودليل العقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت، و لكل شيء مطية , ومطية العقل التواضع , وكفى بك جهلا ً أن تركب ما نهيت عنه .

يا هشام ! ما بعث اللّه أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن اللّه ، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر اللّه أحسنهم عقلا ً ، وأكملهم عقلا ً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

يا هشام ! إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة , وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة –

عليهم السلام - ، وأما الباطنة فالعقول ...
يا هشام ! من سلط ثلاثـًا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله : من أظلم نور تفكره بطول أمله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه ، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ، ومن هدم عقله ، أفسد عليه دينه ودنياه .
يا هشام ! كيف يزكو عند الله عملك ، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك, وأطعت هواك على غلبة عقلك .
يا هشام ! الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ، ورغب فيما عند الله ، وكان الله أنسَه في الوحشة ، وصاحبه في الوحدة ، وغناه في العيلة ، ومُعِزّه من غير عشيرة ...
يا هشام ! لا دين لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا عقل له ، وإنّ أعظم الناس قدرًا الذي لا يرى الدنيـا لنفسه خطرًا , أمـا إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة ؛ فلا تبيعوها بغيرها...)[235].

فهذه نصوص لمن يسمونهم معصومين توضح مدى أهمية العقل , ومكانته لديهم , أما من جعله أداة أو آلة فقط من غير إعماله في الاستدلال , فهو مما يطعن في مكانته و الهالة التي أضافها أئمتهم له !

ثانيًا : أقوال علماء الإمامية الاثني عشرية :

تتجلى مكانة العقل والدليل العقلي عند الإمامية الاثني عشرية - على اختلاف مذاهبهم أخبارية [236]و أصولية [237][238]– بتقديمه على النصوص حين التعارض [239]!

فنجد الشريف المرتضى يقول في جواب السؤال الآتي : هل يقع من الأنبياء الصغائر, أو الكبائر ؟ : (إذا كان من مذهب ا لإمامية المحققة أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح لا صغيرها ولا كبيرها ، فما معنى الظواهر التي وردت في القرآن , مثل قوله تعالى :

, [طه / 121] , وما أشبه ذلك من الأنبياء- عليهم السلام- بالوجه الصحيح في تأويل هذه الأخبار ؟ الجواب : اعلم أنّ الأدلة العقلية إذا كانت دالة على أنّ الأنبياء - عليهم السلام - لايجوز أن يواقعوا شيئًا من الذنوب صغيرًا وكبيرًا ، فالواجب القطع على ذلك ، ولا يرجع عنه بظواهر الكتاب ؛ لأنّها إمّا أن تكون محتملة مشتركة ، أو تكون ظاهرًا خالصًا ، لما دلت العقول على خلافه ؛ لأنّها إذا كانت محتملة حملناها على الوجه المطابق للحق الذي هو أحد محتملاتها ، وإن كانت غير محتملة عدلنا عن ظواهرها وقطعنا على أنّه - تعالى - أراد غير ما يقتضيه الظاهر مما يوافق الحق) [240] .

بل من شدة اهتمام المرتضى بالدليل العقلي جعله الطريق الوحيد لمعرفة الله - تعالى -, فيقول : (إنّ الطريق إلى معرفة الله - تعالى - هو العقل ، ولا يجوز أن يكون السمع ؛ لأنّ السمع لا يكون دليلا ًعلى الشيء إلا بعد معرفة الله وحكمته ، وأنّه لا يفعل القبيح , ولا يصدق الكذابين ، فكيف يدل السمع على المعرفة . ووجه دلالته مبني على حصول المعارف بالله حتى يصح أن يوجب عليه النظر . ورددنا على من يذهب من أصحابنا إلى أنّ معرفة الله تستفاد من قول الإمام ؛ لأنّ معرفة كون الإمام إمامًا مبنية على المعرفة بالله - تعالى -. وبينا أنّهم عولوا في ذلك على أنّ معرفة الإمام مبنية على النظر في الأدلة , وهو غير صحيح) [241].

ويقول الطوسي : (إنّ لله حججـًا كثيرة غير الرسل من أدلة العقل الدالة على توحيده ، وعدله ، وجميع صفاته التي من لا يعرفها لا يصح أن يعرف صحة السمع ، فكيف يقال : لا تقوم الحجة إلا بعد إنفاذ الرسل ؟ ...) [242] .

ويقول محمد بن مكي الموسوم عندهم بـ " الشهيد الأ ول " في مسألة سهو النبي , وردّ الأدلة التي تتضمن أنّه قد سجد سجودًا للسهو : (وهذا متروك بين الإمامية لقيام الدليل العقلي على عصمة النبي – صلى اللّه عليه وآله - عن السهو , ولم يصر إلى ذلك غير ابن بابويه , ونقل عن شيخه محمد بن الحسن ابن الوليد [243] أنّه قال : (أول درجة من الغلو نفي السهو عن النبي – صلى اللّه عليه وآله -) [244]. وهذا حقيق بالإعراض عنه ؛ لأنّ الأخبار معارضة بمثلها فيرجع إلى قضية العقل , ولو صحّ النقل وجب تأويله على أنّ إجماع الإ مامية [245] في الأعصـار السالفة على هذين الشيخين , واللا حـقة لهما على نفي سهو الأنبياء والأئمة) [246].

والدليل على اختصاص الدليل العقلي ببعض مسائل أصول الدين , أو بعض الأمور الدنيوية , وعدم شموله للأ حكام الفقهية هو ما ذكره الاستراباذي [247]عند الاستدلال على عصمة الأئمة فيقول: (إنْ تمسكنا بكلامهم[248]فقد عصمنا عن الخطأ, وإن تمسكنا بغيره لم نعصم عنه , ومن المعلوم أنّ العصمة عن الخطأ أمر مطلوب مرغوب شرعًا وعقلا ً. ألا

ترى أنّ الإمامية استدلت على وجوب عصمة الإمام بأته لولا العصمة للزم أمره- تعالى - عباده باتباع الخطأ , وذلك محال؛ لأته قبيح) [249] .

أما نعمة الله الجزائري فيصف حال بعض أصحابه من الا ثني عشرية , وينعتهم بالتبعية للمخالفين من أهل الرأي و القياس في مسألة الاعتماد على الاستدلالات العقلية , إذ يقول : (إنّ أكثر أصحابنا قد اتبعوا جماعة من المخالفين من أهل الرأي والقياس , ومن أهل الطبيعة , والفلاسفة [250]وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها ، وطرحوا ما جاءت به الأنبياء - عليهم السلام - حيث لم يأت على وفق عقولهم ، حتى نقل أن عيسى لما دعا أفلا طون[251]!إلى التصديق بما جاء به أجاب: بأن ّ عيسى رسول إلى ضعفة العقول ، و أما أنا و أمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء , والحاصل أنّهم ما اعتمدوا في شيء من أمورهم إلا على العقل ، فتابعهم بعض أصحابنا وإن لم يعترفوا بالمتابعة) [252].

ويقول الأخباري يوسف البحراني : (اشتهر بين أكثر أصحابنا - رضوان الله عليهم - الاعتماد على الأدلة العقلية في الأصول والفروع , وترجيحها على الأدلة النقلية ، ولذا تراهم في أصول الدين , وأصول الفقه متى تعارض الدليل العقلي , والسمعي قدموا الأول , واعتمدوا عليه , وتأولوا الثاني بما يرجع إليه , وإلا طرحوه بالكلية ، وفي كتبهم الا ستدلالية في الفروع الفقهية أول ما يبدؤن في الاستدلال بـ الدليل العقلي ثم ينقلون الدليل السمعي مؤيد ًا له ، ومن

ثم قدم أكثرهم العمل بالبراءة الأصلية [253]والاستصحاب [254]ونحوهما من الأدلة العقلية على الأخبار الضعيفة باصطلاحهم بل الموثقة ...) [255] .

ويقول عدنان البحراني[256] : (إنّ العقل إنما يدرك الحكم بعد إدراكه لدليله فإثبات جُل العقائد به ليس إلا لمشاهدته لأدلتها رأي عين , وعدم خفاء ذلك عنه بحيث لو خفيت عليه شيء من الدلائل لم يثبت شيئاً من المدلولات , وبذلك تعرف سقوط ما تمسك به المثبت لإدراك العقل للأحكام الشرعية بلزوم عدم معرفة الله لولاه , ولزوم اقتحام الأنبياء , ولزوم جواز ظهور المعجزة على يد الكاذب , وأمثال ذلك ...) [257].

ونرى محمد تقي الحكيم [258] يعد العقل مصدر الحجج , وإليه تنتهي , وهو مصدر أساس من مصادر أصول الدين , وفي بعض الفروع التي لا يمكن للشارع المقدس أن يصدر حكمه فيها كأوامر الطاعة , وكالانقسامات اللاحقة للتكاليف من قبيل العلم , والجهل بها [259].

وإلى هذا يذهب النراقي[260] , فيقول : (العقل هو حجة الله الواجب امتثاله, والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع , ونفس الأمر , فلا يرد حكمه , ولولاه لما عرف الشرع) [261].

ويتبعه المنتظري[262] , فيقول : (إنّ العقل حجة اللّه التي أفاضها على الناس , بل هو بحسب المصطلح أمُّ الحجج)[263].

بل نجد من الاثني عشرية من يقول إنّ العقل هو الطريق الوحيد في تقرير مسائل العقيدة , يقول علي حسين المكي[264] : (فالعقل هو الدليل الوحيد الذي يثبت الإيمان , وهو الطريق الذي يدفع الشبهات والشكوك والريب عن النفوس, عندما ننطلق في عالم التأكيد , والإثبات للحق , والواقع الذي نريده)[265] .

ويقول في موضع آخر : (.. فالدليل العقلي المسلم بمقدماته , والذي ينتهي بالإنسان إلى اليقين الجازم , والإيمان القاطع بنحو يكون مطابقـًا للواقع بل هو الواقع , يحقق الإيمان , والعقيدة المطلوبة)[266].

المطلب الثالث

مكانة الاستدلال العقلي في مسألة الإمامة عند الاثني عشرية

المطلع على كتب الإمامية الاثني عشرية يظهر له أنّ أساطين مذهب التشيع الاثني عشري وواضعـي لبناته مثل المفيد[267] , والمرتضى , والطوسي ، كلهم يقولون بالاعتماد على الدليل العقلي في إثبات الإمامة ووجوبها في كل عـصر ، ثم ّ يأتي النقل من كتاب وسنة تأييداً للدليل العقلي .

ففي هذا يقول شيخهم المفيد مبيناً أنّ العقل يحكم بوجوب وجود معصوم وبهذا الدليل العقلي لن تكون هناك حاجة إلى ذكر الأدلة النقلية : (ومن الدلائل على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه ...وهذا أصل لن يحتاج معه في الإ مامة إلى رواية النصوص , وتعداد ما جاء فيها من الأخبار لقيامه في قضية العقول وصحته بثابت الاستدلال) [268].

ويرى المرتضى - الملقب عندهم بعلم الهدى – أنّ الإ مامة واجبة عقلا ً , إذ يقول : (إنّ العقل قد دلّ على وجوب الإمامة , وإنّ كل زمان كلف فيه المكلفون - الذين يجوز منهم القبيح والحسن , والطاعة والمعصية – لا يخلو من إمام , وأنّ خلوه من إمام إخلال بتمكينهم , وقادح في حسن تكليفهم ... وهذه الطريقة أوضح ما اعتمد عليه في ثبوت إمامة صاحب الزمان , وأبعد من الشبهة .
فإنّ النقل بذلك وإن كان في الشيعة فاشيًا , والتواتر به ظاهرًا , ومجيؤه من كل طريق معلومـًا , فكل ذلك يمكن

دفعه , وإدخال الشبهة فيه , التي يحتاج في حلها إلى ضروب من التكلف , والطريقة التي أوضحناها بعيدة من الشبهات, قريبة من الأفهام) [269].

وفي موضعٍ آخر وهو يتحدث عن الإمامية : (إنّ المعلوم لهم اعتقاد وجوب الإمامة , و أوصاف الإمام من طريق العقل , والاعتماد عليه في جميع ذلك ، وإن كانوا ربما استدلوا بالسمع استظهاراً , وتصرفاً في الأدلة) [270] .

ويقول : (أما المعرفة بوجود الإمام في الجملة وصفاته المخصوصة , فطريقنا فيه العقل , وليس نفتقر فيه إلى تواتر) [271].

وفي موضع آخر ينفي الحاجة إلى النص فيقول : (فعندنا أنّ بيان ذلك [أي الإمامة] غير محتاج إليه [أي النص] ؛ لأن ّ العقول تدل على وجوب الإمامة وعلى صفات الإمام وما يحتاج فيه إليه , وما تدل العقول عليه ليس يجب بيانه من طريق السمع) [272].

بل يقيس المرتضى معرفة الإمام على معرفة اللّه , ويجعل الطريق في إثباتهما هو العقل لا النقل , إذ يقول : (إنّ الطريق إلى معرفة اللّه – تعالى- هو العقل ، ولا يجوز أن يكون السمع ؛ لأنّ السمع لا يكون دليلا ًعلى الشيء إلا بعد معرفة اللّه وحكمته ، وأنّه لا يفعل القبيح , ولا يصدق الكذابين ، فكيف يدل السمع على المعرفة . ووجه دلالته مبني على حصول المعارف باللّه حتى يصح أن يوجب

عليه النظر . ورددنا على من يذهب من أصحابنا إلى أنّ معرفة اللّٰه تستفاد من قول الإمام؛ لأنّ معرفة كون الإمام إمامـًا مبنية على المعرفة باللّٰه -تعالى - , وبينا أنّهـم عولوا في ذلك على أنّ معرفة الإمـام مبنية على النظر في الأدلة , وهو غير صحيح)[273].

ويقول شيخ الطائفة الطوسي : (أما وجود الإمام وصفاته التي يستحقها فمما لا يحتاج فيها إلى النقل بل نعلمها من جهة العقول)[274].

ويقول أيضًا : (الكلام في وجوب الإمامة عقلا ً وإن لم يكن سمع , والذي يدل على ذلك ماثبت من كونها لطفًا في التكليف العقلي لا يتم من دونها)[275].

والناظر في كتاب " الألفين "[276] لعلامة الاثني عشرية الحلي يدرك مدى اعتماده على الأدلة العقلية أثناء الاستدلال على مسألة الإمامة[277] .

وصرّح الخميني بأنّ العقل رسول باطني مقر بالإمامة كأصل من أصول الدين المسلمة[278].

وكذلك علي الميلاني[279] يصنف كتابـًا يثبت فيه إمامة علي بدليـل العقل , سمـّاه " الدليل العقلي على إمامة علي "[280], وما ذاك إلا لعِظـَم مرتبة العقل عند الإمامية الا

اثني عشرية , وإلا لما استدلوا به على أهم مسألة عندهم .

أما وحيد الخراساني [281] فيقدم حكم دليل العقل في الخلاف الحاصل بين الناس في مسألة الإمامة , فيقول : (لا خلاف بين الخاصة والعامة في ضرورة وجود الخليفة بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وإنما الخلاف في أنّه منصوب من قِبل الله – تعالى - , أو باختيار من الناس ... والحكم في هذا الاختلاف هو العقل , والكتاب , والسُنة ...) [282] .

فالأدلة العقلية هي الأساس في مسألة الإمامة والأدلة النقلية تذكر اعتضادًا لا اعتمادًا , فيقول إدريس الحسيني [283]: (يرى الشيعة أنّ الإمامة تعينت بالنص , أسواء من الله – تعالى – أم من النبي – صلى الله عليه وآله - , ولهم إضافة إلى الأدلة العقلية , أدلة نقلية قوية بهذا الخصوص ...) [284].

المبحث الثاني

الدليل العقلي عند أهل السُنة ومناقشة الاثني عشرية فيما ذهبوا إليه

المطلب الأول

تعريف العقل ومكانته في القرآن الكريم

أولا ً: تعريف العقل اصطلاحًا :

المتأمل لمعنى العقل في القرآن والسنة يجده بمعنى الصفة والآلة التي تقوم بالعاقل , يميز بها , ويدرك بواستطها المدركات , وهو مناط التكليف والتفريق بين الخير والشر و والنافع والضار[285] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : (العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين , وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل , سواء سمي عرضًا أو صنعة , ليس هو عينًا قائمةً بنفسها)[286].

ثانيًا : استعمالات العقل :

أسلمُ التعريفات للعقل هو أن يقال : أنّ العقل يقع بالا ستعمال على أربعة معان[287]:

الأول : الغريزة المدركة , وهي في كل إنسان , فبها يعلم , ويعقل , وهي كقوة البصر في العين , والذوق في اللسان , وهي شرط في المعقولات , والمعلومات, وهي مناط التكليف.

الثاني : العلوم الضرورية , وهي التي تشمل جميع العقلاء , كالعلم بالممكنات , والواجبات, والممتنعات , وهي على قسمين, الأول : قسم يقع ابتداء, والثاني : يحصل بالا

اكتساب [288] .

وهذان المعنيان من معاني العقل فطريان طبعيان غريزيان , يشترك فيهما جميع العقلاء على حد سواء , ولا يقع التفاوت فيما بينهما ؛ إذ النقص فيهما ضرب من الجنون , ينزل بصاحبه عن رتبة العقلاء.

وهذا القدر من العقل هو الذي فضل اللّه الثقلين به على أهل الأرض , وهو محل التكليف , والأمر , والنهي , وبه يكون التدبير , والتمييز .

الثالث : العلوم النظرية : وهي التي تحصل بالنظر والا ستدلال , وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جلي وواقع .

ويطلق بعض العلماء على هذا المعنى من معاني العقل : العلم [289], وهو الذي يسمى فاقده غبيًا, وجاهلا ً, و أحمقًا , ولا يسقط التكليف عنه بخلاف المعنى الأول.

والعقل بهذا المعنى أخص من العلم , والمعرفة ؛ لأنّ صاحبه يعقل ما علمه , فلا يدعه يذهب ؛ ولأنّ الإ دراك مراتب , بعضها أقوى من بعض , فأولها الشعور ثم الفـ هم , ثم المعرفة , ثم العلم , ثم العقل [290].

الرابع : الأعمال التي تكون بموجب العلم , لهذا قال أصحاب النار :

,

[الملك / 10] , وهو المراد من قوله تعالى : ...

, [يوسف / 109] , وقـوله :

, [البقرة / 44] ...

ونحوها من الآيات التي تجعل ترك العمل هو مقتضى فهم الخطاب , والعلم به .

وكل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأته جوهر قائم بنفسه خلافًا للفلاسفة, ومن شايعهم من المتكلمين – كالإمامية الاثني عشرية - , بل هو عرض , أو صفة – عند من يتكلم بالجوهر والعرض – يقوم بالعاقل , وكونه صفة يمنع كونه أول المخلوقات ؛ لأنّ الصفة لا تقوم بنفسها .
والظاهر أنّ تعريف الإمامية الاثني عشرية للعقل بذكر بعض هذه المعاني ليس بجامع , فالصواب ذكر معانيه مجتمعة .

ثالثـًا : مكانة العقل في القرآن الكريم :
أولا ً : خصّ الله في كتابه الكريم أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة, وخاطبهم في أكثر من موضع بعدما ذكر أحكامه ,فقد قال تعالى بعد أنّ ذكر جملة أحكام الحج :

, [البقرة / 197] ,
وقال عقب ذكر أحكام القصاص :

, [البقرة / 179] , فهذا يدل على أهمية العقل في استنباط أحكام الله - تعالى -, ولولا ذلك لما خاطب الله – تبارك وتعالى - الناس به .

ثانيـًا : قصر الله الانتفاع بالذكر , والموعظة على أصحاب العقول فقال في محكم تنزيله :

, [البقرة / 269] , وقال :

, [يوسف / 111] , وقال أيضـًا :

, [العنكبوت / 35].

ثالثـًا : ذكر الله - تعالى - أصحاب العقول, وجمع لهم النظر في ملكوته , والتفكير في آلائه , مع دوام ذكره , ومراقبته وعبادته , قال تعالى :

, [آل عمران / 190 – 194] . أما ما عليه المذاهب المخالفة لأهل السُنة في العقل فطرفي نقيض , منهم من عطل حكم العقل بالكلية , ومنهم من اعتمد العقل طريقـًا إلى الحق واليقين , مع إعراضه عن الوحي , أو إسقاط حكم الوحي وتأويله عند التعارض كما هو حال الكثير من الإمامية الاثني عشرية .

أما أهل العلم والإيمان ينظرون في ملكوت خالقهم نظرًا يستحضر عندهم قوة التذكر والاتعاظ , وصدق التوجه إلى

الخالق البارئ   من غير أن يخطر ببال أحدهم ثمة تعارض بين خلق الله – تبارك وتعالى - وبين كلامه .

رابعـًا : ذمّ الله   المقلدين لآبائهم , وذلك حين ألغوا عقولـهم , وتنكروا لأحكامها ؛ رضا بما كان يصنع الآباء والأ جداد , قال تعالى :

,

[البقرة / 170 – 171] .

المطلب الثاني

الاستدلال العقلي على المسائل العقدية عند أهل السُّنة

إنّ المدركات العقلية منها ما هو ضروري , ومنها ما هو نظري , ومنها ما هو ممتنع .

أما العلوم الضرورية فقد جادل الإسلام بها أصحاب العقائد الفاسدة , وحاكمهم إليها ؛ لأنها قوانين فطرية , لا ينكرها إلا مكابر , أو جاهل لا يتصور ما يقول , فكان يطالبهم بالجمع بين المتماثلين , والتفريق بين المختلفين, إلحاق الشيء بنظيره , والفرع بأصله , والاستدلال بالأثر على المؤثر , ويذكرهم دائمًا بتحكيم العقل , والبعد عن الهوى , فيلجئهم إلى موقف حرج مع أنفسهم , حتى يظهر لهم التناقض , والتنافر بين ما يعتقدونه من عقائد , وبين القوانين العقلية التي يستوي فيها كل الناس , فلا يبقى أمامهم إلا الكفر بعقائدهم , وموافقة الأحكام العقلية , ومن ثمّ الدخول في دين الله - تعالى -, أو البقاء على ما هم عليه مع شهادتهم بالتناقض والاضطراب , كما هو حال أهل الشرك والضلال , قال تعالى :

, [الأنفال / 32] .

و أما العلوم النظرية المكتسبة فلا يستقل العقل بالحكم فيها إلا مع وجود دليل شرعي يقوم عليها .

أما العلوم الممتنعة والتي لا تدركها العقول منها الكثير من مسائل الاعتقاد , ولا سيما التفصيلية منها , فالعقول ما كنت لتعلم بها لولا مجيء الوحي بها , وذكره لأدلتها العقلية , وهذا في غير المسائل الكبار من الإقرار بوجود الله - تعالى - وتوحيده ونحوه ؛ لأنّ النفوس مفطورة على معرفة خالقها , لكنّ المقصود هو تفاصيل هذه المسائل , وهي التي

استقل الوحي بتعريفها وبيانها , وإرشاد العقول إلى طرق العلم بها , فالعقول ما كانت لتدركها لولا تنبيه الوحي وإرشاده إلى طرق معرفتها [291] .

وأيضـًا فإنّ الكثير من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها , و العلم بها عند العقول لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها , كصفات الله , وأفعاله وحقائق ما ذكر من أمور اليوم الآخر من بعث , وحساب , وجزاء , وما في الجنة ولنار من النعيم و العذاب ؛ والعقل وإن كان لا يدرك ما هي عليه من الكيفيات , فهو أيضا لا يحيل ذلك , ولا يمنع إمكان وجوده ؛ لأنّ عدم إدراكه لها إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها , فالعلم بالشيء فرع عن تصوره, والتصور لا يقوم إلا على معطيات حسية , وهذا أمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب .

أما إمكان وجود مسائل الغيب فالعقل يقر به , ولا يحيله ؛ لأنّ الإمكان الخارجي قد يكون بعلم العبد بوجود الشيء نفسه , أو وجود نظيره , أو وجود ملزومه , أو وجود شيء أبلغ في الوجود من ذلك الأول , ولهذا ضرب الله - تعالى - الأمثال في القرآن الكريم ؛ لتقرير مسائل الغيب تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها فاستدل على النشأة الآخرة بـ النشأة الأولى , وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات , والأرض وهي أعظم , وأبلغ في القدرة , وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها إلى غير ذلك من ا لأمثال المضروبة في القرآن الكريم [292].

يقول الإمام السمعاني [293] عند حديثه عن بيان دور العقل في العلم الإلهي : (إنّ الله - تعالى - أسس دينه وبناه على ا لاتباع , وجعل إدراكه , وقبوله بالعقل, فمن الدين معقول , وغير معقول , والاتباع في جميعه واجب .

ومن أهل السُنة من قال : إنّ اللّه لا يعرف بالعقل , ولا يعرف مع عدم العقل , ومعنى هذا أنّ اللّه - تعالى - هو الذي يعرّف العبد ذاته , فيعرف اللّه باللّه لا بغيره ؛ لقوله تعالى :

... , [القصص / 56] , ولم يقل : ولكنّ العقل ... وقد ثبت أنّ النبي قال : (واللّه لولا اللّه ما اهتدينا...)[294] فهذه الدلائل دلت أنّ اللّه - تعالى - هو المعرّف , إلا أنّه يعرّف العبد نفسه مع وجود العقل؛ لأنّه سبب التمييز والإدراك, لا مع عدمه ؛ لأنّ اللّه - تعالى -قال :
, واللّه – تعالى - يعطي العبد المعرفة بهدايته , إلا أنّه لا يحـصل ذلك مع فقد العقل ...
إلى أن قال : واعلم أنّ فَصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل ؛ فإنهم أسسوا دينهم على المعقول , وجعلوا الا تباع والمأثور تبعـًا للمعقول , وأما أهل السُنة قالوا : الأصل في الدين الاتباع , والمعقول تبع , ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي , وعن الأنبياء – صلوات اللّه عليهم - , ولبطل معنى الأمر , والنهي , ولقال من شاء ما شاء , ولو كان الدين بني على المعقول , لجاز للمؤمنين ألا يقبلوا شيئـًا حتى يعقلوا ...)[295] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه - : (وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية - وإن كان معلومـًا بـ الضرورية البديهية , وبالشرعية النبوية الإلهية – فهو أيضـًا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية)[296] .
ويقول في موضع آخر : (إنّ عامة مسائل أصول الدين الكبار مثل الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته , وعلمه , وقدرته , ومشيئته , وعظمته , والإقرار بالثواب وبرسالة

محمد   وغير ذلك مما يعلم بالعقل قد دلّ الشارع على أدلته العقلية , وهذه الأصول التي يسميها أهل الكلام العقليات , وهي ما تعلم بالعقل, فإنها تعلم بالشرع , لا أعني بمجرد إخباره ؛ فإنّ ذلك لا يفيد العلم إلا بعد العلم بصدق المخبر , فالعلم بها من هذا الوجه موقوف على ما يعلم بالعقل من الإقرار بالربوبية , وبالرسالة , وإنما أعني بدلالته , وهدايته) (297) .

والذي ينبغي القطع به كمال الدين,وتمامه من قوله تعالى: ...

...

كما يكون كمال الدين في مسائله كذلك يكون في دلائله , يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله - : (والقرآن مملوء من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة عليه, وعلى ربوبيته , ووحدانيته , وعلمه , وقدرته , وحكمته , ورحمته) (298) .

إلا أنّ هذا لا يعني ضرورة ورود دليل عقلي مفرد مستقل منصوص عليه بإزاء كل مسألة عقدية عقلية , بل يكفي في هذا أن يكون دليل المسألة داخلا ً ضمن دليل عقلي عام منصوص عليه .

فمثلا ً: صفة العلو لله - تعالى - لا شك في كونها صفة عقلية , يعلم العقل والفطرة ثبوتها لله   من جهة كونها صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه , وقد جاءت النصوص متوافرة بإثباتها , إلا أنّها تدل عليها دلالة سمعية , ولم يدل عليها دليل عقلي في القرآن , أو السُّنة يدل عليها بخصوصها , كما هو شأن صفة العلم مثلا ً , فهل يعني هذا عدم وجود دليل عقلي نقلي لها ؟

بالطبع لا ؛ فالأدلة العقلية النقلية الدالة على ثبوت الكمال

المطلق لله – تبارك وتعالى - تدل دلالة عقلية عامة على هذه الصفة ؛ لأنها كمال [299].

ثم ما هي الأصول العقلية التي تعلم بالعقل ؟ فإنّ في تحديدها , وضبطها تميزًا مهمًا بين منهج أهل السُنة ومناهج الفرق المخالفة – كالإمامية أخبارية وأصولية على حدٍ سواء - في باب الاستدلال العقلي على أصول الاعتقاد .

فأهل السُنة والجماعة لا يثبتون شيئًا في أصول الدين إلا ما جاء به النص من الـكتاب , أو السُنة النبوية الشريفة .

مع أنهم لا ينكرون أنّ منها ما يعلم بالعقل إجمالا ً , مع كونه معلومًا بالسمع , ومنها ما لا يعلم إلا بالسمع , وأنّ التمييز بين النوعين يعلم بالعقل , فما أمكن معرفته , والا ستدلال عليه بالعقل من مسائل الاعتقاد الشرعية فهو عندهم من قسم العقليات , وما لم يكن للعقل سبيل إلى إثباته فهو من السمعيات [300] .

لذا فقد اتخذ أهل السُنة منهج الاعتدال والوسطية في ا لأخذ بأحكام العقل, فلا يعطى العقل أكبر من قدره , وحدوده , ولا يقدم على السمع ويحكّم فيه كما فعلت الإمامية الاثنا عشرية التي جعلت من الدليل العقلي دليلا ً معتمدًا , وثابتًا جازمًا لا يقبل الشك فيه في المسائل العقدية !

المطلب الثالث

النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح

يؤكد أهل السُنة والجماعة أنّ العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بأي حال من الأحوال , وأنّ الحاكم , والمقدّم في موارد النزاع هو النقل , - كما قرر هذا الإمام الشاطبي [301]- إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فشرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعـًا , ويتأخر العقل فيكون تابعـًا , فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل [302] .

ويذكر الشاطبي – رحمه الله - أنّ هذا الأصل " كون الشرع حاكمًا بالإطلاق " يقتضي للعاقل أمرين :

الأول : أن لا يجعل العقل حاكمـًا بإطلاق , وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع , بل الواجب تقديم ما حقه التقديم وهو الشرع , وتأخير ما حقه التأخير وهو نظر العقل , فلا يصح تقديم الناقص المفتقر حاكمـًا على الكامل المستغني , فهذا خلاف المعقول والمنقول , فلا معدل عنه .

الثاني : أنه إذا وجد الشرع أخبارا تقتضي – ظاهرًا – خرق العادة الجارية, فلا ينبغي له أن يقدم بين يديها الإنكار بإطلاق , بل له سعة في أمرين :

1 _ أن يصدق به كما جاء , ويكل ما أشكل عليه إلى عالمه , وهو ظاهر قوله تعالى :

, [آل عمران / 7] .

2 _ أن يتأوله على ما يمكن حمله عليه مع الإقرار بمقتضى الظاهر ؛ لأنّ إنكاره إنكار لخرق العادة فيه [303] .
ولكن لا يمكن تأويله مع الإقرار بمقتضى الظاهر , ففيه تناقض فينبغي الوقوف على الأمر الأول الذي ذكره - رحمه الله - , فهو مذهب السلف الصالح , ومخالفتهم تقتضي الا ضطراب والاختلاف كما هو بين وواضح [304].

فالواجب على كل مؤمن بالله - تعالى - ورسالاته تحكيم الشرع في كل شيء وإنْ ظهر تعارض فليتهم عقله وفهمه أولا ً, ويجعله مشتبهًا , ويجعل نصوص الشرع محكّمة , هذا هو مذهب الراسخين في العلم والإيمان قال شارح الطحاوية [305]- رحمه الله - : (وكل من قال برأيه, وذوقه , وسياسته مع وجود النص , أو عارض النص بـ المعقول فقد ضاهى إبليس ؛ حيث لم يسلم لأمر ربه بل قـ ال : ...
, [الأعراف / 12]) [306].

كما عدّ ابن قيّم الجوزية – رحمه الله - تقديم العقل على النقل من الطواغيت التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين , وانتهكوا بها حرمة القرآن , ومحوا بها رسوم ا لإيمان حيث قال : (الطاغوت الثاني وهو قولهم : إنْ تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل ؛ لأنّه لا يمكن الجمع

بينهما ولا إبطالهما ولا تقديم النقل ؛ لأن ّ العقل أصل النقل فلو قدمنا عليه النقل لبطل العقل, وهو أصل النقل فلزم بطلان النقل فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل , فتعين القسم الرابع وهو تقديم العقل ...) [307] .

ثم أخذ يدكٌ معاقل هذه الشبهة بمناقشتها مستعينـًا بما جاء في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - " درء تعارض العقل والنقل " [308] .

وقد يظهر التعارض أحيانًا - مع أنّ العقل صريح صحيح - ولكنّ النقل مكذوب موضوع , وذلك بتقصير الناظر في دلا لة السمع بعد تيقنه من دلالة العقل فيظن في السمع الصحة , والأمر ليس كذلك , فيظهر عنده التعارض وهو تعرض بين دليل صحيح , ودليل فاسد , والدليل الفاسد لا يصلح أن يكون دليلا فضلا ً عن أن يعارض به الدليل الصحيح , بل الواجب تقديم الدليل الصحيح سمعيـًا كان , أو عقليـًا [309] .

وقد يظهر التعارض مع كون النقل صحيحـًا ثابتـًا ولكن غلط المستدل في الاستدلال له فيظهر التعارض نتيجة الفهم القاصر , فالتقصير في معرفة النقل تارة يكون في معرفة طرقه , وتمييز الصحيح من السقيم , وتارة يكون في معرفة دلالته وتحقيق معانيه .

فعدم إدراك الدلالة الصحيحة للسـمع من أسباب ادعاء التعارض بين المعقـول , والمنقول .

والمسائل التي توهم بالتعارض بين النقل والعقل إمـّا أن لا تكون من المسائل البيـّنة المعروفة بصريح العقل كمسائل الحساب والهندسة ونحو ذلك , وإمـّا أن يكون النقل

المستدل به مكذوبـًا موضوعـًا يعلم ذلك أهل الصناعة و المعرفة بالحديث , أو يكون النقل صحيحـًا لكن المستدل غلط في الاستدلال به[310] .

يقول ابن قيّم - رحمه الله -:

فإذا تعارض نص لفظ وارد والعـقل حتـى ليس يلتقيـان
فالعقل إمـّا فاسد ويظـنه الرائي صحيحًا وهو ذو بـطلان
أو أنّ ذاك النص ليس بثابت ما قـاله المعصـوم بـالبرهـان [311].

فالعقل الفاسد عندما يكون العقل ليس بصحيح , أو يكون صحيحـًا لكنه ليس بصريح كما أنّ عامة موارد النزاع من الأمور الخفية المشتبهة , والتي يحار فيها كثير من العقلاء , كمسائل أسماء الله - تبارك وتعالى - , وصفاته , وخصوصًا الخبرية منها :كاليد , والقدم , والعرش , و الكرسي , وما بعد الموت من الثواب والعقاب , والجنة و النار ... وغير ذلك من أنباء الغيب , والتي تقصر عقول أكثر العقلاء عن تحقيق معرفتها بمجرد رأيهم , ولهذا كان عامة الخائضين فيها بمجرد الرأي : إمـّا متنازعين مختلفين , وإمـّا حيارى متخبطين .

فالنصوص الثابتة في الكتاب والسُنة لا يعارضها معقول بيـّن قط , لا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب بسبب الشبه والخيالات والتي مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة, وما علم أته حق لا يعارضه ما فيه اضطراب ,

واشتباه لم يعلم أنه حق[312].

المطلب الرابع

أسباب لجوء الإمامية للدليل العقلي في تقرير عقيدتهم

تتلخص أسباب لجوء الإمامية الاثني عشرية للدليل العقلي في تقرير مسائل الاعتقاد عندهم في عدة نقاط منها :
الأولى : تحكيم العواطف والأهواء في أصول معتقدهم , مما أدى ذلك إلى الاحتكام والاستدلال إلى العلم الظني وتقديمه على العلم اليقيني .

الثانية : الخلل والانحراف في مصادر التلقي , والمقصود بذلك ما نسبوه إلى أئمتهم من روايات تطعن في نصوص القرآن الكريم , وتشكك في حجيته وصلاحيته في الاستدلا ل .
كما أنّهم نسبوا للنبي الكثير من الأحاديث الموضوعة , واضافوا إليها أخبار نسبت إلى أئمتهم , وأطلقوا عليها " السنة الإمامية [313]" [314].

الثالثة : خلو الأدلة الصحيحة سندا الصريحة دلالة على ما اعتقدوا به في مسائل العقيدة خاصة مسألة الإمامة .

الرابعة : اضطراب النصوص وتناقضها , وحمل بعضها على التقية [315] أوجد خللا في الاستدلال بها , مما أدى ذلك إلى احتكامهم للدليل العقلي دون الدليل النقلي .

أما ما ذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية من تقديم العقل على النقل مطلقًا , ولو حصل تعارض فالخطأ من ناحية النقل

فوجب تأويله بما يوافـق العقل ! فمردود من عدة أوجه منها :

الأول : طالب القرآن الكريم بالنظر والتفكر , والتدبر مخاطبـًا بذلك أولي النهى , والألباب والعقول , وكم من آية وقد ختمت بقوله: ,

, وقوله :

, [محمد

/ 24] .

فلو كان القرآن يخالف قضايا العقول لما أمر بهذا التدبر , والتفكر الذي يكشف عادة عن مواطن الضعف , والقصور , و التعارض . فلما أمر بذلك لزم أن يكون منزهـًا عن التعارض نفسه , وعن التعارض مع العقل الصحيح [316].

الثاني : الآيات التي دلت على قطع الحجة , وإسقاط المعذرة بإرسال الرسل, وإنزال الكتب قال تعالى :

, [النساء / 165] , وقال أيضـًا :

,

[التوبة / 115] فلو كان في العقول ما ينافي المنزل من الكتاب , والحكمة لمَا قامت به الحجّة , وسقطت به المعذرة [317].

الثالث : نعى الله المشركين مجادلتهم في الله بغير علم ولا سلطان ولا كتاب منير, وسمى كل ما سوى الحق باطلا ً , فالكلام في الله وفي دينه بغير كتاب منزل ولا عقل صحيح هو كلام بالباطل , قال تعالى :

[الكهف/ 56] .,

وقـال جلّ في علاه :

,

[الحج / 8] , وقـال أيضـًا :

, [الحج / 3 – 4] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وأمثال ذلك مما في كتاب الله -تعالى - مما يذم به الذين عارضوا رسل الله وكتبه بما عندهم من الرأي والكلام)[318].

فكل من عارض آيات الله بمعقولة , لا علم عنده , وكل من جادل في آيات الله بغير هدى ولا كتاب منير فقد جادل بغير علم , فنفي العلم يقتضي نفي كل ما يكون علمـًا بأي طريق حصل , وذلك ينفـي أنْ يكون مجادلا ً بهـدى أو بكتاب منير [319].

الرابع : قال النبي : (قد تركتكم على البيضاء , ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) [320] .

ففيه إثبات كون الشريعة المنزّلة واضحة المعالم , وبينة القسمات , وأنّ تركها – بمعارضتها – هو علامة الهلاك , وسمة البوار , وقد اعترف المتكلمون بأنّ طريقة السلف أسلم , وأنهم لم يخوضوا في معارضة الشريعة بالآراء , والأقيسة ونحوها[321] , والسلامة أعظم الغايات التي يطالبها المسلم لدينه, وعرضه ,

وماله , وما سواها هو الغي والضلال [322] .

وبالرغم من مناقشة الاثني عشرية فيما ذهبوا إليه في مسائل الإمامة , وحجية الاستدلال العقلي , إلا أنّهم يعدون العقل طريقاً إلى إثبات وجود الإمام في كل زمان ، مصرحين بأنّ الشرع لا يُعتمد عليه في إثبات هذا الأصل ؛ لأنه ثابت عندهم بالعقل , سواء ورد به الشرع أم لم يرد.

وهذا وإن كان اعترافاً بإفلاسهم من الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسُنّة على الإمامة ، إلا أنه يوجب علينا أن نهدم أركان إمامتهم من الأساس الذي اعتمدوه , وهي الأدلة العقلية بصورها ومقدماتها ، مبتدئة بقاعدة اللطف الإلهي التي قامت عليها هذه الأدلة .

المدخل

قاعدة اللطف الإلهي
ومدى التزام الاثني عشرية بها في مسألة الإمامة

وفيه قسمان :

القسم الأول : معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف من الاثني عشرية ومناقشة ذلك .

القسم الثاني : مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام ومناقشته .

القسم الأول

معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف من الاثني عشرية ومناقشة ذلك .

وفيه مبحثان :
المبحث الأول : عرض معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف الإلهي .
المبحث الثاني : مناقشة قاعدة اللطف الإلهي واضطراب موقف الاثني عشرية فيها .

المبحث الأول
عرض معنى اللطيف وأول من قال بقاعدة اللطف الإلهي

أولا ً: معنى اللطيف في اللغة :
اللطيف صفة من صفات اللّه واسم من أسمائه , وفي التـنزيل العزيز : ... , [الشورى / 19] وفيه : , [الأنعام / 103] , ومعناه الرفيق بعباده , واللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق , واللطف من اللّه : التوفيق والعصمة .
ويقال : لطـَف به وله بالفتح يلطف لطفًا إذا رفق به , فأما لطـُف بالضم فمعناه صغر ودق [323].

ثانيًا : معنى اللطيف عند الاثني عشرية :
يذهب الإمامي الصدوق أنّ معنى قوله :
... فهو لطيف بهم بار بهم ، منعم عليهم , و اللطف البر , والتكرمة ، كما يقال : فلان لطيف بالناس : بار بهم يبرهم , ويلطفهم إلطافـًا ، ومعنى ثان ذهب إليه – أي الصدوق - : أنّه لطيف في تدبيره , وفعله كما يقال: فلان لطيف العمل [324].

وقد روي في الخبر [325] : أنّ معنى اللطيف هو أنّه الخالق للخـلق اللطيف , كما أنّه سمي العظيم ؛ لأنّه الخالق للخلق العظيم [326].
أما محمد بن المكي الملقب عند الاثني عشرية بـ " الشهيد الأول " فيقول في معنى اللطيف : (اللطيف العالم

بغوامض الأشياء ثم يوصلها إلى المستصلح برفق دون العنف , أو البر بعباده الذي يوصل إليهم ما ينتفعون به في الدارين , ويهيئ لهم أسباب مصالحهم من حيث لا يحتسبون) [327] .

وقد يكون المقصود من اللطيف هو أنّ ذاته المقدسة من اللطافة بحيث لا تدرك بالحواس ، وعليه فإنه " اللطيف ؛ لأنّه لا علم لأحد به [328] .

ثالثًا : معنى اللطف عند الاثني عشرية :

أشهر ما قيل في تعريفه عند الإمامية الاثني عشرية هو : عبارة عما يقرب المكلف إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية ، ثم ّ إن اتصل اللطف بوقوع التكليف يسمى لطف ًا محصلا ً [329] ، وإلا يسمى لطف ًا م ُـقَ َر ِّبِ ًا [330].

وهو كما يقول المفيد : (اللطف هو ما يَقْربُ المكلف معه من الطاعة , ويبـعد عن المعصية , ولاحَظٌ له في التمكين , ولم يبلغ الإلجاء [331]) [332] .

وقال المرتضى : (إن ّ اللطف ما دعا إلى فعل الطاعة ، وينقسم إلى ما يختار المكلف عنده فعل الطاعة ولولاه لم يختره ، وإلى ما يكون أقرب إلى اختيارها ، وكلا القسمين يشمله كونه داعي ًا)[333] .

فالمقصود من اللطف عند الاثني عشرية هو الفعل الذي يقرب العـبد من الطاعة , ويبعده عن المعصية , بحيث لم

يكن له حظ في التمكـين , ولا يبلغ حد الإلجاء . وبعبارة أخرى: اللطف هو أن يمّكن اللّٰه العبد من الطاعة, وذلك بتوفير القدرة , والصحة له , وإزالة الموانع التي تحول بينه وبين الطاعة , وكل هذا مترتب على التكليف؛لأنّ التكليف ليس إلا تعريض العبد للثواب , وإبعاده عن المعاصي و العقاب , فإذا عرضه اللّٰه للثواب فإنه لابد أن يمكنه من الحصول على هذا , فالصواب اقتضاء لعدله , ورحمة بعباده[334].

رابعـًا : اللطف وأفعال العباد عند الاثني عشرية:

وهذا اللطف مرتبط بمسألة أفعال العباد , والتي ذهبوا فيها بأن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ، يقول الصـدوق : (اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل اللّٰه عالمًا بمقاديرها) [335].

وهذا فيه إثبات علم اللّٰه بأعمال العباد فقط لا إثبات عموم مشيئته سبحانه، وهو لا يقتضي أن اللّٰه خالق أفعال العباد .

ثم إن ّ المفيد يذهب إلى معنى أن العباد خالقون لأ فعالهم، لكنه لا يستحسن هذا التعبير فيقول : (أقول: إن الخلق يفعلون، ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون، ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولا هم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره اللّٰه تعالى ولا أتجاوز به مواضعه من القرآن ، وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية و البغداديين من المـعتزلة [336] , وأكـثر المرجئة [337]وأصحاب الحديث، وخالف فيه البصريون من المعتزلة وأطلقوا على

العباد أنهم خالقون فخرجوا بذلك عن إجماع المسلمين) [338].
فهو يلتزم – كما يزعم – منهج القرآن؛ لأنه سماهم فاعلين وعاملين ولم يسمهم خالقين، غير أن إجماع طائفته لم يستمر – إن كان قد حصل – إذ إن طائفة من شيوخهم سلكوا مسلك معتزلة البصرة في إطلاق لفظ "الخلق" فقد عقد الحرّ العاملي في كتابه بابًا بعنوان : "باب أنّ اللّه سبحانه خالق كلّ شيء إلا أفعال العباد "[339] . وقال: (أقول: مذهب الإماميّة والمعتزلة أنّ أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها) [340].

وكذلك قال الطبطبائي: (ذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خ القون لها، وما في الايات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته) [341].

خامسـًا : حكم اللطف عند الاثني عشرية :

تعتقد الاثناعشرية بوجوب اللطف على اللّه , يقول المفيد : (الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه , فيكون واجبًا في الحكمة , وهو المطلوب) [342].

ويرى الحلي الموسوم عند الاثني عشرية بـ " المحقق " وجوب اللطف على اللّه إثر تفرقته ما بين المصالح الدينية والدنيوية , فيقول : (المصلحة إما أن تكون دينية أو دنيوية , فإن كانت دنيوية ، وانتفت عنها وجوه القبح ، فهل

يجب فيها الحكمة أم لا ؟
قال الأكثرون : هي غير واجبة ، وأوجبها الأقل في الجود .
احتج الموجبون بأنها منفعة لا يتوجه بها ضرر على فاعلها ، ولا على غيره ، وليس فيها وجه من وجوه القبح، فيتعلق بها الداعي ، وينتفي عنها الصوارف ، وكل ما كان كذلك ، فلا بد أن تبعث الحكمة على فعله .
احتج المانعون بأن ّ ذلك لو وجب لوجب فعل ما لا نهاية له من المنافع ؛ لوجود المقتضي لذلك، لكن فعل ما لا نهاية له محال ، فما أدى إليه مثله . ولقائل أن يجيب عن هذا الوجه بأنّ ما لا نهاية له متعذر ، فلا يتعلق به الداعي .
وأما المصالح الدينية ، فإنها تنقسم إلى ما يقع عنده الطاعة ، ويسمى لطف ًا بقول مطلق ، وإلى ما يكون المكلف معه أقرب إلى الطاعة ، ويسمى لطف ًا مقرب ًا ، وفي مقابلة ذلك المفسدة ، فمنها ما تقع عنده المعصية ، ومنها ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل المعصية) [343].

أما علامة الشيعة الحلي فيبين مدى الملازمة مابين قولهم بوجوب اللطف على الله والتكليف , فيقول : (إنّ المكلِف إذا علم أن المكلف لا يطيع إلا باللطف فلو كلفه من دونه كان ناقضـًا لغرضه , كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنه لا يجيبه إلا إذا فعل معه نوعـًا من التأدب , فإذا لم يفعل الداعي ذلك النوع من التأدب كان ناقضـًا لغرضه , فوجوب اللطف يستلزم تحصـيل الغرض) [344].

ويرى جعفر السبحاني أنّ الوجوب حاصل في كل الأ حوال :

إن كان من فعل اللّه : فيجب في حكمته فعله كالبعثة ، وإلا ع ُد ّ تركه نقض ًا[345] لغرضه .

و إن كان من فعل المكلف : فحينئذ فإما أن يكون لطف ً ا في تكليف نفسه ، فيجب في حكمته - تعالى - أن يعرفه إياه ويوجبه عليه ، وذلك كمتابعة الرسل والاقتداء بهم , أو في تكليف غيره ، وذلك كتبليغ الرسول الوحي ، ويجب أن يشتمل على مصلحة تعود إلى فاعله ، إذ إيجابه عليه لمصلحة غيره مع خلوه عن مصلحة تعود إليه ظلم , وهو عليه - تعالى - محال [346] .

سادس ـًا : أوجه وجوب اللطف على اللّه – تبارك وتعالى - عند الاثني عشرية :

من قول المفيد : (الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه فيكون واجبًا في الحكمة وهو المطلوب) [347]
استنبط الإمامية الاثنا عشرية أوجهًا عدة في وجوب اللطف على اللّه - تعالى - منها :

الوجه الأول : أن ّ اللطف مفض ٍ إلى غرض المكلف ، وليس فيه وجه من وجوه القبح ، ولا يؤدي إلى ما لا نهاية له ، وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة .

أما قولهم: إنه مفض إلى غرض المكلف ؛ فلأنهم يتكلمون على هذا التقدير .

وأما قولهم : ليس فيه وجه من وجوه القبح ؛ فلأن ّ وجوه القبح مضبوطة ، وليس فيه شئ منها .

وأما قولهم : إنّ كل ما كان كذلك كان واجب ًا في الحكمة ؛ فلأنّ داعي الحكمة متعلق به ، والصوارف منتفية عنها، وكل ما تعلق به الداعي ، وينتفي الصارف عنه ، فإذ ّه

يجب أن يفعل [348].

الوجه الثاني : لو لم يفعل اللّٰه - تبارك وتعالى - اللطف على هذا التقدير ، لكان ناقضـ ًا لغرضه ، ونقض الغرض قبيح ولا يصدر من الحكيم . كمن دعا غيره إلى طعام له وعلم أنّه يحضر إن أرسل رسولا ً إليه ، فإن لم يرسل رسوله ، فإنه يكون غير مريد لحضـوره، والعلم بذلك ظاهر [349].

قال ابن ميثم البحراني [350] : (إنه لو جاز الإخلال به في الحكمة فبتقـدير أنّ لا يفعله الحكيم ، كان مناقضـ ًا لغرضه ، لكن اللازم باطل , فالملزوم مثله . بيان الملازمة [351]: إنـ ّه - تعالى - أراد من المكلف الطاعة ، فإذا علم أنّه لا يختار الطاعة ، أو لا يكون أقرب إليها إلا عند فعل يفعله به لا مشقة عليه فيه ولا غضاضة ، وجب في الحكمة أن يفعله ، إذ لو أخل به لكشف ذلك عن عدم إرادته له ، وجرى ذلك مجرى من أراد من غيره حضور طعامه وعلم , أو غلب ظنه أنّه لا يحضر بدون رسول ، فمتى لم يرسل عد مناقضا لغرضه . وبيان بطلان اللازم : إنـ ّ العقلاء يعدون المناقضة للغرض سفها ، وهو ضد الحكمة ونقص ، والنقص عليه - تعالى - محال) [352].

الوجه الثالث : لو لم يجب فعل اللطف ، لكان الباري - تبارك وتعالى - مخلا ًبما يجب عليه في الحكمة ، إذ لا فرق بين منع اللطف وعدم التمكين [353].

الوجه الرابع : أن ّ ترك اللطف مفسدة فيكون فعله واجبـ ًا . أما أنّه مفسدة؛ فلأن ّ ترك اللطف لطف في ترك الطاعة ، واللطف في المفسدة مفسدة [354].

قال رضا الإستادي [355]: (اختلف المتكلمون في الأصلح في الدنيا ، هل هو واجب على الله - تعالى - أم لا ؟ فذهب شيخنا أبو إسحاق [356] إلى وجوبه ، وهو مذهب البغداديين وأبي القاسم البلخي[357]) [358].

أما جعفر السبحاني[359] فيذهب إلى إن ّ اللطف إذا كان مؤثر ًا في رغبة أكثر المكلفين بالطاعة وترك المعصية , فإنه يجب من باب الحكمة ، وأما إذا كان مؤثر ًا في آحـ ادهم المعدودين , فالقيام به من باب الفضل والكرم [360].

ثم يرى أن ّ القائلين بوجوب اللطف ذكروا له شرطين :

الأول : أن لا يكون له حظ في التمكين وحصول القدرة ، إذ العاجز غير مكلف فلا يتصور اللطف في مورده .

الثاني : أن لا يبلغ حد الإلجاء , ولا يسلب عن المكلف الا ختيار ؛ لئلا ينافي الحكمة في جعل التكليف من ابتلاء العباد وامتحانهم [361].

وقد يرد اعتراض في مسألة وجوب اللطف بأنّه لو وجب اللطف لوجب أن يفعل بالكافر .

أجاب على هذا الاعتراض محقق الشيعة الحلي , فقال :

(والجواب لا نسلم أن ّ للكافر لطفاً . وتحقيق ذلك ، أن ّ اللطف هو ما يعلم المكلف أن ّ المكلف يطيع عنده ، أو يكون أقرب إلى الطاعة ، مع تمكنه في الحالين ، والكافر قد لا يكون له لطف يحركه إلى فعل الطاعة . ويجري هذا مجرى رجل له ثلاثة أولاد ، أحدهم يطيعه بالإكرام ، والآخر بالإهانة ، والثالث لا يؤثر فيه أحد الأمرين ، فلا يكون لذلك لطف ، فالكافر الذي لا يطيع يجري مجرى الثالث) [362].

ويجيب علامة الشيعة الحلي على هذا إذ يقول : (يصح أن يقال يجب أن يلطف للمكلف إذا كان له لطف يصلح عنده , ولا استبعاد في أن يكون بعض المكلفين لا لطف له سوى العلم بالمكلف والثواب مع الطاعة والعقاب مع المعصية والكافر له هذا اللطف)[363] .

سابعًا : قاعدة اللطف الإلهي و الإمامة :

يبين المفيد مدى ارتباط اللطف الإلهي بأصل الإمامة , فيقول : (من الدلائل على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح ، من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كل زمان ، لاستحالة خلو المكلفين من سلطان يكونون بوجوده أقرب إلى الصلاح , وأبعد من الفساد ، وحاجة الكل ّ من ذوي النقصان إلى مؤدب للجناة ، مقوم للعصاة ، رادع للغواة، معلم للجهال، منبه للغافلين ، محذر من الضلال ، مقيم للحدود ، منفذ للأحكام، فاصل بين أهل الاختلاف ، ناصب للأمراء، ساد للثغور ، حافظ للأموال ، حام عن بيضة الإسلام، جامع للناس في الجمعات والأعياد .

وقيام الأدلة على أته معصوم من الزلات لغناه عن الإمام بالاتفاق ، واقتضاء ذلك له العصمة بلا ارتياب ، ووجوب النص على من هذه سبيله من الأنام ، أو ظهور المعجز عليه ، لتميزه ممن سواه ، وعدم هذه الصفات من كل أحد

سوى من أثبت إمامته أصحاب الحسن بن علي - عليهما السلام - وهو ابنه المهدي ، على ما بيناه . وهذا أصل ٌ لن يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص, وتعداد ما جاء فيها من الأخبار؛ لقيامه بنفسه في قضية العقول , وصحته بثابت الاستدلال) (364).

وأما الطوسي فهو يقرر أن ّ العقل يحكم بوجوب الإمامة بدليل اللطف ؛ لما ثبت من كون الإمامة لطفـًا من الله - تعالى -, ولا يتم التكليف بدونها , فمقتضى كرمه - تعالى - أن يهيئ لعباده وسائل الطاعة , و يصرفهم عن طريق الفساد , وهو لطف , والله - تعالى - لطيف بعباده والإمامة عنده من الألطاف الإلهية التي لا يحسن التكليف بدونها , فجرت مجرى سائر الألطاف الإلهية (365).

والعلة من تنصيب الأئمة عند الحلي الملقب عندهم بـ " العلامة " هي عدم خلو العالم من لطف الله – تبارك وتعالى - , فيقول أنّ الله : (... أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة , فنصب أولياء معصومين ؛ ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم , فينقادون إلى أوامرهم ؛ لئلا يخلي الله - تعالى - العـالم من لطـفه ورحمته) (366).

ويقول عبد الله شبر (367): (إنّ اللطف واجب على الله - تعالى -, ولا ريب أنّ وجود الإمام في كل زمان لطف من الله - تعالى - بعبيده ؛ لأنّه بوجوده فيهم يجتمع شملهم , ويتصل حبلهم , وينتصف الضعيف من القوي , والفقير من الغني, ويرتدع الجاهل, ويتيقظ الغافل , فإذا عدم بطل

الشرع , وأكثر أحكام الدين وأركان الإسلام , كالجهاد , والأ مر بالمعروف والنهي عن المنكر , والقضاء ونحو ذلك , فتنتفي الفائدة المقصودة منها)[368].

فقاعدة اللطف الإلهي عند الاثني عشرية بالإضافة إلى الإ مامة مثل قاعدة اللطف الإلهي , بالإضافة إلى تشريع الأحكام من واجبات ومحرمات وآداب وضرورة توجيه اللّه - تبارك وتعالى - للناس لجهلهم بها وفقرهم لها , قال الطباطبائي الحكيم [369] : (قاعدة اللطف بالإضافة إلى الإمامة كقاعدة اللطف, بالإضافة إلى تشريع سائر الأحكام في حق الناس من الواجبات , والمحرمات , والآداب , فإن ّ القاعدة المذكورة تقضي بأنّ الناس لما كانوا قاصرين بسبب جهلهم , وفقرهم , فالواجب على اللّه - تعالى - بمقتضى حكمته أن يلطف بهم, ويشرع لهم من الأحكام ما يصلح به أمرهم في معاشهم , ومعادهم , وفي علاقتهم مع اللّه -سبحانه -, ومعاشرتهم فيما بينهم من دون أن تقضي تهيئة الظروف المناسبة لتطبيقهم تلك الأحكام , وحملهم على ذلك من أجل أن يفوزوا فعلا ً بـ الخير والصلاح , ويبعدوا عن الشر والفساد , بل ليس عليه – سبحانه - إلا تشريع الأحكام لص۔الحهم , مع بقاء الاختيار لهم ...) [370] .

فهم يرون أنّ الإمام لطف في بيان الشريعة , وصيانتها عن العبث ، ولم يكن سواه ما يقوم مقامه في ذلك , فـ تعين على الباري - تعالى - نصب الإمام، وإذا لم يفعل هذا اللطف كان التكليف بأحكام الشريعة قبيحـ ًا ؛ لعجز البشر دون معلم وحافظ عن فهم حقيقة الشريعة , وصيانتها وعن التحريف والخطأ ، والقبيح لا يصدر منه -جل ّ شأنه - ,

وهو قادر ٌ على فعل الحسن ، وغني ٌ عن عمل القبيح , ولو جاز منه - تعالى - فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده ووعيده، لإمكان وقوع الكذب منه - تعالى عن ذلك علو ًا كبي ًرا - ولجاز عليه أيضا إظهار المعجز على يد الكاذب ، وذلك يدعو إلى الشك في صدق الأنبياء ، ويمنع من الاستدلا ل بالمعجز عليه [371].

ويذهب الحلي أنّ هناك تلازم ًا بين التكليف ووجوبه على الله , وبين نصب الإمام ووجوبه عليه- تعالى - من وجوه :

الأول : أنّه لا يتم فائدته وغايته إلا بنصب الإمام ، فيكـون أولى بالوجوب .

الثاني : يجب التكليف السمعي لكونه لطف ًا في التكاليف العقلية ، وهذا لطف في التكاليف السمعية , واللطف في الشيء لطف ٌ في ذلك الشيء أيض ًا فيكون واجب ًا .

الثالث : إنما وجب التكليف ؛ لأنّه خلق فيهم القوى الشهوية , والغضبية ، وخلق لهم ق ُد َر ًا ً فوجب من حيث الحكمة التكليف ، وإلا لزم الاختلال والفساد، وهذا بعينه آت في نصب الإمام , ولا يتم إلا بنصب الإمام ، وما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب , فيكون نصب الإمـام واجب ًا على تقدير وجـوب التكليف [372].

كما عقد مقارنة بين النبوة والإمامة , وادعى أن ّ النبوة لطف خاص , والإمامة لطف عام , وقال بعـد ذلك : (وإنكار

اللطف العام شر من إنكار اللـطف الخاص) [373].

وبسبب هذه المقارنة بين النبي والإمام تعين عندهم وجوب اللطف على الله - تبارك وتعالى - , يقول عبد الله شبر : (إنّ مرتبة الإمـامة كالنبوة ... فكما لا يجوز تعيين نبي فكذا لا يجوز لهم تعيين إمام , وأيضـًا العقول قاصرة وا لأفهام حاسرة عن معرفة من يصلح لهذا المنصب العظيم والأ مر الجسيم , والوجدان يغني البيان , فكم رأينا أهل العقل و التدبير والحل والعقد اتفقوا على تعيين والٍ في قرية , أو بلد , أو حكم , ثم تبين لهم خطؤهم في ذلك فغيروه وبدلوه , فكيف تفي العقـول الناقصـة بتعيين رئيس عام على جميع الخلائـق في أمور الدين والدنيا ؟! ...) [374].

وتبعه محمد رضا المظفر بعقده ارتباطـًا وثيقـًا بين النبوة والإمـامة , وأنهمـا في مرتبة واحدة لطف إلهي واجب على الله - تبارك وتعالى - , فقال في مقام النبوة : (وجب أن يبعث الله - تعالى - في الناس رحمة لهم ولطفـًا بهم :

[البقرة / 129], وينذرهم عما فيه فسادهم ويبشرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم , إنما كان اللطف من الله - تعالى - واجبـًا ؛ لأنّ اللطف بالعباد من كماله المطلق , وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم ، فإذا كان المحل قابلاً , ومستعدًا لفيض الجود واللطف , فإنه - تعالى - لا بد أن يفيض لطفه ، إذ لا بخل في ساحة رحمته , ولا نقص في جوده , وكرمه . وليس معنى الوجوب هنا أنّ أحدًا يأمره بذلك , فيجب عليه أن يطيع - تعالى عن ذلك -

، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك : إنه واجب الوجود أي اللزوم , واستحالة الانفكاك) [375] .

ومما يرتبط بمقام الإمامة يقول : (نعتقد أنها كالنبوة لطف من اللّه-تعالى-، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد , يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين ، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم , وإقامة العدل بينهم , ورفع الظلم, والعدوان من بينهم , وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة , والدليل الذي يوجب إرسال الرسل , وبعث ا لأنبياء هو نفسه يوجب أيضً ا نصب الإمام بعد الرسول , فلذلك نقول : إن ّ الإمامة لا تكون إلا بالنص من اللّه - تعالى - على لسان النبي, أو لسان الإمام الذي قبله) [376].

فمهمة الإمام ودوره يدعو إلى وجوب نصبه على اللّه - تبارك وتعالى- , يقول الطباطبائي الحكيم : (إن ّ عموم البشر حيث كانوا في نقص ذاتي , جاهلين بما يصلحهم غير معصومين من الفساد , والشر , والظلم , بل تنازع فيهم دواعي الصلاح , والفساد , والخير , والشر , والظلم , والعدل , فهم في حاجة إلى إمام معصوم يجمعهم على الصلاح و الخير والعدل , ويبعدهم عن الفساد والشر والظلم , فمقتضى حكمة اللّه - تعالى - ورحمته أن يلطف بهم , ويزيح العلة من قبله عنهم , بأن يجعل لهم إمامً ا معصومً ا , ويعرفهم به بحجة كافية , ودليل واضح ...

وحيث كانت حاجتهم لذلك مستمرة في جميع الأوقات تبعً ا لدوام نقصهم, وحاجتهم , فلا بد ّ من وجود إمام معصوم في كل زمان يزيح العلة , ولا يكفي إرسال النبي في

وقته بعد أن لم يكن خالدًا ؛ لأنه إنما يكون إمامًا لعصره , ولا تزاح به العلة بعد ذلك , كما هو معلوم من حصول الخلاف بعده , وشيوع الشر, والفساد , وخروج الأمة – ولو بعض فئاتها – عن حظيرة الطاعة لله - تعالى -, وضياع معالم الحق عليها , هذا هو مفاد قاعدة اللطف الإلهي .

وهي لا تقتضي وجوب تحقق العدل فعلاً ً بسيطرة الإمام , وقبضه على زمام الأمور , وقسر الناس على الانصياع له , والرضوخ لحكمه , فإن ّ ذلك لم يحصل إلا في فترات زمنية قصيرة , وربما لم يكن في تلك الفترات بنحو شامل .

بل المراد منها وجود إزاحة علتهم من قبل الله - تعالى - ؛ تشريع ًا بنصب الإمام لهم , وتعريفهم به بما تتم به الحجة عليهم :

, [الأنفال / 42] , ثم لهم بعد ذلك الاختيار .

فإن شكروا النعمة , وأطاعوه صلح أمرهم , وعمهم الخير , والعدل ... وإن كفروا النعمة , وخالفوه ذاقوا وبال أم-رهم , وعمهم الفس_اد , والظلم ... وليس لهم على الله حجة , بعد أن لطف بهم , وهداهم سواء السبي-ل , بل يتحملون وحدهم مسؤولية تفريطهم في أمر الله - تعالى - , ومجانبتهم للإمام الذي نصبه لهم , وإعراضهم عنه .

ولو تركهم الله - تعالى - في هذا الحال , ووكلهم إلى أنفسهم من دون أن يجعل لهم إماما يملك مقومات هدايتهم , ويقوى على القيام بإدارة شؤونهم لكان قد فرط في حقهم , ولم يلطف بهم , ولم يكن تشريعه وافي ًا بصلاحهم وهدايتهم, ولكان لهم الحجة بذلك عليه - جل ّ شأنه وعلا علو ًا كبير ًا -) [377].

خلاصة الأمر :

يتبين مما سبق أن ّ التكليف عند الإمامية الاثني عشرية يتوقف على الإمامة والتي تعد لطف ًا في الواجبات العقلية عندهم , وكل لطف واجب على اللّٰه – حسب زعمهم - , فالإمامة عند الاثني عشرية إذن واجب عل۔ی اللّٰه – تبارك وتعالى-[378].

المبحث الثاني

مناقشة قاعدة اللطف الإلهي واضطراب موقف الاثني عشرية فيها

سبق أن بينت معنى اللطيف عند الاثني عشرية , وقولهم بقاعدة اللطف الإلهي وإسقاطها على معتقدهم في الإمامة بجعلها واجبـًا على اللّه - تعالى -, وفي هذا المبحث سأناقش الاثني عشرية على أساسين اثنين :

الأول : منع قاعدة اللطف الإلهي ونقضها .

الثاني : التسليم فرَضا بوجوب الإمامة على اللّه - تعالى - من منطلق قاعدة اللطف الإلهي .

و تفصيلهما فيما يلي :

الأساس الأول

منع قاعدة اللطف الإلهي ونقضها .

وفيه أربعة جوانب :

الأول : باعتبار موقف الإمامية الاثني عشرية من صفات اللّه -تبارك وتعالى- .

الثـاني : باعتبار موقف الإمامية الاثني عشرية من أفعال العباد .

الثالث : باعتبار أصل قاعدة اللطف , وأنها من فروع القول بالحسن , والقبح العقليين , ومن ثمراته[379] .

الرابع : باعتبار ما ترتب على قاعدة اللطف من مساواة مقام الإمامة بمقام النبوة .

الجانب الأول : باعتبار موقف الاثني عشرية من صـفات اللّه -تبارك وتعالى- .

الشيعة الاثنا عشرية يسيرون على خطى المعتزلة في نفي الصفات إلا أنهم زادوا عليهم بوضع الروايات على آل

البيت ؛ لدعم معتقدهم .

ومصنفات الاثني عشرية التي تتحدث عن عقيدتهم تلك إنما كتبت في القرن الرابع فما بعد , مع أنّ المعتزلة قد ظهروا قبل ذلك بقرنين من الزمان [380].

ومن كتب الشيعة الاثني عشرية التي تضمنت هذه العقيدة كتاب "النكت الاعتقادية"[381] للمفيد ، و"نهج الحق وكشف الصدق" [382] لابن المطهر وغيرهما من كتبهم في تقرير صفات اللّه [383].

وأما بعض المعاصرين فقد زعموا أنّ هذه الروايات هي عمدتهم في نفي الصفات .

فقد قال الزنجاني تحت عنوان " طريقة معرفة الصفات ": (هل يبقى مجال للبحث عن الصفات , وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين : (كمال الإخـلاص نفي الصفات عنه)[384]...) [385].

ثم إنّ الإمامية الاثني عشرية هربوا من إثبات الصفات تحججًا بتنزيه اللّه من التجسيم إلى تجريده من الصـفات فهربوا مما هو شر , فوقعـوا بما هو أشر منه !

فقد تضمنت الكثير من رواياتهم وصف رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له ، فقد روى ابن بابويه أكثر من سبعين رواية تقول إنه - تعالى - لا يوصف بزمان , ولا مكان , ولا كيفية , ولا حـركة , ولا انتقال ، ولا بشيء من صفات الأجسام , ولا صورة.. وهي ما تسمى بالصفات السلبية [386] .

وفي شرح الخبر الوارد في أصول الكافي المنسوب إلى أبي عبد اللّه أنه قال: قال أمير المؤمنين : (اعرفوا اللّه ب اللّه والرسول بالرسالة , و أولي الأمر بالمعروف والعدل والإ حسان ...) [387]. يقول المازندراني [388]: (إنما اقتصر في معرفة اللّه باللّه على ذكر الصفات السلبية , ولم يذكر معرفته بالصفات الثبوتية ؛ إمـّا لأنّ الصفات الذاتية أيضـًا عند التحقق راجعة إلى السلب , فإنّ قدرته عبارة عن عدم عجزه عن شيء , وعلمه عبارة عن عدم جهله بشيء ...) [389].

وسار شيوخهم على هذا المنهج , ووصفوه بالسـلب المحض , يقول المظفر: (نعتقد أنّ اللّه - تعالى - واحد أحد , ليس كمثله شيء , قديم لم يزل , ولا يزال, هو الأول , والآ خر , عليم , حكيم , عادل , حي, قادر , غني , سميع بصير , و لا يوصف بما توصف به المخلوقات , فليس هو بجسم , ولا صورة , وليس جوهرًا , ولا عرضـًا , وليس له ثقل , أو خفة , ولا حركة , أو سكون , ولا مـكان , ولا زمان , ولا يشار إليه...) [390] .

ويقول شيخ الاثني عشرية علي السيد المكي : (اللّه - سبحانه - تثبت له الصـفات السلبية وهي : أنه ليس بجزء ليس بمركب , ليس بجوهر , ليس بعرض , ليس بعقل , ولا نفس , ولا مادة , ولا صورة , ولا جسم , ولذلك فهو ليس في مكان , ولا في زمان , ولا في جهة , ولا في وقت , وعلى هذا الأساس فهو : لا كم له , ولا كيف , ولا رتبة , ولا إضافة , ولا

ند له , ولا ضد له , ولا شبيه له ...) [391] .

فنرى أنّ هذا النفي المحض الذي استقاه من ركام الفلا سفة , وغثاء الملاحدة يتضمن نفي الوجود الحق , والله - جل ّ في علاه - يقول :

[الصافات/ 180-182] , فإنّهم يصفونه – سبحانه- بالصفات السلبية على وجه التفصيل , ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا , لا حقيقة له عند التحـصيل ، فقولهم يستلزم غاية التعطيل , وهو نفي الوجود الحق ؛ لأنهم يعطلون الأسماء والصفات تعطيلا ً يستلزم نفي الذات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - : (إنّ طريقة أتباع الأنبياء من " أهل السُنة " هي الموصلة إلى الحق دون طريقة من خالفهم من الفلاسفة والمتكلمين .

إنّ المقصود هو العلم , وطريقه هو الدليل , والأنبياء جاؤوا بالإثبات المفصل , والنفي المجمل ,كإثبات الصفات لله مفصلة , ونفي الكـ ـفـ ء عنه .

والفلاسفة يجيئون بالنفي المفصل ليس بكذا , ولا كذا , فإذا جاء الإثبات أثبتوا وجودًا مجملا , واضطربوا في أول مقامات ثبوته, وهو أنّ وجوده هو عين ذاته , أو صفة ذاتية لها , أو عرضية ونحو ذلك من النزاعات الذهنية اللفظية , ومعلوم أنّ النفي لا وجود له , ولا يعلم النفي و العدم إلا بعد العلم بالثبوت , والوجود) [392].

فهم قد أثبتوا أسماء مجردة , و نفوا ما تضمنته من صفات الكمال , وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني , و قولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمـية[393] مخالفٌ كل منهما الكتاب , و السُنة , والعقول الصحيحة , و الفطر السليمة, و هدى اللّه - تعالى - بفضله أهل السُنة لفهم كتابه , فآمنوا بما وصف به نفسه , و أقروا به كما أخبر , و نفوا عنه التشبيه كما جمع – تعالى - بينهما في قوله : ...

,

[الشورى / 11] [394].

بعد أن رأينا موقف الإمامية الاثني عشرية من صفات اللّه نقول : كيف تنفون صفات اللّه , ثم تثبتون صفة واحدة هي صفة " اللطف " ؟!

فإما أن تثبتوا جميع الصفات أو تنفوا جميع الصفات .

أما نفي جميع الصفات ماعدا صفة واحدة ؛ لأنها تحقق

لكم مقصودكم فهذا انتقاء مذموم , فما نفيتم من أجله الصفات هو موجود في هذه الصفة .

وكما هو معلوم عقلا ً أن ّ القول في بعض الصفات ك القول في البعض الآخر , لذا فإنه يلزم الاثني عشرية أحد أمرين :

إما أن ينفوا صفات الله - تبارك وتعالى - بالكلية , وبالتالي ينفوا لطف الله -تبارك وتعالى - والذي هو صفة من صفاته , وبذلك تسقط مسألة اللطف برمتها .

وإما أن يثبتوا صفات الله - تبارك وتعالى - بالكلية , وبالتالي نسلم لهم فرَضا بهذه المسألة وننتقل إلى الجانب الثاني الذي يناقش أصل قاعدة اللطف .

فإن سلكوا الطريق الأول وقالوا صفة اللطف أثبتناها بالعقل ؛ لأن ّ الفعل الحادث دلّ على لطفه - تبارك وتعالى - ، نقول لهم :

أولا ً : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكتم من الدليل العقلي لا يثبت ذلك، فإنه في نفس الوقت لا ينفيه، وليس لكم أن تنفوه بغير دليل ؛ لأنّ النافي عليه الدليل، كما على المثبت الدليل.

ثاني ًا : بإمكانكم إثبات الكثير من الصفات بنظير ما أثبتم به صـفة اللطف , فيقال: إكرام الطائعين يدل على محبتهم , وعقاب الكافرين يدل على بغضهم , كما قد ثبت ب الشهادة والخبر من إكرام أوليائه , وعقاب أعدائه [395].

وإن سلكوا الطريق الثاني فيلزمهم أن يثبتوا صفات الله - تبارك وتعـالى- بالكلية , وبالتالي نسلم لهم فرَض ًا بهذه المسألة , وننتقل إلى الجانب الثاني الذي يناقش أصل قاعدة

اللطف .

الجانب الثاني : بإعتبار موقف الإمامية الاثني عشرية من أفعال العباد :

سبق أن أشرت أن تعريف اللطف عند الاثني عشرية رُبط بمذهبهم في أفعال العباد , وأنّ ما يذكرونه من الاحترازات تابع لذلك .

فما ذهب إليه الإمامية في مسألة أفعال العباد باطل ؛ وذلك لوجوه :

1 - آيات القرآن أثبتت أنّ للعبد فعلاً وقدرة ومشيئة، ولكنها تابعة لقدرة الله ومشيئته، قال تعالى :

[الإنسان /30], وقال أيضًا :

,

[التكوير / 29] .

2 - العبد له قدرة وإرادة وفعل حقيقة يقدر به على فعل ما كلف به وعلى تركه, وإن كان الله هو الخالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء , فإنّ خلقه القدرة في العبد مع سلا مة الآلات مع الإرشاد والبيان لما هو النافع والضار ببعث الرسل محض فضل منه تعالى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى - : (بـ الجملة فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء كما دل على ذلك الكتاب و السنة) [396].

3 – ما ذهب إليه الإمامية الاثني عشرية في مسألة أفعال العباد مخالف تمامًا لما ذهبوا إليه في عقيدة الطينة , وملخصها :

الشّيعي خلق من طينة خاصّة والسّنّي خلق من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فما في الشّيعي من معاصٍ وجرائم هو من تأثّره بطينة السّنّيّ، وما في السّنّيّ من صلاح وأمانة هو بسبب تأثّره بطينة الشّيعي !

رووا عن أبي بصير عن أبي جعفر أنه قال : (إنّا وشيعتنا خلقنا من طينة واحدة , وخلق عدونا من طينة خبال من حماء مسنون) [397].

فقد بوب الكليني لها بعنوان "باب طينة المؤمن والكافر"، وضمّن ذلك سبعة أحاديث في أمر الطّينة[398] .

وأكثر رواية فصلت هذه العقيدة هي الرواية التي ختم بها ابن بابويه كتابه " علل الشرائع " حيث استغرقت عنده خمس صفحات [399].

وذكر المجلسي سبعة وستّين حديثًا في باب عقده بعنوان "باب الطّينة والميثاق" [400].

فبالاضافة إلى أن هذه العقيدة ناقضت مذهبهم في أفعال العباد ؛ لأنّ مقتضى هذه الأخبار أن يكون العبد مجبورًا على فعله وليس له اختيار ؛ مع أنّ مذهبهم أنّ العبد يخلق فعله , فهي مناقضة لما بينه الله – تبارك وتعالى – في كتابه أنه خلق النّاس جميعًا على فطرة الإسلام ، قال تعالى:

[الروم/30] والتّفريق بين الخلق ممّا شذّت به الإمامية , ولم يقل بهذا أحد غيرهم !

كما أنّ الناظر في أخبار الطينة يجد أن موبقات الشيعة وأوزارهم يتحملها – أعداؤهم - أهل السنة ، وحسنات

المسلمين جميعًا تعطى للشيعة ، وهذا مخالف ل
لعقل الصريح , والفطرة السليمة ، فضلا ً عن نصوص الش-
رع قال تعالى: , [الأ
نعام / 164] , [فاطر / 18] , [الزّمر / 7] ، وقال أيضـًا:

, [الطور / 21] , وقال :
, [المدثر / 38] ,
وقال :
, [الزلزلة /
7 - 8] , وقوله :

, [غافر/ 17] .

الجانب الثالث : باعتبار أصل قاعدة اللطف وأتها من فروع القول بالحسن والقبح العقليين ومن ثمراته .

من الأصول التي اعتمد عليها المتكلمون – وخاصة المعتزلة والاثني عشرية - في الإيجاب على الله – تبارك وتعالى – أصل التحسين والتقبيح العقلي .

إذ يعتقد الاثنا عشرية بأن ّ الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء ، والحاكم بالحسن والقبح هو العقل ، و الفعل ح َس َن ٌ أو قبيح ، إما لذاته وإما لصفة من صفاته لازمة له ، وإما لوجوه واعتبارات أخرى ، والشرع كاشف ومبين لتلك الصفات فقط ، وبناء على القول بالحسن والقبح العقليين ، أوجبوا على الله - تعالى - أمور ًا , ك اللطف , و قالوا : إن ّ الله لا يدع فعل ما هو أصلح لعباده ؛ لطف ًا بهم , ولأنّه أولى به , وعدوا ذلك من أمور العدل , فكل ما حكم العقل بحسنه- بمعنى أنّ تركه نقص يتنزه الله عنه - فهو واجب على الله [401].

فمن المعلوم أنّ التحسين , والتقبيح هو المقتضى الضروري لثبوت الحسن , والقبح الذاتيين ؛ لأن ّ صريح الد لالة العقلية للإنسان تؤكد فطرته على محبة الكمال, وكراهية النقص , وإذا كانت حقيقة الحسن الذاتي إنما هي الاتصاف ب الكمال , فلا بد أن يكون محبوبـًا وملائمـًا لدلالة العقل الصريح , و إذا كانت حقيقة القبح الذاتي إنما هي الاتصاف ب النقص فلا بد أن يكون مكروهـًا منافرًا لدلالة العقل الصريح .

وليس التحسين والتقبيح العقليان إلا هذه الملاءمة , و المنافرة ؛ ولهذا فإنه يلزم من أثبت الحسن والقبح الذاتيين أنّ يقول بالتحسين , والتقبيح بهذا المعنى ؛ إذ هو مقتضاه الضروري , كما يلزم من نفى التحسين والتقبيح أن ينفي

الحسن, والقبح الذاتيين ؛ إذ هو متعلقه الضروري , فلا يمكن إثبات أحد هذين الأصليين, أو نفيه دون الآخر , بل لا بد أن يثبتا معـًا , أو يـُنفيا معـًا , وهذه هي حقيقة التلازم بينهما[402].

كما لا يستلزم من ثبوت الدلالة العقلية للتحسين , و التقبيح للأفعال أن يستغني العقل عن الوحي , بحيث لا يكون الناس في حاجة إلى الرسالة , بل إنّ هذا من أفسد ما يمكن تصوره ؛ وذلك أنّ الوحي إمـّا أن يختص من المعارف بما لا يمكن أن تدل عليه الضرورة العقلية , وإمـّا أن تتطابق دلالة الوحي ودلالة العقل على حسن الفعل , أو قبحه فيما يشترك فيه الوحي والعقل كما هو الحال في الأحكام المترتبة عليهما من حيث الجملة باعتبار المصالح , و المفاسد .

ولكن ما يختص به الوحي من المعارف فليس للعقل فيه مجال , كما هو الحال في مسائل الاعتقاد الغيبية , وما يتعلق ببعض الشعائر التعبدية[403].

ولكن كلما سلم عقل المرء كان من نعمة الله عليه أن تتطابق عنده دلالة الوحي مع مقتضى إدراكه العقلي , وتكون مطابقة العقل للوحي داعية إلى التصديق بالوحي , لا إلى الا ستغناء عنه , يقول ابن قيم الجوزية– رحمه الله - : (إنّ ما أمرت به الرسل هو الحسن , وما نهت عنه هو القبيح طريق إلى تصديق الرسل , وأتهم جاؤوا بالحق من عند الله , ولهذا قال بعض الأعراب , وقد سئل بماذا عرفت أنّ محمد ًا رسول الله؟ فقال : ما أمر بشيء فقال العقل : ليته نهى عنه, ولا نهى عن شيء فقال العقل : ليته أمر به . أفلا

ترى هذا الأعرابي كيف جعل مطابقة الحسن , والقبح الذي ركب الله في العقل إدراكه لما جاء به الرسول شاهدًا على صحة رسالته , وعلمـًا عليها , ولم يقل إن ذلك يفتح طريق ا لاستغناء عن النبوة) [404] .

ومما يبين عدم الاكتفاء بالإدراك العقلي للمصالح , و المفاسد عن الأحكام الشرعية أنّ من المصالح والمفاسد ما يكون ظاهرًا جليًا ,ومنها ما يكون خفيًا لا يدركه كل أحد , فالحاجة إلى الوحي فيما يتعلق بالمصالح , والمفاسد الخفية ظاهر , و أما ما يكون ظاهرًا فإنه قد تعرض له أحوال تخفى فيه وجه المصلحة , أو المفسدة فلا يكون بيان ذلك إلا من جهة الوحي,وكما يقول ابن قيم – رحمه الله - : إنّ من الأ فعال ما (يكون مشتملا ً على مصلحة , ومفسدة , ولا تعلم العقول مفسدته أرجح , أم مصلحته ؟ فيتوقف العقل في ذلك! فتأتي الشرائع ببيان ذلك , وتأمر براجح المصلحة , وتنهى عن راجح المفسدة .

وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره , و العقل لا يدرك ذلك , فتأتي الشرائع ببيانه فتأمر به من هو مصلحة له , وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقه , وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر , وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة , والمفسدة الراجحة , هذا مع أنّ ما يعجز العقل عن إدراكه من حسن الأفعال , وقبحها , ليس بدون ما تدركه من ذلك , فالحاجة إلى الرسل ضرورية , بل هي فوق كل حاجة ... فإن كان العقل قد أدرك حسن بعض ا لأفعال , وقبحها فمن أين له معرفة الله - تعالى - بأسمائه , وصفاته , وما الآية التي تعرف بها الله إلى عبادة على ألسنة رسله ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه , ودينه الذي ش-

رعه لعباده ؟ ومن أين له تفاصيل مواقع محبته , ورضاه , وسخطه , وكراهته ؟ ... إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله , وليس في العقل طريق إلى معرفته فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفـعال , وقبحها بالعقل مغنيـًا عما جاءت به الرسل ؟) [405] .

ويظهر بطلان الوجوب العقلي على الله – تبارك وتعالى - من عدة أوجه :

الأول : أنّ العقل لا يدرك مواقع رضا الرب وسخطه على سبيل التفصيل فكيف يجوز له أن يحكم على ربه – سبحانه – بأنّه يجب عليه أن يمدح أو يذم أو يعاقب أو يثيب ؟!

الثـاني: أنّ ماذهبوا إليه يستلزم استعلاء المخلوق على الخالق , وهو محال .

الثالث : أنّ الإيجاب من خارج الذات يستلزم سلب الا ختيار والالجاء إلى الإنجاز , وهو محال في حق ذي القدرة المطلقة والمشيئة النافذة .

الرابع : أنّ الإيجاب العقلي ينافي استحقاق الحمد ؛ لأنّه لو وجب على الله بمقتضى العقل فعل أو ترك لما استوجب بفعله حمدًا وثناءً ؛ لأنّه إنما قضى ما استوجبه العبد بعمله .

الخامس : القول بالوجوب العقلي على الله من باب التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يـُحسـّن ويـُقـَبـّح ، فقد قاسوا الله بخلقه، فهم يوجبون على الله من جنس ما يوجبون على العباد، ويحرمون عليه – تبارك وتعالى - من جنس ما يحرمون على العباد فهم مشبهة الأ فعال [406].

السادس : إيجاب اللطف على الله يستلزم عدة لوازم

باطلة منها :

- لو كان اللطف واجبًا لما تيسرت أسباب المعصية لأ هلها , وهو خلاف المشهود.
- لو كان اللطف واجبًا لما كان في مقدور الله لطف لو فعله بالكفار لآمنوا ؛ لأنه لو كان في مقدوره فعل يؤمن العبد عنده لوجب عليه فعله.
- لو كان اللطف واجبًا لكان لطف الله بالكافر كلطفه بِ المؤمن , وهو باطل بما ثبت قطعًا من تخصيص المؤمن بفضل دون الكافر .
- لو لوجب الأصلح على الرب – تبارك وتعالى - لوجب على العبد , وهو خلاف الثابت شرعًا , فالنوافل مثلا ً من الصلاح وهي ليست واجبة [407].

يقول التفتازاني [408]: (مفاسد هذا الأصل أظهر من أن تخفى , وأكثر من أن تحصى , ولو وجب على الله الأصلح للعباد لما ضلّ المعتزلة طريق الرشاد) [409].

وبما أنّ الحسن والقبح شرعيان عقليان فقد منع أهل السُّنة أن يوجب العقل على الله شيئ ًا، ولكن لم يمنعوا أن يوجب الله على نفسه بعض الأمور التي يقتضيها كماله، والتي أخبر أنه أوجبها على نفسه، كما قال تعالى:

ا] ,

لأنعام / 54] .

وفي الحديث عن أبي هريرة[410] ، عن النبي ، قال :

(لَمّا قَضَى اللَّه الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)[411] .

هذا , ولا يلزم من كونه – تعالى - أوجب على نفسه بعض الأمور أن يكون فاعلاً لها بالإيجاب , لا اختيار له فيها ؛ لأنه –سبحانه - أوجبها على نفسه باختياره ، فإذا شاء الحسن واختاره لم يكن ذلك نافياً للاختيار ، فاختياره وإرادته اقتضت التعلق بما كان حسناً ، على وجه اللزوم ، فكيف لا يكون مختاراً ؟!

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – موقف السلف في مسألة الوجوب على الله، حيث يقول: (وأما الإيجاب عليه - سبحانه وتعالى- ، والتحريم بالقياس على خلقه ، فهذا قول القدرية – أي المعتزلة – وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول. وأهل السُنة متفقون على أنه –سبحانه- خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان , وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئاً . ولهذا كان من قال من أهل السُنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرّم الظلم على نفسه، لا أنّ العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإنّ الله هو المنعم على العباد بكل خير , فهو الخالق لهم , وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح , ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر , فهو جاهل في ذلك , وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما منّ به من فضله وإحسانه , والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة , ولا من باب ما أوجبه غيره عليه فإنه -

سبحانه - يتعالى عن ذلك) [412] .

الجانب الرابع : باعتبار ما ترتب على قاعدة اللطف من مساواة مقام الإمامة بمقام النبوة .

يعتقد الاثنا عشرية أن ّ عمل النبي والإمام واحد , واستدلوا بهذه القاعدة على وجوب إرسال الأنبياء , كما استدلوا بها على وجوب إرسال الأوصياء , وفي ذات الوقت يقرون بعدم جواز إرسال أنبياء , ورسل بعد النبي , و يوجبون على الله - تعالى - إرسال أوصياء وأولياء , و يزعمون أنّه لم يعرف العقل حجة للمنع إلا بالشرع ؛ لأنّ العقل لا يعرف ختم النبوة , أو انتهاء النبوة , وهذا كافٍ في بيان ضعف هذه القاعدة وتناقضها في نفسها .

فالنبوة عند الاثني عشرية قد تكون تبليغية , أو تشريعية , والرسالة تكون في جانب الأنبياء أصحاب الرسالة التشريعية , أما التبليغية فعملهم هو عمل الوصي عندهم , يقول إبراهيم الأميني [413]: (على فرض أن ّ الحاجة إلى إرسال أنبياء من أولي العزم انتفت نظراً لكمال الأحكام , والقوانين , والمعارف الدينية الإسلامية , وكفايتهم ، فلماذا تنتفي الحاجة إلى أنبياء مبلغين , يقومون بمهمة الترويج لتلك الشرائع ؟ فكما أنّ الله - سبحانه - كان يرسل بعد كل نبي صاحب شريعة أنبياء عديدين ؛ ليقوموا بترويج الشريعة المتقدمة وتبليغها للأجيال اللاحقة ، فلماذا لا يبعث الله [414] أنبياء لتبليغ الرسالة المحمدية , والترويج لها ، مع العلم بأنّ وجود أمثال هؤلاء الأنبياء أمر ضروري , ومفيد في المجتمعات ؟) [415].

ويقول جعفر السبحاني : (إن ّ النبي إذا بعث بشريعة جديدة , وجاء بكتاب جديد ، فالنبوة تشريعية , وأما إذا بعث

لغاية الدعوة , والإرشاد إلى أحكام , وقوانين سنها اللّه - سبحانه - على لسان نبيه المتقدم ، فالنبوة تبليغية ، والقسم ا لأول من الرسل ، قد انحصر في خمسة ، ذكرت أسماؤهـم في القرآن والنصوص المأثورة ، أما الأكثرية منهم ، فكانوا من القسم الثاني , وقد بعثوا لترويج الدين النازل على أحد هؤلا ء فكانت نبوتهم تبليغية.

حينئذ ، فقد يسأل سائل ويقول : هب أن ّ نبي الإسلام جاء بأكـمل الشرائع , و أتمها وأجمعها للصلاح , وجاء بكل ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه, ومعاده إلى يوم القيامة , ولم يبق لمصلح رأي , ولمتفكر نظر ، في أصول الإصلاح , و أسسه ؛ لأن ّ نبينا قد أتى بصحيح الرأي , و أتقنه , و أصلحه في كافة شؤون الحياة, ومجالاتها , ولأجل ذلك الا كتمال أوصد باب النبوة التبليغية التي منحها اللّه للأمم السالفة , فإن ّ الشريعة مهما بلغت من الكمال , والتمام لا تستغني عمن يقوم بنشرها , وجلائها , وتجديدها ، لكي لا تندرس , ويتم إبلاغها من السلف إلى الخلف بأسلوب صحيح ، فلماذا أوصد اللّه هذا الباب بعدما كان مفتوحاً في وجه الأ مم الماضية ؟ ولماذا منح اللّه - سبحانه - هذه النعمة على السالف من الأمم , وبعث فيهم أنبياء مبلغين , ومنذرين , وحرم الخلف الصالح من الأمم منها ؟)[416].

ويقول مرتضى مطهري[417]: (علينا الآن أن نرى لماذا كانت النبوات تتجدد في الماضي ، وكان الأنبياء يأتون على التوالي ، وإن لم يكن كلهم أصحاب شرائع , وقانون , وكان الغالب يبعث لتنفيذ شريعة موجودة؟

ولماذا انتهى الأمر بعد خاتم النبيين ، ولم يكن النبي التشريعي لم يأتِ ولن يأتي فحسب ، بل إن ّ النبي المبلغ لم يأتِ ولن يأتي أيضاً.. لماذا ؟

كان أغلب الأنبياء تبليغيين لاتشريعيين ، وربما لا يتجاوز الأنبياء التشريعيون عدد أصابع الكف الواحدة ، وكان عمل الأ نبياء التبليغيين هو تبليغ الشريعة, وترويجها , وتنفيذها , وشرحها) [418].

فملخص كلام زعماء الطائفة هنا أنّ النبوة التبليغية لا يكون معها رسالة , وأنّ الحاجة إليها مطلوب لنفس قاعدة " اللطف الإلهي " , وأنّ عمل النبي التبليغي هو نفس عمل الوصي المعصوم!

ومن هنا فالسؤال مازال قائمًا :

ما هي الحجة العقلية على منع إرسال الأنبياء , ووجوب إرسال الأوصياء رغم أنّ الحاجة لهم - على المعتقد الشيعي - مطلوبة , والمسألة منسجمة مع نظرية اللطف الإلهي ؟

ثم إنّ أغلب الأنبياء لم يكن معهم رسالة , إنما وظيفتهم هي نفسها , وظيفة " الوصي " عندهم !

وهذا الكلام أيضًا لا يعرفه عقل , وإنما هو استناد ضعيف على النصوص , وإلا فإن قاعدة اللطف الإلهي فيها متسع كبير لكي يرسل الله –تعالى - من فيض رحمته النبي المبلغ الذي يحافظ على الدين , ويحمي جوانبه !

فالنظرية العقلية التي توسع فيها الشيعة بمسألة إرسال ا لأوصياء , والأولياء بعيدًا عن النص لا تمنع من إرسال الأ نبياء أيضًا إلى أمة الإسلام , ولولا أنّ النص منع من ذلك لقال من قال بإمكانية , بل بوجوب أن يرسل الله –تعالى- الأنبياء حفاظًا على الشريعة ! ولقد قال بهذا القاديانية [419], والذين يزعمون أنّ النبوة لم تختم , وأنّه بالإمكان إرسال الأنبياء على نفس الاستدلالات العقلية التي

احتج بها الاثنا عشرية أنفسهم في محاولة إثبات مسألة إرسال الأوصياء .

وفي الحقيقة فمذهب أهل السُنة والجماعة في هذا الباب محكوم بالنصوص, وعدم تقديم العقل على النقل .
أما عقل الاثني عشرية الذي توسع في هذه القاعدة فقد اصطدم مع نفسه ووقع في تناقض شنيع مفاده : أن ّ الشيعة الاثني عشرية تؤمن بأنه لا نبوة بعد النبي , وترد على من يحاول أن يمرر هذه الشبهة - أي استمرار النبوة - بردود عقلية , وفي نفس الوقت هي تعتقد بدليل العقل أنّه يجب إرسال وصي معصوم , وفي هذا من التناقض الواضح الوارد في جوابهم على مسألة ختم النبوة , وهل أمة الإسلام قاصرة ؟ أم أنها راشدة ناضجة ؟
فإذا كانت قاصرة فيجب أن تبقى عليها الوصاية الإلهية , و إرسال النبي أولى من إرسال الإمام ؛ لقوة الحاجة إلى النبي [420].
وأما إن كانت ناضجة , وقادرة على التبليغ , وصيانة دينها بنفسها فالصحيح أن ترتفع الوصاية الإلهية عنها !

ولكن لم تتفق كلمة الشيعة الاثني عشرية على هذه الدعوى العقلية التي يزعمون فيها أنّ الأمة الإسلامية في حاجة إلى أنبياء مبلغين , حيث قرر قدماؤهم تلك الحاجة , وينفيها المتأخرون .
وفيما يلي نماذج من كلام المتأخرين :
قال مكارم الشيرازي : (ولسوف نثبت في بحوثنا التالية وجوب أن يكون في كل عصر , وزمان ممثل إلهي نبي , أو إمام معصوم) [421].

وتحت عنوان " التكامل المعنوي إلى جانب وجود القادة الإلهيين " يقول : (قبل كل شئ نتوجه إلى الهدف من خلق الإنسان ، فهو أساس عالم الخليقة . إن ّ الإنسان يطوي طريقاً طويلا ً كثير المنعطفات والعثرات في سيره نحو الله،نحو الكمال المطلق،نحو التكامل المعنوي بجميع أبعاده ، من البديهي أته لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم ، ولا أن يطويه بغير معلم سماوي ؛ لأته طريق محفوف بالظلمات , وبمخاطر الضلال ...

فبناءً على ذلك , إن ّ وجود الإمام يكمل الهدف من خلق الإنسان ! وهذا ما يطلق عليه في كتب العقائد اسم "قاعدة اللطف" , ويقصدون بها أن ّ الله الحكيم يمد الإ نسان بجميع الأمور اللازمة لكي يصل إلى هدف الخلق ، ومن ذلك بعث الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين ، وإلا فإن ذلك يؤدي إلى نقض الغـرض فتأمل!) [422].

وقد قال في موضع سابق ما يهدم قوله هذا , ويؤكد نضج هذه الأمـة فكريًا , واستغنائها عن إمام معصوم : (إن ّ حرمان عصرنا [من الأنبياء] لم يكن لعدم جدارتهم ؛ بل لأنّ قافلة البشرية في هذا العصر قد بلغت في مسيرتها الفكرية , وفي وعيها مرحلة تمكنها من إدامة مسيرتها باتباع الشريعة ...) [423].

ويقول جعفر السبحاني : (إن ّ انفتاح باب النبوة التبليغية في وجه الأمم السالفة وإيصاده بعد نبي الإسلام ليس معناه أن ّ الأمم السالفة استحقت هذه النعمة المعنوية ، لفضيلة تفردت بها، دون الخلف الصالح من الأمم ، أو أن ّ الأمة الإسلامية حرمت لكونها أقل شأناً , و أهون

من الأمم الخالية - كلا - بل الوجه أن ً الأمم السالفة كانت محتاجة إليها دون الأمة الإسلامية ، فهي في غنى عن أي نبي مبلغ يروج شريعة نبي الإسلام... فأفراد الأمم السالفة كانوا كالق ُص ّر غير بالغين في العقلية الاجتماعية , فما كانوا يعرفون قيمة التراث المعنوي الذي وصل إليهم ,بل كانوا يلعبون به لعب الصبي بكتابه ، بتحريفهم له , وتأويله بما يتوافق مع أهوائهم ومشاربهم ، ولذا كان يحل بالشريعة اندراس بعد مضي القرون والأجيال , ويستولي عليها الصدأ بعد حقبة من الزمان .لهذا ولذلك كان على المولى - سبحانه - أن يبعث فيهم نبي ًا جيلا ً بعد جيل ليذكرهم بدينهم الذي ارتضاه الله لهم ، ويجدد شريعة من قبله ويروج قوله , وفعله , ويزيل ما علق بها من شوائب بسبب أهواء الناس وتحريفاتهم .

و أما المجتمع البشري بعد بعثة الرسول ولحوقه بـ الرفيق الأعلى ، فقد بلغ من المعرفة والإدراك والتفتح العقلي والرشد الاجتماعي شأو ًا , يتمكن معه من حفظ تراث نبيه وصيانة كتابه عن طوارق التحريف والضياع ، حتى بلغت عنايته بكتابه الديني إلى تصنيف أنواع التأليف في أحكامه , وتفسيره , وبلاغته, ومفرداته . وإعرابه , وقراءته فازدهرت تحت راية القرآن ضروب من العلوم والفنون .

فلأجل ذلك الرشد الفكري في المجتمع البشري ، جعلت وظيفة التبليغ والإنذار على كاهل نفس الأمة , حتى تبوأت وظيفة الرسل من التربية والتبليغ ، واستغنت عن بعث نبي مجدد على طول الزمان يبلغ رسالة من قبله ...)[424].

ويقول مجتبى اللاري : (إحدى العلل لتجديد رسالات ا لأنبياء , وتتالي الرسل هي ما يقع من تحريف في الكتب السماوية ، ولهذا فهي تفقد عندئذ صلاحيتها لهداية البشرية ,

و إرشادها ، أما عندما يصل الإنسان إلى مرحلة من النضج بحيث يستطيع المحافظة على السنن والتعاليم الدينية , بعيدة عن التحريف والتغير ، ويتمكن من النهوض بنشرها , ف إنه ينتفي حينئذ أعظم الأسباب لتجديد الرسالة ، و لا تبقى حاجة لنبوة جديدة .

إذن يختلف عصر ظهور نبي الإسلام من هذه الناحية عن العصور التي ظهر فيها الأنبياء الآخرون بصورة كاملة ، حيث إن ّ الإنسان قد وضع أقدامه في مرحلة النضج الفكري , وتهيأت الظروف اللازمة لاختتام الرسالة .

فالنضج الاجتماعي , والوعي العلمي قد أوصل الإنسان إلى مرحلة يكون فيها هو الحافظ , والمبلّغ لدينه السماوي ، وبهذا يتحقق ركن مهم من أركان الخاتمية، وتسند مهمّة الإ رشاد , والدعوة منذئذ إلى العلماء والمفكرين ؛ وذلك لأن ّ ا لإنسان منذ هذا التاريخ أصبح قادراً على حفظ تراثه التاريخي , ومنجزاته المعنوية بفضل هذا الكتاب الكريم ، وبفضل ما أصبح يتمتع به من نضج ثقافي , واجتماعي... وعندما يصل الإنسان إلى مرحلة النضج الإنساني , والقدرة على استيعاب الحقائق الكلية والقوانين الإلهية يصبح العلماء خلفاء للأنبياء ، لكي يوسعوا في أفكار الناس مكاناً للمقاييس الأصيلة ، وفي ظل التطلعات الرفيعة للدين يأخذون على عاتقهم مهمة البحث والاجتهاد والنضال ضد التحريف , و التزوير , وإشاعة المعايير الإلهية في اتجاهها الصحيح .... ومن حيث اختلاط التخطيط الذهني بالواقعيّات الخارجية , فقد أثبتت البشرية خـلال ما يناهز خمسة عشر قرناً أنها مهيأة لتحمّل المسؤوليات الكبيرة ، وأنها قادرة على حفظ الميراث الذهني , والعلمي ، وقد أبدت عمقاً في نظرتها الواقعية في مرحلة التحليل والتفسير .

وهذه الأمور تثبت أن ّ الإنسان قد وصل إلى مرحلة الا ستقلال , والقدرة على حفظ الآيات السماوية بأقصى دقّة ، و

أته يتحمل عبء الدعوة , والتـفسير , ونشر الدين الحنيف , وعندما وصلت التعاليم الإلهية إلى الإنسان انتفت الحاجة لمجيء نبيّ جديد، فلو فرضنا أنّنا أخذنا قطعة من الأرض , وأجرينا فيها الدراسات اللازمة الدقيقة لاكتشاف ما فيها من آثار تأريخية ، فإننا نقطع حينئذ بعدم وجود شيء مخفيّ في بطن الأرض ، ولا يبقى هناك مجال آخر , واكتشاف جديد ، وكذا لحال بالنسبة للأمور المتعلّقة بالوحي , فعندما اجتازت النبوّة تلك المراحل المختلفة , انتهت إلى أرفع درجات كمالها , ورقّيها...)[425].

ويقول إبراهيم الأميني : (إن ّ المجتمع البشري في ذلك الزمان كان قد بلغ حداً من حيث العقل , والفكر , والإمكانات العلمية ، يستطيع معه أن يحافظ على المواريث العلمية , والدينية بصورة كاملة ، وينقلها إلى الأجيال اللاحقة بأمانة , ودقة في مثل هذا العصر بُعِث رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله - من جانب اللّه - تعالى - بالرسالة ؛ ليضع بين يدي النفوس البشرية المتكاملة المستعدة أسمى المعارف , وأرقاها ... ولقد بقي القرآن الكريم-كما تلاحظونه- وعلى أثر حفظ الحفاظ , وكتابة الكتاب في صورته الكاملة دون أي زيادة , أو نقصان ، ومن دون أي تغيير , أو تحريف ، وسيبقى كذلك إلى يوم القيامة[426]، وهكذا بقيت الأحكام , و القوانين , والمقررات الإسلامية في صورة حديث مدوّن مضبوط في بطون الكتب , والمؤلفات)[427].

ويقول في موضع آخر : (إنّ المجتمع البشري في عصر البعثة المحمدية كان قد بلغ في التكامل الفكري , والرشد العقلي حداً أصبح معه صالحاً , لأن يحافظ على المواريث الأ

أنبياء العلمية , والدينية , ويصونها من خطر الحوادث ، وأن يكون نفسه مبلِغاً لتلك القيم , والمفاهيم المقدسة ، وقد وصل في هذا المجال إلى درجة الاكتفاء الذاتي ، ولهذا لم تبقَ حاجة بعد هذا إلى إرسال الرسل) [428].

خلاصة هذه الأقوال :

أولا ً : الأمة الإسلامية ناضجة , ولا تحتاج إلى نبي آخر , فهي قادرة بنفسها على التبليغ , وصيانة الدين , و المحافظة على السنن وغير ذلك من معالم الشريعة بدون نبي مبلغ.

ثاني ـ ًا : النضج في الأمة كان منذ عهد النبي , ولذلك حافظ المسلمون على القرآن , والآثار.

ثالث ـًا : العلماء المجتهدون في أمة الإسلام يقومون بما يقوم به الأنبياء المبلغون , وقد اكتملت الشريعة , ونضجت العقول , فلا حاجة إلى أنبياء , أو رسل ليجددوا, أو يحافظوا على معالم الدين.

فهذا التقعيد الذي قرره علماء الطائفة المتأخرون ؛ ليقرروا عقيدة ختم النبوة يلزم منه أحد أمرين :

الأول : إما أن ينفوا صلاحية هذه القاعدة في إيجاب إرسال الأوصياء ؛ لأنّها تجيز إرسال الأنبياء أيضًا , وهذا ممتنع في معتقدهم , فينهدم المبحث العق ـلي , و تنهدم معه قاعدة اللطف .

الثاني : وإما أن يؤمنوا بهذه القاعدة , فيلزمهم أن يؤمنوا من الناحية العقلية بإمكانية إرسال الأنبياء , إلى أمة التوحيد , ويعارضوا النقل , والنص القرآني .

هذا التناقض الذي وقع فيه علماء الشيعة كان سببه هو تبني عقيدتين متناقضتين في الوقت نفسه !

ففي الوقت الذي يردون فيه على شبهة من قال بإمكانية إرسال الأنبياء إلى أمة الإسلام , بدعوى أنّ الأمة الإسلامية قد نضجت تمامـًا ! تجدهـم يلجؤون إلى أمرين :

الأول : الطعن على الأمة الإسلامية بالنقص , والقصور , وعدم النضوج , واستمرار حاجتها إلى الوصي , أو المعصوم من السماء ؛ لأن ّ الأمة لو كانت ناضجة لما احتاجت إلى من يحمي لها دينها !

الثاني : أن يجعلوا الأمة الإسلامية ناضجة , وفي نفس الوقت قاصرة ! وغير قادرة , وضعيفة عن حماية دينها , أو تبليغ الشريعة إلا بواسطة المعصوم !

وهذا من باب التناقض الذي لا يمكن الجمع بينه , وبين ما قالوه في مسألة ختم النبوة أبد ًا .

ثم إذا كانت الأمم السابقة للإسلام قاصرة , وضعيفة , ولذلك بعث فيهم الأنبياء تترى , والأمة الإسلامية ناضجة , وقوية , ولهذا ختم لها باب الأنبياء , وفتح لها باب الإمامة, أو ليس من تمام العقل أن ّ القص ّر يحتاجون إلى رعـ اية , ولطف , ورحمة أكثر من غيرهم ؟!

أليست الأمم السابقة أحوج إلى مسألة الوصاية أكثر من الأمة الناضجة بحكم العقل , فما بال الاثني عشرية قلبوا المسألة ! فجعلوا الأمة القوية محتاجة للوصاية إلى يوم القيامة , والأمم الأخرى لم يشملهم هذا اللطف الإلهي ؟!

فالعقل يقول : إنّ الأضعف يحتاج إلى عناية , ولطف أكثر من الأقوى , ولا يخالف أحد في هذا الأمر .

ومما سبق تبين نقض هذه القاعدة من هذا الجانب بثلا ثة أدلة :

الأول : لا توجد حجة عقلية على منع إرسال الأنبياء دون الأوصياء .

الثاني : لا يوجد دليل عقلي على لزوم أن يكون إرسال الله على ترتيب معين فيرسل نبيـًا ثم يرسل وصيـًا .

الثالث : أن ّ أمة الإسلام ناضجة بنفسها وقادرة على حمل أمانة صيـانة الدين , والتبليغ باعتراف علماء الاثني عشرية أنفسهم على هذا [429].

الأساس الثاني
التسليم فرَضًا بوجوب الإمامة على الله - تعالى - من منطلق قاعدة اللطف الإلهي[430] .

سبق أن أشرت إلى تعريف اللطف بأنّه : (ما يقرب المكلف معه من الطاعة, ويبعد عن المعصية , ولاحظ له في التمكين , ولم يبلغ الإلجاء) [431].

وبأنّه : (هو ما يعلم المكلف أنّ المكلف يطيع عنده , أو يكون أقرب إلى الطاعة مع تمكنه في الحالين) [432].

نلاحظ إشارة يجب التنويه عليها : أنّه إذا كان اللطف هو ما يقرب المكلف من الطاعة , ويبعد عن المعصية , يكون المكلف متمكنًا بالأعمال في الحالين, فالإمامة كذلك ؛ لأنّ الإمام لطف كما قرر الاثني عشرية , فيستطيع المكلف الاستغناء عنه مادام أنّه متمكن في حال وجوده , وفي حال عدمه [433].

فإن كان الإمام لطفًا في الاحتراز عن القبائح , وأداء الواجبات , فلمَ لا يجوز أن يحصل للأمة لطف قائم مقام الإمام ؟ وحينئذ لا يكون نصب الإمام واجبًا عينًا !

وإذا سلمنا كون الإمام لطفًا على التعين , فهل هذا اللطف في المصالح الدنيوية, أو الدينية ؟

فالأول مسلم .

والثاني ممنوع ؛ وذلك لأنّ ما ذكره الاثنا عشرية من منفعة وجود الإمام ليس إلا في حصول نظام العالم , واندفاع الهرج والمرج , وذلك كله مصلحة دنيوية , وتحصيل الأصلح في الدنيا غير واجب على الله تعالى–كما سبق أن

بينت ذلك في الجانب الثالث من الأساس الأول[434]- فما يكون لطف ًا فيه أولى أن لا يجب .

وإن ادعوا كونه لطف ًا في المصالح الدينية العقلية ؛ لأ ته إذا زجرهم عن القبائح وأمرهم بالواجبات العقلية مرة بعد أخرى , تمرنت نفوسهم عليها , وإذا تمرنت نفوسهم عليها , تركوا القبائح لقبحها , وأتوا بالواجبات لوجه وجوبها, وذلك مصلحة دينية!

نقول لهم : لا نسلم لكم ذلك ؛ لتفاوت حال الخلق حتى مع وجود الإمام, بل ربما وقعت أحوال القلوب على ما ذكرتموه , وربما صارت بالضد من ذلك ؛ لأتهم إذا أبغضوه بقلوبهم , وعاندته نفوسهم ازدادت المفسدة , وبالجملة ف التفاوت حاصل في أحوال الخلق في المصالح الدنيوية , أو المصالح الشرعية [435].

ثم إننا لا نسلم أن أداء الواجبات والامتناع عن المحظورات على تقدير نصب الإمام أغلب , بل من الجائز أن يكون أقل ؛ لأنّ الإنسان حريص على ما مُنِع , فمن الجائز أنّ الإمام إذا ألحّ عليهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحدث في طباعهم الامتناع عن ذلك [436].

ثم إن قالوا : إنه لطف واجب , جار مجرى التمكين .

نقول لهم : هذا قياس , وهو مرفوض في عقيدتهم , يقول المرتضى : (إنـّا نعلم علمـًا ضروريـًا لا يدخل في مثله ريب , ولا شك أن علماء الشيعة الإمامية يذهبون إلى أن ّ أخبار الآحاد لا يجوز العمل بها في الشريعة , ولا التعويل عليها ، وأنها ليست بحجة ولا دلالة ... ويجري ظهور مذهبهم في أخبار الآحاد مجرى ظهوره في إبطال القياس

في الشريعة وخطره وتحريمه ، وأكثرهم يحظر القياس و العمل بأخبار الآحاد عقلا ً. وإذا كان الأمر على ما ذكرناه من الظهور والتجلي ، فكيف يتعاطي متعاط ٍ ضربـًا من ا لاستدلال في دفع هذا المعلوم ؟ ... فلما كان هذا كله معلومـًا اضطرار ًا لم يجز الالتفات إلى من يتعاطي استدلالا ً على خلافه...) [437].

ويقول الطوسي : (إنه لما كان العمل بالقياس محظورًا عندهم [أي الاثني عشرية] في الشريعة لم يعملوا به أصـلا ً، وإذا شذ ّ منهم واحد و عمل به في بعض المسائل , أو استعمله على وجه المحاجة لخصمه , وإن لم يكن اعتقاده، ردوا قوله وأنكروا عليه وتبرؤوا من قوله ، حتى أنهم يتركون تصانيف من وصفناه ورواياته لما كان عاملا ً بـ القياس...) [438].

ويقول الآقا بزرك الطهراني : (إنّ المذهب الإمامي الجعفري لم يرفض الأحكام العقلية كليـًا , بل يرفض الأ حكام العقلية الناقصة فقط التي لم يقم عليها دليل قطعي ، ولذلك أنكروا القيـاس , والاستحسان ...) [439].

ثم لماذا قرروا أن ّ الله أراد من المكلفين فعل الطاعات , واجتناب القبائح مع إلزامه بفعل اللطف ؟ فـ التكليف تفضل وإحسان , والمتفضـل لا يجب عليه أن يأتي بجميع مراتب التفضل .

وإن قالوا : إن ّ ترك اللطف كفعل المفسدة .

نقول لهم : إن ّه قياس فلا يفيد اليقين ؛ لاحتمال أن ما به وقع التغاير يكون شرطًا , أو مانعًا ثم نقول الفرق أن فعل المفسدة إضرار , وترك اللطف ترك للانتفاع, وليس يلزم من قبح الإضرار , قبح ترك الانتفاع ؛ فإنه يقبح منا الإضرار بالغير , ولا يقبح ترك انتفاعه [440].

ثم لا يخلو من أن يكون ذلك لطفًا في كل أمر كلفوه , أو في بعضه دون بعض .

فإن جعلوه لطفًا في كله لزم الحاجة إلى حجة في النظر المؤدي إلى العلم بأنّ الحجة حجة , ويلزم حضور الحجة في كل وقت عند كل مكلف , أو يلزم إثبات حجج ليصح ذلك فيهم .

فإن قالوا : هو لطف في بعض ذلك .

قيل لهم : إذا كان حال الكل سواء فمن أين أنّه لطف في البعض دون البعض ؟

وبعد فإنّ ذلك يوجب جواز أن لا يكون لطفًا في البعض الذي ذكروه , وفي ذلك الاستغناء عن الحجة عند بعض المكلفين , وفي بعض الأعصار , وما أوجب ذلك أوجب الاستغناء عنه في كل زمان [441].

وإن سلمنا لهم : أنّه يجب على الله فعل اللطف .

نقول : يجب فعل اللطف المحصّل , أو فعل اللطف المقرب .

فالأول : مسلم .

والثاني : ممنوع .

فلو قالوا إن الإمام لطف محصل , لا يمكن القطع بأنّه عند وجود الإمام يقدم الإنسان على الطاعة , ويحترز عن المعصية لا محالة .

أما إذا قالوا : إن مع وجود الإمام يكون الإنسان أقرب إلى الطاعة , وأبعد عن المعصية , فيكون الإمام لطفاً مقرباً .

نقول لهم : فلمَ قلتم بوجوبه على اللّه - تعالى - ؟

فبذلك لا يستبعد وجود زمان علم اللّه أنّ نصب الإمام في ذلك الزمان لا يكون لهم لطفاً , فهل سيقولون بوجوب نصب الإمام في ذلك الزمان ؟

وإن سلمنا لهم أنّ اللطف واجب مطلقاً إن أمكن , وإن لم يمكن !

فالأول : مسلم.

والثاني : ممنوع ؛ وذلك إذا علم اللّه أنّ كل من خلقه في ذلك الزمان فإنه يكون كافراً, أو فاسقاً فحينئذٍ لا يكون خلق المعصوم في ذلك الزمان مقدوراً له , وإذا كان كذلك فلم قالوا : إنه لا يحسن التكليف في هذه الحالة وإذا حسن هذا التكليف جوزنا في كل زمان أن يكون هو ذلك الزمان فلا يمكننا القطع بوجوب الإمام في شيء من الأزمنة [442].

يقول الدهلوي [443]: (لو كان اللطف واجباً على اللّه لم يكن لعاصٍ أن تتيسر أسباب عصيانه , واجتمع لكل موجبات طاعته , ومما يشاهد في العالم أنّ أكثر الأغنياء والموسرين يظلمون , ويعصون ويبغون في الأرض , وكثير من أصحاب الشهوات والمفسدين يصل إليهم من كل جانب أسباب فسقهم بلا كلفة ولا قصور , فلو كان اللطف واجباً لكان الأمر منعكسًا) [444].

ثم يجب أن ننبه أنّ ما حصل في زمن علي لا

يعد لطفًا , ولا رحمةً من اللّه - تعالى - لعباده ! بل كان نقمة ً ؛ لأنّ الذين خالفوه صاروا مرتدين ! والذين وافقوه صاروا مقهورين منافقين أذلاء ! فأي مصلحة في ذلك ؟ وهم يقولون: إن ّ اللّه - تعالى - يجب عليه أن يفعل الأصلح للعباد , خاصة وأنّ الباري - تبارك وتعالى- قد مك ّن الخوارج حتى كفروه وقاتلوه , وجعل الأئمة المعصومين – حسب ادعاء الاثني عشرية - تحت القهر , والخوف , والذل , والتقية بمنزلة أهل الذمة , بل أهل الذمة أفضل منهم حالا ً ؛ إذ أتهم يظهرون دينهم في الجملة ! فأين اللطف , والمصلحة التي أوجبها الاثنا عشرية على اللّه - تبارك وتعالى - في نصب الإمام [445]!

ومع ما سبق من اعتراضات على الاثني عشرية تبين لي أن ّ نصب الإمام هو ما تخيله الاثنا عشرية لطف واجب على اللّه - تبارك وتعالى - ليس إلا .

وقد أعجبتني كلمة الإمامي محمد تقي الرازي [446] حيث قال : (إن ّ الواجب هو اللطف الواقعي لا ما يتخيل أنّه لطف) [447] .

القسم الثاني

مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام ومناقشته.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام , وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحقق اللطف الإلهي مع القول بـ الغيبة .

المطلب الثاني : أسباب غيبة الإمام الثاني عشر عند علماء الطائفة .

المبحث الثاني :مناقشة مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام ,وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مناقشة أسباب غيبة الإمام الثاني عشر .

المطلب الثاني : بيان ظهور الخلل الحاصل في قاعدة اللطف بفقد الإمام .

المبحث الأول

مدى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام

المطلب الأول

مدى تحقق اللطف الإلهي مع القول بالغيبة

تبين في القسم الأول ما ذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية من وجوب الإمامة على اللّه , وأنّ ذلك من باب وجوب لطفه بعباده , وضرورة وجود الإمام المعصوم في الأرض ، وعدم جواز البقاء بدون إمام تحقيقاً لقاعدة اللطف الإلهي .

ولكن بوفاة الإمام الحسن سنة 260 هـ اضطرب أمر الاثني عشرية ؛ لأنهم أصبحوا بلا إمام , وهذا مخالف لقاعدة اللطف الإلهي التي تستوجب وجود إمام يقرب الناس من الطاعة , ويبعدهم عن المعصية في كل وقت !

لذا فلا بد من سد هذه الثغرة بادعاء إمام غائب ؛ لئلا تنهدم دعوى اللطف التي بنوا عليها عقيدتهم .

ولما كان الأمر دعوى لاحقيقة لها فقد اضطربت أقوالهم في ولادة ذلك الإمام الغائب وتاريخ ولادته (448) , ومكان إقامته (449), فضلاً عن اختلافهم في أصل وجوده (450).

أمّا وقت الغيبة فهناك أخبار تزعم أنّ حكيمة (451)دخلت على الحسن بعد ثلاثة أيام من مولد محمد ابنه فلم تجده (452).

وفي أخبار أخرى تؤكد أنّ حكيمة رأته بعد أربعين يومـًا يمشي في الدار , ثم فقدته بعد ذلك [453].

هكذا لم يعلم بخبره سوى حكيمة التي زعموا أنّها أودعت خبره عند ثقات الشيعة كما أمرها بذلك الحسن, وكـان عمر المهدي - المزعوم- خمس سنوات [454].
واستمرت الغيبة الصغرى تسعـًا وستين سنة , وادعى منصب النيابة عن الإمام أربعة نواب عرفوا بالسفراء [455].
وهم على الترتيب :
الأول :عثمان بن سعيد العـمري [456].
الثاني : محمد بن عثمان بن سعيد العمري[457].
الثالث : الحـسين بن روح النوبـختي[458] .
الرابع : عــلي بن محـمد السـمري[459] .
وبموت السفير الرابع سنة 328هـ أو 329 هـ بدأت الغيبة الكبرى , وانقطع الاتصال بالإمام الثاني عشر بالكلية .

ومع ذلك يرى الاثنا عشرية إمكانية استمرار اللطف الإلهي مع غيبة الإمـام ، فإنّ اللطف الإلهي يبقى كما هو حتى في غيبته , ولا يختل ذلك اللطف أبداً ؛ على أساس التفرقة بين موت الإمام وبين غيبته ، فموته يوجب الخلل في اللطف الإلهي ؛ إذ ارتفاع ذات الإمام , وترك العباد هكذا دون وجود شخص الإمام وذاته , فإنّ ذلك يخل باللطف الإلهي , ويكون سبب حرمان الخلق من فائدة وجود الإمام , قال

محقق الشيعة نصير الدين الطوسي [460] : (انحـصار اللطف فيه معلوم للعقلاء , ووجوده لطف , وتصرفه آخر , وعَدَمُهُ مِنّا) [461].

يقول علامة الشيعة الحلي في شرحه لكلام الطوسي : (وجود الإمام نفسه لطف لوجوه :
أحدها : أنّه يحفظ الشرائع , ويحرسها من الزيادة , و النقصان .
وثانيها : أنّ اعتقاد المكلفين لوجود الإمام , وتجويز إنفاذ حكمه عليهم كل وقت سبب لردعهم عن الفساد , ولقربهم إلى الصلاح وهذا معلوم بالضرورة .
وثالثها : أنّ تصرفه لا شك أنّه لطف , ولا يتم إلا بوجوده , فيكون وجوده نفسه لطفًا , وتصرفه لطفًا آخر) [462].

ويغلف الاثنا عشرية غياب المهدي بأنّه غياب هوية لا غياب شخصية , يقول فاضل المالكي [463]: (الصحيح أنّ غيابه غياب هوية لا غياب شخصـية ، فإنّ شخصه -سلام الله عليه - موجود ، ولكن النـاس لا يشخصونه ولا يعرفونه بشخصه وبهويته ...) [464].

ويكابرون بأنّ غيابه لا يمنع عدم تصرفه , فيقول محسن الأمين [465]: (إنا لا نسلم عدم الفائدة في وجوده مع غيبته ...
ومن أين لنا الجزم بأنّه لا يتصرف في مصالح العباد

الدينية والدنيوية من حيث لا يعرفونه , وقد جاء في الأخبار أته في حال غيبته كالشمس يسترها السحاب , أي فكما أنّ للشمس المستورة بالسحاب منافع وفوائد في الكون فكذلك لصاحب الزمان مع استتاره فوائد ومنافع في الكون , وإن خفي علينا بعضها , أو جلها ولم نعلمها على التفصيل . نعم جميع الفوائد التي نصب لأجلها لا تكون حاصلة وهذا لا يضر ؛ لأن ّ السبب في ذلك هم العباد بإخافتهم له التي أوجبت استتارة بل لو فرض محالا ً عدم الفائدة في وجوده حال استتاره لم يكن في ذلك قبح بعد أن كان سبب استتاره من خوف الظالمين) [466].

ويقرر باقر شريف القرشي [467] الفائدة من غيبته بدعوى أخرى , في-قول :
(إن ّ وجود الحجة وإن كان محجوبـ ًا عن الأبصار إلا أته أمان لأهل الأرض ... وإن ّ الإمام في حال غيابه يرعى شيعته ، ويمدهم بدعائه الذي لا يحجب ، ولولا دعاؤه لهم لما أبقى منهم الظالمون أحد ًا يتنفس الصعداء , وقد أعلن الإ مام المنتظر ذلك في إحدى رسائله للشيخ المفيد ، فـقد ق ـال : (إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ول-ولا ذلك لنزل بكم اللأواء[468]، واصطلم-كم[469] الأعداء) [470]. .) [471].

المطلب الثاني

أسباب غياب الإمام الثاني عشر عند علماء الطائفة

اختلف علماء الطائفة في سبب غياب المهدي , رغم أنّه مكلف بقـيادة الأمة , ورعاية دينها - حسب زعمهم - , وفيما يلي أقوالهم في ذلك :

الأول : عدم معرفة السبب .

مال الصدوق إلى هذا القول وحتّم وجود حكمة لا نعرفها في غيبة الإمام ، انطلاقـاً من آثار حكمة الله في حججه المتقدمين ، فقال : (إنّ الغيبة التي وقعت لصاحب زماننا قد لزمت حكمتها , وبان حقها , وفلجت حجتها للذي شاهدناه وعرفناه من آثار حكمة الله , واستقامة تدبيره في حججه المتقدمة في الأعصار السالفة مع أئمة الضلال , وتظاهر الطواغيت ... إنّ خصومنا قد جهلوا آثار حكمة الله - تعالى -, وأغفلوا مواقع الحق , ومناهج السبيل في مقامات حجج الله - تعالى - مع أئمة الضلال في دول الباطل في كل عصر وزمان) [472].

و نفى المرتضى ضرورة معرفة سبب الغيبة على وجه التعيين ، وكفاية علم الجملة بوجود سبب ما للغيبة ، واعتبر العلم في ذلك كالعلم بمراد الله من الآيات المتشابهات في القرآن الكريم , فقال : (جرى الكلام في الغيبة ووجهها وسببها على التفصيل مجرى العلم بمراد الله - تعالى - من الآيات المتشابهة في القرآن , التي ظاهرها بخلاف ما دلت عليه العقول , من جبر أو تشبيه أو غير ذلك , فكما أنّا ومخالفينا لا نوجب العلم المفصل بوجوه هذه الآيات , وتأويلها, بل نقـول كلنا : إنّا إذا علمنا حكمة الله - تعالى -, وإنه لا يجوز أن يخبر

بخلاف ما هو عليه من الصفات , علمنا على الجملة أنّ لهذه ا لآيات وجوها صحيحة بخلاف ظاهرها تطابق مدلول أدلة العقل , وإن غاب عنا العلم بذلك مفصلا ً , فإنه لا حاجة بنا إليه , ويكفينا العلم على سبيل الجملة بأن ّ المراد بها خلا ف الظاهر , وأنّه مطابق للعقل , فكذلك لا يلزمنا ولا يتعين عل ينا العلم بسبب الغيبة, والوجه في فقد ظهور الإمام على التفصيل والتعيين , ويكفينا في ذلك علـم الجملة ... فإن تكلفنا وتبرعنا بذكره فهو فضل منا) [473].

وهكذا قال الطوسي بضرورة افتراض سبب لغيبة الإمام الثاني عشر واستتاره ، والقول بوجود حكمة مسوّغة وإن لم نعلمها مفصلا ً ، كما يتم افتراض أسباب وحكم لخلق اللّه للبهائم والمؤذيات والصور القبيحة، وإن لم نعلم وجه حكمتها بالتفصيل , فيقول : (إنه لم يغب مع عصمته وتعين فرض الإمامة فيه وعليه إلا لسبب سوغه ذلك, وضرورة ألجأته إليه , وإن لم يعلم على وجه التفصيل .

وجرى ذلك مجرى الكلام في إيلام الأطفال , والبهائم , وخـلق المؤذيات , والصور المشينات , ومتشابه القرآن , إذا سألنا عن وجهها بأن نقـول : إذا علمنا أن ّ اللّه - تعالى - حكيم , لا يجوز أن يفعل ما ليس بحكمة ولا صواب , علمنا أن ّ هذه الأشياء لها وجه حكمة , وإن لم نعلمه معينًا , وكذلك نقول في صاحب الزمان فإنا نعلم أنّه لم يستتر إلا لأمر حكمي يسوغه ذلك , وإن ْ لم نعلمه مفصلا ً...) [474].

وقال المرزا جواد التبريزي [475]: (الإمام المعصوم وصايته من النبي - صلى اللّه عليه وآله - إذا ثبتت يثبت بقاء

الشريعة ، فبقاء الإمام بقاء للشريعة ، ولذا يحتاج إلى وجود الإمام المعصوم , ولو اقتضت الحكمة غيبته ، فالإمام لا يختص وجوده لأجل بيان الأحكام الشرعية الفرعية ، بل وجوده وبقاؤه وجود للشريعة ولو كان غائبًا ، حتى لا يتخيل بأنّ الشريعة انقضت وزالت بارتحال النبي - صلى الله عليه وآله -) [476].

ويذهب محمد حسين الطبطائي أنّه من مقتضى اللطف عدم اقتصار وظيفة الإمام على بيان المعارف الصورية الظاهرية , بل تتعدى إلى بيان المعارف الحقيقية الباطنية ! إذ يقول : (إنّ وظيفة الإمام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الإلهية بشكلها الصوري ، ولم يقتصر على إرشاد الناس من الناحية الظاهرية ، فالإمام فضلا عن توليه إرشاد الناس الظاهري ، يتصف بالولاية والإرشاد الباطني للأعمال أيضًا ، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس ، ويتقدم بحقائق الأعمال إلى الله - جلّ شأنه - .
بديهي أن حضور أو غيبة الإمام الجسماني في هذا المضمار ليس له أي تأثير ، والإمام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها ، وإنْ بعد عن الأنظار , وخفي عن الأبصار ، فإنّ وجوده لازم دائمًا ، وإن تأخر وقت ظهوره و إصلاحه للعالم) [477].

ولهذا يرفض محمد حسين كاشف الغطاء البحث عن الحكـمة , فيقول : (إنه لا غرابة في أن يفعل - سبحانه - فعلًا , أو يحكم حكمًا مجهول الحكمة لنا ... وإنْ اعترفنا بجهل الحكمة , وعدم الوصول إلى حاقِّ المصلحة .. فإنه إذا قامت البراهين في مباحث الإ

إمامة على وجوب وجود الإمام في كل عصر , وأن ّ الأرض لا تخلو من حجة , وأن ّ وجوده لطف ٌ, وتصـرفه لطف ٌ آخر , فالسؤال عن الحكمة ساقط) [478] .

الثاني : الامتحان .

أي تمحيص الشيعة وتمييزهم من أجل التعرف على حقيقة إيمانهم بالمهدي وصبرهم على البلاء , فقد وضعوا في ذلك عشرات الروايات ، منها :

ما روي عن علي أنه قال : (ألا إن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه – صلى الله عليه وآله - , والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة , ولتغربلن غربلة , حتى يعود أسفلكم أعلاكم , وأعلاكم أسفلكم , وليسبقن سباقون كانوا قصروا , وليقصرن سباقون كانوا سبقوا) [479].

وعن أبي بصير [480]قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي -عليهما السلام –

يـقول : (والله لتميزن , والله لتمحصن , والله لتغـربلن كما يغربل الزؤان [481] من القمـح) [482].

وعن المفضل بن عمر[483] قال : سمعت أبا عبد الله يقول : (إياكم والتنويه[484] , أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم , ولتمحصن حتى يقال : مات, قتل , هلك , بأي واد سلك ؟ ولتدمعن عليه عيون المؤمنين , ولتكفأن [485] كما تكفأ السفن في أمواج البحـر , فلا ينجو إلا من أخـذ الله ميثاقه , وكتب في قلـبه الإيمان , وأيده بروح منه ...) [486].

وعن علي بن جعفر , عن أخيه موسى بن جعفر قال : (إذا فقد الخامس من ولد السابع , فالله الله في أديانكم , لا يزيلكم عنها أحد , يا بني إنه لابد لصاحب هذا الأمر غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به , إنما هو محنة من الله امتحن بها خلقه , لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه).قال : فقلت : يا سيدي!من الخامس من ولد السابع ؟ فقال : (يا بني ! عقولكم تصغر عن هذا , وأحلامكم تضيق عن حمله , ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه) [487].

ورووا عن أبي عبد الله أنه قال : (لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه

أعينكم إلا بعد إياس ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى, ويسعد من يسعد) [488].

وقد أكثروا من الروايات التي تجري هذا المجرى ، محاولة منهم لمعالجة ظاهرة غيبة الإمام .

ولكنّ الطوسي يؤول هذه الروايات بغير دلالتها , حيث يزعم بأنها تخبر عما يحصل في أثنائها لا أنها سبب لها , إذ يقول : (وأمّا ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة , وصعوبة الأمر عليهم , واختبارهم للصبر عليه , فالوجه فيها الإخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة و المشاق , لا أنّ الله – تعالى- غيب الإمام ليكون ذلك , وكيف يريد الله ذلك , وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ومعصية , والله - تعالى - لا يريد ذلك) [489].

الثالث : الخوف .

هذا القول هو الأكثر شيوعًا بين علماء الطائفة , وقد قووه بروايات كذلك – كما فعل أصحاب القول السابق – , فقد نسبوا إلى زرارة أنه قال: سمعت أبا عبد الله يقول : (إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم ، إنه يخاف – وأومأ بيده إلى بطنه – يعني القتل) [490].

وأكد ذلك الطوسي بقوله: (لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل ؛ لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار , وكان يتحمل المشاق والأذى، فإنّ منازل الأئمة , وكذلك الأنبياء - عليهم السلام - إنما تعظم ؛ لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله – تعالى -) [491].

وقال المفيد : (خلف [أي الحسن] ابنه المنتظر لدولة الحق , وكان قد أخفى مولده ، وستر أمره ؛ لصعوبة الوقت , وشدة طلب سلطان الزمان له , واجتهاده في البحث عن أمره ، ولما شاع من مذهب الإمامية فيه , وعرف من انتظارهم له ، فلم يظهر ولده في حياته , ولا عرفه الجمهور بعد وفاته) [492].

ومع أنّ المرتضى قد نفى معرفة سبب غيابه على وجه التعيين ، وكفاية علم الجملة بوجود سبب ما للغيبة – كما سبق بيان ذلك – ، إلا أنّه جعل إخافة الظالمين له , ومنعهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه سبباً لغيبته , فقال : (السبب في الغيبة هو إخافة الظالمين له , ومنعهم يده من التصرف فيه فيما جعل إليه التصرف فيه ؛ لأنّ الإمام إنما ينتفع به النفع الكلي إذا كان متمكناً مطاعاً , مخلى بينه وبين أغراضه ؛ ليقود الجنود , ويحارب البغاة, ويقيم الحدود , ويسد الثغور , وينصف المظلوم , وكل ذلك لا يتم إلا مع التمكن , فإذا حيل بينه وبين أغراضه سقط عنه فرض القيام بالإمامة , وإذا خاف على نفسه , وجبت غيبته , والتحرز من المضار واجب عقلاً وسمعاً...)[493].

وإلى هذا ذهب الكراجكي[494] فقال : (إنّ السبب في غيبة الإمام إخافة الظالمين له وطلبهم سفك دمه , وإعلام اللّه أنّه متى أبدى شخصه لهم قتلوه ، ومتى قدروا عليه أهلكوه ، فحصل ممنوعاً من التصرف فيما جعل إليه من شرع الإسلام , وهذه الأمور التي هي مردودة إليه ومعول في تدبيرها , فإنما يلزمه القيام بها بشرط وجود التمكن , و

القدرة , وعدم المنع , والحيلولة , وإزالة المخافة على النفس, والمهجة , فمتى لم يكن ذلك , فالتقية واجبة , والغيبة عند ا لأسباب الملجئة إليها لازمة ؛ لأن ّ التحرز من المضار واجب عقلا ً, وسمع ًا)[495].

وقال الإمامي محمد طاهر آل الشيخ راضي[496] : (إن ّ اللطف الواجب على الله الموجب لإرسال الرسل , ونصب الأ وصياء الحجج ؛ ليتمكن الخلق من الوصول إلى معارفهم الحقة والتكاليف الواقعية المشتملة على المصالح العائد للناس نفعها في نظام معادهم ومعاشهم , هو جعل ما به يكون لله على الناس الحجة ولا يكون لهم عليه الحجة، وهو وجود إمام حي , في كل وقت وعصر , بحيث لو رجعوا إليه لأوصلهم إلى ما يضمن لهم سعادة الدارين , وذلك حاصل ٌ في كل عصر , ولا يخلو عصر من العصور عن وجود حجة لله على الناس , لو رجعوا إليه لبلغهم إلى معارفهم .

أما لو كان بحيث لو ظهر لهم لقتلوه فوجوب تبليغهم إلى معارفهم يسقط ؛ لأته منوط بالرجوع إليه والناس لا يرجعون إليه , بل يقتلونه لو عرفوه ، وحيث أته لابد وأن يكون دائم ًا لله على الناس الحجة , كان وجوده فقط واجب ًا من باب اللطف . أما تصرفه بإيصال الناس إلى ما هو الحق في معارفهم , وأحكامهم فلا يجب لعدم تحقق شرطه وهو الرجوع إليه ، ولذا قالوا : إن ّ وجود الإمام لطف وشرطه متحقق دائم ًا، وهو أن يكون لله على الناس الحجة ، وتصرفه لطف آخر منوط بالرجوع إلى الإمام وهو غير متحقق ، بل المتحقق نقيضه , وهو عدم الرجوع إليه , بل لو عرفوه لقتلوه ، فلا يجب على الإمام من باب اللطف الظهور لإيصال التكليف الحق . فظهر أنّ هنا لطفين : وجود الحجة

وتصرفه ، واللطف الأول : موجود ، والثاني : مفقود ؛ لعدم تحقق شرطه) [497].

الرابع : تقصير الأتباع .

كما يغلف الإمامية الاثنا عشرية غياب الإمام الثاني عشر بسبب تقصيرهم في حقه , فيقول الإمامي حسن الحسيني اللواساني [498]: (بالجملة ! عدم نيل العباد للتشرف برؤيته إما بسبب تقصيرهم , وعصيانهم الموجب لعقوبتهم ، أو بسبب قصورهم , وعجزهم عن ذلك لغلبة الأشرار الموجبة لاختفاء ا لإمام عن جميعهم ، لا ينافي اللطف الواجب ، ولا يناقضه , ويتحصل من ذلك كله أن ّ وجوده ليس إلا لطفًا محضًا , وإن استتر وغاب عن الأبصار) [499].

وقال جعفر السبحاني : (لا ينافي اللـطف في نصبه سلب العـباد سلطانه أو غيبته ؛ لأن ّ اللّه - سبحانه - قد لطف بهم بنصب المعد لهم ، وهم فوتوا أثر اللطف على أنفسهم)[500].

وسئل محقق الشيعة محمد جميل حمود العاملي[501] بما نصه : هل نستطيع القول بأنّ الشيعة عبر التاريخ قصروا في الدفاع عن مذهب أهل البيت فكريـًا وعمليـًا ؟ فأجاب : (نعم الشيعة بشكل عام والعلماء بشكلٍ خاص – إلا ّ من رحم ربي وقليلٌ ما هم - قد قصّروا في تبليغ دين آل البيت (ع) لعامة المذاهب والأديان، كما أنّهم ضعُفوا عن الدفاع عنهم (ع) من الناحية الفكرية , بمعنى أنّهم لم يقوموا بنشر الكتب العقائدية والتاريخية التي من خلالها يتم التعرف على

مبادئ وعقائد أهل بيت العصمة والطهارة، كما أنّهم عجزوا عن الدفاع عن حماية مقاماتهم المقدسة في الحجاز و العراق ...

لقد تلهى الشيعة اليوم بقادتهم السياسيين , ونذروا أنفسهم للذود عنهم بكل غالٍ ونفيسٍ ؛ لأجل حطامٍ زائل وسلطانٍ جائر , وأقتدي بسيّدي ومولاي الإمام زين العابدين (ع) بالأبيات المنسوبة إليه :

وربّ جوهر علمٍ لو أبوح به *** لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

وهل ثمة تقصير أعظم من تقصير الشيعة بتعريف العالم على الإمام بقية الله الأعظم (عجّل الله فرجه الشريف) وربط الناس به؟ وهل أخلص الشيعة لإمام الزمان (ع) كما أخلصوا لزعيهمم الديني أو السياسي؟ وهل عرفوه كما عرفوا زعيمهم وقائدهم؟ أجزم بضرس قاطع أن ّ أكثر الشيعة لم يدخل حب الإمام المهدي (ع) في قلوبهم , كما أحبوا الزعيم أو القائد , بل أجزم بأن ّ أكثر المعممين لم يتذوقوا حلاوة معرفة الإمام بقية الله روحي فداه , ولو أنّهم تذوقوها لكانوا دعاةً له بالقول والعمل، ولكانوا لهجوا بذكره , كما تلهج ألسنتهم بتسبيح من إليه يميلون وعليه يتكئون , ولما كان غاب هذه الغيبة الطويلة فسببُ الغيبة هو تقصير الشيعة عن خدمته وذود الأعداء عن حضرته ..) [502].

تبيّن مما سبق :

احتار الإمامية الاثني عشرية بين ارتفاع ذات الإمام عن الـخلق ، وبين غيبته واختفائه لزمن معيّن ، فالأول يرجع سببه إلى الله ولو حصل لبطلت قاعدة اللطف الإلهي , لهذا لا يقولون به ؛ وبالتالي فهم يؤمنون بالثاني الذي يذهب إلى غيبته واختفائه ! والغيبة إما لحكمة أخفاها الله – تعالى-

عن عباده , وإما لتمحيصهم , وإما لخوف إمامهم من الظهور , وإما لتقصير أتباعه في حقه , وهذا لا يناقض قاعدة اللطف الإلهي عندهم , ولازالت محفوظة بهذا التفسير .

المبحث الثاني

مناقشة دعوى تحقق اللطف الإلهي مع غياب الإمام

سبق أن ذكرت كلام علماء الإمامية الاثني عشرية في تحقق قاعدة اللطف الإلهي مع غيبة إمامهم المعصوم , وأنّ غيبته لا ينافي القول بهذه القاعدة في مسألة وجوب الإمامة على الله - تبارك وتعالى - وأنها مقتضى لطفه, ورحمته بـ العباد .

وفي هذا المبحث مناقشة الإمامية الاثني عشرية فيما ذهبوا إليه , مع بيان مدى الخلل الحاصل في مقتضيات قاعـدة اللطف الإلهي , وتحققها عند الاثني عشرية بسبب غياب الإمام الثاني عشر بمطلبين اثنين :

- **المطلب الأول** : مناقشة أسباب غيبة الإمام الثاني عشر .
- **المطلب الثاني** : بيان ظهور الخلل الحاصل في قاعدة اللطف بفـقد الإمام .

المطلب الأول

مناقشة أسباب غيبة الإمام الثاني عشر

علل الاثنا عشرية – كما ذكرت سابقًا – غيبة الإمـام الثاني عشر بأربعة أسباب : عدم معرفة السبب , و التمحيص , و الخوف , وتقصير الأتباع , ومتى ما نقضت هذه الأسباب الأربعة يتضح فقد الإمام المعصوم بالكلية , وأنّ هذه الأسباب ما هي إلا افتراضات على وجود معدوم لا أساس لوجوده .

وقبل مناقشة هذه الأسباب أبين ضعف الروايات التي تحكي قصة ولادة الإمام الثاني عشر – المزعوم - وتناقضها , موجزة ذلك في نقاط :

أولا ً : أنّ حكيمة أقبلت تقرأ على نرجس القرآن فأجابها الجنين من بطن أمه ! يقرأ مثلما تقرأ ثم سلّم عليها . مما أثار فزعها [503]!

ثانيًا : أن ّ نرجس غُيّبت عن حكيمة فلم ترها , كأنه ضرب بينها وبين نرجس حجاب ، مما أثار استغرابها وصراخها , ولجوئها إلى أبى محمد ، حيث قال لها: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها , فلما رجعت وجدت من النور ما غشى بصرها ! وإذا بالصبي ساجد ًا على وجهه [504] !

ثالثًا : تحليق عدد من الطيور فوق رأس الوليد ، وقول الحسن لطير منها : احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوم ًا، فتناوله الطير وطار به في جو السماء ، مما جعل أمه تبكي لفراقه ولما سألت حكيمة ماهذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة , يوفقهم ويسددهم ويربيهم ب العلم . فلما كان بعد أربعين يوما رد الغلام , وكان يمشي كأنه ابن سنتين ، مما دفعها للتساؤل بدهشة فقال لها ابن أخيها الحسن: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم ، وأن الصبي منا إذا كان أتي عليه شهر كان كمن آتي علـيه سنة ، وأن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه وعند الرضاع تطيعه الملا ئكة , وتنزل عليه صباحـ ًا ومساء ً [505].

رابعـًا : أن حكيمة لم تزل ترى ذلك الصبي في كل أربعين يوم ًا إلى إن رأته رجلا ً [506] قبل مضي أبى محمد بأيام

قلائل , فلم تعرفه [507] !
خامسًا : بعض الروايات تذكر أنه لما خرج من بطن أمه سقط جاثيا ً على ركبتيه رافع ًا سبابته نحو السماء ، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين , وصلى اللّه على محمد وآله داخر ًا لله غير مستنكف ولا مستكبر ، ثم قال: زعمت الظلمة إن ّ حجة اللّه داحضة ، ولو إذن لنا في الكلام لزال الشك [508].

سادسًا : وبعض الروايات تذكر أن ّ المهدي ولد من فخذ أمه [509]!

سابعًا : وفي بعض الروايات أنه لما ولد المهدي بعث اللّه ملكين فحملاه إلى سرادق العرش , حتى وقف بين يدي اللّه فقال له:ُمرحب ًا بك.. بك أعطي , وبك أعفو , وبك أعذب...[510]

وغير هذه العجائب الشيء الكثير وحقيقة لا محل لمناقشتها ؛ لرفض العقل الصريح لها , كما أن المتطلع لأصل هذه الروايات يجد أنّ قصة ولادة الإمام الثاني عشر لم تروها إلا حكيمة بأسانيد لا تخلو من غالين مثل : الحسين بن عبيد اللّه , وهو السعدي, أبو عبد اللّه بن عبيد اللّه بن سهل , قال علامة الشيعة الحلي : (ممن اطعن عليه , ورمي بالغلو) [511], وفي بعض النسخ حسين بن رزق اللّه , ق ال الإمامي الشاهرودي : (لم يذكروه) [512], وكذلك لا تخلو من مهملين مجاهيل مثل : موسى بن محمد بن القاسم بن

حمزة , قال الإمامي الشـاهرودي: (لم يذكروه) [513], وكذلك مثل محمد ابن عبد الله الطهوي وفي بعض النسخ الظهري , وفي بعضها الزهري , وفي بعضها المطهري, وبعضها الطهومي ! ولم أجد ترجمة لهم في كتب الرجال إ لا للمطهري : وهو محمد بن عبد الله , أبو عبد الله , قال الإ مامي الشاهرودي: (لم يذكروه) [514], وللطهومي وهو من أصحاب الرضا , وحاله مجهول [515]!

وعلى الرغم من تناقض الروايات التي تحكي قصة ولادة إمامهم– المزعوم – إلا أننا نناقش أسباب غيبته التي تمسك بها الإمامية :

أولا ً: إبطال عدم معرفة السبب :

أما القول الأول وهو عدم معرفة السبب , فنحن لو سلمنا جدلا ً بوجود الإمام الثاني عشر إلا أنّنا لا نستطيع أن نسلم جدلا ً بغيابه ؛ لأنّه ليس من حكمة الله أن يُغيّب من نصبه إمامًا على عباده , وحافظًا لأرضه ! فهذا كما هو مخل بحكمة الله مخل أيضًا بلطفه , ورحمته بعباده , وأيضـًا ف العقل يرفض قبول هذه الدعوى في حق من نُصِبَ لحاجة الأ مة إليه , فإن كانت الأمة محتاجة إليه فيكف جاز غيابه ؟!

ثم ما الحكمة في اختفاء نائب النبي عن أمته ؟! خاصة وأنّ الإمامية الاثني عشرية قد زعموا أنّهم تعرضوا لأ نواعٍ من العذاب المرير , وسفك الدماء , ونهب الأموال على يد أعدائهم – كما يدعون في كتبهم [516]– فهل من حكمة الله أن يغيب من بظهوره تنتفي آلام الشيعة , ويسود الأ رض على يديه الخير والعدل ؟

ثم لو قلنا بالحكمة المجهولة في كل مسألة لا دليل عليها من كتاب , ولا من سنة لفتحنا الباب أمام الكثير من الزنادقة أصحاب الفرق الضالة , بل ولا نتعجب إن قال قائل منهم : إنّ إبليس طرد من رحمة اللّه – تعالى - لحكمة مجهولة لا نعلمها , مع أنّ الآيات الكريمة تدل على أنّ سبب طرده هو استكباره ومخالفته لأمر اللّه – تعالى - بالسجود لسيدنا آدم .

وكذلك لا يصح لهم الاعتراض على خلافة الصديق , و الفاروق , وذي النورين من دون علـي بعد وفـاة النبي ؛ وكذلك لأننا سنقول لهم: قد مسكوا زمام الخلافة لسبب مجهول لا نعلمه !

ثانيـًا : إبطال القول بالتمحيص :

وأما القول بالتمحيص , فباطلة ؛ لأنّ اللّه لا يكلف الناس بما لا طاقة لهم به , وهاهم الشيعة قد تعرضوا للفتنة , ولم يحتملوها فكيف يزعمون أنّ سبب الغيبة هو التمحيص , وأي تمحيص في هذا الفعل ؟!

يقول ابن بابويه القمـي الملقب بـ " الصدوق " حيث قال : (رجعت إلى نيسابور، وأقمت فيها فوجدت أكثر المختلفين عليّ من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة) [517].

وقد شهد شيخهم النعماني[518] بشك جميع الشيعة في أمر الغيبة – إلا القليل – فيقول: (فإنا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة إلى التشيع، المنتمية إلى نبينا محمد وآله - صلى

اللّه عليهم - ممن يقول بالإمامة... قد تفرقت كلمتها، وتشعبت مذاهبها، واستهانت بفرائض اللّه ، وخفت إلى محارم اللّه -تعالى - فطال بعضهم غلوًا، وانخفض بعضهم تقصيرًا، وشكوا جميعًا إلا القليل في إمام زمانهم وولي أمرهم وحجة ربهم... للمحنة الواقعة بهذه الغيبة ... فلم يزل الشك والارتياب قادحين في قلوبهم , كما قال أمير المؤمنين في كلامه لكميل بن زياد في صفة طالبي العلم وحملته : أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له [519] , ينقدح الشك في قلبه , لأول عارض من شبهة حتى أداهم ذلك إلى التيه , والحيرة , والعمى , والضلالة , ولم يبقَ منهم إلا القليل النزر الذين ثبتوا على دين اللّه , وتمسكوا بحبل اللّه , ولم يحيدوا عن صراط اللّه المستقيم ...) [520].

كما مل ّ الشيعة الانتظار للغائب الموعود حتى قال قائلهم : (قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا , ومتنا كمدًا..) [521].

ولشدة الخلاف بينهم ولعن بعضهم بعضـًا فقد سارع صانعو الروايات بوضع ما يطمئن المتلاعنين بأنّ ذلك مقصود من اللّه , فقد نسب النعماني لعلي أنّه قال : (أما إنكم لن تروا ما تحبون , وما تأملون يا معشر الشيعة حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض , وحتى يسمي بعضكم بعضًا كذابين , وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا ك الكحل في العين , أو كالملح في الطعام , وهو أقل الزاد) [522].

وفي رواية : (لا يكون الأمر الذي ينتظر حتى يبرأ بعضكم من بعض , ويتفل بعضكم في وجوه بعض ، فيشهد بعضـكم على بعض بالكفر , ويلعن بعضكم بعضًا) [523].

والعجب أنّهم يوجهون سهامهم بالاتهام إلى كل من لم يصدق بأنه ليس من الشيعة , فنسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال : (وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون , لو علم أنّهم يرتابون ما غيب حجته طرفة عين) [524].

فكيف يقال : لو علم أنّهم لا يرتابون ما غيب حجته , وقد ارتابوا إلا القـليل ؟!

وأي ريبة أشد من شك الجميع إلا النزر القليل ، ومن التفرق والتلاعن والتكذيب والتكفير الواقع بينهم ؟!

ثالثـًا : إبطال القول بالخوف :

وأما هذا القول فقد اعتمد القائلون به على مجموعة روايات لا نريد الخوض في دراسة أسانيدها , ولكن يكفينا أن نقول إنها مروية عن زرارة عن الإمام الصادق قبل أكثر من مئة عام من وفاة الإمام الحسن العسكري .

فهي روايات رواها غير المعصوم عند الشيعة مع وجود المعصوم , ولم يـروها هو ! فكيف تروى روايات مع وجوده , وهو لا يعلم عنها , ولم يذكرها هو مع أنّها من مهمته !

فالعسكري هو المعصوم عند الشيعة في زمن ورود هذه الروايات فلماذا لم يذكرها هو لأتباعه , وجاءت من غير طريقه مع وجوده ؟!

ثم لا يمكن قبول هذا السبب – القول بالخوف - في تفسير الغيبة إلا بعد صحة مجموعة من النقاط الافتراضية الوهمية : مثل وجود الإمام الثاني عشر وولادته ، وكذلك

افتراض وجود توتر سياسي بين البيت العلوي والبيت العباسي الحاكم ، والقول أيضاً بفكرة خاتمية المهدي للأئمة الاثني عشر ! إلا أنّ هذا القول لم يكن موجوداً حتى القرن الرابع الهجري , وهذا ما لا يمكننا غضّ الطرف عنه !

وإنْ كان الإمام خائفًا من أعدائه , فلا مانع أنْ يظهر لأوليائه , وأما من زعم أنّ عدم ظهوره لأوليائه إنما هو الخوف من الاشتهار ! ففاسد ؛ وذلك لأنّ الرجل الواحد إذا احتاج في تعلم الدين إلى الإمام , فالذي يمكنه أن يعزم على خدمة الإمام , وعلى ترك إخافته فلا يمكنه أن يزيل خوف الإمام عن الظالمين وعن الأولياء , فهذا الشخص قد تعذر عليه الانتفاع من الإمام لا لعذر صدر عنه , فإما أن يسقط التكليف عنه – كما قالت الباطنية[525] - , أو لا يسقط – كما قالت الاثني عشرية - , وفي كلا الحالين تعذر الانتفاع باللطف لا لجرم صدر عن المكلف , وهذا باطل ؛ لأنّ التكليف بالفعل مع عدم التمكن من الانتفاع باللطف غير جائز [526].

ومع كل ذلك فنظرية الخوف بعيدة جداً عن أخلاق أهل البيت , وحبهم للشهادة في سبيل الله !

كما أنّ الاختفاء منافٍ تماماً لمنصب الإمامة ، المبني على الشجاعة والإقدام , وقد ادعوا أنّ من صفات الإمام الشجاعة , وهذا ما نسبوه إلى النبي بأنه قال في أئمتهم : (... هم الذين أذهب الله عنهم الرجس , وطهرهم من النجس ، الصادقون إذا نطقوا, العالمون إذا سئلوا ، الحافظون لما استودعوا .

جمعت فيهم الخلال العشر لم تجمع إلا في عترتي وأهل بيتي : الحلم , والعلم , والنبوة , والنبل , والسماحة , و

الشجاعة , والصـدق , والطهارة , والعفاف , والحكم ...) [527] .

وقال الطوسي : (إن ّ الإمام يجب أن يكون أشجع من رعيته , وما يتبع ذلك من صفاته يدل على ذلك أنه قد ثبت أنه رئيس عليهم فيما يتعلق بجهاد الأعداء..وذلك متعلق بـ الشجاعة ، فيجب أن يكون أقواهم حالا ً في ذلك ؛ لأن ّ من شأن الرئيس أن يكون أفضل من رعيته فيما كان رئيسا ً فيه ، لما قدمناه من قبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه [528]...) [529].

فأين الشجاعة مع الهروب وترك الأمة دون إمام ؟!

ثم إنّ نظرية الخوف مما لا يتصور في حق الأئمة – على ما يعتقد الشيعة –؛ لأن ّ الأئمة "يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم".

وهذا مما بوّب به الكليني في الكافي , وأدرج تحته العديد من الروايات منها:

عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله : (أي إمام لا يعلم ما يصيبه , وإلى ما يصير , فليس ذلك بحجة لله على خلقه) [530].

وأثبت ذلك المجلسي في بحار الأنوار وبوب له بلفظ: " أنهم - عليهم السلام- يعلمون متى يموتون , وأنه لا يقع ذلك إلا باختيارهم " [531].

فكيف يخرجون أنفسهم من هذا التناقض؟! وأي خوف يخافه الإمام , وهو يعلم متى يموت , ولا يموت إلا باختيار منه ؟!

كما أنّ الأئمة – على حد ما يعتقد الشيعة – يعلمون ما كان وما يكون, ولا يخفى عليهم الشيء , كما قرر ذلك الكليني في باب " الأئمة - عليهم السلام - يعلمون ما كان , وما يكون , وأتهم لا يـخفى عليهم الشيء - صلوات الله عليهم - " [532].

فبوسعهم أن يحترزوا من الخطر بما لا يخطر على بال أحد.

ثم لماذا لم يقتل واحد من أولئك النواب الأربعة الذين يدعون الصلة بالإمام مباشرة , وهم ليسوا كالإمام لا يموتون إلا باختيار منهم؟!

كذلك قد توفر الأمن التام للإمام في أثناء قيام بعض الدول الشيعية , فلماذا لم يخرج إليهم ، ويأنسوا بطلعته، ويستفيدوا من علمه، وسلاحه، وقوته.. وإذا زالت الدولة رجع إلى غيبته ؟

ولذلك قال أحمد الكسروي[533] : (إذا كان منتظرهم قد اختفى لخوفه على نفسه فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه [534] الشيعيون على بغداد، وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟

فلم لم يظهر عندما قام الشاه إسماعيل الصفوي[535] وأجرى من دماء السنيين أنهارًا؟

ولـمَ لم يظهر عندما كان كريم خان الزندي[536] وهو من أكبر سلاطين إيران يضرب على السكة اسم إمامكم (صاحب الزمان) , ويعد نفـسه وكيلا ً عنه ؟

وبعد فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين

مليونًا وأكثرهم من منتظريه؟) [537].

فقد طالب أصحاب نظرية الخوف الشيعة ، بأن يزيلوا الأسباب التي دفعت الإمام المهدي إلى الغيبة ، وذلك بتمكينه , وإعداد العدة لنصرته ، أو العزم على نصرته , ومعاضدته , والانقياد له , والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوته للخروج ، وهذا ما ذهب إليه المرتضى من أنّ المكلفين متمكنون مما إذا فعلوه زالت تقية الإمام وخوفه , ووجب عليه الظهور.

وقد بين أنّ سبب الغيبة هو فعل الظالمين , وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه , والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبين أنّهم مع الغيبة متمكنون من مصلحتهم بأن يزيلوا السبب الموجب للغيبة ؛ ليظهر الإمام , وينتفعوا بتدبيره , وسياسته [538].

وبما أنّ أسباب الخوف قد أزيلت بتمكن الشيعة في عصرنا الحاضر , فإنّ نظرية الخوف ينكشف بطلانها .

رابعـًا : إبطال القول بتقصير الأتباع .

لا يعد ما فعله الوزير العباسي نصير الدين الطوسي حينما تحالف مع هولاكو [539]وخان الخليفة العباسي , وأدخل هولاكو بغداد , وقتل من أهل السـُّنة ألف ألف وثمان مئة ألف [540] تقصيرًا البتة !

ويشير إلى ذلك علامة الشيعة الحاج حسين الشاكري[541] بقوله : (إنه لم يتح بعد الخواجة نصير الدين الطوسي لأحد من العلماء ما أتيح لشيخنا المروج من إعلاء كلمة الحق , وتشييد المذهب , وكبح جماح المتهتكين , ومنعهم عن الفجور وزجرهم , وإزالة البدع والمنكرات , وإقامة الفرائض

والسنن) [542].

وقصده من هذا الكلام عندما ساعد نصير الدين الطوسي هولاكو للدخول على بغداد , والغدر ببني العباس , قال الخوانساري [543] : (ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان ابن تولي خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التتارية , وأتراك المغول , ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإ رشاد العباد , وإصلاح البلاد , وقطع دابر سلسلة البغي و الفساد وإخماد نائرة الجور والألباس بإبداد دائرة ملك بني العباس , وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغاة , إلى أنْ أسال من دمائهم الأقذار , كأمثال الأنهار , فأنهار بها ماء دجلة , ومنها إلى نار جهنـم دار البوار , ومحل الأشـقيا ء الأشرار) [544].

ويقول الخميني في الإشادة بما حققه نصير الطوسي : (.. ويشعر الناس [يعني شيعته] بالخسارة.. بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي , و أضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام) [545]!

فلماذا لم يظهر إمام الاثني عشرية حينها , وينهي غيبته ؟!

وشرعًا فالمقصِّر في حق شخص ما لا يسقط حقه الشرعي , إذ نرى الزوجة تقصر في حق زوجها ولكنّ هذا التقصير لا يسقط حقها في النفقة ماكانت على ذمة

زوجها !
وكذلك الشيعة فهم مؤمنون بإمامة الثاني عشر , وهذا غير مسوغ بأنْ يتخلى الإمام الثاني عشر عن واجبه المفترض عليه بحجة تقصيرهم .

ثم إنّ قائد الرعية إذا كانت رعيته مقصرة في حقه فمن واجبه أن يرفع عنهم هذا التقصير إما بالإقناع , وإما بحد السيف ! فإنْ كانت الإمامة واجبة على اللّه - تبارك وتعالى - , فالإمام المنصّب من قِبله واجب عليه تطبيق مقتضيات الإمامة , بغض النظر عن تصرفات البشر من باب أولى !
وبسقوط هذا السبب تسقط أسباب الغيبة التي تمسك بها الشيعة الاثنا عشرية ؛ لتبرير غيبة إمامهم المعصوم , والذي بفقده تنقض قاعدة اللطف الإلهي التي نادوا بها لإثبات إمامته .

وبما أنّ أسباب الغيبة قد سقطت بالكلية ؛ فإن ذلك يسقط دعاوى النواب الأربعة , ويشكك في صحة أقوالهم ! بل هي ساقطة باعتراف أحدهم بأتهم تجار دنيا , فقد قال محمد بن علي الشلمغاني[546] الذي كان وكيلا ً عن الحسين بن روح النوبختي في بني بسطام ، ثم انشق عنه , وادعى النيابة لنفسه : (ما دخلنا مع أبى القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف)[547].
وسقوط دعاوى النواب معول آخر في بناء نظرية الغيبة .

وهناك دليل آخر على كذب أدعياء النيابة ، وهو عدم

قيامهم بأي دور ثقافي , أو فكري , أو سياسي لخدمة الشيعة والمسلمين ما عدا جباية الأموال والادعاء بتسليمها إلى الإمام المهدي !

فقد كان من المفترض في النواب الذين يدعون وجود صلة خاصة بينهم وبين الإمام المهدي أن يحلوا مشاكل الطائفة , وينقلوا توجيهات الإمـام إلى الأمة ! ولكنا نرى النائب الثالث - الحسين بن روح النوبختي - مثلا ً ، يلجأ إلى علماء قم ليحلوا له مشكلة الشلمغاني الذي انشق عنه ، ويرسـل كتابه " التأديب " إلى قم ؛ ليبين علماؤها له الصحيح والسقيم ، كما يقول الشيخ الطوسي [548] , وفي هذا دلالة على عدم وجود اتصال بينه وبين المهدي , وإلا لعرض الكتاب عليه , وسأله عن صحته !

ومما يؤكد كذب دعوى وجود المهدي محمد بن الحسن العسكري هو عدم قيام أدعياء النيابة بملأ الفراغ الفقهي , وتوضيح كثير من الأمور الغامضة التي كان يجب عليهم بيانها في تلك المرحلة ، ومن المعروف أنّ الكليني ألف كتـاب " الكافي " في أيام النوبختي ، وقد ملأه بالأحاديث الضعيفة , والموضوعة التي تتحدث عن تحريف القرآن وأمور أخرى باطلة ، ولكن النوبختي , أو السمري لم يعلقا على الموضوع , ولم يصححا أي شيء من الكتاب ، مما تسبب في إلحاق العار بالشيعة عبر التاريخ , أوقعهم في مشكلة عدم القدرة على التعرف على الأحاديث الصحيحة من الكاذبة !

وبناء على ذلك كان الأجدر والأولى , والأيسر أن يصحح الإمام - لو كان موجود ًا - كتاب الكليني ، أو يتـرك

وراءه في عصر الغيبة الكبرى كتابـًا جامعـًا يرجع إليه الشيعة . وهذا ما لم يحصل ، ولم يقدم أدعياء النيابة أي شيء يذكر في هذا المجال ، وهذا ما يكشف كذبهم في دعواهم الإتصال بإمام غائب .

المطلب الثاني

بيان ظهور الخلل الحاصل في قاعدة اللطف بفقد الإمام

وجعلت فيه ثلاثة أوجه :
الأول : بطلان قاعدة اللطف في إمام وجوده يقرب من الطاعات , ويبعد عن المعاصي رغم غيابه .
الثـاني : إثبات قبح تكليف العباد مع غياب الإمام .
الثالث : اضطرار الإمامية الاثني عشرية أثناء غياب المعصوم إلى القول بولاية الفقيه.
وتفصيلهم الآتي :

الوجه الأول
بطلان قاعدة اللطف في إمام وجوده يقرب من الـ
طاعات ,
ويبعد عن المعاصي رغم غيابه .

سبق أن ذكرت في تعريف الإمامية الاثني عشرية للطف ا لإلهي بأنه ما يقرب المكلف معه من الطاعة, ويبعد عن المعصية .
ووجود الإمام - على حد تعريفهم - لطف من الله - تبارك وتعالى - بعباده ؛ ليقربهم من الطاعة , ويبعدهم من المعصية !
إذن ففائدة الإمام لا تحصل مع فقده , فلم ينفصل وجوده من عدمه ، وإذا لم يختص بوجوده - مع كونه غائبًا - بوجه من وجوه اللطف الإلهي , يبطل دليلهم على وجوب وجوده, ولا يحصل اللطف في هذه الحال .
فمع فقد الإمام , والانقطاع الحاصل بينه وبين رعيته يسقط معنى اللطف الذي ادعوه !
خاصة أنّ من الاثني عشرية من يربط حصول الطاعة , و

الانتهاء عن المعصية بوجود الإمام , ولا يتأتى ذلك إلا به ! قال زين الدين العاملي : (إن ّ الناس إن كان لهم رئيس عام يمنعهم عن المعاصي ويحثهم على الطاعات ، كانوا معه إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد . ولا نعني باللطف سوى ذلك . وأما أنّ اللطف واجب على الله – تعالى - ، فلأنّ غرضه الذي هو إطاعة العباد لا يحصل إلا به ... فوجود الإمام لطف من الله - تعالى - وقد فعله سبحانه , وإنما كان هذا اللطف واجبًا على الله – تعالى - ؛ لأن ّ إيجاد إمام يكون عام الرئاسة والشريعة أقرب إلى الصلاح في أمور معاشهم , ومعادهم ، وأبعد عن الفساد فيهما بسبب وجوده , وعصمته ...) [549].

فإن قيل: هو يأمر بما عليه الاثنا عشرية حتى مع الانقطاع عنه .

قيل له : فلا حاجة إلى وجوده , ولا شهوده , وسواء كان شاهدًا أو غائبًا, فمعرفة ما أمر الله به الخلق ممكنًا بدون هذا الإمام المنتظر , ولا تتوقف عليه طاعة الله ورسوله , ولا نجاة أحد , ولا سعادته , وحينئذ فيمتنع القول بوجوب إمامة مفقود مثل إمامهم [550] .

الوجه الثاني
إثبات قبح تكليف العباد مع غياب الإمام .

نلزم الإمامية الاثني عشرية ثبوت وجه قبح إما في قاعدة اللطف الإلهي مع فقد الإمام , وإما في التكليف مع إثباتها ؛ فمع ثبوت وجه القبح في كلا الأمرين ينقض طريق وجوب الإمامة في كل زمان ؛ لأن ّ كون الناس مع رئيس متصرف أبعد من القبيح لو اقتضى كونه لطفًا واجبًا

في كل حال , وقبح التكليف مع فقده ؛ لأنه تكليف بما لا يطاق , وبما لا وصول إليه إلا من طريق الإمام المفـقود .

ثم على فرض وجود الإمام , فلا سبيل للناس إلى معرفته , ولا معرفة ما يأمرهم به , ولا ما ينهاهم عنه , و لا ما يخبرهم به , فإن كان أحد لا يصير سعيدًا إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره , ولا نهيه , لزم أنه لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله - تبارك وتعالى - , وهذا من أعظم التكليف بما لا يطاق , وهم من أعظم الناس إحالة له [551] .

ومن ادعى من الاثني عشرية عدم اختصاص الإمام ببيان المعارف حال الغيبة يعارضه ما قاله علامة الشيعة محمد صالح المازندراني: (بل أهم من ذلك تعليم الآراء المحمودة وتقريرها حتى يعتقد الناس بها ويطيعوا أمره بسهولة , وهذا متوقف على كونه عالمـًا , إلهيـًا , قادرًا على التعليم بالبرهان كالحكماء وبالخطابة) [552].

ويقول الأنصاري [553]: (وإنما وظيفته - من حيث كونه مبينـًا للشـرع – بيان الأحكام الكلية المشتبهة على الرعية) [554].

وقال جعفر السبحاني : (إن اللطف هو ما يقرب إلى الطاعة , ويبعد عن المعصية ولو بالإعداد ، وبالضرورة أن نصب الإمام كذلك لما به من بيان المعارف والأحكام الإلهية , وحفظ الشريعة من الزيادة والنقصان , وتنفيذ الأحكام , ورفع الظلم والفساد ونحوها) [555].

وتبعهم في ذلك الخوئي [556] .

فهذه الأقوال تقرر أنّ من مهمات الإمام هو التعليم ببيان

المعارف والأحكام , ولم يفرقوا بين الحضور والغيبة !

كما أنّ المتفق عليه عند الإمامية الاثني عشرية أنّ من مهام الإمام الرئيسة إقامة المدينة الفاضلة ! بإقرار الأمن , وحفظ النظام من الهرج و المرج , واختلال أمور المسلمين, وإدارة الأمور السياسية في المجتمع [557] , بل منهم من نصّ على أن القضاء , وإقامة الحدود من وظائف الإمام مثل يوسف البحراني [558] , و الگلپايگاني[559] [560] .

وكان مستندهم فيما ذهبوا إليه ما رووه عن علي أنه قال : (إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه : الإبلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النصيحة ، والإحياء للسنة , وإقامة الحدود على مستحقيها) [561] .

وفي الكافي في كلام طويل منسوب للرضا في الإمامة : (إن ّ الإمامة هي منزلة الأنبياء , وإرث الأوصياء , إن الإمامة خلافة اللّه , وخلافة الرسول – صلى اللّه عليه وآله -, ومقام أمير المؤمنين , وميراث الحسن والحسين – عليهما السلام – إنّ الإمامة زمام الدين , و نظام المسلمين , وصلاح الدنيا , وعز المؤمنين , إن ّ الإمامة أس الإسلام النامي , وفرعه السامي . بالإمام تمام الصلاة , والزكاة , و الصيام , والحج , والجهاد , وتوفير الفيء , والصدقات , وإمضاء الحدود , والأحكام , ومنع الثغور , والأطراف . الإمام يحل ّ حلال اللّه , ويحرم حرام اللّه , ويقيم حدود اللّه , ويذب عن دين اللّه) [562].

فإن قالوا : إنّ اللطف حاصل بالإمام , وإنْ كان غائبًا .

نقول لهم : إنّ المكلف إذا اعتقد وجود الإمام وإمامته , اعتقد أنّه لا حال من الأحوال إلا ويجوز أن يظهر , ويتمكن من التصرفات , فحينئذ لا حال إلا ويكون المكلف خائفًا ؛ و لأجل ذلك يمتنع من القبيح [563] !

ويرد الرازي [564] – رحمه الله - على من يعترض على هذا القول بما نصه : (إنّ الخوف الحاصل من إمكان ظهوره في كل وقت كالـخوف الحاصل من إمكان أن يخلقه الله في كل وقت , أو إمكان نزوله من السماء في كل وقت , وإذا كان كذلك فجوزوا أن لا يكون موجودًا , إلا أنّ الله - تعالى - يجب عليه أن يخلقه عندما تكون المصلحة حاصلة في إيجاده , ثم إنه لا وقت إلا ويجوّز المكلف أن يخلقه الله - تعالى - في ذلك الوقت , فيكون اللطف حاصلا ً, وإن لم يكن الإمام موجودًا)[565].

كما أنّنا نجد من يؤكد من الاثني عشرية على أنّ غيبة الإمام غيبة جزئية ؛ بحيث إن الإمام موجود بين الناس يراهم , ويعرفهم , ولكن هـم يرونه , ولا يعرفونه !!

يقول الإمامي علي المكي : (إنّ الإمام لا يمكن أن يجاور الظالمين في مكان, فما اختاره الله له من مكان لا يعلـمه إلا الله . إلا أنّ غيـبة الإمام ليست بمعنى انقطاعه عن النـاس في مكان لا يمكن الوصول إليه ولا يعرف , وإنّما غيبته بمعنى عدم معرفته بشخصه , فهو مع الناس , ويرى الناس , ويراه الناس , ولكن لا يمكن معرفته , وتشخيصه بأنّه الإمام ...) [566].

ولكنني بينت في المطلب الأول إسقاط أسباب الغيبة ,

مع بيان كذب دعاوى سفرائه مما يبطل هذا القول بتمامه[567]
.

الوجه الثالث
اضطرار الاثني عشرية أثناء غياب المعصوم إلى القول بولاية الفقيه.

الأئمة - حسب نظرية الإمامة عند الاثني عشرية - معينون من قبل الله – تبارك وتعالى - ، وأن لا دور للأمة في اختيارهم عبر الشورى ، ولا حق لها في مناقشة قراراتهم , أو معارضتها ، وأن ّ الدور الوحيد المتصور للأمة هو الطاعة والتسليم فقط ! إلا أنّ أنصار مدرسة ولاية الفقيه المنصوب والمجعول والنائب عن (الإمام المهدي) سلموا مهام الإمام للفقيه !

فإذا كانت الإمامة محصورة في هذا الشخص ، ولا تجوز لغيره من الناس العاديين غير المعصومين وغير المعينين من قبل الله - تعالى - ، فلماذا يغيب ويختفي, ولا يظهر ليقود الشيعة والمسلمين , ويظهر من يحل مكانه , ويقدح في نظرية الانتظار, و في نظرية الإمامة الإلهية , بل وفي نظرية اللطف الإلهي ؟

فقد جعل الخميني للفقـيه ولاية سماها بـ " ولاية الفقيه " , وهذه الولاية تعني أن يقوم الفقيه الشيعي لا غيره مقام إمامهم الغائب , بل هو نائب عنه , وله من التقديس, و التعظيم , والخضوع الشيء الكثير, بالإضافة إلى الانقياد له ولأوامره , واجتهاده , ولا يحل لأحد أن يعترض على اجتهاد الآيات – على حد قولهم- . فقد اعتمد الخميني في قوله بنظرية " ولاية الفقيه " على التوقيع المنسوب إلى الإ

إمام المهدي – المذكور سابقـًا - كما اعتمد على بعض الروايات المنسوبة للإمام الصادق مثل : (اتقوا الحكومة ؛ فإنّ الحكومة إنما هي للإمام , العالم بالقضاء , العادل في المسلمين كنبي , أو و َص ِي ّ نبي)[568].

قال الخميني : (قد حصر الإمام القضاء بمن كان نبيـًا , أو وَصِيّ نبي , وبما أنّ الفقيه ليس نبيـًا , فهو إذن وَصِيٌ نبيّ , وفي عصر الغيبة يكون هو إمام المسلمين وقائدهم...)[569].

واعتبر الفقهاء أكثر من نائب للإمام الغائب , بجعلهم أوصياء للرسول من بعد الأئمة ، في حال غيابهم ، وقد كلفوا بجميع ما كلف به الأئمة بالقيام به . فقال : (إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه , عالم ,عادل فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان عليه النبي – صلى اللّه عليه وآله - منهم, ووجب على الناس أن يسمعوا له , ويطيعوا. ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة , والرعاية , والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول – صلى اللّه عليه وآله -, وأمير المؤمنين على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة ؛ لأنّ فضائلهم لم تكن تخولهم إن خالفوا تعاليم الشرع , أو يتحكموا في الناس بعيدًا عن أمر اللّه , وقد فوّض اللّه الحكومة الإسلامية الفعـلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه على النبي – صلى اللّه عليه وآله -, وأمير المؤمنين من أمر الحكم , والقضاء , والفصل في المنازعات , وتعيين الولاة , والعمال , وجباية الخراج , وتعمير البلاد , غاية الأمر أنّ تعيين شخص الحاكم الآن مرهون بمن جمع في نفسه الـعلم , والعدل ...) [570].

وقال في موضع آخر : (حجة الله تعني أنّ الإمام مرجع للناس في جميع الأمور, والله قد عينه , وأناط به كل تصرف وتدبير , من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم , وكذلك الفقهاء , فهم مراجع الأمة وقادتها . فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين , فتكون أفعاله, وأقواله حجة على المسلمين , يجب إنفاذها , ولا يسمح بالتخلف عنها في إقامة الحدود...

فالفقهاء اليوم هم الحجّة على الناس , كما كان الرسول – صلى الله عليه وآله - حجة الله عليهم , وكل ما كان يناط بالنبي – صلى الله عليه وآله - فقد أناطه الأئمة بالفقهاء من بعدهم , فهم المرجع في جميع الأمور , والمشكلات , والمعضلات , وإليهم قد فوضت الحكومة , وولاية الناس, وسياستهم , والجباية , والإنفاق , وكل من يتخلف عن طاعتهم , فإنّ الله يؤاخذه , ويحاسبه على ذلك ...)[571].

ويقول محمد رضا مظفر : (وعقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنّه نائب للإمام في حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق، وله ما للإمام في الفصل في القضايا, والحكومة بين الناس ، والرادّ عليه رادّ على الإمام ، والرادّ على الإمام رادّ على الله - تعالى -،وهو على حدّ الشرك بالله ...

فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعًا في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة , فيُرجع إليه في الحكم , والفصل , و القضاء ، وذلك من مختصّاته , لا يجوز لأحد أن يتولاّها دونه، إلاّ بإذنه ، كما لا تجوز إقامة الحدود , والتعزيرات إلاّ بأمره وحكمه, ويُرجع إليه أيضاً في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصّاته , وهذه المنزلة , أو الرئاسة العامّة أعطاها الإمام للمجتهد الجامع للشرائط ؛

ليكون نائباً عنه في حال الغيبة ، ولذلك يسمّى " نائب الإمام "...) [572].

وقال علي حسين مكي : (علينا أن ننطلق في وظائفنا الدينية من خلال علمائنا الأعلام الذين استخلفهم الأئمة الأ طهار , والذين يشكلون الامتداد الطبيعي لمنهج أهل البيت وعلومهم , وآثارهم ؛ لأنهم نوابه , ووكلاؤه , ومأذون لهم من قبلهم في إدارة شؤون المسلمين...

ولكن ليس كل عالم , بل العالم الذي يكون صورة ونسخة عن الإمام في أحواله , وأخلاقه , وروحانيته , وقدسيته , وباختصار : يكون في أعلى درجات العدالة والوثوق , بل يكون قريبـًا من العصمة , العلماء الأمناء على الدين و الدنيا...

إلى أن قال : إنّ مراجعنا الأعلام الذين عُرفوا بالورع , و التقوى , ومخالفة أهل الأهواء , والذين أتعبوا أنفسهم , وأجسادهم في طاعة الله , وخـدمة دين الله ... هؤلاء هم نواب الإمام , ووكلاؤه في حال غيبته , الذين يلـجأ إلـيهم النـاس في طلب الحـق والهدى , وعليـهم يعـتمد الناس في كافة شؤون دينهم ودنياهم ...)[573].

وقد عدّ علي الخامنئي [574] ولاية الفقيه من أصـول المذهب , إلا ّ أنّ الأحكـام الراجعة إليها تستنبط من الأدلة الشرعية , كغيرها من الأحكام الفقهية [575] , ووافقـه في ذلك لـطف الله الصـافي الكلبايكاني في رسالته " الخمس وو لاية الفقيه " [576].

ويعدها الإمامي كاظم الحائري امتدادًا لفكرة الإمامة [577] !

فإن هم أعطوا للفقيه الصلاحيات المطلقة والواسعة التي كانت لرسول الله , وأوجبوا على الناس طاعته ، وهو غير معصوم ، فما الفرق بينه وبين الرسول ؟ ولماذا أوجبوا العصمة والنص في الإمامة , وخالفوا بقية المسلمين , واعترضوا على اختيار الصحابة لأبي بكر , مع أنّه أفقه الفقـهاء في ذلك الحين ؟

فالخميني لا يعتبر شرعية الفقيه في الحكم مستمدة من الأمة ، وإنما هو معين من قبل الإمام المهدي أو الأئمة السابقين ، ولذلك فإنه ليس بحاجة إلى أخذ رضا الأمة في أية مسألة، وله الحق أن يعمل بما يتوصل إليه في اجتهاده ، وعلى الأمة أن تطيعه بلا مناقشة أو تردد ، بالإضافة إلى صلا حيات مطلقة أخرى ، فبما أن ّ الفقيه أصبح " منصوبـًا " , و " معينـًا " , و " نائبـًا " من قبل الإمام الثاني عشر , كما كان الإمام المعصوم منصوبـًا , ومعينـًا من قبل الله – على حد قولهم – فإنه أصبح في وضع مقدس , لا يحق للأمة أن تعارضه , أو تنتقده , أو تعصي أوامره , أو تخلع طاعته ، أو تنقض حكمه ؛ لذا يجيز الخميني لأي فقيه أن يستولي على السلطة بالقوة أو الانقلاب العسكري , ويصادر الحريات و الحقوق العامة , ويلغي الأحزاب , ويعطل مجلس الشورى ، أو يصدر قوانين جديدة تتعارض مع الشرع ، – كما فعل هو عندما قام بالثورة في إيران , و أصدر قانون المحاكم الخاصة لرجال الدين المعمول بها حتى الآن ، والمنافية للمساواة الإسلامية والقوانين الوضعية ، والتي تحكم بما

تشاء على من تشاء كيفما تشاء – [578].

فعقيدة " ولاية الفقيه " بصـورتها الأخيرة – في مساواتها الإمام بالفقيه - التي نادى بها الخميني بالرغم من تعرض شيوخ الشيعة لها بالنقد ؛ إلا أنها في الحقيقة تعارض الأخبار التي تمنع القيام بثورة أيام الغيبة.
فعن أبي بصير ، عن أبي عبد الله أنه قال : (كل راية ترفع قبل قيام القائم , فصـاحبها طاغوت يعبد من دون الله) [579].

وقد ادعى المفيد أنّ المهدي أرسل له ثلاث رسائل خطية [580] ، إلا أنه لم يتحدث عن نظرية " النيابة العامة " في سائر أبواب الفقه كالخمس , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , والجهاد , وصلاة الجمعة , والثورة , وإقامة الـدولة ، واكتفى في الزكاة بإيجاب حملها إلى الفقهاء ؛ لأنهم أعرف بمواضـعها [581]. وخلت الرسائل الثلاث من أيـة إشارة إلى تفويضه بأي منصب قيادي ، ولم تتحدث عن " النيابة العامة " للفقهاء .

وذكر الطوسي التوقيع الذي أخرجه علي السمري للناس , والذي يفيد بأنّ الإمام المهدي أخبره بقرب رحيله , وأمره بعدم الوصية إلى أحد , ووقوع الغيبة التامة , وعندما سـأله الناس عن الوصي بعـده قال : (لله أمر هو بالـغه وقضى) [582].

فلو كان لنظرية " النيابة العامة " أي مشروعية ؛ لتحـ ـدّث عنها المهدي - على فرض وجوده – , أو النائب الرابع بدلاً من أن يترك الشيعة قروناً طـويلة في ظلمات الحيرة .

وكذلك لم يتحدث المرتضى[583], و سلار[584][585] عن التفويض , أو النيابة في مجال الخمس , والزكاة , وسائر أبواب الحياة السياسية , والاقتصادية .

وقد رفضها مرتضى الأنصاري-على الرغم بقوله بتقليد العامي للمجتهد - وناقش أدلة القائلين بالولاية العامة ، حيث استعرض الروايات التي يتشبثون بها ، وأنكر دلالتها على الموضوع ، وحدد دلالتها في موضوع الفتيا , والقضاء فقط ، وشكك في صحتها , وقال : (لكنّ الإنصـاف يقتضي الجزم بأنها في مقام بيان وظيفتهم من حيث الأحكام الشرعية ، لا كونهم كـالنبي , والأئمة - صلوات الله عليهم - في كونهم أولى بالناس في أموالهم ، فلو طلب الفقيه الزكاة والخمس من المكلف فلا دليل على وجوب الدفع إليه شرعاً... وبالجـملة فإقامة الدليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام - إلا ما خرج بالدليل- دونه خـرط القتاد[586] !...)[587].

ويقول محمد مهدي بحر العلوم [588]: (وأما التوقيع وما يليه من الأخبار فلا ينهض لإثبات الولاية الاستقلالية للفقيه على وجه يكون مستقلاً بالتصرف كالإمام إلا فيما

خرج بالدليل .
وبالجملة ! لا شك في قصور الأدلة على إثبات أولوية الفقيه بالـناس من أنفسهم ، كما هي ثابتة لجميع الأئمة - عليهم السلام - ...)[589].

وقال محمد حسين النائيني[590] : (لا إشكال في ثبوت منصب القضاء , والإفتاء للفقيه في عصر الغيبة ، وهكذا ما يكون من توابع القضاء : كأخذ المدعى به من المحكوم عليه، وحبس الغريم المماطل ، والتصرف في بعض الأ مور الحسبية : كحفظ مال الغائب والصغير ونحو ذلك . وإنما الإشكال في ثبوت الولاية العامة ... واستدلوا لثبوتها له بالأخبار الواردة في شأن العلماء ، وبالتوقيع الشريف المروي في إكمال الدين ... ولكنك خبير بعدم دلالتها على المدعى ....
وأما التوقيع الشريف فغاية تقريبه للمدعى ما أفاده في المتن من الوجـوه التي منها : ظهور الحوادث في مطلق الوقائع التي لا بد من الرجوع فيها إلى الإمام مع حضوره ، من غير فرق بين الأحكام والسياسات : من إجراء الحدود , وأخذ الزكوات , ونحو ذلك .
ومنها : إرجاع نفس الحوادث إلى رواة الأحاديث الذين هم الفقهاء ، فتكون ظاهرة في الأمور العامة ، لا أحكامها حتى تكون ظاهرة في الإفتاء والقضاء ...)[591].
أمّا الخوئي فلم يبحث البديل عن سقوط نظرية ولاية الفقيه ، وسكت عن موضوع الولاية والحكم بصورة عامة ، ويبدو من كلامه أته لا يعتبر الولاية من الأمور الحسبية الضرورية التي لا بد من وقوعها في الخارج ، وإلا لأعطاها للفـقيه , وفرق بين ضرورة تحقيق بعض الأمور الحسبية

في الخارج ، وبين الولاية المطلقة للفقيه في عصر الغيبة ك الولاية الثابتة للنبي والأئمة .

فقال : (كانت حتمية التحقق في الخارج , وهي المعبر عنها بالأمور الحسبية ؛ لأنها بمعنى الأمور القريبة التي لا مناص من تحققها خارجاً ، كما أن ّ الفقيه هو القدر المتيقن ... إلا أنه لا يستكشف بذلك أنّ الفقيه له الولاية المطلقة في عصر الغيبة ، كالولاية الثابتة للنبي – صلى الله عليه وآله - والأئمة – عليهم السلام- ...)[592] .

ولم يجد في الأخبار التي تمسك بها القائلون بولاية الفقيه من القوة سنداً ودلالة ً للقول بها , فقال : (إن ّ ما استدل به على الولاية المطلقة في عصر الغيبة غير قابل للاعتماد عليه , ومن هنا قلنا بعدم ثبوت الولاية له , إلا في موردين وهما الفتوى والقضاء... إلى أن قال : وأما ولا يته في سائر الموارد فلم تدلنا عليها رواية تامة الدلالة و السند)[593].

وقد تصدى لهذه النظرية من الأوساط السنية محمد مال الله [594] في كتابه القيّم " نقد نظرية ولاية الفقيه "واستعرض مواقف بعض علماء الاثني عشرية المعارضة لها , أمثال :حسن طبطبائي القمي[595][596],وموسى الموسوي[597][598] , ومحمد جواد مغنية [599][600] , وناقش في كتابه الأدلة التي قامت عليها , والأسس التي بنيت عليها بتضعيفها من كتب ا لاثني عشرية أنفسهم .

يقول محمد جواد مغنية منتقدًا ولاية الفقيه: (إن ّ التفاوت في المنزلة يستدعي التفاوت في الآثار لا محالة , ومن هنا كان للمعصوم الولاية على الكبير والصغير حتى على المجتهد العادل ، ولا ولاية للمجتهد على البالغ الراشد، وما ذاك إلا لأن ّ نسبة المجتهد إلى المعصوم تماماً كنسبة القاصر إلى المجتهد العادل)[601].

لذلك يصل جواد مغنية , ومن أخذ برأيه إلى نتيجة مفادها أته: (لا دليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام المعصوم، رغم ورود أخبار تبين أنّ العلماء كالأئمة , فالإ نصاف يقتضي الجزم بأنّ مقام العلماء لنشر الأحكام الشرعية ، لا كون العلماء كالأنبياء والأئمة المعصومين) [602].

يقول أحمد الكاتب [603]: (لو قلنا بإمكانية إقامة الدولة الإ سلامية تحت قيادة الفقيه العادل , أو المؤمن العادل , فإنه لا تبقى بعد ذلك أية حاجة إلى افتراض وجود إمام معصوم غائب لا يتفاعل مع الأمة .

وإذا لم نقل بفرضية وجود الإمام الغائب , فإننا لسنا بحاجة إلى افتراض النيابة الخاصة أو العامة , ومن ثم فإننا لا نعطي الفقيه من الصلاحيات والسلطات أكثر من دوره الطبيعي الاستشاري , ولا نجعل منه شخصية مقدسة في الفتوى , والحكم كشخصية الرسول الأعظم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم - , أو الأئمة المعصومين .

وإذا تحررنا من نظرية النيابة العامة بعد وضوح ضعفها ,وعدم صحتها لعدم وجود المناب عنه (الإمام المهدي),وعدم ثبوت ولادته , فإننا يمكن أن نقيم أساس الدولة على قاعدة الشورى , وولاية الأمة على نفسها , بمعنى

أن يكون الإمام منتخبًا من الأمة,ونابعًا من إرادتها, ونائبًا عنها , مقيدًا بالحدود التي ترسمها له , وملتزمًا بالصلاحيات التي تعطيها له , وذلك لأنّ الأدلة العقلية تعطي للأمة حق اختيار الحاكم ؛ليحكم بالنيابة عنها , كما تعطيها الحق في أن تهيمن على الإمام , وتشرف عليه , وتراقبه , وتحاسبه , وأن تعطيه من الصلاحيات بقدر ما تشاء , وحسبما تشاء ؛ وذلك لأنّ منبع السلطة في غياب النص الشرعي , وعدم وجود الإ مام المعين من قبل اللّه - تعالى - هي الأمة الاسلامية , حيث لا تعطى الأدلة العقلية الحاكم العادي (غير المعصوم) القابل للخطأ والصواب, والانحراف والهدى من الصلا حيات المطلقة , مثلما تعطي للرسول المرتبط باللّه عبر الوحي , ولا تساويه أبدًا مع الإمام المعصوم) [604].

إذن فقد كانت نظرية الانتظار , وتحريم النشاط السياسي في عصر الغيبة هي النظرية السائدة قرونـًا طويلة من الزمن ، ولكن الاضطراب الحاصل بين الاثني عشرية بفقده اضطرهم إلى القول بالنيابة العامة , وولاية الفقيه ، أدى ذلك إلى تناقض واضح مع فلسفة الإمامة التي تقول بوجوب الإمام في الأرض , ووجوب تعيين اللّه له في كل زمان ومكان ، تحقيقًا للطفه , ورفقه بعباده !
كما اتضح لنا سابقًا مدى إشكالية الغيبة مع ضرورة وجود الإمام الذي يفترض أن يتصدى لقيادة المسلمين ، ولا يجوز له أن يغيب عن الساحة .

فإذا قلنا مثلا ً أنّ الدولة يجب أن تعين ضابطـًا للمرور في شارع ما ، وغاب عن الأنظار فسيصبح المرور مشتبكـًا ، إذن فغيابه يشكل تناقضـًا مع قولنا (يجب أن تعين الدولة ضابطـًا) , ولا يفيد وجوده خلف ستار الغيب ؛ لأنّ المرور أ

صبح مشتبكـًا , ومعقد ًا , وفوضويـًا بغيابه .
فالدولة إما أنها أخلت بهذا الأمر فلم تقم ضابطـًا , وإما أنها أقامت ولكن الضابط لم يمتثل واختفى وترك الناس دون ضبط !
وهذا أمر عقلي بديهي , وواضح ، لا يمكن التغاضي عنه ، أو تجاهله , أو تبريره , ولكن لما لم يكن لديهم جواب تجاهلوا هذا الإشكال , أو حاولوا حله بما لا يقنع بافتراضات أوهن من بيت العنكبوت .

وعلى الرغم من كل الاعتراضات والانتقادات التي وجهت إلى " قاعدة اللطف الإلهي " إلا أنّ الإمامية الاثني عشرية بنوا عليها أدلتهم العقلية على الإمامة , والتي تعد ركنـًا من أركان دينهم , وهذه الأدلة هي : دليل الحكمة , ودليل ضرورة الارتباط بالغيب , ودليل الفطرة , ودليل الغاية , ودليل العناية , ودليل الأفضلية , وفيما يلي عرض أهم أدلتهم العقلية على الإمامة ومناقشتها .

الفصل الأول

" دليل الحكمة "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل الحكمة ومقدماته وتقريره من خلال أقوال علماء الاثني عشرية .

المبحث الثاني : نقد دليل الحكمة ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل الحكمة ومقدماته
وتقريره من خلال أقوال علماء الاثني عشرية

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : صورة دليل الحكمة ومقدماته.
المطلب الثـاني : تقرير دليل الحكمة من خلال الأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول
صورة دليل الحكمة ومقدماته

تقرر الإمامية الاثني عشرية أنّ وجود الإمام المعصوم يمثل الأصلح في حركة تكامل الإنسان ، وهدايته إلى الصواب .

ويقولون إنّ اللّه – تبارك وتعالى - لا يعمل في عباده إلا ّ بمقتضى حكمته ، ومقتضى الحكمة أن تكون الإرادة الإلهية متعلقة بما هو الأصلح في حـركة الإنسان .

وتنتهي هذه المقدمات عند المتأخرين من الاثني عشرية - الذين تأثروا بالصوفية [605] ومنهجهم العرفاني [606]- إلى أنّ وجود الإمام المعصوم الذي أطلقوا عليه الإنسان الكامل [607] بعد النبيّ هو الأصلح في النظام الاجتماعي , والنظام الإنساني , والنظام الكوني [608] .

وبالتالي فإنّ دليل الحكمة مرّ بطورين :

الأول :
ومفاده أنّ فعل النظام الأحسن وعدم خلو الأرض من إمام مقتضى حكمة اللّه , وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ فعل النظام الأحسن يتطلب وجود الإمام .
وبما أنّ وجود الإمام هو مقتضى حكمة اللّه .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ

فعل النظام الأحسن هو مقتضى حكمة اللّٰه .

الثاني :
ومفاده أنّ وجود الإنسان الكامل هو مقتضى حكمة اللّٰه ,
وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ وجود الإنسان الكامل متمثل في وجود الإمام .

وبما أنّ وجود الإمام هو مقتضى حكمة اللّٰه .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ وجود الإنسان الكامل هو مقتضى حكمة اللّٰه .

المطلب الثاني

تقرير دليل الحكمة من خلال الأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

سبق أن أشرت في المطلب السابق أنّ دليل الحكمة عند الاثني عشرية مرّ بطورين اثنين :

الأول : وهو أنّ فعل النظام الأحسن , وعدم خلو الأرض من إمام مقتضى حكمة اللّه .

الثاني : وهو أنّ وجود الإنسان الكامل هو مقتضى حكمة اللّه .

وتفصيلهما الآتي :

الطور الأول

فعل النظام الأحسن وعدم خلو الأرض من إمام مقتضى حكمة اللّه .

يقرر علماء الاثني عشرية أنه لا يجوز في حكمة اللّه خلو الأرض من الإمام الذي تصلح به أحوال البشر , فيقول الصدوق : (لا نجد فرقة من الفرق, ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس ؛ لما لا بد لهم منه في أمر الدين و الدنيا , فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لابد لهم منه, ولابد لهم إلا به , فيقاتلون به عدوهم , ويقسمون به فيئهم , ويقيمون به جماعتهم , ويمنع ظالمهم من مظلومهم)[609] .

وعندما سئل المفيد ما الدليل على أنّ الإمامة واجبة في الحكمة ؟ قال : (الدليل على ذلك أنها لطف , واللطف

واجب في الحكمة) [610].

وتبعه في ذلك محقق الشيعة الحلي إذ يقول : (الإمامة لطف , وإنّ فعل اللطف واجب في الحكمة , بما أغنى عن إعادته) [611].

ولا ينفرد ابن جبر [612]عنهم فيما ذهبوا إليه إذ يقول : (تجب الإمامة على اللّه – تعالى- ؛ لأنّه لطف مقرب , بدليل أنّ اللطف مفضٍ إلى غرض المكلف , وليس فيه وجه من وجوه القبح .. ولا يؤدي إلى مالا نهاية له , وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة) [613].

ويقول علي يونس العاملي : (الإمامة لطفٌ عقلي في التكليف , واجبٌ في الحكمة على الخبير اللطيف) [614].

ويؤكد علي البحراني [615]بأنّ نصب الإمام واجب في الحكمة بمقتضى لطف اللّه - تعالى - بعباده , ورحمته بهم , في-قول : (لا شك أنّ اللّه - تعالى - أنظر لخلقه منهم لأنفسهم , وأرأف بهم , وأرحم بهم أن يتركهم هملاً , ويهملهم سدى كالغنم , لا راعي لها بل مقتضى الرحمة و الرأفة بهم , يوجب في حكمة اللّه أن ينصب لهم من يقيم أودهم , ويجمع كلمتهم, ويهتدون إلى سبيل النجاة بضياء علمه , وينزجرون عن القبيح بنافذ الحكمة , ويقتدون في أمر دينهم ودنياهم بقوله وفعله , وذلك هو الإمام , فنصب الإمام واجب في الحكمة بمقتضى نظر اللّه لخلقه ,

ورأفته بهم , وهو المطلوب , وهذا الوجه لبعض متكلمينا من أصحاب أبي عبد الله الصادق) [616].

وإهمال الخلافة غير ممكن على الله , ولا على رسوله فوجب النصب والتعيين في أمرها , كما يقول محمد باقر الصدر : (لا يمكن من الله الحكيـم في تدبيره , ولا من الرسول الرؤوف بأمته أنْ يكون أهمل الخلافة بعده ...) [617].

أما كمال الحيدري [618] فيزعم أنّ من مقتضى حكمة الله - تعالى - أنه جعل الإمامة هداية تكوينية خاصة , لا تتخلف أبدًا , فيقول : (شاءت حـكمة الله [619] أنْ يرعى الإنسان بهدايات ثلاث هي : هداية الفكرة , وهداية النبوة , وهداية ا لإمامة .

هداية الفطرة هي بمنزلة وقود وطاقة واستعداد , تؤشر على المصداق الكمالي في رأي بعض , ولا تؤشر عليه في رأي بعض آخر , وهي في كلا الحالين هداية عامة , تشمل ا لإنسان وبقية الموجودات .

إن الهداية التشريعية هي التي ترتبط بالأنبياء و المرسلين , ومع أنها هداية عامة للبشر إلا أنّ دورها يقتصر على إراءة الطريق وحسب .

هداية الإمامة هي هداية خاصة أخص من الهدايتين السابقتين , وهي إلى ذلك تعني الإيصال إلى المراد , ومن ثمّ فهي هداية تكوينية لا تتخلف أبدًا) [620].

ويقرر بأنّ وجود الإمام هو وجود للنظام الأحسن الذي

وجد هذا العالم على أساسه , إذ يقول : (شاءت حكمة اللّه البالغة[621] أن يصمم هذا الوجود ضمن النظام الأحسن الذي أوجد هذا العالم الإمكان على أساسه[622]! وبتعبير الباحثين من علمائنا أن هذا العالم وجد على أبدع صورة ممكنة , وليس في الإمكان أبدع مما هو كائن , وقد خلق الإنسان في هذا العالم حرًا مختارًا , يملك إرادة الفعل الإنساني , ثمّ رعته السماء[623] بهدايات ثلاث تحتضنه من دون أن تلفه في شباك الجبر , وإلغاء الإرادة والاختيـار حتى فيما يتعلق باله ـداية الثالثة التي لا تتخـلف)[624].

ويقرر أنّ الهداية التكوينية من الممكن أن تكون موجودة من غير واسطة كما أنّ الباري - تبارك وتعالى - بإمكانه رفع العطش من غير شرب الماء , ولكن من مقتضى حكمة اللّه جعل الأسباب والمسببات ! فكما جعل الماء سببًا لرفع العطش , جعل الإمام سببًا لتحقيق الهداية التكوينية , فيقول : (عندما نطل على نظام الوجود نراه يأخذ الفيض[625] من اللّه – سبحانه - من خلال صيغة معينة ووسائط محددة ... فبإمكان اللّه – سبحانه - أنْ يرفع العطش من دون واسطة, ومن غير التوسل بوسيلة , بيد أنّ حكمته أبت إلا أنْ يجري الأمور بأسبابها , فاللّه جعـل الماء هو السبيل لرفع العطش ... إن اللّه - سبحانه - يعطي النظام الوجودي الفيض آنا بعد آن ؛ لأنه يحتاج إلى الفيض الإلهي في كل آن , و السؤال : هل يعطي اللّه الفيض من خلال مسيرة معينة أم جعله مباشرة ؟ عندما نرجع إلى الأدلة العقلية وصريح الآيات القرآنية , نجدها تثبت بصيغة قاطعة

حقيقية : ... ... ,
[البقرة / 30] , أي أنا أقوم بأعمالي من خلال خليفة .
وأرجو أن ننتبه جيدًا إلى أنّ الآية لا تعني أنّ الإنسان مستخلف في الأرض وحسب , بل هو خليفة اللّه في كل نظام الوجود , ولكن غاية ما هناك أنّ موقعه الأرض ...
فهذه الآيات , وثم آيات أخرى تريد أن تثبت حقيقة ما اقتضته الحكمة الإلهية من وجود الوسائل والأسباب , فكـما أنّ العطش لا يرتفع إلا من خلال شرب الماء , فكذلك لا يدار نظام الوجود إلا من خلال خليفة , و ليس هذا الخليفة موجودا غير أرضي , بل هو موجود أرضي) [626].

فالنظام الأحسن في معتقد كمال الحيدري هو ما كان بأسباب ووسائط , بحيث يكون وجود الأشياء من خلالها متحققـًا في الخارج , فيقول : (من يتأمل النظام الوجودي للكون , والإنسان , والحياة يسهل عليه أن يلحظ أنّ اللّه - سبحانه - عندما يريد أن يحقق الأشياء خارجًا يضع أسبابـًا ووسائط لتحقيقها , بحيث يمر نظام وجود الأشياء من خلال الوسائط والأسباب لكي يتحقق في الخارج ... إنّ اللّه - سبحانه - هو الذي يوجد الأشياء جميعًا , بيد أنّ حكمته اقتضت أن يوجد بعضها بلا واسطة وبعضها بالواسطة... إنّ القرآن والرواية والواقع الخارجي تلتقي في أنّ الإرادة الإلهية التي تعلقت بإيجاد الأشياء تعلقت تارة بإيجادها مباشرة من غير واسطة , وأخرى بإيجادها من خـلال واسطة .

لتفسير هذه الظاهرة يمكن العودة إلى القرآن الذي ينص : ... ,
[السجدة / 7] , فهذا الموجود أمامنا هو أحسن نظام , لذلك يقول الفلاسفة : ليس في الإمكان أبدع مما كان .وهذه المقولة لا تريد أن تنفي إمكان وجود غير هذا النظام فغيره ممكن , ولكن الذي نراه هو الأفضل .

في النظام الأفضل توجد بعض الأشياء بالإرادة المباشرة , وبعضها من خلال الوسيلة والواسطة , فاللّه هو الخالق لكل شيء , بيد أنّ هذا لا يتنافى وقوله : ...
, [المؤمنون /
14] ؛ لأنّ الخالق أولا ً وبالذات هو اللّه - سبحانه - والإيجاد لغيره ممكن , ولكن بإمداد منه) [627].

فمقتضى حكمة اللّه - تعالى - وعلمه بالنظام الأحسن و لطفه بعباده – عند الاثني عشرية - لا تتم إلا بتنصيب الإمام , و إخلاله يستلزم الجهل بـاللّه , وإثبات القبح في

أفعاله – تعالى اللّه عما يقولون علوًا كبيرًا - .

يقول الخرازي[628] : (إنّ الإمامة بالمعنى الذي عند الشيعة هي كالنبوة , فكما أنّ النبوة لطف ورحمة , كذلك الإ مامة , فإذا ظهر كونها لطفًا , والمفروض أنّه لا يقترن بمانع يمنع عنه , فهو مقتضى علمه - تعالى - بالنظام الأحسن وإط لاق كماله , وحكمته – تعالى- , وعليه فيصدر عنه - تعالى - , وإلا لزم أن يكون جاهلا بالنظام الأحسن , أو لزم عدم كونه - تعالى - كمالا ً مطلقًا , وحكيمًا , وهو خلف في كـ ونه عليمًا , ورحيمًا , وحكيمًا بالأدلة , والبراهين القطعية . وإليه يؤول ما يقال في تقريب لزوم الإمامة أنّها واجب في حكمته - تعالى - ؛ لأنّ المراد من الوجـوب هو اللزوم , و المقتضى كما مرّ مرارًا , لا الوجوب عليه , فالأولى هو التعبير بالاقتضاء واللزوم ...
فإنّ ترك اللطـف نقض الغرض ؛ لأنّ غـرض الحكيم لا يتعلق إلا بالراجح , وهو وجود الإنسان الكامل , وإعداد الناس وتقريبهم نحو الكـمال , وهو لا يحصل بدون ا لإمام فيجب عليه اللطف ؛ لأنّ ترك الراجح عن الحكيم المتعال قبيح , بل محال ...

وكيف كان , فلا بد في كل عصر من وجود إمام , هو يكون إنسانًا كاملا ً هاديًا للناس والخواص , مقيمًا للعدل و القسط , رافعًا للظلم والعـدوان حافظًا للكتاب والسُنة, رافعًا ل لاختلاف والشبهة , أسوةً يتخلق بالأخلاق الحسنة , حجةً على الجن والإنس , وإلا كما عرفت لزم الخلف في كمال ذاته وهو محـال , أو الإخلال بغرضـه , وهو قبيح عن الحكيم , بل هـو أيضًا محال ...) [629].

ويقرر بأنه سواء كان الإمام ظاهرًا أم غائبًا فوجوده لطف ؛ لأنه وجود للإنسان الكامل في النظام الأحسن , فيقول : (إنّ جميع أبعاد وجود الإمام لطف , فوجوده في نفسه مع قطع النظر عن سائر أبعاده لطف ؛ لأنه وجود إنسان كامـل في النظام الأحسن , وهو مما يقتضيه علمه تعالى به , ورحمته المطلقة , وكماله المطلق , هذا مضافاً إلى أنّ مقتضى تمامية الفاعل , وقابلية القابل كما هو المفروض في وجود أئمتنا – عليهم السلام – هو لزوم وجودهم وإلا لزم الخلف إما في تمامية الفاعل , أو قابلية القابل , والأول : محال لعدم العجز والنقصان والبخل فيه – تعالى- , والثاني : خلاف المفروض فإن قابلية الأئمة – عليهم السلام – لكمال الإنسانية واضحة , وبديهية عند الشيعة الاثني عـشرية , وفي لسان الأخبار فتدوم الخلافة الإلهية بوجودهم) [630].

ويقول علامة الشيعة وحيد الخراساني : (من تأمل فيما ذكر , وما لم يذكر مما ورد عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – في وصفهم [أي الأئـمة]
يرى أته لا يخلو من الملزوم , أو اللازم , أو الملازم للعصمة المطلقة , وكمال الإنسانية , الذي لا يتحقق إلا في الإنسان الكامل على الإطلاق) [631].

وتبعهم في ذلك أبو الحسن الشعراني[632] [633].

الطور الثاني

من حكمة الله - تبارك وتعالى - وجود الإنسان الكامل الذي هو الإمام المعصوم

يذهب متأخرو الاثني عشرية أنّ من حكمة الله- تعالى- وجود الإنسان الكامل في كل زمان ، يحل إشكالية الغيبة ؛ لأ نّ غيبة الإمام الظاهرية لا ترفع ضرورة وجوده بوصفه إنسانًا كاملا ً, وصلت فيه جميع القوى والقابليات الإلهية إلى مقام الفعل المحض.

فتفسير الإنسان الكامل يعود لدى مختلف الاتجاهات، إلى المباني النظرية والمنظومة المعرفية لدى كل اتجاه، فمثلا ً يفسر الفلاسفة الإنسان الكامل بأنّه الذي وصل عقله إلى حد الكمال عبر الاستدلال , والمنطق [634], والبرهان ، وذلك لما يمثله العقل من قيمة لدى هذه المدرسة ، ولما يحتله من دور بوصفه عنصر ًا أساسيًا من عناصر المعرفة عندهم [635].

أما عند غلاة الصوفية فهو من وصل إلى الحقيقة ومقام الفناء[636] ؛ لأنّ الشهود[637] والمعرفة القلبية – كما يدعون - هما الوسيلة ، والقلب هو الأداة المعرفية الأساسية [638]، وبها يمتازون عن أصحاب الاتجاه العقلي [639].

ويعد محيي الدين بن عربي [640] مؤسس هذه النظرية التي أخذت حيزًا مهمًا عند غلاة الصوفية [641].

وتبنى فكرة الإنسان الكامل عدد ملحوظ من فلاسفة الا ثني عشرية فالمطلع على تفسير " الصافي " , وتفسير " الأ

أصفي " للفيض الكاشاني[642] يدرك هذا الأمر,كما يعتبر كتاب الأسفار الأربعة للإمامي الملا صدر الدين الشيرازي [643]، مؤلف كتاب " الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة "، هو شرح لمقامات الإنسان الكامل , ودرجاته إلى الحد الذي يمكن أنْ نضع فيه كتاب الأسفار الأربعة, عنوان الإنسان الكامل عند الاثني عشرية كما قال بذلك الطهراني [644] .

فالشيرازي يرى أنّ السعي للكمال أرفع الطاعات ، ومن بلغه فقد تأهل لنيل خلافة اللّه [645].

كما يذهب محمد حسين الطباطبائي أنّ هذه النظرة هي وصف دقيق للاتجاه العرفاني الفلسفي في وصف الإنسان الكامل، ذلك أنّ المدرسة العرفانية تتجه في تعريف الإنسان الكامل إلى أنّه هو الذي طوى الأسفار الأربعة ، وهي: السير من الذات إلى اللّه ، والسير مع اللّه في اللّه - أي معرفته - ، والسير مع اللّه إلى خلق اللّه ، والسير مع اللّه بين خلق اللّه لإنقاذ خلق اللّه ، ومتى انتهى إلى السفر الرابع ، فهذا يعني مقام الفناء في اللّه – تبارك وتعالى - ، وهو عبارة عن وصول الموجود إلى كمـاله الحقيقي [646].

أما ناصر مكارم الشيرازي فهو يذهب إلى أنّ التكامل الحقيقي هو أن يسير الإنسان بإرادته , وبمنتهى الاختيار و الحرية [647].

فقد أثبت الاثنا عشرية ضرورة وجود الإنسان الكامل انطلاقًا من ضرورة التجلي والمظهرية ، وحيث كانت الأسماء

الذاتية الغالب فيها الوحدة ، والأسماء الفعلية الغالب فيها الكثرة ؛ فلأجل الوحدة والكثرة الجامعة لجميع الأسماء ، يظهر الاسم الجامع ، وهو الاسم الأعظم في الإنسان الكامل .

فالإنسان الكامل عند الاثني عشرية هو ظهور للاسم الأ عظم في مظهر تام, يشتمل على جميع مراتب الوحدة و الكثرة من دون غلبة لإحداهما على الأخـرى[648].

ويقول علي خان المدني الشيرازي [649] : (إنه - تعالى - جعل كل ما هو أشرف وأعلى في الموجودات سببًا كماليًا , وعلة غائية لما هو أخس وأدنى , فخلق الأرض للنبات , و النبات للحيوان , والحيوان للإنسان كما قال تعالى مخاطبـًا الإنسان : ... , [البقرة / 29], وآخر درجة الإنسان الذي هو غاية هذه الأكوان هو الإ نسان الكامل الذي هو سلطان العالم الأرضي , وخليفة الله في الأرض وهو محمد – صلى الله عليه وآله– وبعده أهل بيته من الأئمة المعصومين – عليهم السلام – واحدًا بعد واحد, ولذلك ورد عنهم – عليهم السلام - : (لو بقيت الأرض بغير إمام لسـاخت) [650] ؛ لأتها إنما خلقت لأجله [651] , وطالما خلق لأجله شيء فمتى لم يكن لم يكن ذلك الشيء)[652] .

ويتمم الإمامي الخراساني [653] في تعليقه على تمهيد القواعد لإثبات ضرورة وجود الإنسان الكامل في كل عصر , بقوله تعالى : ... , تعليل لعدم

إمكان وجود المثل للإنسان الكامل , والشأن الجامع , وهذا يبين بوجهين :

الأول : مبني على الكاف في قوله تعالى : ... , غير زائدة , وأنّ المراد بالمثل فيه هو ا لإنسان الكامل , فيكون المعنى وهو الإنسان الكامل لا غير , ليس كمثله شيء .

الثاني : مبني على كون الكاف زائدة , ومحصله هو أنّ الإ نسان الكامل لما كان مظهرًا تامـًا لله الذي ليس كمثله شيء وجب أن يكون هو أيضـًا واحد دهره ليس كمثله شيء [654].

بل ويذهبون إلى أنّ الضرورة الإلهية تقتضي وجود الإ نسان الكامل [655] الذي له ولاية على الباطن [656]، وهذه الولاية هي التي يذهب إليها التفسير الثاني للإمامة، ولذا عندما يتحدثون عن هذا المقام " مقام الإنسان الكامل " يريدون به الآن إمامهم الثاني عشر فقط، ولذا يحمل هؤلاء عبارة موجودة لابن عربي في كتابه : «الفتوحات المكية» والتي يقول فيها : (و أما خـاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب ، من أكرمـها أصلا ً وبدء ًا ، وهـو في زماننا الـيوم موجود ، عرفت به في سنة خمس وتسعين وخمس مئة) [657] على أنّ مراده من هذا الشخص هو مهديهم الثاني عشر [658].

يقول حسن الخراساني في تعليقه على قول صائن الدين

ابن تركة [659] : (وكماله [أي الإمام] الذي لا يوازيه في ذلك أحد من الموجودات) : (إنّ المراد بالإنسان الذي لا يوازيه في الجامعية أحد , ولا يدانيه في كمالاته شيء , هو الإنسان الكامل الذي نعبر عنه بعنوان "خليفة اللّه ", وعنوان " إمام الكل في الكل " , لا كل من يسمى باسم الإنسان من الأ فراد والأشخاص حتى تطلب هذا المطلب الشامخ في نفسك , وأمثال نفسك , وحيث لم تجده تبادر بالرد , والإ نكار) [660].

ويقول وحيد الخراساني مؤكدًا أنّ الإمام الذي هو الحجة في اعتقادهم هو الإنسان الكامل , والذي لا تتم الرياسة الإلهية إلا به ؛ إذ به تتربى نفوس الناس , وتستكمل معارفهم : (إنّ الحجة من اللّه هو الإنسـان الكامل , وكمال الإنسان بالعلم , ونفوذ الإرادة . والرياسة الإلهية في الدنيا , لا تجتمع مع العجز والجهالة , فلا بد أن يكون خليفة اللّه في خلقه , وحجته على عباده لاستكمال العقول وتربية النفوس أعلم الناس , ومستمدا من العليم الذي لا نفاد لكلماته , وباستغراقه في طاعة اللّه واتباع إرادته لإرادة اللّه تكون إرادته نافذة , وقدرته قاهرة بإذن اللّه .

فدلالة الإمام هي العلم واستجابة الدعوة , وهذان الأ مران يثبتان مقام الإنسان الكامل في العقل والإرادة ...) [661].

بل ويتجاوز ذلك في كون الإمام واسطة الفيض في عالم التكوين , فيه كان الوجود , وبه ينزل الغيث , وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض , وبه ينفس الهم, ويكشف الضر , فيقول : (قد ثبت اعتقاد الشيعة بالإمام الـثاني عشر ,

وظهوره... بالأحاديث المتواترة عن المعصومين – عليهم السلام - , وهي إحدى الطرق المثبتة للإمامة , هذا مع قطع النظر عما ثبت بالبرهان من أنّ الإنسان الكامل , وهو خليفة اللّه في كل زمان واسطة الفيض في عالم التكوين , وأنّ اللّه - سبحانه - هو من منه الوجود , وخليفته , وحجته من به الوجود , وبه ينزل الغيث , وبه يمسك السماء أنْ تقع على الأرض إلا بإذنه , وبه ينفس الهم , ويكشف الضر ...)[662] .

خلاصة الأمر :

يذهب الاثنا عشرية إلى أنّ مقتضى حكمة اللّه - تعالى - أن تكون الإرادة الإلهية متعلقة بما هو الأصلح في النظام التكويني .

وفي معتقدهم أنّ وجود الإمام المعصوم هو الأصلح في النظام الاجتماعي والنظام الإنساني والنظام الكوني .

إذ أنّ المسار التكاملي – كما يزعمون - الذي يحاول الإنسان الوصول إليه مليء بالأخطار والعقبات , والتي لا يستطيع تجاوزها إلا بالإنسان الكامل الذي يتولى إرشاده , وتوجيهه , وهدايته , تحقيقًا لمبدأ لطف اللّه - تبارك وتعالى - , ورحمته بعباده , وحكمته وعلمه بالنظام الأحسن .



المبحث الثاني

نقد دليل الحكمة ومناقشته

وفيه مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل الحكمة بالدليل العقلي.

المطلب الثـاني : نقد دليل الحكمة من كتب الاثني عشرية.

المطلب الثالث : نقد دليل الحكمة من القرآن والسُنة .

المطلب الرابع : نقد دليل الحكمة من أقوال علماء أهل السُنة .

المطلب الأول

نقد دليل الحكمة بالدليل العقلي

يتمثل الرد على دليل الحكمة من الجانب العقلي بعدة أمور :

الأول : من المعلوم عند العقلاء أنّ القول بالأصلح يوجب نهاية القدرة, وتنفيذ ما في الخزائن , وفي هذا تعجيز لله - تعالى عن ذلك علواً كبيرًا - ؛ لأنه إذا فعل بهم غاية الصلاح فليس وراء الغاية شيء , فلو أراد أن يزيدهم على ذلك الصلاح صلاحاً آخرًا لم يقدر عليه , ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يعطيهم مما يصلح لهم .

كما أجمع العقلاء أن كل ما يفعله الله - تبارك وتعالى - بعباده من الإحسان , والصحة , والسلامة , والإيمان , والهداية , واللطف تفضل منه , ولو لم يفعل ذلك لكان جائزاً , وليس على الله واجب , ولو كان ما يفعل مما يفعل شيئاً واجباً عليه لم يكن مستحقاً للحمد والشكر [663].

الثاني : لا إيجاب على الله - تبارك وتعالى - أو تحريم بمجرد العقول , وهذا بناء على الأصل العظيم أنه كما هو واحد في ذاته وصفاته فهو واحد في أفعاله , فلا مثيل له فيها ولا تقاس بأفعال المخلوقين .

والايجاب والتحريم بمحض العقول باطل شرعا وعقلا , كما هو عليه اتفاق أهل السنة والجماعة فلا يجوز أن يوجب أحد على الله مالم يوجبه تعالى

على نفسه , ولا أن يحرم عليه مالا يحرمه تعالى على نف ـسه [664].

الثالث : أما ما قرره الاثنا عشرية أنّ من الأمور الواجبة على الله - تبارك وتعالى - فعل الأصلح للعبد في الدنيا من باب الحكمة !
فأقول : الأصلح للكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة أن لا يُخلق ! ومع أنّه مخلوق فلم يراع في حقه ما كـان أصلح له , إذن فلا يكون الأصلح واجبًا عليه - تعالى- [665].

الرابع : إذا كان مقتضى الحكمة الربانية القائمة على اللطف الإلهي يمنع ترك الناس من غير حجة على الأرض حتى لا يضلوا في دياجير المعاصي !
فأقول : أين كانت هذه الحكمة الربانية , وهذا اللطف الإلهي حين ضلت أجيال اليهود والنصارى بعدما حدث التحريف في كـتبهم المنزلة ؟!
ألا يستوي جميع خلق الله أمام قاعدة التكليف – من باب عدله تبارك وتعالى - أم أنّ حكمة الله خصّت شعبًا واحدًا فقط , وأمـة من دون باقي الأمم ؟!

الخامس : أما قولهم إن الإمام المعصوم - والذي هو في اعتقادهم الإنسان الكامل - يحمي الأمة من الوقوع بالخطأ !
فأقول : هذا القول أثبت التاريخ عدم صوابه ، فمن يقرأ التاريخ يرى أنّ الشيعة أكثر الطوائف تفرقة , و

تشرذماً , وخرقاً لأص-ول الإسلام ، دون أن تحميهم حجة عصمة أئمته-م , بل كانوا ولا زالوا فرق-اً كل واحدة تلعن أختها [666].

السادس : أما ما زعموه أنّ الإمام قائم مقام النبي , وأنّ الإمام معصوم إلزاماً !
فأقول : هذا القول لا يسانده دليل عقلي – باعتبار أنّ الرد هنا مختص بجانب العقل - ؛ لأنّ النبي يؤيده الوحي , وإنْ أخطأ لا يقره الوحي على خطئه بل يصوبه , أما غير النبي فإنّ وقوع الخطأ وارد في حقه دون تصويب إلا من بطانته الصالحة , إنْ كانت موجودة !
ومن يعتقد أنّ الإمام مؤيدٌ بالوحي فإنه يجعله نبياً , وهذا مخالف للنصوص المنسوبة لأئمتهم , ولأقوال علمائهم [667] .
السابع : أما في مسألة الإنسان الكامل , فالكمال الثابت ليس محدودا يعلمه الناس كلهم , وما من كمال إلا وفوقه كمال آخر , والكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه لله ؛ لأنه - سبحانه - واجب الوجود , فوجوده أكمل من الوجود الممكن من كل وجه ؛ ولأنه مبدع الممكنات وخالقها , فكل كمال لها فهو منه, وهو معطيه , والذي خلق الكمال وأبدعه وأعطاه , أحق بأن يكون له الكمال كما يقولون : كل كمال في المعلول فهو من العلة [668].

ومادام هذا الكمال البشري غير محدود , إذن فهو

نسبي ؛ لأنّ ما رأيته أنا كمالا قد يعده الآ
خرون نقصًا , وما رآه الآخرون كمالا فقد أعده أنا
نقصًا !

إذن فلا توجد قاعدة ثابتة لهذا الكمال حتى يبني الإ
مامية الاثنا عشرية عليه دليلا ً عقليًا على ركن من
أركان دينهم ! وبالتالي يسقط هذا الدليل من الناحية
العقلية .

المطلب الثاني

نقد دليل الحكمة من كتب الاثني عشرية

سبق أن أشرت إلى أنّ دليل الحكمة على وجوب الإمامة على الله - تبارك وتعالى – مرّ بمرحلتين :

الأولى : فعل النظام الأحسن , وعدم خلو الأرض من إمام مقتضى حكمة الله تعالى.

الثانية : وجود الإنسان الكامل - الذي هو الإمام – هو مقتضى حكمة الله تعالى .

فمسألة وجوب فعل الأصلح على الله - تبارك وتعالى - باطلة ؛ لأنّ الباري لا يجب عليه شيء , يفعل ما شاء , ويحكم بما يريد , وهذا ما قرره الاثنا عشرية في كتبهم , ففيما رووه عن رسول الله أته قال : (... إنما الأمر لله - تعالى - يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهو محمود , وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلم َ وكيف َ، ألا ترى أنّ الله كيف أفقر بعضًا وأغنى بعضًا , وأعز بعضًا وأذل بعضًا , وأصح بعضًا وأسقم بعضًا, وشرّف بعضًا ووضع بعضًا ، وكلهم ممن يأكل الطعام، ثم ليس للفقراء أن يقولوا : لم َ أفقرتنا وأغنيتهم . ولا للوضعاء أن يقولوا : لم َ وضعتنا وشرفتهم . ولا للزمنى والضعفاء أن يقولوا : لم َ أزمنتنا وأضعفتنا وصححتهم , ولا لأذلاء أن يقولوا: لم َ أذللتنا وأعززتهم . ولا لقباح الصور أن يقولوا : لم َ قبحتنا, وجملتهم .

(669)

بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادين , وله في أحكامه منازعين , وبه كافرين ، ولكان جوابه لهم : أنا الملك , الخافض الرافع , المغني المفقر , المعز المذل , المصحح

المسقم , وأنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي , والانقياد لحكمي ، فإن سلمتم كنتم عباداً مؤمنين, وإن أبيتم كنتم بي كافرين , وبعقوباتي من الهالكين) [670].

وينسبون إلى الصادق أنه قال : (من قال إذا صلى المغرب ثلاث مرات [هكذا] : الحمد لله الذي يفعل ما يشاء ، و لا يفعل ما يشاء غيره . أعطي خيراً كثيراً) [671].

وعنه أنه قال : (الحمد لله الذي علا فقهر ، والحمد لله الذي ملك فقدر، والحمد لله الذي بطن فخبر والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الأحياء , وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته ، والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته ، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكته ، و الحمد لله الذي يفعل ما يشاء , ولا يفعل ما يشاء غيره ، اللهم صل على محمد , وآل محمد , وادخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد ، وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد - صلى الله عليه وعليهم والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته وسلم كثيراً -) [672].

وعنه أيضاً أنه قال : (يا أجود من أعطى ، ويا خير من سئل ، ويا أرحم من استرحم ، يا واحد يا أحد يا صمد ، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، يا من يفعل ما يشاء, ويحكم ما يريد , ويقضي ما أحب ، يا من يحول بين المرء وقلبه ، يا من هو بالمنظر الأعلى ، يا من ليس كمثله شئ ، يا حكيم

يا سميع يا بصير ، صل ِّ على محمد وآله , وأوسع علي من رزقك الحلال ما أكف به وجهي , وأؤدي به عني أماناتي , وأ صل به رحمي , ويكون عونـًا لي على الحج والعمرة) [673].

وفي الخبر الوارد عن أبي الحسن موسى أنّه قال : (إن ّ اللّه لا يسأل كيف أحل ؟ وكيف حرم ؟) [674].

وبالنسبة لدعوى وجود الإنسان الكامل في كل زمان [675]– والذي هو الإمام حسب عقيدة الاثني عشرية - مقتضى لحكمة اللّه بالعقل باطلة ؛ وذلك لأنّ أفعـال و أقوال آل البيت الواردة في كتب الاثني عشرية تدل على اعترافهم بأخطائهم, ونقضهم لمبدأ الإنسان الكامل ، وهذا بِ لا شك موافق لعقيدة أهل السُنة و الجماعة , و مخالف لمذهب الاثني عشرية في عصمة الأئمة .

فإن كان الإمام علي الذي وصل إلى أعلى مرتبة من الكمال الإنساني , فلم نسب إليه هذا القول : (إلهي ليتني لم أخلق لشقاوة جسدي ، إلهي ليت أمي لم تلدني ، إلهي ليتني لم أسمع بذكر جهنم وسلاسلها ، وتثقيل أغلالها ، إلهي ليتني كنت طائرًا فأطير في الهواء من خوفك ، إلهي الويل لي , ثم الويل لي إنْ كان إلى جهنم محشري ، إلهي الويل لي , ثم الويل لي إنْ كان في النار مجلسي ، إلهي الويل لي , ثم الويل لي إنْ كان الزقوم فيها طعامي ، إلهي الويل لي , ثم الويل لي إنْ كان الحميم فيها شرابي ، إلهي الويل لي , ثم الويل لي إن كان الشيطان , والكفار فيها أقراني , إلهي الويل لي , ثم الويل لي إن أنا قدمت عليك وأنت ساخط علي ، فمن ذا الذ ي يرضيك عني ، ليس لي حسنة سبقت لي في طاعتك أرفع

بها إليك رأسي , أو ينطق بها لساني ، ليس لي إلا الرجاء منك ، فقد سبقت رحمتك غضبك ، عفوك عفوك عفوك) [676] .

وكذلك قوله المنسوب إليه في المناجاة الشعبانية [677] : (... إلهي لم أسلط على حسن ظني قنوط الإياس ، ولا انقطع رجائي من جميل كرمكَ ، إلهي إنْ كانت الخطايا قد أسقطتني لديك، فاصفح عني بحسن توكلي عليك ، إلهي إنْ حطتني الذنوب من مكارم لطفكَ ، فقد نبهني اليقين إلى كرم عطفكَ ، إلهي إنْ أنامتني الغفلة عن الاستعدادِ للقائكَ، فقد نبهتني المعرفة بكرمِ آلائكَ ...) [678] .

و نـُسب إليه أيضا أنه كان يقول في دعائه : (اللّهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فإن عُدْتُ فـَعُدْ عَليّ بالمغفرة , اللّهم اغفر لي ما وأيت[679] من نفسي , ولم تجد له وفاءً عندي , اللّهم اغفر لي ما تقرب به إليك لساني , ثم خالفه قلبي, اللّهم اغفر لي رمزات الألحاظ [680], وسقطات الألفاظ , وسهوات الجنان , وهفوات اللسان ...) [681].

وقوله : (إلهي .. كم من موبقة حملت عني فقابلتَها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرّمْتَ عن كشفها بكرمك ! إلهي .. إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براجٍ غير رضوانك ! إلهي .. أفكر في عفوك ، فتهون عَليّ خطيئتي ، ثم أذكر العظيـم مِنْ أخذِكَ فتعظم علي بليتي . ثم قال : آه ..إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول : خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته

، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء . ثم قال : آه .. من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه .. من نار نزاعة للشوى ، آه .. من غمرة من ملهبات لظى) . ثم قال لأبي الدرداء : (يا أبا الدرداء ، فكيف لو رأيتني ودُعِيَ بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني[682] ملائكة غلاظ , وزبانية فظاظ ! فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني ا لأحبـاء ، ورحمني أهل الدنيا ، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية)[683] .

فالإمام علي لم يدّعي لنفسه العصمة – كمـا تزعم الا ثنا عشرية – بل أكد أنه لا يأمن على نفسه الخطأ ؛ إذ طلب منهم المشورة بالحق , والعدل , وعدم مجاملته ؛ فقال : (ولا تخالطوني بالمصانعة , ولا تظنوا بي استثقالا ً في حق قيل لي , ولا التماس إعظام لنفسي , فإنه من استثقل الحق أن يقال له , أو العدل أن يعرض عليه , كان العمل بهما أثقل عليه , فلا تكفوا عن مقالة بحق, أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، ولا آمـن ذلك من فعلي ...)[684] .

إذن فدعوى العصمة المنسوبة للأئمة على وجه العموم , وللإمام الثاني عشر – على فرض صحة وجوده – على وجه الخصوص , مـخالفة لأقوال الإمام علي المنسوبة إليه في نهج البلاغة .

ثم إنّ عليا لم يكن يحتج عليهم بأنه معصوم , بل كثيرًا ما يردد : (اسمعوا مني ما أقول لكم , فإن يكن حقًا فاقبلوه , وإن يكن باطلا فأنكروه) , وفي روايـة :

(فإنْ قلت حقًا صدقتموني , وإنْ قلت باطلا ً ردوا علي ولا تهابوني , إنما أنا رجل كأحدكم) , وفي أخرى : (إنما أنا رجل منكم , فإنْ قلت حقـًا فصدقوني , وإنْ قلت غير ذلك فردوه عليّ) [685].

وكان يفتقر إلى آراء أصحابه , ويستشيرهم , فلـما كتـب إليه معاوية : إن كنت تريد الصلح فامح عنك اسم الخلافة . فاستشار بني هاشم, فقال له رجل منهم : انزح هذا الاسم الذي نزحه الله [686].

وفي رواية قال الأحنف بن قيس : لا تمح هذا الاسم فإني أتخوف إنْ محوته لا يرجع إليك أبدًا , فامتنع من محوه فتراجع الخطاب فيه مليًا من النهار , قال الأشعث بن قيس : امح هذا الاسم نزحه الله [687].

وكان يقول لطلحة والزبير : (لو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه , ولا في السُنة برهانه , واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه) [688].

وجاء في النهج أيضًا مما نسب إليه : (لا بد ّ للناس من أمير بـ َر ٍّ , أو فاجر , يعمل في إمرته المؤمن, ويستمتع فيها الكافر , ويبلغ الله فيها الأجل , ويجمع به الفي ء ، ويقاتل به العدو , وتأمن به السبل , ويؤخذ به للضعيف من القوي ...) [689].

فهنا لم يشترط الإمام علي   في الإمام العصمة , بل رأى تنصيب أمير على المسلمين تناط به مصالح العباد والبلاد, ولو كان فاجرًا .
فإنْ كان هذا الأمر في حق علي   ففي حق باقي أئمتهم على وجه العموم , والإمام الثاني عشر – المخـتلف في ولا دته – على وجه الخصوص من باب أولى .
وفي المناجاة الإنجيلية [690] التي تنسب إلى الإمام زين العابدين يتجلى لنا الرّد على مسألة " الإنسان الكامل " الذي وصل إلى أعلى درجة من الكمال , وأصبحت أقواله , وأفعاله , وآرؤه إلهامـًا من الله   , وحجة شرعية يجب الأخذ بها , إذ يقول : (سيدي , ضعف جسمي ، ودق عظمي ، وكبر سني ، ونال الدهر مني ، ونفدت مدتي ، وذهبت شهوتي، وبقيت تبعتي ، فجد بحلمك على جهلي، وبعفوك على قبيح فعلي ، ولا تؤاخذني بما كسبت من الذنوب العظام ، في سـالف الأيام .
سيدي , أنا المعترف بإساءتي، المقر بخطأي ، المأسور بإجرامي، المرتهن بآثامي ، المتهور بإساءتي ، المتحير عن قصد طريقي ، انقطعت مقالتي ، وضل عمري , وبطلت حجتي في عظيم وزري ، فامنن علي بكريم غفرانك , واسمح لي بعظيم إحسانك , فإنك ذو مغفرة للطالبين , شديد العقاب للمجرمين ...
سيدي , عظم جرمي إذ بارزتك باكتسابه ، وكبر ذنبي إذ جاهرتك بارتكابه , إلا أنّ عظيم عفوك يسع المعترفين , وجسيم غفرانك يعمُّ التوابين ...
سيدي , إنْ أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك فقد أنسني اليقين بمكارم عطفك , وإن أنامتني الغفلة عن الا ستعداد للقائك فقد أيقظتني المعرفة بقديم آلائك، وإن عزب عني تقديم لما يصلحني فلم يعزب إيقاني بنظـرك إلي فيما

ينفعني ...) [691].

وفي موضع آخر منها يقول : (... سيدي , عفوك أعظم من كل جرم ، ونعمتك ممحاة لكل إثم .
سيدي , إنْ كانت ذنوبي قد أخافتني , فإنّ محبتي لك قد آمنتني ، فتولّ من أمري ما أنت أهله , وعدّ بفضلك على من قد غمره جـهله ، يا من السّر عنده علانية ، ولا تخفى عليه من الغوامض خافية ، فاغفر لي ما خفى على الناس من أمري ، وخفف برحمتك من ثقل الأوزار ظهري .
سيدي , سترت علي ذنوبي في الدنـيا , ولم تظهرها ، فلا تفضحني بها في القيامة واسترها ، فمـن أحق بالستر منك يا ستار...) [692] .

ويقول : (سيدي ,لو عرفت اعتذارًا من الذنب لأتيته ، فأنا المقرٌ بما أحصيته, وجنيته, وخالفت أمرك فيه فتعديته ، فهب لي ذنبي بالاعتراف ، ولا تردني في طلبتي عند الانصراف .
سيدي , قد أصبت من الذنوب ما قد عرفت ، وأسرفت على نفسي بما قد علمت ، فاجعلني عبدًا إما طائعـًا فأكرمته , وإما عاصيـًا فرحمته) [693] .

وقول آخر منسوب إليه فيه : (سيدي , أتيتك معترفـًا لك بسوء فعلي ، خاضعـًا لك باستكانة ذلي ، راجيـًا منك جميل ما عرفتنيه ، من الفضل الذي عودتنيه ، فلا تصرف رجائي من فضلك خائبـًا ، ولا تجعل ظني بتطولك كاذبـًا، سيدي إن آمالي فيك يتجاوز آمال الآملين ، وسؤالي إياك لا يشبه سؤال السائلين ؛ لأنّ السائل إذا منع امتنع عن السؤال ،

وأنا فلا غناء بي عنك في كل حال) [694].

ونسب إليه في الصحيفة السجادية[695]أنه قال: (سبحانك ما أعجب ما أشهد به على نفسي , وأعدده من مكتوم أمري , وأعجب من ذلك أناتك عني, وإبطاؤك عن معاجلتي , وليس ذلك من كرمي عليك , بل تأنيـًا منك لي , وتفضلا ً منك عليّ ؛ لأن أرتدع عن معصيتك المسخطة , وأقلع عن سيئاتي المخلقة , ولأنّ عفوك عني أحب إليك من عقوبتي , بل أنا يا إلهي أكثر ذنوبًا , وأقبح آثارًا , وأشنع أفعالا ً, وأشد في الباطل تهورًا , وأضعف عن طاعتك تيقظًا, وأقل لوعيدك انتباهًا وارتقابًا من أن أحصي لك عيوبي , أو أقدر على ذكر ذنوبي)[696] .

ونسبوا إليه أيضـًا أنه قال : (قد ملك الشيطان عناني في سوء الظن , وضعف اليقين , فأنا أشكو سوء مجاورته لي , وطاعة نفسي له , واستعصمك من ملكته , وأتضرع إليك في صرف كيده عني) [697].

وقوله : (اللهم إنه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث , وتحدوني عليها خلة واحدة , يحجبني أمرٌ أمرتَ به فأبطأتُ عنه , ونهيٌ نهيتني عنه فأسرعتُ إليه , ونعمة أنَعَمْتَ بها علي فقصرت في شكرها , ويحدوني على مسألتك تفضلك على من أقبل بوجهه إليك , ووفد بحسن ظنه إليك , إذ جميع إحسانك تفضل , وإذ كل نعمك ابتداء...

فهل ينفعني يا إلهي إقراري عندك بسوء ما اكتسبت , وهل ينجيني منـك اعترافي لك بقبيح ما ارتكبت , أم

أوجبت لي في مقامي هذا سخطك , أم لزمني في وقت دعائي مقتك ...

أتوب إليك في مقامي هذا توبة نادم على ما فرط منه , مشفق مما اجتمع عليه , خالص الحياء مما وقع فيه , عالم بأنّ الذنب العظيم لا يتعاظمك , وأنّ التجاوز عن الإثم الجليل لا يستصعبك ...)[698].

وكان الصادق يدعو بهذا الدعاء : (إلهي ..كيف أدعوك وقد عصيتك ! وكيف لا أدعوك وقد عرفت حبك في قلبي ! وإن كنتُ عاصيًا مددتُ إليك يدًا بالذنوب مملوءة ، وعينًا بالرجاء ممدودة ، مولاي ! أنت عظيم العظماء ، وأنا أسير الأسراء ، أنا أسير بذنبي مرتهنٌ بجُرْمي ، إلهي .. لئن طالبتني بذنبي لأطالبنّكَ بكرمك ، ولئن طالبتني بجريرتي لأطالبنّكَ بعفوك ، ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرنّ أهلها أني كنت أقول : لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه ، اللّهم إنّ الطاعة تسرُّك ، والمعصية لا تضرُّك ، فهَبْ لي ما يسرك ، واغفر لي ما لا يضرك ، يا أرحم الراحمين)[699].

وعن حبيب الخثعمي[700] قال : سمعت أبا عبد اللّه يقول : (إنا لنذنب ونسيء , ثم نتوب إلى اللّه متابًا)[701].

وعن محمد بن سليمان[702] ،عن أبيه قال:خرجت مع أبي الحسن موسى بن جعفر إلى بعض أمواله, فقام إلى صلاة الظهر , فلما فرغ خرّ لله ساجدًا , فسمعته يقول بصوت حزين, وتغرغر دموعه : (ربِّ عصيتُك بلساني , ولو شِئتَ وعزّتك لأخرستني , وعصيتُك ببصري ولو شِئتَ

وعِزّتك لأكمهتني[703] , و عصيتـُك بسمعي ولو شِئتَ وعِزّتك لأ صممتني , و عصيتـُك بيدي ولو شِئتَ وعزتك لكنعتني[704] , و عصيتـُك برجلي , ولو شِئتَ وعِزّتك لجذمتني, و عصيتـُك بفرجي , ولو شِئتَ وعِزّتك لعقمتني , و عصيتـُك بجميع جوارحي التي أنعَمْتَ بها علي , وليس هذا جزاؤك مني). قال : ثم أحصيت له ألف مرة , وهو يقول : (العفوَ العفوَ). قال : ثم ألصَقَ خده الأيمن بالأرض فسمعته وهو يقول ، بصوت حزين : (بؤت إليك بذنبي , عملت سوءً , وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب غيرُك يا مولاي) ثلاث مرات ثم ألصق خده الأيسر بالأرض فسمعته يقول : (ارحم من أساء واقترف , واستكان واعترف) ثلاث مرات ثم رفع رأسه [705] .

فمن خلال النصوص السابقة المنسوبة لأئمتهم نرى الإقرار بالذنب , والاعتراف بسقطات اللسان , وشهوات الجنان , وحدوث النسيان , ولا غرابة أن تصدر عنهم مثل هذه الأقوال ؛ فهم لم يَدّعُوا العصمة لأنفسهم , ولم يحتجوا بها على أصحابهم عند مخالفتهم إياهم, ولكن ذلك ينفي ما تدعيه الإمامية من العصمة لهم , والكمال لهم ؛ إذ لو كانوا معصومين كاملين لكان إقراراهم واستغفارهم من الذنوب عبثـًا , وهذا العبث في حد ذاته لا يصـدر عن المعصوم [706]!!

كما يذهب الإمامي محمد جواد لاريجاني[707] إلى أنّ ما يميز الدولة الإسلامية عن غيرها هو مساعدة الأفراد على بلوغ الكمال الإنساني [708].

بمعنى أنّ ّ الكـمال الإنساني أمر مكتسب , متاح لجميع البشر غير مـحصور في أئمتهم ؛ وذلك ما ذهب إليه الإمامي جوادي آملي [709] ؛ بحجة أنّ الإنسان لا يولد كاملا ً بالفعل , بل كاملا ً بالقوة فقط , كما يدعي إذ يقول: (إن الإنسان وكباقي موجدات عالم الطبيعة لم يخلق كاملا ً بالفـعل ؛ لأنّ كل موجود إما أن يكون كاملا ً بـ الفعل , أوكاملا ً بالقوة , فهو إما كامل أو سيكمل , المجرد هو الكامل بالفعل , وغير المجرد هو المتكامل أي الذي يريد أن يصبح كاملا ً , والتكامل يكمن في أن يكون للمتحرك هدف محدد أولا ً , وأن يكون له طريق معين ثانيًا , إذا لم يكن ثمّ هدف فلن يحصل التكامل , وإنْ لم يكن ثمّ طريق بين القوة , والفـعل , أو بين المتكامل والكامل , فإنّ التكـامل غير ممكن أيضًا) [710].

ثم إنّ ما يثير التسـاؤل : بما أنّ الأئمة لم يولدوا كاملين بالفعل , فهناك فترة من الزمن - منذ ولادة الإمام حتى تكليفه – لم يكن فيها الإمام كاملا ً , وبالتالي لم يكن فيها الإمام معصومًا ولا إمامًا – وذلك لاشتراط العصمة في الإمامة[711] - , فهو معرض وقتها للمعاصي , والذنوب حاله حال بقية البشر , وفي حقيقة الأمر هذا ما يوافق تعريف العصمة [712] الذي اشترطه الاثنا عشرية في الإمام , والذي هو : لطف يفعله اللّٰه بالمكلف .

يقول شيخهم المفيد : (العصمة لطف يفعله اللّٰه - تعالى - بالمكلف بحث ًا يمتنع منه وقوع المعصية , وترك الطاعـة

مع قدرته عليهما)[713].

ويقول فقهيهم مقداد السيوري [714] : (العصمة هي لطفٌ خفيٌ يفعله اللّٰه -تعالى-بالمكلف , بحيث لا يكون له داعيًا إلى ترك الطاعة,وارتكاب المعصية مع

قدرته على ذلك) [715] .

ويذهب إلى هذا علامة الشيعة الماحوزي [716]حيث يقول في تعريف العـصمة اصطلاحًا : (لطف ٌ خفي يمتنع من أفيض عليه معه عن فعل القبائح, والإخلال بالواجبات , لا على جهة الوجوب الرافع للقدرة ، كما توهمه من لا تحقيق له ، بل بمعنى أنّه إذا فعله اللّه - سبحانه - بالمكلف اختار الطاعات , واجتنب المعاصي البتـ ـّة ، وحينئذ يكون وقوع المعصية عن المعصوم ممكنـ ـًا بالنظر إلى قدرته ، ممتنعا بـ النظر إلى عدم داعيه , ووجود صارفه , فأهل العصمة هم الذين أعانهم اللّه - سبحانه - على قهر نفوسهم الأمارة بـ السوء , أكمل قهر وأتمه ، حتى صارت أسيرة في أيدي نفوسهم العاقلة ...) [717] .

ويقول شيخهم أحمد الوائلي : (أما في الاصطلاح الكلا مي فالعصمة : لطـف ٌ يفعله اللّه - تعالى - بالمكلف لا يكون معه داع ٍ إلى ترك الطـاعة ,
وارتكـاب المعصية مع قدرته على ذلك) [718] .

إذن فقد تبين من تعريف العصمة احتمال وقوع الإمام في المعصية قبل التكليف مع تمكنه منها بعد التكليف ؛ وذلك لأنها لطف يفعـله الله بالمكلف [719], وبالتالي يسقط دليل الحكمة القائم على وجوب تنصيب الإمـام - الإنسان الكامل - على الله .

المطلب الثالث

نقد دليل الحكمة من القرآن والسُنة

أولا ً: نقده من القرآن الكريم :

1. قوله تعالى :

, [البقرة / 47]

يدل على أنّ ّ رعاية الأصلح لا تجب على الله لا في الدنيا ولا في الدين ؛لأنّ ّ قوله:

يتناول جميع نعم الدنيا والدين , فذلك التفضيل إما أن يكون واجب ًا , أو لا يكون واجب ًا , فإن ّ كان واجب ًا لم يجز جعله منة عليهم ؛ لأنّ ّ من أدى واجب ًا فلا منة له على أحد, وإن كان غير واجب مع أنه - تعالى - خصص البعض بذلك دون البعض فهذا يدل على أنّ ّ رعاية الأصلح غير واجبة , لا في الدنيا ولا في الدين(720).

2. الله - تبارك وتعالى - هو المتفضل على الناس جميعهم لا يوجبون عليه فعل شيء على الإطلاق , قال تعالى :

[النمل/73]

ونظيرها قوله تعالى :

, [غافر / 61] .

3. وقوله تعالى :

, [العنكبوت / 6] فيه دلالة على أنّ ّ الله - تبارك وتعالى - لا يجب عليه شيء - إلا ما أوجبه على نفسه - , فهو الغني عن عباده ,لم يأمرهم لينتفع , ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم وقد علم أن الأوامر و النواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد ؛ لأن ّ نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير , وشيطانه ينهاه عنه , وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه كما ينبغي وكل هذه معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد [721].

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله - : (فلا يتوهم متوهم أن منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال يعود على الله سبحانه فإنه غني عن العالمين لم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم ونهاهم عما يعود مضرته وعتيه عليهم في معاشهم ومعادهم فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان مختصة بهم واقتضت حكمته أن نصب ذلك سببا مقضيا إلى يميز الخبيث من الطيب والشقي من الغوي ومن يصلح له ممن لا يصلح) [722].

4.قوله تعالى :

[المؤمنون / 54

– 56] فقوله تعالى :

معناه أنّ هذا الإمداد ليس إلا استدراجًا لهم إلى المعاصي , وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات , ومعالجة بالثواب جزاء على حسن

صنيعهم , وهذه الآية حجة على من يقول: إن الله لا يفعل بأحد من الخـلق إلا ما هو أصلح له في الدين , وقد أخبر أنّ ّ ذلك ليس بخير لهم في الدين , ولا أصلح[723] .

5.ويقول - تبارك وتعـالى - :
, [الأنبياء/23] , أي
هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه , ولا يعترض عليه أحد ؛ لعظمته , وجـلاله , وكبريائه , وعلمه , وحكمته , وعدله , ولطفه, ما شاء كـان , وما لم يشأ لم يكن , لا نوجب عليه شيئًا , كما نوجب على البشر , ولا نسأله عن شيء , كما نسأل البشر , فالله – تعالى - لا مكره له , لا يفعل إلا ما يشاء , وهذا أيضا مصداقًا لقوله تعـالى :

, [27 /إبراهيم],
ونحو ذلك هو لإثبات قدرته على ما يشاء [724].

ثانيًا : نقده من السُنة النبوية المطهرة :
1. عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللهِ : (لَنْ يُنَجِّيَ أحَـدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ) قالوا : ولا أنت يا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : (ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ من الدُلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا) [725] , وفى رواية (برحمة منه وفضل) [726].

ففي الحديث دلالة على أنّ الله – تبارك وتعالى – لا

يدخل أحد الجنة بعمله , فإذا أكرمه , ونعمه وأدخله الجنة فهو فضل منه .
وفيه دلالة على أن ّ العمل علامة على وجود الرحمة التي تدخل العامل الجنة فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة [727], فلا طريق لإثبات الأ حكام بالعقل , وبالقول بوجوب فعل الأصلح على الله - تبارك وتعالى -.

2.أنّ الله يفعل ما يشاء - وهذا ذكره الله كما تقدم في الآيات السابقة – إثباتـًا لقدرته , لا نفيـًا لحكمته , وعدله , بل بين - سبحانه - أنّه يفعل ما يشاء , فلا أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئـًا , بل هو قادر على فعل ما يشاء , بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة , ولا يمكنه أن يفعلها , ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح : (لَا يَقُلْ أحـدكم اللهم اغْفِرْ لي إن شِئْتَ , ارْحَمـ ْنِي إن شِئْتَ , ارْزُقْنِي إن شِئْتَ , وَلَيَعـْزِمْ مَسْأَلَتَهُ , إنه يَفْعَلُ ما يَشَاءُ , لا مُكْرِهُ له)[728] [729] .

3.الحديث الصحيح عن الله - تعالى - أنّه قال : (يا عِبَادِي ! إني حَرّمْتُ الظُلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّمًا , فلا تَظَالَمُوا , يا عِبَادِي !كُلُكُمْ ضَالٌ إلا من هَدَيْتُهُ , فاستهدونى . عِبَادِي ! كُلُكُمْ جَائِعٌ إلا من أطْعَمْتُهُ , فاستطعمونى أُطْعِمْكُمْ . يا عِبَادِي !كُلُكُمْ عَارٍ إلا من كسَوْتُهُ, فاستكسونى أكْسُكُمْ . يا عِبَادِي ! إنّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ , وأنا أغْفِرُ الذّنُوبَ جميعـًا ,

فاستغفرونى أَغْفِرْ لَكُمْ . يا عِبَادِي ! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي , فَتَضُرُّونِي , وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي , فَتَنْفَعُونِي . يا عِبَـادِي ! لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ , وَآخِرَكُمْ , وَإِنْسَكُم , وَجِنَّكُمْ كانُوا على أتقى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئ ًا . يا عِبَادِي ! لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ, وَآخِرَكُمْ , وَإِنْسَكُمْ , وَجِنَّكُمْ كانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئ ًا . يا عِبَادِي ! لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ , وَآخِرَكُمْ , وَإِنْسَكُمْ , وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ , فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يا عِبَادِي ! إنما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ , ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا , فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ , وَمَنْ وَجَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ)(730) .

قال ابن تيمية - رحمه اللّه - في شرح هذا الحديث : (وهو-سبحانه - مع غناه عن العالمين خلقهم وأرسل إليهم رسولا ً يبين لهم ما يسعدهم , وما يشقيهم , ثم إنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه , فمن ّ عليهم بالإيمان , والعمل الصالح , فخلقه بفضله , وإرساله الرس‍ول بفضله , وهدايته لهم بفضله , وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هي بفضله , فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله , وإن كان أوجب ذلك على نفسه , كما حرم على نفسه الظلم , ووعد بذلك كما قال:
, وقال تع‍الى:

...

, [الروم / 47] , فهو واقع لا محالة واجب بحكم إيجابه , ووعده ؛ لأن ّ الخلق لا يوجبون على الله

شيئـًا , أو يحرمون عليه شيئـًا , بل هم أعجز من ذلك , وأقل من ذلك , وكل نعمة منه فضل , وكل نقمة منه عدل , كما في الحديث المتقدم : (إنمـّا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ , ثُمّ أُوَفِّيكُمْ إِيّاهَا , فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَ , وَمَنْ وَجـَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنّ إلا نَفْسَهُ) ...) [731].

المطلب الرابع
نقد دليل الحكمة من أقوال علماء أهل السُّنة

ذهبت طائفة من أهل السُّنة أنّه لا يجب على الله – تبارك وتعالى – شيء على الإطلاق , وذهب جمهور أهل السنة أنه لا يجب على الله - تبارك وتعالى- شيء إلا ما أوجبه - تعالى - على نفسه [732] .

يقول عبد الرحمن النيسابوري[733] : (مذهب أهل الحق أنْ لا واجب على الله أصلاً , بل هو يتصرف في مملكته على حسب إرادته , ومشيئته ...) [734].

ويقول أبو المنصور الماتريدي [735]: (وليس لنا أن نزعم أنّه لا يفعل إلا الأصلح, فيلزمه حق الفعل ,حتى يلحقه وصف ذم إن أخر أو قدم , بل الله - تعالى - إذ هو حكيم لا يخرج فعله عن الحكمة ...) [736].

ويعلل جمال الدين الغزنوي [737]بأنّ عدم وجوب الأصلح على الله - تبارك وتعالى - هو خلقه للكفر والمعصية , وهما ليسا بمصلحة البتة , فيقول : (الأصلح ليس بواجب على الله , ولا ما هو المصلحة ؛ لأنّه خلق الكفر والمعصية , فلو كان الأصلح واجباً عليه لما خلقهما ؛ لأنّهما ليسا بمصلحة , بل هما مفسدة في حق العبد ؛ لأنّهما سبب للعقاب في الدنيا , والآخرة) [738].

ويقول في موضع آخر : (لا واجب على اللّه ؛ لأنّ الواجب يقتضي موجبـًا, والموجب فوق الموجب عليه , وليس أحد فوق اللّه ...) [739].

فالبـاري - تبارك وتعالى - يفعل بعباده ما يشاء , ولا يجب عليه رعاية الأصـلح لعباده ,كما أنه لا يجب عليه - سبحانه - شيء , بل لا يعقل في حقه الوجوب على الاطلاق ; فإنه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون [740].

فهذه الطائفة لم توجب على اللّه شيئا البتة حتى ما أوجبه هو على نفسه, أو حتى ما تقتضيه أسماؤه تعالى وصفاته , وخصوصًا حكمته - تعالى -, بل كل أفعاله بحسب مشيئته التي لا تميز بين الأشياء , و التي نسبتها إلى الأشياء واحدة , فجوزوا عليه كل شـيء بدون تفريق إذ الأشياء كلها بالنسبة له واحدة [741].

وهذا من منطلق عقيدتهم في الحكمة , فإنهم لما نفوا الحكمة وتعليل أفعاله تعالى جعلوا أفعاله كذلك , والأشياء كلها بالنسبة إليه كذلك , فلا فرق بينها , فلا يلزم أن يفعل حتى للمصالح العامة والراجحة بل هو لا يفعل أصلا لها , بل وليس في حقه مصالح من عدمها فكل الأفعال جائزة له عليه , وتكون حينذاك حكمة لمجرد أن شاءها [742].
أما ما أثبته جمهور أهل السنة ومذهب السلف – رحمهم اللّه تعالى - بأنه لا واجب على اللّه - تبارك وتعالى - إلا ما أوجبه على نفسه .
ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه - مذهب أهل

الحق بقوله : (إن ّ اللّه عليم , حكيم , رحيم , قائم بـ
القسط, وإنه - سبحانه -كتب على نفسه الرحمة , وهو أرحم
بعباده من الوالدة بولدها , كما نطقت بذلك نصوص الكتاب و
السُنة , وكما يشهد به الاعتبار حسـ ًا, وعقلا ً , وذلك واقع
منه بحكمته, ورحمته , وبحكم أنّه كتب على نفسه الرحمة ,
وحرم على نفسه الظلم, لا بأنّ ّ الخلق يوجبون عليه
ويحرمون , ولا بأنّه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم , بل
كل نعمة منه فضل , وكل نقمة منه عدل , وليس لمخلوق
عليه حق إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة ,كقوله :
, وقوله: ...
, وذلك
بحكم وعده , وصدقه في خبره , وهذا متفق عليه بين
المسلمين , وبحكم كتابه على نفسه , وحكمته , ورحمته)
[743].

أما من قال بوجوب فعل الأصلح على اللّه – تعالى –
فقوله يستلزم تشبيه اللّه بمخلوقيه– وهذا ما قد تم الإ
شارة إليه سابقًا[744] - , وهذا مناقض لإثبات وحدانية اللّه
تعالى في أفعاله , وأنه تعالى ليس كمثله شيء .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللّه - , فيمن قال
بذلك : (يقولون يجب على اللّه رعاية الأصلح أو الصلاح
في كل شخص معين , ويجعلون ذلك الواجب من جنس ما
يجب على الإنسان , فغلطوا حيث شبهوا اللّه بالواحد من
الناس فيما يجب عليه ويحرم عليه , وكانوا هم مشبهة الأ
فعال , فغلطوا من حيث لم يفرقوا بين المصلحة العامة
الكلية , وبين مصلـحة آحاد الناس التي قد تكون مستلزمة

لفساد عام , ومضادة لصلاح عام) [745].

وإذا علم أنّ أفعال الله صادرة عن علمه الشامل وقدرته التامة ومشيئته النافذة وحكمته البالغة , فأين أفعال المخلوق وصفاته من هذا , أين علمه من علم الله ؟ وأين قدرته وحكمته من القدرة والحكمة الإلهية ؟ ثم إن العبد هو المربوب المخلوق فأين هو من الملك العظيم والرب الخالق –تبارك وتعالى - ؟ وكيف يتكلم من حاله هذه في أفعال ذلك الخالق الموصوف بصفات الكمال , وإذا كان لايجوز لمخلوق جاهل في فن من الفنون مثلا ً , أن يتكلم في أفعال متعلقة بذلك الموضوع صادرة عن عالم به , بل لو تكلم لعدّ كلامه ضرب من ضروب الجهل , وتعد منه في غير مايحسنه , فكيف إذا كان الكلام من ذلك المخلوق الضعيف المربوب ضعيف العقل , في أفعال الخالق الملك الرب العليم الحكيم – تبارك وتعالى - .
فإبطال العقل لمثل هذا في حال وقوعه من مخلوق في حق مخلوق آخر , فيه دلالة على أنه في حق الخالق أشد بطلانًا [746].

فقد أثبت الجمهور الحكمة العائدة إلى الله , وتوقفوا عن التدخل في الكلام في حكمته بمجرد العقول , وعملوا أن حكمته بالغة ولم يعرف منها إلا أقل القليل , لم يتدخلوا في الإيجاب عليه تعالى أو التحريم بمجرد العقول والأهواء, بل قالوا هو الحكيم البالغ الحكمة فله حكم لا نعلمها , وله حكم تعود إليه من محبة ورحمة ورضا وغيرة ونحوها , وهو - تعالى - يحب أن يعبد بجميع أنواع العبادات , ويجب أن يعرف , وأن يظهر ملكه وسلطانه وعزته [747].

فإثبات السلف الصالح للحكمة التامة لله ، وأنّ أفعاله معللة ، وأنها على مقتضى الحكمة والعدل فلا يخرج عنهما أي فعل من أفعاله أبدا ، إذ أن العبث والسفه نقيضا صفة الحكمة فإثباتها يكون نفي لهما ، كما أن تنزيه اللّه – تبارك وتعالى - عنه من الأدلة العقلية على إثبات الحكمة التعليل [748].

فقد أجمع المسلمون على تنزيه الإله الخالق عن العبث والسفـه ، (فليس في أهل الإسلام من يقول أن اللّه يفعل ماهو ظلم ولا عبث منه تعالى عن ذلك)[749] بل من قال ذلك فهو كافر حلال الدم [750].

وإجماعهم هذا مبنى على أنه - تعالى - موصوف بصفات الكمال ومنزه عما يناقضها ويضادها من صفات النقص ، وكذلك هو مبني على إجماعهم على أنه - تعالى - موصوف بـ الحكمة التامة ، إذ أن إثباتها نفي لنقضيها ، وهو العبث و السفه[751].

أما ما ذهب إليه الاثنا عشرية أنّ مقتضى حكمة اللّه - تبارك وتعالى- وجوب تنصيب الإمام عليه فباطلٌ ؛ لأنّه لو وجب على اللّه في حكمته تنصيب الإمام لما خلا زمان من الأزمنة من إمام ظاهر ، قاهر ، جامع لشروط الإمامة ، قامع لرسوم الضلالة ، قائم بحماية بيضة الإسلام ، وإقامة الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، مع أنّ الاثني عشرية يقولون : إنّ الأئمة المعصومين الذين نصبهم اللّه وجوبـًا عليه – كما يدعون – مقهورون مظلومون عاجزون, ليس

لهم سلطان ولا قدرة [752]حتى أنّهم يقولون ذلك في علي من يوم مات النبي إلى أنْ استخلف , وكذلك باقي الأئمة ا لاثني عشر , فإذا كان كذلك فأيّ عدل , وأي حكمة من نصب إمام عاجز مقهور , قد تصرف في ملكه غيره, وهو منقاد له كانقياد سائر الرعية ؟ بل هذا مما يدل على عجز الله عن تنفيذ ما هو من واجباته – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - [753].

يقول الذهبي[754] - رحمه الله – ملخصا رد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في هذه المسألة : (أنتم تقولون إ نّ الله يجب عليه أن يفعل الأصلح للعباد , وهو - تعالى - يمكن الخوارج حتى كفروه وقاتلوه , ويجعل الأئمة المعصومين تحت القهر , والخوف , والتقية بمنزلة أهل الذمة ! بل أهل الذمة يظهرون دينهم في الجملة ! فأين اللطف والمصلحة التي أوجبتها على الله - تعالى - ؟ ثم تزعم أنهم حجج الله على عباده, وأن لا هدى إلا منهم , ولا نجاة إ لا بمتابعتهم, وخاتمهم قد غاب من دهور لم ينتفع به أحد في دينه ولا دنياه) [755].

و بالنسبة للعصمة التي ينسبها الاثنا عشرية لأئمتهم فقد قال الغزالي[756] – رحمه الله - في معرض الرّد عليهم : (بماذا عرفتم صحة كونه معصومًا , ووجود عصمته ؟ أبضرورة العقل , أو بنظره , أو سماع خبر متواتر عن رسول الله يورث العلم الضروري ؟ ولا سبيل إلى دعوى الضرورة , ولا إلى دعوى الخبر المتواتر المفيد للعلم الضروري ؛ لأنّ

كافة الخلق تشترك في إدراكه , وكيف يدعي ذلك , وأصل وجود الإمام لا يعرف ضرورة ً , بل نازع منازعون فيه, فكيف تعلم عصمته ضرورة ؟ وإن ادعيتم ذلك بنظر العقل , فنظر العقل عندكم باطل [757] , وإن سمعتم من قول إمامكم أنّ العصـمة واجبة للإمام , فلمَ صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر ؟ وكيف يجوز أن تعرف إمامته وعصمته بمجرد قوله ؟ على أنّا نقول : أي نظر عرّفكم وجوب عصمة ا لإمام ؟ فلا بد من الكشف عنه .

فإن قيل : الدليل عليه وجوب الاتفاق على كون النبي معصومًا , ولم نحكم بوجوب عصمته إلا لأنا بواسطته نعرف الحق ومنه نتلقفه, ونستفيده , ولو جوزنا عليه الخطأ والمعصية , سقطت الثقة بقوله , فما من قول يصدر عنه إلا ونتصور أن يقال لعله أخطأ فيه أو تعمد الكذب ؛ فإن ّ المعصـية ليست مستحيلة عليه ! وذلك مما لا وجـ ه له ...)[758].

فالأمة مستغنية عن القول بعصمة أئمتهم بالرسول الذي ثبتت عصـمته نقلا ً وعقلا ً , قال الإمام الذهبي نقلا عن شيخ الإسلام – رحمهما اللّه تعالى - : (الرسول هو المعصوم , وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق , وعِلمُ الأمة بأوامره أتمُّ من عِلم ِ البعض بأوامر المنتظر, فهذا رسول اللّه هو الإمام المعصوم , وأوامره معلومة , فاستغنت الأمة به , وبأوامره , وبعلمه عن كل أحد, وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا) [759].

فقد اختص اللّه - تعالى - نبيه بهداية هذه الأمة دون سواه , قال شيخ الإسـلام ابن تيمية – رحمه اللّه - : (و

الرسول هو الذي فرض اللّه على جميع الخلق الإيمان به , وطاعته , واتباعه , وإيجاب ما أوجبه , وتحريم ما حرمه , وشرّع ما شرعه, وبه فرّق اللّه بين الهدى والضلال , والر ّ شاد والغي , والحق والباطل , والمعروف والمنكر, وهو الذي شهد اللّه له بأنّه يدعو إليه بإذنه , ويهدي إلى صراط مستقيم, وأنّه على صراط مستقيم , وهو الذي جعل الرّب وطاعته طاعة ًله , في مثـل قوله تعالى :
.. . وقوله تعالى :

[النساء/64] , وهو
الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته , ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به , واتباعه , وطاعته , وبه يمتحنون في القبور , قال تعالى :
, [الأ
عراف / 6] وهو الذي أخذ اللّه له الميثاق على النبيين , وأمرهم أن يأخذوا على أممهم الميثـاق أنّه إذا جاءهم أن يؤمنوا به , ويصدقوه , وينصروه , وهو الذي فرق اللّه به بين أهل الجنة وأهل النار , فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة , ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار, قال تعالى :
...

...
, [النساء/13 – 14] .
والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاء الدنيا والآ خرة معلق بطاعته , فطاعته هي الصراط المستقيم , وهي حبل اللّه المتين , وهي العروة الوثقى , وأصحابها هم أولياء اللّه المتقون , وحزبه المفلحون , وجنده الغالبون , والمخـ الفون له هم أعداء اللّه ِ , حزب ُ إبليس اللعين , قال تعـ

الى:

.. إلى ق

ـوله : [الفرقان / 27 – 29] , وقال تعالى :

... إلى قوله :

[الأحزاب/66 – 68] وقال تعالى:,

[آل عمران/32] , وقال تعالى : ,

[النساء / 65] ,

] , وقال تعالى : ...

[النور / 63] , وقال تعالى : ,

,

[النساء / 69] , وجميع الرسل أخبر َو ُا أنّ ّ اللّه َ أمر َ بطاعتهم , كـما قال تعالى :

... , يأمرون بعبادة اللّه وحده , وخشيته وحده , وتقـواه وحده , ويأمرون بطاعتهم , كما قال تعـالى :

, [النور / 52] ...)[760] .

وعلى الرغم من فساد قاعدة اللطف الإلهي التي قال بها الشيعة , وفساد قيام دليل الحكمة عليها , إلّا أنّ ّ مسألة عصمة الأئمة ترتبت عليها , وقامت على أكتـافها ؛ لأنّ ّ

من مقتضيات دليل الحكمة تعيين الإنسان الكامل – الإمام المعصوم – , فيلزم من القول بهذا الدليل الدور الباطل , يقـول الذهبي : (إنّ
دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلا ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إمامـًا, معصومـًا ليكون لطفـًا , ومصلحة في التكليف , وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها : أنّ هذا أي اللطف والمصلحة مفقود لا موجود , فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة , ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا , ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة , ولا لطف لكان هذا دليلاً على بطـلان قولهم , فكيف مع كثرة الدلائـل على ذلك)[761].

كما أنّ وجوب تعيين الإمام مع غيابه عبث ينافي حكمة الباري - تبارك وتعالى- , يقول التفتازاني : (زعمت الاثنا عشرية من الشيعة أنّ محمدًا بن الحسن العسكري اختفى عن الناس خوفـًا من الأعداء , ولا استحالة في طول عمره كنوح و لقمان والخضر- عليهم السلام - و أنـكر ذلك سائر الفرق ؛ لأنه ادعاء أمر يستبعد جدًا ؛ إذ لم يعهد في هذه الأمة مثل هذه الأعمار من غير دليـل عليه , ولا إمـارة , ولا إشارة إقامة من النبي ؛ ولأنّ اختفاء إمام هذا القدر من الأيام بحيث لا يذكر منه إلا الاسم بعيد جدًا ؛ ولأنّ بعثه مع هذا الاختفاء عبث , إذ المقصود من الإمامة الشريعة , وحفـظ النظام , ودفع الـجور ونحو ذلك , ولو سلم فكان ينبغي أن يكون ظاهرًا لا يظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت ليستظهر به الأولياء , وينتفع به النـاس ؛ لأنّ أولى الأ

أزمنة بالظهور هـو هذا الزمان ...) [762].

وبهذا يسقط دليل الحكمة الذي قال به الإمامية الاثنا عشرية , وجعلوه في مقدمة الأدلة العقلية على الإمامة .

الفصل الثاني

" دليل ضرورة الارتباط بالغيب "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المبحث الثاني : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته.

المطلب الثاني : تقرير دليل ضرورة الارتباط بالغيب من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول
صورة دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومقدماته

يرى متقدمو الاثني عشرية - من خلال الروايات المنسوبة إلى أئمتهم - أنّ الإمام هو الحبل الممدود , والسبب المتصل بين السماء والأرض , وبالتالي فهو السفير , و الواسطة بين اللّه وخلقه .

ولم يظهر دليل ضرورة الارتباط بالغيب بمقدماته من خلا ل أقوالهم , كما ظهر عند المتأخرين , فهم قد فهموا من الروايات ضرورة ارتباط الإنسان بعالم الغيب عن طريق الإ مام , وعدّو ذلك من الأدلة العقلية على الإمامة .

ويتضح هذا الدليل بصورته المتأخرة من خلال النقاط الآ تية :

- وجوب الارتباط وعدم انقطاع الاتصال بين الأرض والسماء.
- الاتصال يكون عبر أفراد ٍ ، ولا يخلو أمرهم أن يكونوا إما بشر ًا , وإما ملائكة , وبما أنّ عدم وجود الصفات البشرية في الملائكة فلابد أن يكونوا بشر ًا , يراهم الناس .
- الاتصال إما أن يكون من خلال ارتباط الذات المقدسة بكل فرد وبكل نفس بشرية، وبالتالي كل النفوس أنبياء ورسل , وأئمة , وهذا وإن أمكن ثبوتـًا , لكنه على خلاف نظام الخلقة ؛ إذ أنه قائم على أن لا يكون الكل كذلك , لذا لابد أن يكون هناك

نموذج بشري تتوفر فيه صفات الكمال [763].

مما سبق نستخلص أنّ هذا الدليل يقوم على أمرين :

الأمر الأول :

الارتباط بين السماء والأرض واجب على اللّه , وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ الارتباط بين السماء والأرض لطف بالعباد .

وبما أنّ اللطف بالعباد واجب على اللّه .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ الارتباط بين السماء والأرض واجب على اللّه [764] .

الأمر الثاني :

تحقيق الارتباط يكون بوجود النبي أو الإمام , وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ كل ارتباط لابد أن يكون بطريق الإنسان الكامل [765].

وبما أنّ كل إنسان كامل إما نبي وإما إمام .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ كل ارتباط لابد أن يكون بطريق النبي أو الإمام .

المطلب الثاني

تقرير دليل ضرورة الارتباط بالغيب من خلال الروايات والأ قوال الواردة في كتب الاثني عشرية

أولا ً : تقرير دليل الارتباط بالغيب من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

يرى الاثنا عشرية أنّ الأئمة حبل الله الممدود بينه وبين خلقه ؛ إذ ينسبون إلى النبي أنّه قال : (فاطمة بهجة قلبي , وابناها ثمره فؤادي , وبعلها نور بصري , والأئمة من ولدها أمناء ربي, وحبل ممدود بينه وبين خلقه , من اعتصم بهم نجا , ومن تخلف عنهم هوى ...) [766].

وفي رواية منسوبة إلى علي يصف فيها الأئمة بأنهم السفرة بين الله وخلقه , إذ يقول : (... أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله ، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه ... والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفيائه , والسفرة بينه وبين خلقه ...) [767].

والإمام في الروايات المنسوبة إلى أئمتهم الباقين أمثال جعفر الصادق هو السبب المتصل بين الله - تبارك وتعالى - وبين البشر , فقـد رووا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد أنّه قال : (نحن السبب بينكم وبين الله) [768].

كما نسبوا إليه في خطبة له ما قوله : (إنّ الله أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه , وأبلج بهم عن سبيل منهاجه , وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه , فمن عرف

من أمة محمد – صلى اللّه عليه وآله – واجب حـق إمامه , وجد طعم حلاوة إيمانه , وعلم فضل طلاوة إسلامه ؛ لأنّ اللّه - تبارك وتعالى - نصب الإمام علمًا لخلقه , وجعله حجة على أهل مـواده وعالمه , وألبسه اللّه تاج الوقـار , وغشاه من نور الجبار , يمد بسبب إلى السمـاء , ولا ينقطع عنه مواده , ولا ينال ما عند اللّه إلا بجهة أسبابه , ولا يقبل اللّه أعمال العباد إلا بمعرفته , فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى , ومعمـيات السنن , ومشبهات الفتن , فلم يزل اللّه - تبارك وتعالى - يختارهم لخلقه من ولد الحسين من عقب كل إمام , يصطفيهم لذلك ويجتبيهم , ويرضي بهم لخلقه ويرتضيهم , كل ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إمامًا , علمًا بينًا , وهاديًا نيرًا , وإمامًا قيمًا , وحجة عـالمـًا , أئمة من اللّه , يهدون بالحق وبه يعدلون , حجج اللّه ودعاته ورعاته على خلقه , يدين بهديهم العباد , وتستهل بنورهم البلاد , وينمو ببركتهم التلاد , جعلهم اللّه حياة للأنام , ومصابيح للظلام , ومفاتيح للكلام , ودعائم للإسلام , جرت بذلك فيهم مقادير اللّه على محتومها ...)[769] .

وكما جاء في دعاء الندبة[770] : (... اللّهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك , الذين استخلصتهم لنفسك , ودينك ... وليصرخ الصارخون , ويضج الضاجون , ويعج العاجون [771] أين الحسن ؟ أين الحسين ؟ أين أبناء الحسين ؟ صالح بعد صالح , وصادق بعد صادق , أين السبـيل بعد السبيل ؟ أين الخيرة بعـد الخيرة ؟ ... أين وجه اللّه الذي إليه تتوجه الأولياء ؟ أين السبب المتصل بين الأرض و السماء ؟ أين صاحب يوم الفتح , وناشر راية الهدى ؟ أين

مؤلف شمل الصلاح والرضا ؟ أين الطالب بذحول[772] الأ
نبياء , وأبناء الأنبياء ؟ أين الطـالب بدم المقتـول بكربلا
ء ؟...) [773].

وفي زيارة إمامهم الثاني عشر , وكما يطلقون عليه الإ
مام المستتر : (... السلام عليك يا قاصم شوكة
المعتدين , السلام عليك يا وجه الله الذي لا يهلك ولا يبلى
إلى يوم الدين , السلام عليك يا ركن الإيمـــان , السلام عليك
أيها السبب المتصل بين الأرض والسماء , السلام عليك يا
صاحب الفتح , وناشر راية الهدى ...) [774].

ثانيـًا : تقرير ضرورة الارتباط بالغيب من خلال أقوال علماء الاثني عشرية الواردة في كتبهم :

أ – دليل ضرورة الارتباط بالغيب عند المتقدمين :

ينحصر دليل ضرورة الارتباط بالغيب عند المتقدمين بجعل الأئمة واسطة بين الله وخلقه , يقول المرتضى فيهم : (إنهم من أشرف أوليائه الذين اجتباهم واصطفاهم , وجعلهم الواسطة بينه وبين خلقه , والأمناء عليهم ...) [775].

وفي وصفهم بالسفراء بين الله وخلقه , كما يقول النعماني يقول في مقدمة كتابه " الغيبة " : (ونحن نسأل الله بوجهه الكريم وشأنه العظيم... أن يجعل محيانا ومماتنا وبعثنا على ما أنعم به علينا من دين الحق وموالاة أهله الذين خصهم بكرامته ، وجعلهم السفراء بينه وبين خلقه ، و الحجة على بريته ...) [776].

وفي وصفهم بالسبب المتصل من الأرض إلى السماء , كما يقول الإمامي رجب البرسي [777] في إمامهم الثاني عشر : (هذا بقية الأطهار , هذا خازن الأسرار , هذا منتهى الأدوار , هذا ابن التسمية البيضاء , والوحدانية الكبرى , وحجاب الله الأعظم الأعلى , هذا السبب المتصل من الأرض إلى السماء...)[778].

ب – دليل ضرورة الارتباط بالغيب عند المتأخرين :

أخذ المتأخرون بما ورد في الروايات , وفي أقوال المتقدمين بوصف الإمام الحبل الممدود , والسبب المتصل ,

والواسطة , والسفير بين اللّه وخلقه , إلا أنّهم أدخلوا عليها الطابع الفلسفي والعرفاني ؛ لتسخيرها دليلا ً عقليـًا على الإمامة , على اعتبار أنّ فكرة الارتباط بين الخالق وبين خلقه , فكرة ليست حديثة , بل هي أمر له سابقة من لدن خلق البشر- حسب زعمهم - [779].

يقول محمد صالح المازندراني في شرح الخطبة المنسوبة لجعفر الصادق – السابق ذكرها – : (... (يمد بسبب إلى السماء) السبب الطريق , وأيضًا الحبل الذي يتوصل به إلى المـاء , ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى الشيء , وقيل لا يسمى الحبل سببًا حتى يكون أحد طرفيه معلقًا بالسقف , ونحوه يعني يمد اللّه – سبحانه -طريقًا ,أو حبلا ً من نور إلى السماء كيلا ينقطع عن الإمام , أو عن نوره الذي غشاه به مواد ذلك النور , بل يفيض عليه من فضل اللّه - تعالى - أنوارًا متجددة من ذلك السبب , ويؤيده ما سيجيء عن أبي عبد اللّه قال : (الإمام إنْ شاء أنْ يعلم علم)[780]يريد أنّ جهلهم عبارة عن عدم توجه النفس , فإن وجهت علمت من غير كسب ولا مشقة ...) [781].

وشرح قوله : (ولا ينال ما عند اللّه إلا بجهة أسبابه) : (أي لا ينال ما عند اللّه من الفضل والكرامة والثواب و الجزاء , إلا بجهة طرقه , وأبوابه المقررة لنيله , ومن الطرق والأبواب الإمام , وطريق نوره , والأحكام الشرعية فمن أراد التقرب منه - سبحانه - , والعلوم الحقيقة , و الأحكام الإ لهية فليرجع إليه , ومن رجع إلى غيره ضلّ عن الطريق , وبعد عن الحق , ويطل عمله , كما أشار إليه بقوله : (ولا

يقبل اللّه أعمال العباد إلا بمعرفته) [782].

فالارتباط بين جميع الموجودات , وبين خالقها هو ارتباط وجودي مناط ملك اللّه - تبارك وتعالى - , وسلطانه , وإحاطته , وشهوده , ووجدانه , وعلمه الفعلي , ومشيئته الفعلية , ولم ينل الواسطة بين الخالق موجداته إلا النبي و الأئمة كما يقول شيخهم الأصفهاني[783]: (إن ّ إحاطته - تعالى - إحاطة وجودية؛ لارتباط جميع الموجودات بنفس ذواتها به- تعالى - , بنفس وجودها الذي هو عين إيجاده - تعالى - ، فهي ثابتة له - تعالى - بذواتها من دون حاجة إلى اعتبار ثبوتها له - تعالى - ، ومحاطة له - تعالى - بنفس وجودها الارتباطي به - تعالى - ، ومقهورة تحت قهره وسلطانه - تعالى -،فإن تقلبها الوجودي لا يكون إلا بعين إيجاده - تعالى - ، وهذا الارتباط الوجودي مناط ملكه - تعالى -, وسلطانه وإحاطته وشهوده ووجدانه وعلمه الفعلي , ومشيئته الفـعلية ، وهو المعبر عنه بالإضافة الوجـودية و ا لإشراقية .

ومما ذكرنا يظهر أنّ كيفية ولاية النبي - صلى اللّه عليه وآله - والأئمة - صلوات اللّه عليهم - وسلطنتهم المعنوية على جميع الموجودات من هذا القبيل، نظرا إلى أنهم وسائط الفيض ومجاريها ، وفي رتبة فاعل ما به الوجود لا ما منه الوجود ، وبهذا الاعتبار بهم يتحرك المتحركات , وتسكن السواكن ، فالولاية بهذا المعنى ليست اعتبارية ، على حد ولا ية اللّه - تعالى -...) [784].

أما علي الكوراني العاملي[785] فيؤكد أنّ الارتباط بـاللّه -

تعالى - لا يتحقق إلا عن طريق الارتباط بالأئمة ؛ وذلك لأنّ الارتباط بمن منه الوجود لا يتحقق إلا بالارتباط بمن به الوجود [786]!

ويقرر مجتبى الموسوي اللاري بأنّ من مقتضيات اللطف الرباني سعي الإنسان في حياته إلى تحقيق الكمال , ولا يتم ذلك إلا بوجود واسطة بين اللّه وبين عباده , وهذه الواسطة هي الإمام , فيقول في الإمام : (رائد ركب الإنسانية , وواسطة الفيض الرباني , ورابطة الوصل بين عالم الغيب والنوع الإنساني , وهو الذي يتلقى هداية اللّه بصورة مستقيمة وبلا واسطة , وهو مصباح الهداية في خضم الظلمات , وعليه أن يرتقي بكل إنسان بهدايته , وتعاليمه السماوية , حسب ظرفية ذلك الإنسان واستعداده, وأن يستعين بإيمانه, وإرادته وعقله في طريق الكمال , فيهديه إلى منابع التوحيد , والعدل , والقداسة, ويهبه بذلك العزة و الكرامة .

أما إذا حرم المجتمع البشري من وجود هكذا شخصية إلهية , فلا يتمكن الإنسان من أن يجد وجهته بنفسه , ولم تكن هناك بينه وبين عالم الغيب أية علاقة ورابطة , وبطبيعة الحال أصبحت حركته التكاملية لا تصل إلى نتائجها المرجوة ...

أجل إنّ الألطاف الإلهية اللانهائية تقتضي أن يهدي عبده طريق الوصول إلى الحقائق السامية , وأن يساعده بأطروحة جامعة شاملة تضمن له سعادة الدنيا والآخرة , وقد بعث بهذه البرامج الجامعة الشاملة لجميع جوانب وجـود الإنسان , بواسطة أنبيائه المصطفين إلى عباده المؤمنين) [787].

ويقول في موضعٍ آخر : (من خصائص الإمامة والقيادة الشرعية الإلهية : الهداية الباطنية , والتي هي ليست من نوع الهدايات التشريعية الظاهرية ؛ وإنّ هذا المقام الخاص و السامي إنما يفاض من قبل اللّه الكبير المتعال على جماعة من خاصة أصفيائه المصطفين النبلاء , وأنّ الأوامر التكوينية الإلهية إنما تتحقق بواسطة شخصيات سامية , تستطيع بعلمها بمراتب إيمان الناس ومعرفتهم , وأعمالهم , وسلوكهم أن تؤثر حتى في مجاري أفكارهم ودخائل أمورهم , وأن تنور قلوب الناس وتجلوها على اختلاف درجاتها في الإ يمان , وأن تساعدهم على تهذيب نفوسهم وأرواحهم ... والإ مام المعصوم له نفس هذه الموقعية الحساسة من الهداية الباطنية , وأنه واسطة الفيض الإلهي , وإنما تفاض هذه الهداية على باطنه من عالم الملكوت الأعلى) [788].

ويذهب إلى هذا وحيد الخراساني فيقول : (كمال الإ نسان بلوغه إلى مرتبة الاتصال بعالم الغيب ، واستنارة عقله بنور الوحي ، وهي مرتبة النبوة ، وكمال هذه المرتبة ببعثه سفيرًا من الخالق إلى خلقه ؛ لإضاءة عقولهم بضياء الحكمة الإلهية ، وهي مرتبة الرسالة . وكمال هذه المرتبة بلوغها إلى مرتبة العزم على العهد المعهود ، والميثاق المأخوذ ، الذي هو مرتبة أولي العزم من الرسل المبعوثين بالش- ريعة . وكمال هذه المرتبة الوصول إلى مرتبة الخاتمية ، التي هي مرتبة المبعوث بالشريعة الأبدية ، التي هي نهاية الحد ، وصاحبها أول العدد وآخر الأبد، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما استقبل ، وهو الاسم الأعظم ، والمثل الأعلى . وقد وصل علي إلى مرتبته قال الذي قال اللّه في شأنه :
, [النجم / 3] : (علي مني)[789])

.[790]

فالإمام كالنبي في مسألة الاتصال بالغيب كما يقول المنتظري : (إن ّ الإمام كالنبي له مقامات روحية ومعنوية عالية ، وارتباط بعالم الغيب ، وهو مثله في بلوغ الكمال الإنساني في سيره المعنوي إلى الله , و الفناء في ذاته وصفاته... وهو العلة الغائية العظمى وثمرة نظام التكوين الطيبة العليا ، وهو واسطة الفيض الإلهي ، وبه تنزل البركات الإلهية على البر والفاجر ...)[791].

ويذهب إلى هذا أيضـًا الإمامي محمد حسين المبارك[792], إذ يقول : (المسلمون جميعـًا يعتقدون بأنّ المخلوق الكامل والواسطة بين الله , وبين خلقه نبيه محمد – صلى الله عليه وآله - , فالنبي – صلى الله عليه وآله - هو السفير المعلم , وهو الواسطة في الفيض والمدد التكويني والتشريعي - أي التدويني - إلى جميع مراتب الوجود عمومًا وإطلاقًا , وهو الرئيس عليها ورئاسته دينية ودنيوية ... ولما اقتضت الحكمة رحيله من دار الفناء إلى دار البقاء والنعيم , فما الذي كان من بعده من يوم رحيله , وما الذي سيكون إلى قيام الساعة ؟ هل ارتفع عنهم التكليف ؟ أو أنّ الملك الحق اعتزل عن ملكه , وارتفعت يد اللطف والعناية عن الباقين , أو غلبة البشر وصاروا ينصبون ويعزلون من شاؤوا من بر وفاجر ؟ أو أنّ الباقين كلهم علماء كاملون معصومون لا يخطئون ولا يجهلون , ولا يحتاجون إلى معلم , أو انقلب الأمر وصار الحكم للعبيد ...وكيف كان لا بد أن يكون الرئيس المنصوب أو الإمام أو الخليفة حاله وصفاته , حال من تقدمه في العصمة , والكمال , والعـلم , و

العمل , والأخلاق , ولا فرق بينه وبين النبي في شيء البتة إ
لا حسب ما قلنا مرارًا في الإجمال , والتفصيل , والتنزيل , و
التأويل, فلو مال -والعياذ بالله- ولو بمقدار شعرة لا يمكن
أن يكون منصوبًا من قبل الله , وكيف كان لا يمكن في
شريعة العدل أن يكون منصوبًا , ورئيسًا مطاعًا على الخلق إ
لا الكامل المعصوم , والمشتمل على الكمالات العقلية, و
النفسية , والبدنية ...)[793].

ويعلل محمد سند [794]ضرورة الاتصال بالغيب ؛ لبيان الأ
حكام التشريعية من خلال إمام له عصمة شاملة ؛ لأنّ الأ
نبياء والرسل لم يوضحوا كل أمور الدين بتفصيلا
تها , فيقول : (إن ّ الأنبياء والرسل بمقتضى محدودية
أعمارهم البشرية لا يوضحون كل شيء , ولا يبينون كل
القوانين الجزئية والمتوسطات، فمن أين للفقيه أن يعلم بقية
المتوسطات مع عدم كونه متصلا بالغيب ؟! إذ المتوسطات
ليست مجرد تطبيقات للكليات , بل هي نوع من الإنشاء
التشريعي من نفس المشرع الأول , وبتعبير آخر: أنّ الأنبياء
نحو إراءتهم كانت إراءة إجمالية , فلابد من الإراءة
التفصيلية , واستمرارها عن طريق الأئمة بأن تكون متصلة بـ
الغيب, معصومة من الوقوع في الخطأ...

فبيان الإمام وفهمه للحكم الشرعي لا يكون
كفهم الفقيه , بل هو بيان بعلم الغيب والتسديد الإلهي
المصيب للحق دوم ًا. فإراءة الإمام للأحكام الشرعية
ليست شريعة جديدة , بل بيان لتلك الشريعة الإجمالية
الكلية المتنزلة عبر القناة الغيبية للنبي - صلى الله عليه وآله-
...

إلى أن قال : إن ّ الهداية الإرائية لا يمكن أن تتم إلا بالإ

إمام في عالم الدنيا, حيث إن ّ الأحكام الشرعية هي طريق الكمال، فإذا أخطأ في الإمام في هذه النشأة فسوف تكون تشريعاته في حيز الوقوع في الزلل والخطأ)[795].

وعند التساؤل : هل يمكن تنزل الإرادات والمشيئات الربانية من دون اشتباه والتباس وخطأ؟ يجيب الإمامي محمد سند : (إن ّ هذا غير ممكن إلا لمن أهّله اللّه بمدارج روحانية وإدراكية بأن ْ لا يستطيع الشيطان النفوذ إليها، وهو ما تشير إليه الآية قاصدة النبي :
... , [الإسراء / 105] ,

, [الشعراء / 210 - 211] , فما دام الا تصال بالغيب موجود ًا في كل الأزمنة , وأنّ عالم الشهادة قائم على وجود هذا الاتصال , وأنّ يد اللّه مبسوطة فهذا يدل على ضرورة وجود قناة معصومة تتنزل عن طريقها المشيئات ا لإلهية) [797].

ويتساءل ناصر مكارم الشيرازي كيف يحرم البشر من فيض الارتباط بعالم الغيب الذي هو وسيلة لإدراك الحقائق إلى يوم القيامة ؟ فالممنوع في معتقده هو انقطاع النبوة وانقطاع الوحي , لا أنّ ّ جميع أنواع الاتصال ممتنعة [798]!

خلاصة الأمر :
بما أنّ النبوة قد ختمت , يعتقد الشيعة بوجود إنسان كامل يتصل بالملكوت الأعلى والفيض الإلهي , وبما أنّ الإ نسان الكامل لابد أنْ يكون إمامًا معصومًا , فرابطة الأرض و

السماء باقية عن طريق الإمامة !

المبحث الثاني

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب ومناقشته

وفيه مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب بالدليل العقلي.

المطلب الثـاني : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من كتب الاثني عشرية.

المطلب الثالث : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من القرآن والسُنة .

المطلب الرابع : نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من أقوال علـماء أهل السُنة .

المطلب الأول

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب بالدليل العقلي

يتجلى الرد العقلي على دليل ضرورة الارتباط بالغيب الذي استدل به الاثنا عشرية على الإمامة باعتباره دليلا ً عقليـًا عليها بعدة أمور منها :

الأول : إنّ الروايات التي استدل بها متأخرو الاثني عشرية في صياغة الدليل لا يخلو أمرها من اثنين : إما ضعف أسانيدها , وإما ضعف دلالاتها على دليل ضرورة الارتباط بالغيب .
فالبرغم من ضعف الإسناد إلا أنّ الاثني عشرية تعتمد عليها ؛ لموافقتها المذهب !
أما دلالاتها فالناظر في متونها يجد أنّ الإمام هو الحبل الممدود , والسبب المتصل بين السماء والأ رض , وبالتالي فهو السفير والواسطة بين الله وخلقه . ولا يكاد يظهر له دليل ضرورة الارتباط بـ الغيب بمقدماته التي صاغها المتأخرون من علماء المذهب .

الثاني : من المعلوم لدى المسلمين جميعـًا أنّ ّ الدين كامل , وما انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى إلا بعدما أتم الدين, وأكمله على نبيه , وبيّن كل الا حتيـاجات إلى يوم القيامة في الأصول الكلية , و التعليمات الجامعة للنبي الخاتم , لذا فإن ّ قطع هذا الارتباط لا يسبب أي مشكلة , أو خلل في الدين , ولا حاجة إلى الإمام البتة [799] .

وإذا كان في اعتقاد علماء الشيعة حول مسألة ختم النبوة – كما رأينا سابقًا [801]- وجوابهم على من يعتقد استمرار النبوة ,بأنّ ّ الأمة قد وصلت لمرحلة النضوج , ولم تعد بحاجـة إلى ارتباط بعالم الغيب بإرسال أنبياء أو رسل , ليجددوا لهم الدين , أو يحفظوا لهم شعار وعلامات , وسنن , وهدي الإسلام, بل إن ّ هذه هي مهمة العلماء الربانيين , كما بين اللّه في كتابه في غير ما موضع , فكيف لهم أن يعتقدوا بوجوب الارتباط بإرسال أوصياء وأولياء, أئمة معصومين إذا كانت الأمة قد نضجت , ولم تعد بحاجة لنبي يحفظ لها دينها , أو يحرس لها معالمها ؟!

إذن فانتقال النبي إلى الرفيق الأعلى هو بداية الإ علان الإلهي لبلوغ الإنسان مرحلة الرشد والنضوج التي تؤهله لمتابعة المسيرة بدون واسطة , أي بدون رسل , أو أنبياء, أو أوصياء , أو أئمة يقومون بمهمة القيادة لهذه المسيرة البشرية.

وهذا لا يعني أنّ انقطاع النبوة يعني انقطاع الرعاية الإلهية للبشرية , ولكن يعني أنّ الدرجة المطلوبة ليغدو الإنسان قادراً على التصرف بما يحقق الغاية من خلقه قد تحققت بكمال الدين وتمام النعمة .

الثالث : إذا اقتضت حكمة الباري - تبارك وتعالى - الموت على الجميع ومن ضمنهم خاتم الأنبياء و المرسلين نبينا محمد , فلماذا استثنى الإمامية الا

اثنا عشرية إمامـًا مجهولة ولادته أصلا ً , واعتقدوا حياته منذ سنة 255هـ إلى يومنا هذا , مع أنّ الحاجة إلى النبي المعلوم أقوى من الحاجة إلى إمامهم الثاني عشر – المعدوم - , ووجود النبي الموحى إليه أولى من وجود الإمام المختفي عن الأنظار إذ ولا بد ؟!

الرابع : ثم إنه على حد قول الاثني عشرية بمشـاركة الإمام للنبي في كل شيء ! فكما ادعوا أنّ أعمار الأنبياء محدودة , فكذلك الأئمة أعمارهم محدودة.

وكما ادعوا أنّ الأنبياء بينوا مجملات الدين من غير الخوض في تفاصيل الشريعة , فكذلك يعد هذا الأمر صادرًا من أئمتهم لمشاركتهم للأنبياء خاصة في مسألة عصمتهم وكمالهم المطلق – حسب دعوى الاثني عشرية - .

الخامس : إذا كان الإمام الحبل الممدود , والسبب المتصل بين السماء و الأرض الذي لا ينال ما عند الله - تعالى - إلا من جهته , ولا يقبل الأعمال إلا بمعرفته ! فلماذا لم يذكره الله نصـًا في كتابه ؟! ثم إذا كانت البشرية محتاجة للاتصال بالغيب عن طريقه ! فلماذا لم يحطه الله - تبارك وتعالى - بعنايته وحفظه حتى يؤدي ما كُلف به كما أحاط النبي ؟!

السادس : زعم الإمامية - من مقتضى ضرورة الاتصال بالغيب - أنّ كل ما مضى إمام أقام الله إمامـًا يخلفه ! يكذبه الواقع ؛ إذ لو كان هذا الكلام

صحيحـًا لاستلزم وجود إمام حاضر في كل عصر , يقوم بمهام الإمامة بين أفراد رعيته , وهذا ما يبطله غياب إمامهم المعـصوم منذ ألف ومئتي سنة – حسب زعمهم - !

ثم هل من المعقول وصف إمامهم الغائب بأنّه قاصم شوكة المعتدين وقد رأينا في المدخل أنّ من أسباب غيبته " الخوف " [(802)]؟!
بل إنّ غيابه وفقدانه أبطل العديد من أقوالهم مثل : إنّ الأئمة المعصومين – كما يدعون- حياة للأنام ومصابيح للظلام , وضرورة وجودهم في المجتمعات الإنسانية , ولا يتمكن الناس من الهداية من دونهم , وسلامة الشريعة مرتبطة بهم لاستمرار مراقبتهم .

السابع : دعوى الاثني عشرية بأنّ الإمام يعلم حركتهم ومافي نفوسهم وقلوبهم , ويستطيع تنويرها دعوى فاسدة ؛ لأنّها معارضة لنصوص الكتاب والسُنة من أنّ اللّه - تبارك وتعالى - مختص بعلم الغيب دون غيره , وهداية نفوس العباد وتنويرها بيد خالقها .
بل إنّ هذا لم يجعله اللّه - تبارك وتعالى - لصفيه ورسوله , حيث قال :

.

الثامن : ماذهب إليه متأخرو الاثني عشرية بأنّ نظام الوجود يأخذ الفيض من اللّه آنـًا بعد آن بواسطة الإمام , الذي يربط بين السماء والأرض

فاسد ؛ وذلك لأنّ مصطلح الفيض بإطلاق , ومن غير تفصيل لمعناه قد يراد به ما ذهب إليه الفلاسفة , الذين يعنون به أنّ اللّه لا يخلق الموجودات ، ولكنها تفيض عنه , وتنبثق منه بدون إرادته ـ تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً ـ ، وهذا الفيض - في عقيدتهم - دائم وضروري وواجب .

فعندهم أنّ الموجود الأول ـ الذي يعنون به اللّه تعالى ـ واحد ، ولذلك لا يفيض عنه إلا واحد هو العقل الكلي ، ومن هذا العقل الكلي تفيض النفس الكلية ، وعن النفس الكلية تفيض الأشياء المادية . وكلما فاض شيء من شيء تعلق الفائض بمصدره وامتلأ منه نوراً .

وقد ظهرت هذه العقيدة لدى الكندي[803], و الفارابي[804] , وابن سينا[805] ومن سار على نهجهم .

فالعقل الأول عند الفارابي صدر عن اللّه فيضاً واجباً , لا دخل للإرادة والعلم فيه ؛ ومن هذا العقل الأول صدر عقل ثان وفلك أعلى ، واستمر الفيض والصدور على هذه الوتيرة ، من كل عقل عقلٌ وفلك إلى تتمة عشرة عقول ، آخرها العقل الفعال الذي فاضت عنه النفس ، ومن النفس فاضت المادة بعناصرها الأربعة ، النار والهواء والماء والتراب .

وبما أنّ كل موجود ـ في عقيدتهم ـ تكوّن ليبلغ كماله الأقصى ! إلا أنّ هذه الرتبة ليست لأي إنسان، فالفضائل العظمى نظرية كانت, أو فكرية , أو خلقية , أو عملية , تجعل فيمن أُعِدّ لها بطبيعته مثل الملك , أو الفيلسوف , أو النبي , أو الإمام ! الذين اجتمعت فيهم صفات القدرة المطلقة ؛ لصلتهم بالعقل الفعال ،

سواء انتفع به غيره أم لم ينتفع ؛ إذ ليس عدم الا نتفاع به من قِبل ذاته ،ولكن من جهة مَنْ لا يصغي إليه . وسواء وُجد مَن يقبل منه , أو لم يوجد فهو دائم ًا الفيلسوف , والنبي , والملك , والرئيس الأول , والإ مام [806].

وقد استخدم الإمامية الاثني عشرية أفكار الفارابي ورسخوا بها قواعد فلسفية لفكرة الإمام الغائب المنتظر، أو الإمـام الموجود الذي لا يستمع له الناس ولا يقبلون منه ، أو الإمـام المتمكن المستبد الذي يفعل ما يشاء , وله العصمة من الخطأ ؛ لأنه على اتصال بـ الموجود الأول.

فتفسير متأخري الاثني عشرية وجود الموجودات وفق نظرية الفيض المرتبطة بوجود إمام معصوم , بكونه واسطة بين السماء والأرض , قد يوحي من أول وهلة أنها موافقة لنظرية الفيض التي قال بها الف لاسفة, والتي تقتضي أنّ نسبة الأفعال الاختيارية [807] إلى الله - تعالى - يتنافى مع كماله ؛ لهذا نجد من فلاسفة الإمامية الاثني عشرية المتأثرين بالفلسفة ا لإشراقية من يذهب إلى القول بتعليل أفعال الله – تعالى - لأمر يعود إلى المخلوق وحده لا إلى الخالق , بمعنى آخر : نفي أن يكون وجود الموجودات متحققـًا بطريقة الخلق , لزعمهم أنّ ذلك يتنافى مع كماله , فاتفقوا مع الفلاسفة في القول بأصل الشبهة [808].

أما أهل السُنة فأثبتوا التعليل في أفعال الله –تعالى-,وقالوا : إنّ الله لا يفعل شيئـًا إلا لحكمة

علمناها أم لم نعلمها , وكما يعود الأمر إلى المخـلوق يعود إلى الخالق , ولا يتنافى مع كماله , ولا يستلزم نقصـًا .
بل فعله – تبارك وتعالى - كما هو مقتضى إرادته وقدرته , فهو كذلك مقتضـى حكمته , ورحمته , وهو - سبحانه - يحب أنْ يحمد كما ورد عن النبي محمد أنّه قال : (وليس أحـدٌ أحب إليه المدح من اللّه) [809].
ولا يعقل أن يكون إحسانه لعباده هو لمحض المشيئة , دون أن يعود ذلك لأمر يتعلق به مع أنّه – تبارك و تعالى - غني عن عباده , وعن حمدهم وثنائهم الغنى المطلق [810].
ففعله - تعالى - إنّما حصل بقدرته ومشيئته , لا شريك له في ذلك , فلم يكن في ذلك محتاجـًا إلى غيره [811].
وإن اعترض الاثنا عشرية قولنا هذا بأنّهم قالوا بتوسط الإمام في الخلق والإيجاد .
أقول : طبيعة الإمام لا تخرج عن كونها من طبيعة ما صدرت عنه – حسب زعمهم – فلا يمكن أن يصدر عنه ما هو محسوس , وبالتالي فلا يمكنهم إثبات المحسوسات بحال [812].

فما بنى عليه الاثنا عشرية دليل ضرورة الارتباط بـ الغيب عن طريق الإمام , وذلك من خلال الروايات التي وصفته بالحبل الممدود , والسبب المتصل , و الواسطة , والسفير بين اللّه – تبارك وتعالى - وخلقه

مستلزم للوازم فاسدة علم بطلانها عقلا ً .

المطلب الثاني

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من كتب الاثني عشرية

يقوم نقد دليل ضرورة الارتباط بعالم الغيب من كتب الإمامية الاثني عشرية على ثلاثة أسس:

الأول : على أساس نفي علم الغيب عن الإمام , وبالتالي نفي ارتباط الإمام بالغيب .

الثاني : على أساس أنّ هناك أسبابًا غير الإمام تربط بين السماء والأرض , أو بين الله ومخلوقاته .

الثالث : على أساس ارتباط غير النبي أو الإمام بالغيب عن طـريق المكاشفة[813] , أو المشاهدة .

الأساس الأول
على أساس نفي علم الغيب عن الإمام , وبالتالي نفي ارتباط الإمام بالغيب .

إبطال دعوى علم الأئمة للغيب لا يحتاج إلى كثير عناء , فقد نقضتها بعض الروايات الواردة في كتبهم , وعلى لسان أئمتهم .
بل لا توجد رواية في أي مسألة من مسائل الدين عندهم إلا وبإزائها ما ينقضها , ومنها هذه المسألة .

أولا ً: فقد وردت روايات تنكر دعوى علم الغيب ونورد بعضًا منها : روى الكليني عن سدير [815] أنّ أبا عبد الله خرج عليهم وهو غاضب ، فلما أخذ مجلسه قال : (يا عجبًا لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة ، فهربت مني فما علـمت في أيّ بيوت الدار هي) [816].

و عن عنبسة بن مصعب [817] أنه قال : قال لي أبو عبد الله : (أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟) قال : سمعته يـقول : إنك وضعت يدك على صدره وقلت له : عه [818] ولا تنس , وأنك تعلم الغيب , وأنك قلت له : عيبة علمنا , وموضع سرنا أمين على أحيائنا , وأمواتنا. قال : (لا والله ما مسّ شيء من جسدي جسده إلا يده ، و أما قوله : إني قلت : أعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب , فلا آجرني الله في أمواتي , ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له .... ثم قال : ولقد قاسمت مع عبد الله بن

الحسن حائطـًا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب , وأصابني الجبل , فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل و الشرب وأصابه الجبل ...) [819] .

وفي خبر الربيع أنّ الخليفة المنصور [820] قال لأبي عبد الله : أنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أتك تعلم الغيب , قال : (ومن أخبرك بهذا ؟) قال : هذا الشيخ, قال : (أفحَلّفه يا أمير المؤمنين ؟) قال : نعم .

فلما بدأ الشيخ باليمين قال أبو عبد الله للشيخ : قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته , وألجأ إلى حولي وقوتي إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول) ، فتلكأ الشيخ ، فرفع المنصور عمودًا كان في يده فقال : والله لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود ، فحلف الشيخ , فما أتم اليمين حتى دلع لسانه , كما يدلع الكلب ومات لوقته) [821] .

ومما خرج عن صاحب الزمان – كما يدعي الاثنا عشرية - ، ردًا على الغلاة من التوقيع جوابـًا لكتـاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي [822]: (يا محمد بن علي! تعالى الله وجلّ عما يصفون ، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه , ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره ، كما قال في محكم كتابه -تباركت أسماؤه - :

... , [النمل / 65] , وأنا وجميع آبائي من الأولين : آدم , ونوح , وإبراهيم , وموسى وغيرهم من النبيين ، ومن الآ خرين محمد رسول الله, وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة - صلوات الله عليهم أجمعين- إلى مبلغ

أيامي , ومنتهى عصري ، عبيد الله , يقول الله :

, [طه /124 – 126] .

يا محمد بن علي ! قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منهم . فأشهد الله الذي لا إله إلا هو , وكفى به شهيدًا ورسوله محمد- صلى الله عليه وآله - , وملائكته وأنبياءه وأولياءه - عليهم السلام - , وأشهدك وأشهـد كل من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول : إنـّا نعلم الغيب ونشاركه في ملكه ، أو يحلنا محلا ً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له ، أو يتعدى بنا عما قد فسرته لك , وبينته في صدر كتابي) [823].

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله : إنهم يقولون! قال : (وما يقولون ؟) قلت : يقولون : تعلم قطر المطر , وعدد النجوم , وورق الشجر , ووزن ما في البحر , وعدد التراب . فرفع يده إلى السماء وقال : (سبحان الله ! سبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله) [824].

وعن ابن المغيرة [825] قال : كنت عند أبي الحسن أنا ويحي بن عبد الله ابن الحسن[826] فقال يحيى : جعلت فداك إنهم يزعمون أتك تعلم الغيب ؟ فقال : (سبحان الله , ضع يدك على رأسي , فو الله ما بقيت في جسدي شعرة , ولا في رأسي إلا قامت , ثم قال : لا والله مـا هي إ

لا رواي ـة عن رسول الله – صلى الله عليه وآله -) [827].

وهذا ما ذهب إليه شيخهم الصدوق بأنّ الإمام لا يعلم الغيب , و إنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسُنة ، ومن ينحل للأئمة علم الغيب , فقد كفر ب الله وخرج عن الإسلا م ، فالغيب لا يعلمه إلا الله , وما ادعاه إلا مشرك وكافر[828] .

ثاني ـًا : قرر الإمامية الاثنا عشرية أنّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعرفة علمَ الغيب ؛ فقد قال هشام بن عبد الملك[829] لأبي عبد الله : إنّ علي ـًا كان يَدّعي علم الغيب ، والله لم يطلع على غيبه أحدًا , فيكف ادع ـى ذلك ؟ ومن أين ؟ فقال أبو عبد الله : (إنّ الله - جلّ ذكره - أنزل على نبيه كتاب ـًا بيّن فيه ما ك ـان وما يك ـون إلى يوم القي ـامة في قول ـه : ...

, وفي قوله تع ـالى : ...
, [يس / 12],وفي قوله : ...
... , [الأنعام / 38] , وفي قوله :
, [النمل / 75] . وأوحى الله إلى نبيه أنْ لا يبقى في غيبه , وسره ومكنون علمه شيئ ـًا إلا يناجي به علي ـًا ، فأمره أنْ يؤلف القرآن من بعده ، ويتولى غ ـسله, وتكفينه , وتحنيطه من دون قومه...) [830].

ثالث ـًا : أدرك بعض علماء المذهب الاثني عشري خطورة هذه الدعوى المصادمة لكتاب الله .

فقد ادعى علاء الدين القزويني[831] اتفاق علماء الشيعة ا لإمامية على نفي علم الغيب عن أئمتهم , وهي دعوى غير صحيحة , ولكني أورد قوله لنقض دعوى المدعين , إذ يقول: (اتفقت كلمة الشيعة الإمامية على أنّ علم الغيب من صفات اللّه الذاتية , وهي صفة مختصة به - سبحانه - , ولهذا لا يجوز إطلاق القول على الأئمة – عليهم السلام – بأتهم يعلمون الغيب , أو أنّ علمهم بالأشياء علم إحاطة وحضور, لا علم إخبار وحصول [832]؛ لئلا يـؤدي ذلك الخروج عن الإسـلام...)[833] .

الأساس الثاني

على أساس أنّ هناك أسبابـًا غير الإمام تربط بين السماء و الأرض , أو بين الله ومخلوقاته .

تبين لنا من أقوال الإمامية الاثني عشرية في تقرير دليل ضرورة الارتباط بعالم الغيب وجود إنسان كامل , إمام معصوم يربط الوجود بعالم الغيب , ليساعد أفراده للوصول إلى الهداية , وبالتالي إلى الكمال !

ولكن نرى أنّ هناك أسبابًا أخرى تربط الإنسان بعالم الغيب ؛ فقد رووا عن النبي محمد ما يؤكد أنّ العلم سبب متصل بين الخالق وخلقه في قوله : (العالم بين الجهّال كالحي بين الأموات , وإن طالب العلم ليستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر , وهوام الأرض , وسباع البر , وأنعامه , فاطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله , وإن طلب العـلم فريضة على كل مسلم)[834] .

ومن الأسباب التي توصل البشر بخالقها هو الدعاء , كما قال وحيد الخراساني: (الدعـاء هو السبب المتـصل بين العبـد والرب , وقد قـال الله تعالى :

... , [الأعراف / 55] , وقـال :

... , [غافر / 65] ...)[835] .

كما استنبط علامة الشيعة محمد باقر الحكيم من حديث الثقلين : (السبب الأكبر كتاب الله , طرفه بيد الله , وطرفه بأيديكم) [836] أنّ من أهداف القرآن الكريم هو ربط البشرية

بعالم الغيب , فيقول : (وقد يتساءل هنا عن الضرورة التي دعت القرآن الكريم إلى أن يتعرض لمثل هذه المعاني التي يستعصي تفسيرها على الذهن البشري ، فيخلق بذلك صعوبات ومشاكل هو في غنى عنها . ولكن الواقع أنّ القرآن الكريم لم يكن بإمكانه أن يتفادى هذه الصعوبات و المشاكل ؛ لأنّ القرآن بوصفه كتاب دين يستهدف بصورة رئيسة ربط البشرية بعالم الغيب، وتنمية غريزة الإيمان بـ الغيب فيها ، أو تقريب صورته إلى الذهن الإنساني المادي ، و لا يتحقق ذلك إلا عن طريق تلك الموضوعات التي تنبه الإ نسان إلى صلته بعالم أكبر من العالم المنظور ، وإن كان غير قادر على الإحاطة بجميع أسراره وخصوصياته)[837] .

وكذلك يعتبر شرف الدين الموسوي أنّ الأذان هو وسيلة اتصال بعالم الغيب , فيقول : (إنّ الأذان والإقامة من معدن الفرائض اليومية نفسه ، فمنشئها هو منشئ الفرائـض نفسه ، بحكم كل نسابة للألفاظ والمعاني ، خبير بأساليب العظماء وأهدافهم، وأنهما لمن أعظم شعائر الله ، امتازت بهما الملة الإسلامية على سائر الملل والأديان ، إذ جاءت آخراً , ففاقت مفاخراً , فليمعن معي الممعنون من أولي الألباب بما في فصولهما من بلاغة القول , وفصاحته ، وفخامة المعاني وسموها ، وشرف الأهداف ، وإعلان الحق بكل صراحة - الله أكبر ، أشهد أنّ لا إله إلا الله ، أشهد أنّ محمداً رسول الله - مع الدعوة إليه بكل ترغيب فيه ، وكل ثناء عليه . حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، حيّ على خير العمل ، لا تأخذ الداعي لومة لائم ولا سطوة مخالف غاشم .

تلك دعوة حية - كما قال عنها بعض الأعلام - كأنما تجد الإصغاء والتلبية من عالم الحياة بأسرها، وكأنما يبدأ الإنسان

في الصلاة من سـاعة مسراها إلى سمعه ، ويتصل بعالم الغيب من ساعة إصغائه إليها . دعوة تلتقي فيها الأرض و السماء ، ويمتزج فيها خشوع المخلوق بعظمة الخالق ، وتعيد الحقيقة الأبدية إلى الـخواطر البشرية في كل مـوعد من مواعيد الصلاة ، كأنّها نبأ جديد) [838].

الأساس الثالث
على أساس ارتباط غير النبي أو الإمام بالغيب عن طريق المكاشفة .

هناك من الشيعة الاثني عشرية من يزعم أته يشارك الأئمة في الاطلاع على الغيب , وهذا ينقض دعوى تفرد الأئمة بعلم الغيب .

وربما يفتح هذا الباب لبقية الشيعة الاثني عشرية للوصول إلى مرتبة الإمامة !

وفيما يلي أورد نماذج من دعاوي الاطلاع على الغيب من خلال أحد كتبهم , وهو كتاب المكاشفات [839] الذي ألفه محمد حسين التبريزي النجفي [840] سبع وثلاثون مكاشفة ادعاها لنفسه , ولكني سأقتصر على ذكر ثلاث مكاشفات - خشية التطويل – ظاهرة الفساد .

الأولى : تأكيد المذهب الإشراقي .

يقول التبريزي : (في الزمن الذي كنت أدرس على يد الأستاذ السيد عبد الغفار المازندراني [841] - قده - وكنت جالسـًا في غرفة دراسته , رأيت عدة كتب موضوعة أمامه , فحملت كتابـًا ضخمـًا , ونظرت إلى مقدمته فرأيته كتاب الأسرار لكميل بن زياد [842], ثم فتحته من وصيته فرأيت خبرًا جميلا ً أعجبني , وصرت أقرأه , قال كميل : خرجت منتصف ليلة إلى البر فرأيت سراجـًا يمشي فتبعته , ولما وصلت إليه قال : أكميل هذا ؟ قلت : نعم يا مولاي , وإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : يا كميل

هل رأيت شيئـًا عجيبـًا ؟ قلت : نعم يا مولاي , قال : وما هو ؟ قلت : رأيت سراجـًا يمشي في البر فتبعته فلما وصلت إليه فإذا هو أنت يا مولاي , قال أمير المؤمنين : يا كميل أو لم تعلم أنّ حقيقة المرء جوهرة كنهها الربوبية . وبعد أن طالعت هذا الخبر قلت في نفسي هل يمكن أن أدرك حقيقتي , والقائل صادق صديق , وهو أمير المؤمنين , وبقيت ثلاثة أشهر أسأل ربي أن يريني حقيقتي , وكنت أسجد سجدة واحدة بعد صلاة الفجر منتظرًا إدراك حقيقتي , وهذه السجدة كانت تنتهي بعد طلوع الشمس بساعة واحدة, وأنا مشغول فيها بالتسبيح والتكبير , ومنتظر إدراك حقيقتي , وكل يوم كنت أسجد هذه السجدة إلى مدة ثلاثة أشهر .

وفي يوم من الأيام وأنا كنت ساجدًا لله -جلّ وعلا - مشغولا ً بالتسبيح والتكبير إذ رأيت أمامي تابوتـًا من زجاج أبيض درّي تشع منه أنوار , وأشعته كانت بمنزلة فضاء أبيض , ورأيت فيه صورة ياقوتية حمراء , أرى باطنها من ظاهرها كصورة زجاجية نقية , ولما دققت النظر فيها , وهي كطفل يبلغ من العمر سنتين ملقى على ظهره ممددًا يديه , وإذا هي صورتي , عند ذلك علمت أنّ هذا التابوت الزجاجي الدري هو حقيقتي , وهو جوهرة , وهذه الصورة الحمراء هي كنهها , وهذا هو ما يطابق اسمي المجموع من محمد وحسين نور أبيض ونور أحمر, فقمت من السجدة مذهولا ً ولم أكن مسبوقـًا بمكاشفة قبل هذا , وهذه أول مكاشفة أدركـتها وهي حقيقة المرء جـوهرة كنهها الربوبية) [843].

الثانية : ادعاء العلم اللدني .

يقول التبريزي : (كنت يومـًا من أيام العمر جالسـًا في الدار , وأنا مبتلي بالبرد الشديد الذي أصاب جسمي ,

فأجلسني في الدار , فجاء جماعة من الأصدقاء والأقارب لعيادتي , لا يتجاوزون الخمسة أشخاص , و كنت جالسـًا معهم أتحدث بأنواع الكلام إذ رأيت نورًا قد دخل الغـرفة , ورأيت في ذلك النور سيدًا له نسبة معنا , واسمه السيد موسى دخل الغرفة , وسلم عليّ , وجلس إلى جنبي من الجـانب الأيسر , وصار يسأل عن أحوالي وأنا أجيبه , وبعد أن غاب عن عيني وجهت الخطاب إلى الجماعة الجالسين أمامي, وقلت لهم: إنّ السيد موسى قاصدًا إلينا , و الآن يأتي ليسأل عن أحوالي .

أما الجماعة فصار ينظر بعضهم بعضـًا , مستغربين من قولي , ولا يعترضون عليّ, وبعد دقائق إذ جاء السيد موسى إلى دارنا ,ودخل الغرفة وجلس بجنبي على الجانب الأيسر, كما رأيته في المكاشفة , وصار يسأل عن أحوالي , وبعد أن انتهى من كلامه , قلت له : إنني أخبرت الجماعة قبل مجيئكم بمكاشفة كما رأيتكم الآن , فنظر إلى الجماعة دون أنْ يفهم من قولي شيئـًا , فأشار إليه أحدهم بإصبعه على دماغه , إشارة معناه أنّ الرجل ليهجر , فنظرت إليه دون أنْ أعاتبه لجهله , ولا لوم عليه ؛ لأنّه كان من صنف العوام من الناس , ولكني تأسفت كثيرًا لطعنه دون علم منه , ألم يقل موسى للخضر :

,[الكهف / 71] ؟

فلو كان موسى خبيرًا عالمـًا لما كان يقول هذا القول لعبد أتاه اللّه من لدنه علمـًا . وكان الخضر ينكشف له كل عمل يريد أن يعمله في المستقبل فيذهب للعمل, وهو عالم خبير عنه فيعترضه موسى :

... , [الكهف / 74-75] ألم يقل لك وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا , وأنت تقول ستجدني صابرًا إن شاء اللّه ولا أعصي لك أمرًا [844] .

والجدار الذي يريد أن ينقض فأقامه قال موسى : ...
, [الكهف / 77]
ثمّ أخبره عما لم يحط به خبرًا [845].
إذن معنى المكاشفة هو العلم اللدني من جانب الرّب - جلا وعلا - يؤتيه لمن يشاء , وهو كريم على من يسأل منه كل شيء , ولا غرابة) [846].
الثالثة : ادعاء علم الغيب بحجة أنّ نفسه متصلة بعالم الدّر .
فبعد أن يحكي التبريزي أنه تزوج من مدينة الكاظم أتى إلى النجف , وسكن بها وزوجته التي عاشت معه خمسـًا وعشرين سنة , ولدت له خلالها أربعة أبناء , وبنتـًا واحدة , وأثناء حمل زوجته بابنته , وبعد شهر واحد من الحمل فقط , أتت سألته عن حملها ما يكون ذكرًا أم أنثى ؟! فقال لها : (ائتني بقرطاس وقلم؛ لأرسم لك صورة هذا المولود الذي سيولد بعد ثمانية أشهر , وبعد أن جاءتني بالقلم والقرطاس رسمت لها صورة أنثى رفيعة الوجه , ضعيفة البنية , صغيرة الأنف , ذات عينين تشبه اللوزتين , وكتبت تحت هذا الرسم هذا المولود أنثى , وسيولد بعد ثمانية أشهر , وكتبت اسمها , و أعطيت الورقة لزوجتي , وقلت لها احفظيها حتى الولادة كي نطبق هذه الصورة على هذا المولود .
وبعد ثمانية أشهر وضعت هذه الطفلة , وطلبت منها الورقة , وأريتها الأوصاف التي في الورقة , فكانت صورة طبق الأصل عن المولود , فتعجبت كثيرًا , وسألتني : كيف رسمت هذه الصورة على الورقة قبل أنْ تصور هذه الطفلة ؟!
فأجبتها : إن الصورة موجودة في عالم الذر قبل أنْ تنزل إلى الرحم , وقبل أن تنصب المادة عليها , وأنا نظرت إلى عالم الذر , ورأيت نفسها المجردة في عالم الذر , فهتفت بي بشوق فعلمت أنها بنت .

ولا استغراب ولا عجب بعد أن تتصل نفس الإنسان بعالم المجردات , وعالم المجردات هو عالم الذر , تسكنه النفوس الروحانية , كما أنّ هذه الأجسام تسكن في هذا العالم الطبيعي , وتكون منه , وتتحطم فيه كذلك النفوس تخلق في عالم الذر , وهو عالم روحاني , وهو ما وراء هذا العالم المادي , والإنسان هو جسم مادي , ونفس روحانية , وهو مصغر هذا العالم الأرضي والسماوي) [847].

يظهر مما سبق :
أنّ غير الإمام يمكن أنْ يعلم الغيب عن طريق المكاشفة, فإما أنْ نثبت دليل ضرورة الارتباط بعلم الغيب على الإطلاق , وبالتالي كل من ارتبط بعلم الغيب فهو إمام معصوم , وإما أنْ نسقط هذا الدليل من جذوره , ولا يعتبر في الاستدلال العقلي على الإمامة عند الاثني عشرية .

المطلب الثالث

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من الكتاب والسُنة

أولا : من القرآن الكريم :

1.يقرر الله في كتابه الكريم أنّ الغيب من خصائصه , لا يشاركه فيه غيره حتى الأنبياء - عليهم السلام – , قال تعالى:

[الأنعام / 59] .

يقول ابن أبي السعود[848] في تفسيرها : (بيان لا ختصاص المقدورات الغيبية به - تعالى - من حيث العلم...وقوله : تأكيد لمضمون ما قبله)[849] .

2.ويقول الآلوسي[850]: (والمقصود على كل تقدير أنه هو العالم بالمغيبات جميعها)[851].

3. يأمر الباري - تبارك وتعالى - نبيه أن يعلن لجميع الخلق أنّه لا يَعلم أحد من أهل السموات وا لأرض الغيب إلا الله فقال - تبارك وتعالى - :

, وقوله: استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله المنفرد بذلك وحده لا شريك له

.[852]

يقول ابن أبي حاتم[853] – رحمه الله - في تفسيرها : (قضى الله أنّه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون, ولعمري لو أنّ أحدًا علم الغيب , لعَلِمَه آدم الذي خلقه الله بيده , وأسجد له ملائكته , وعَلمّه أسماء كل شيء , وأسكنه الجنـّة يأكل فيها رغدًا حيث شاء , ونهى عن شجرة واحدة , فلم يزل به البلاء حتى وقع بما نـُهِيَ عنه . ولو كان أحدٌ يعلم الغيب لعلمته الجنُّ حين مات نبي الله سليمان , فلبثت تعمل له حولا ً في أشد الهوان, لا يشعرون بموته , ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته , أي : تأكل عصاه فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المبين , وكانت الجن تقول قبل ذلك : إنها تعلم الغيب , وتعلم ما في غد , فابتلاهـم الله بذلك , وجـعل موت سليمـان للجن عظة ...) [854].

4. يأمر الباري - تبارك وتعالى - نبيه ومصطفاه أنْ يتبرأ من دعوى علم الغيب , فيقول :

[ا ,

لأعراف / 188] .

قال الإمام الطـبري [855] – رحمه الله - : (قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها :

يقول لا أقدر على
اجتلاب نفع إلى نفسي, ولا دفع ضر يحل بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقويني عليه ويعينني , يقول
لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكـن بعد لاستكثرت من الخير يقول لأعددت الكثير من الخير)[856] .

ونظير هذه الآية قوله - تبارك وتعالى - :

, [الأحقاف /

9] , وقـوله :

, [الأنعام /50] .هل يعقل أنّ الرسول الذي يوحى إليه لا يعلم الغيب ولا يدري ما يفعل به , في حين أنّ الإمام الذي لا يوحى إليه يعلم ذلك ؟؟

5.يقرر الباري أنه قد يـُطلع بعض أنبيائه طرفـًا من الغيب لحكمة يراها , فيقول :

,

[الجن/26- 27] , وقال :

, [آل عمران / 197] ,
وكذا قال بعد بيان قـصة نوح :

, [هود /
49] .
وبعد أنْ يوحي الله – تبارك وتعالى -لبعض رسله بعـضَ تلك الأخبار, يخبر الرسول أصحابه بها , ويؤمن بها من سمعها على حد سواء , ولو كان للإمام علمًا مثل علم الرسول لنصّ الباري - تبارك وتعالى - على هذا , ولقال : إلا من ارتضى من رسول أو إمام ! أو لقال : ولكن الله يجتبي من رسله وأئمته من يشاء ! لذا فمقارنة علم الإمام بعلم الرسـول فاسد , لا نص عليه البتة .

5. وأخيرًا يقرر الباري - تبارك وتعالى - أنّ الدين قد كمل , فلم تعد هناك حاجة إلى رسالة جديدة , ولا واسطة غيرها , فيـقول: ...

, [المائدة / 3] . فلو كان الا
تصال بالغيب بالمفهوم الاثني عشري لما نص الله - تبارك وتعالى - هذا في كتابه .

وبهذا يتبين بطلان دعوى الشيعة الاثني عشرية أنّ هناك أحدًا يعلم الغيب , وأنّ هناك حاجة إلى مثل هذه الشخصية في الأمة .

ثانيـًا : من السُنة المطهرة :

1. ثبت عن النبي   أته لا يملك مفاتيح الغيب إلا الله - تبارك وتعالى - , ولوكان أحد من الأئمة , أو حتى هو يعلمها لما قال بهذا , فقد روى البخاري عن عبد اللهِ بن دِينَار[857] ,عن ابن عُمَر [858]قال : قال رسول اللهِ : (مفاتيح الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إلا الله: لَا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلا الله, ولا يَعْلَمُ ما تغِيضُ الْأَرْحَامُ إلا الله , ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إلا الله, ولا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تمُوتُ , ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا الله) [859].

2. ليس لأحد من البشر أتى كانت منزلته أن يعــلم الغيب , فقد روى الإمام مسلم عن مسـروق[860]أنه قال : كنت متكئًا [861] عند عائشة , فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت : ما هن ؟ وذكرت منهن : (ومن زعم أنّ رسول الله   كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول:

, [المائدة / 67] , قالت : ومن زعم أته يخبر بما يكون في غد , فقد أعظم على الله الفرية , والله – تعالى - يقول :

...)[862].

المطلب الرابع

نقد دليل ضرورة الارتباط بالغيب من أقوال علماء أهل السُنة

تبين لنا سابقًا - في المطلب الثاني من هذا المبحث - أنّ من الاثني عشرية من يذهب إلى أنّ ارتباط البشر بعالم الغيب , أو ارتباطهم بالله - تبارك وتعالى- له طرق عديدة لا يتوقف على وجود إمام معصوم , وهـذا أيضًا ما ذهب إليه مخالفو الإمامية الاثني عشرية .

فالقرآن الكريم يربط البشرية بخالقهم , قال الرازي: (إنزال الكتاب نعمة عليه [أي الرسول] , ونعمة علينا , أما كونه نعمة عليه ؛ فلأنه - تعالى - أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد , والتنزيه , وصفات الجلال والإكرام , وأسرار أحوال الملائكة , والأنبياء , وأحـوال القـضاء والقدر ...

وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا ؛ فلأنه مشتمل على التكاليف , والأحكام , والوعد والوعيد , والثواب والعقاب , وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات , فكل واحد ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه , فلما كان كذلك وجب على الرسول , وعلى جميع أمته أن يحمدوا الله عليه , فعلمهم الله – تعالى- كيفية ذلك التحميد , فقـال : ...

, [الكهف / 1] ...)[863].

ثم إنّ التعبد لله بكـافة أنواع العبادات تربط العبد ب

الله – تبارك وتعالى- ، فقد أمر تعالى بالاستعانة بالصبر والـ
صلاة فى المصائب , والبليات فى قوله تعالى:

, [سورة

البقرة/ 153].

وفى قوله تـعالى :

, [سورة البقرة /45] .

وقد أمر البارى نبيه بقيام الليل حتى تقوى صلته به ؛ ليتحمل أعباء النبوة , وليستعين به على تجاوز العقبات فى سبيل الدعوة، قال تعالى:

, [سورة المزمل/ 10-1] ، فالرسول كان يحرص على ذلك التعبد الذى أمر به فى هذه الآية الكريمة، ومع ارتباطه بعالم الغيب عن طريق الوحى , إلا أته كان يعلم أمته أن يكون ارتباطهم بالله - تبارك وتعالى - مباشرا من غير واسطة , وما خلا قلب البشـر من نية التعبد لله - تعالى - إلا فقد ارتباطه بالمولى .

كما كان النبى يستعين بالعبادات ، وبالأخص الصلاة , لتقوية العلاقة بينه وبين ربه ؛ فنراه كلما حدث له حادث بادر إلى الصلاة ، كما جاء فى الحديث عَن حُذَيْفَة [865] قَالَ: (كانَ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَى) [866].

وكان النبى يجد اللذة والراحة فى الصلاة ، ويَقُولُ: (يَا بِلَالُ [867] أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا) [868].

قال العظيم آبادى [869]: (أَىْ نَسْتَرِيح بِأَدَائِهَا مِن شُغْل الْقَلب بِهَا, وَقِيلَ كانَ اِشْتِغَاله بِالصَّلَاةِ رَاحَة لَهُ , فَإِنَّهُ كانَ يَعُدّ غَيْرهَا مِن الأَعْمَال الدُّنْيَوِيّة تعَبًا , فَكانَ يَسْتَرِيح بِالصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِن مُنَاجَاة اللَّه – تعَالَى - , وَلِهَذَا قَالَ: (وَجُعِلَتْ قُرَّة عَيْنِى فِى الصَّلَاة) [870] وَمَا أَقْرَب الرَّاحَة مِن قُرَّة الْعَيْن) [871].

وكان النبى يصلى ويطيل القيام , حتى تورمت قدماه، ومع ذلك لا يحس التعب بل يجد اللذة والراحة، وإذا نبهه على ذلك أحد كان يقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ فعَنْ الْمُغِيرَةَ [872] قال : إِنْ كانَ النَّبِىُّ لَيَقُومُ لِيُصَلِّىَ حَتّى ترِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ, فَيُقَالُ لَهُ , فَيَقُولُ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟

) [873] .

ولعظمة هذا الأمر - الاستعانة بالصلاة - كان يحث أهله على القيام بها، فقد جاء في الحديث أنه استيقظ ليلةً من نومه وأمر بإيقاظ زوجاته للعبادة لنزول الفتن، فعن هِنْد بِنْت الحَارِثِ[874] أَنّ أُمّ سَلَمَةَ - رَضِىَ اللّه عَنْهَا - قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِىُّ فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللّه مَاذَا أُنْزِلَ مِن الخَزَائِنِ! وَمَاذَا أُنْزِلَ مِن الفِتَنِ! مَن يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجَرِ؟ - يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ حَتّى يُصَلِّينَ- رُبَّ كاسِيَةٍ فِى الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِى الآخِرَةِ) [875] .

قال الحافظ [876] : (وَفِي الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب الْإِسْرَاع إِلَى الصَّلَاة عِنْد خَشْيَة الشَّرّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
... , وَكَانَ حَزَبَهُ أَمْر ٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاة, وَأَمَرَ مَن رَأَى فِي مَنَامه مَا يَكْرَه أَنْ يُصَلِّيَ) [877] .

فالعجب حقيقة أن يأتي من يقول بضرورة الارتباط بـالغيب عـن طريق إمام معصوم ! في حين أنّ النبي لم يبين لأمته هذا الأمر !

أما ما ادعاه الإمامية الاثنا عشرية من كون أنّ الإمام له علاقة بمعرفة علم الغيب لارتباطه المباشر به , فباطل - كما سبق بيان ذلك - , قال الملطي [878] – رحمه الله - في حديثه عن فرق الشيعة : (ومنهم صِنفٌ زعموا أنّ عليـًا قد عَلِمَ ما علمه رسول الله من علم الدنيا والآخرة , وما كان وما هو كائن, وعَلِمَ عليٌ بعد رسول الله علمـًا لم يكن رسولُ الله

يعلمه , وأنّ عليـًا أعلمُ من رسول اللّه , وجعلوا الأئمة بعده يرثون ذلك منه إلى يومنا هذا الأكبر فالأكبر ... نقـول هذا جهل عظيم , وكيف يَعلمُ عليٌ , أو أحدٌ كلّ هذا وهو يقول : (إنّ رسول اللّه لم يعهد إليّ شيئـًا إلا عهدته إلى الناس)[879], وعلى القائل لعبد اللّه بن عوف [880]: (إنْ أخطئك فأرجو أن لا تخطئني)[881] فلو كان كما يقولون لعلم أنها تخطئه , وأنّ عثمان له الخلافة , ولو علم الغيب لم يجب معاوية إلى الحكمين , ولعلم أنّ عمرو بن العاص[882] يفلح على أبي موسى[883]...

كذب أعداء اللّه ما قال علي من هذا شيئًا , ولا رضيه , ولا أراده - رحمة اللّه عليه -...)[884].

ويقول ابن تيمية– رحمه اللّه - في ادعـاء الإمامية الا ثني عشرية عِلمَ الغيب لعلي : (إنه لو كان يعلم الكوائن , كان قد علم أنّ إقراره على الولاية أصلح له من حرب صفين , التي لم يحصل بها إلا زيادة الشر وتضاعفه , ولم يحصل بها من المصلحة شيء , وكانت ولايته أكثر خيرًا , وأقل شرًا من محاربته , وكل ما يظن في ولايته من الشر فقد كان في محاربته أعظم منه , وهذا وأمثاله كثير مما يبين جهل من يقول : إنه كان يعلم الأمور المستقبلية . بل الرافضة تدعى الأمور المتناقضة يدعون عليه علم الغيب مع هذه الأمور المنافية لذلك...)[885].

فدعوى عِلمُ الغيب لغير اللّه باطلة تمامـًا , وإن كانت في حق المصطفى , فبطلانها في حق الأئمة من باب أولى .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - : (إنّ بعض من لم يرسخ في الإيمان كان يظن ذلك [886] ,حتى كان يرى أنّ صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي على جميع المغيبات , كما وقع في المغازي لابن إسحـاق[887] أنّ ناقة النبي ضـلت , فقال زيد بن لصيت[888] : يزعم محمد أنّه نبي , ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . فقال النبي : (إنّ رجلاً يقول كذا وكذا , وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله , وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا قد حبستها شجرة)[889] فذهبوا فجاؤوا بها , فأعلَمَ النبيُّ إنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله وهو مطابق لقوله تعالى:

... , وقد اختلف في المراد بـ الغيب فيها , فقيل : هو على عمومه , وقـيل: ما يتعلق بـ الوحي خاصة , وقيل : ما يتعلق بعلم الساعة , وهو ضعيف ؛ لما تقدم في تفسير لقمان أنّ علم الساعة مما استأثر الله بعلمه...) [890].

الفصل الثالث

" دليل الفطرة "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل الفطرة ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية فيه.

المبحث الثاني : نقد دليل الفطرة ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل الفطرة ومقدماته وتقريره من خلا ل الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل الفطرة ومقدماته.

المطلب الثـاني : تقرير دليل الفطرة من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول

صورة دليل الفطرة ومقدماته

اقتصر متقدمو الاثني عشرية في تفسير قوله تعالى :

, على ذكر الروايات المنسوبة إلى أئمتهم التي تقرر أنّ الباري - تبارك وتعالى - قد فطر الناس على الإقرار بنبوة محمد , وعلى ولاية علي .

وكذلك في ق-وله :

, [الأعراف / 172] . أنّ الميثاق الذي أخذه الله على النبيين هو الإقرار بالتوحيد , وبنبوة محمد , وبولاية علي . من غير أن نجد منهم أدنى تعليق عليها !

وبالتالي لم يظهر دليل الفطرة بمقدماته من خلال هذه الروايات , كما ظهر عند المتأخرين , فهم قد فهموا من الروايات أنّ الباري - تبارك وتعالى - كما فطر الناس على توحيده فطرهم على الإمامة [891].

وذهبوا إلى أنّ " كل فطرة بشرية تجد في أعماقها انجذاباً فطرياً نحو الكامل علماً وعملا " بواسطة الإمام ، وهذا الانجذاب هو الباعث والمحرك للإنسان حتى يتكامل , وعدّو ذلك من الأدلة العقلية على الإمامة .

ويتضح هذا الدليل بصورته المتأخرة من خلال النقاط الآ تية :

- إن ّ الإنسان في حين انجذابه إلى اللامحدود يقر في نفسه أنّه لا يستطيع أن يكون لا محدوداً ؛ لأنّ قدرته وإمكاناته كلها محدودة , ولكنه يسعى فطريٍّ ا لتحصيل الكمالات حسب قدرته ووسعه.

- إن ّ محور الانجذاب إلى الكامل اللامحدود الانجذاب إلى الكامل من بني الإنسان ، لاعتقاد الناس أنّ كمالاته من اللامحدود , وهو الإمام - حسب معتقد الاثني عشرية -.

وبالتالي نلخص دليل الفطرة في أمرين :

الأمر الأول :

اشتراك البشرية في الانجذاب إلى الكامل اللامحدود, وتفصيله عند الإمامية:

بما أنّ انجذاب النفس إلى الكمال اللامحدود هو أمر فطري .

وبما أنّ كل أمر فطري تشترك فيه البشرية .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ انجذاب النفس إلى الكامل اللامحدود تشترك فيه البشرية .

الأمر الثاني :

من الفطرة الانجذاب إلى الكامل من اللا محدود[892],وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ الانجذاب إلى الكامل من اللامحدود انجذاب إلى الكامل المطلق .

وبما أنّ الانجذاب إلى الكامل المطلق أمر فطري .

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ الانجذاب إلى الكامل من اللامحدود أمر فطري .

المطلب الثاني

تقرير دليل الفطرة من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

أولا ً: تقرير دليل الفطرة من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

لما لم يجد الشيعة الاثني عشرية دليلا ً صريحًا في القرآن الكريم على الإمامة لجأوا إلى التأويل الباطل للآيات القرآنية التي تؤكد فطرية المعرفة بالله - تبارك وتعالى - , ففسروها بالإمامة , وذلك اعتداء باطل على كتاب الله , وإبطال لدلالاته .

ومن هذه الروايات ما رواه القمي , عن علي بن موسى الرضا , عن أبيه , عن جده محمد بن علي بن الحسين في قوله :

, قال : (هو لا إله إلا الله محمد رسول الله , علي أمير المؤمنين ولي الله)[893].

وفي رواية أخرى عن أبي بصير , عن أبي جعفر في قوله : قال : (هي الولاية)[894].

و أما في قوله :

.

روى الكليني , عن أبي جعفر أنه قال : (إن ّ الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماء ً عذب ًا , وماء ً مالح ًا أجاج ًا ، فامتزج الماءان ، فأخذ طين ًا من أديم الأرض , فعركه عرك ًا شديد ًا ، فقال : لأصحاب اليمين , وهم كالذر يدبون: إلى الجنة بسلام , وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال :

، ث ّم

أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ألست بربكم وأنّ هذا محمد رسولي ، وأنّ هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى فثبتت لهم النبوة , وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم, ومحمد رسولي , وعلي أمير المؤمنين , وأوصياؤه من بعده ولاة أمري , وخزان علمي - عليهم السلام - , وأنّ ّ المهدي أنتصر به لديني , وأظهر به دولتي , وأنتقم به من أعدائي , و أعب َد ُ به طوع ًا, وكره ًا قالوا : أقررنا يا رب وشهدنا ، ولم يجحد آدم , ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي , ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله :

قال : إنما ,

هو : فترك ثم أمر نار ًا فأججت , فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها , فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم برد ًا وسلام ًا ، فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ، فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، فثم ثبتت الطاعة , والولاية , والمعصية)[895] .

وأيض ًا روى القمي بسنده , عن أبي عبد الله أنه قال : (أول من سبق من الرسل إلي ّ محمد رسول الله - صلى

اللّه عليه وآله - وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى اللّه - تبارك وتعالى - ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء : تقدم يا محمد فقد وطأت موطئ ً ا لم يطأه ملك مقرب , ولا نبي مرسل , ولولا أنّ روحه , ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، فك‍ان من اللّه . كما قال اللّه قاب قوسين أو أدنى , أي بل أدنى ، فلما خرج الأمر من اللّه وقع إلى أوليائه - عليهم السلام -، فقال الصادق :كان الميثاق مأخوذ ً ا عليهم لله بالربوبية , ولرسوله بالنبوة , ولأ مير المؤمنين والأئ‍مة بالإمامة ، ف‍قال : ألست بربكم , ومحمد نبيكم , وعلي إمامكم , والأئمة الهادون أئمتكم ؟ فقالوا : بلى شهدنا , ف‍قال اللّه تعالى :

أي لئلا تقولوا يوم القيامة

, فأول ما أخذ اللّه الميثاق

على الأنبياء له بالربوبية , وهو قوله:

... , [الأحزاب / 7] ذكر جملة الأ نبياء , ثم أبرز أفضلهم بالأسامي , فقال : ومنك يا محمد ، فقدم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله- ؛ لأنّه أفضلهم ومن نوح , وإبراهيم , وموسى , وعيسى بن مريم ، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء , ورس‍ول اللّه - صلى اللّه عليه وآله – أفض‍لهم ، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - على الأنبياء بالإيمان به , وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين , فقال:

... , [آل عمران / 81] يعني رسول اللّه -صلى اللّه عليه وآله-:

يعنى أمير المؤمنين

, وأخبروا أممكم بخبره , وخبر وليه م‍ن الأئمة– عليهم الس لام- ...)[897].

ثانيـًا : تقرير دليل الفطرة من خلال أقوال علماء الاثني عشرية الواردة في كتبهم [898] :

يرى الإسترابادي أنّ اللّه - تبارك وتعالى - قد أوقع في قلوب البشر معرفته ومعرفة النبي , والأئمة, وبالتالي يتوجب على الخلق العمل بمقتضاها , فيقول: (معرفة خالق العالم , ومعرفة النبي , والأئمة – عليهم السلام – ليست من أفعالنا الاختيارية , ومن أنّه على اللّه بيان هذه الأمور, وإيقاعها في القلب بأسبابها , وبأنّ على الخلق بعد أنْ أوقع اللّه في قولهم تلك المعارف الإقرار بها, والعزم على العمل بمقتضاها , ومن أنّ الإيـمان عمل كله , ومن أنّ المعـرفة متقدمة عليه , من أنّ تحصيل المعرفة ليس تحت قدرة العبد , وتحصيل الإيمان تحت قدرته) [899] .

ويقول أبو الحسن العاملي [900] في قوله تعالى :

... : (فالمراد بهذه الخلقة أنّهم خلقهم على التوحيد , ونبوة النبي– صلى اللّه عليه وآله - ,وولاية علي أمير المؤمنين) [901].

ويرى محمد سند أنّه من الفطرة ضرورة وجود العقل المعصوم عن الخطأ ؛ لتكامل عقول البشر : (العقل المعصوم عن الخطأ ضرورة لعقولنا وتكاملنا ؛ لأنّه هو الهادي إلى الكمال , والنقص المتوسط والجزئي , بل الحاجة إلى المعصوم فطرية , حيث إنا لو رجعنا إلى فطرة البشر لوجدنا

أتها لا تستغني عن المعصوم؛ ليشخص لها المصاديق الحقيقية للكمال الذي فطرت عليه) [902].

وعند التساؤل كيف هو الارتباط بين المعصوم – وهو من البشر - مع الذات المقدسة ؛ حيث يعلم أنّ كمالات الذات المقدسة أزلية أبدية , لا يمكن تحصيلها ، فكيف يحصل الا قتداء والسير التكاملي بالنسبة إلى نفس المعصوم ؟
يجيبنا محمد سند بقوله : (لقد ذكرنا في المراتب الوجودية أنّ النبي الخاتم - صلّى اللّه عليه وآله - هو أفضل الأئمة والمعصومين , فهو يمثِّل الرابطة بينهم , وبين الذات المقدّسة ، ويكونون في حالة استعداد تام لتحصيل كم الات الحقيقة المحمدية ، وهذا ما تفيده الروايات والآ يات ...) [903].

فمن الأمور الفطرية عند الاثني عشرية أنّ الإمامة إتمام للنبوة , وامتداد لها, كما يقول محمد باقر الصدر : (الإمامة إتمام وامتداد للنبوة الباقية , والرسالة الخالدة , وهذا أمر فطري , وحقيقة ارتكازية يحكم بها العقل السليم , والوجدان المستقيم , وتشهد البداهة بأنّه لابد لكل قوم , بل لكل عالم من عوالم الوجود من إمام , ورئيس يهديهم إلى سبيل الصلا ح , ويقودهم إلى الخير و الفلاح , ويرفع عنهم النزاع والخلا ف , ويكون داعيًا إلى اللّه , ومصلحًا لعباد اللّه) [904].

ويقول في موضع آخر جاعلا ً الإمامة من الأمور الضرورية التي لا يستغني عنها البشر : (وعلى الجملة فالإ مامة أمر فطري , واحتياج ضروري , وحاجة لازمة , كفى

بارتكازيتها دليلا ً عليها) [905].

أما الخميني فيوضح هذا الأمر من منهجه الصوفي , فيقول : (إنّ التوجه والعشق للكمال المطلق هو من الأمور الفطرية, ونضيف هنا أنّ هذا الكمال المطلق والجمال على الإ طلاق الذي يعشقه كل إنسان , ويتوجه إليه بفطرته , هو الحق تعالى ... ولأنّ حقيقة الولاية هي – عند أهـل المعرفة – عبارة عن الفيض المنبسط المطلق, والخـارج من جميع مراتب الحدود والتعينات , والمعبر عنه بعنوان (الوجود المطلق) , لذا فإن الفطرة متعلقة بهذه الحقيقة ...

ولأنّ الفطرة تطلب الفناء في الكمال المطلق , لذا فإن حصول تلك الحقيقة – أي حقيقة الولاية – هو تحقق هذا الفناء في الكمال المطلق , إذن فحقيقة الولاية هي أيضًا من الأمور الفطرية ...

الولاية هي من التوحيد ؛ لأنّ حقيقة الولاية هي الفيض المطلق , والفيض المطلق هو ظل الوحدة المطلقة , والفطرة متوجهة بالذات للكمال الأصلي , وبالتبع متوجهة للكمال الظلي ... إذن اتضح أنّ معرفة الله والتوحيد , والولاية هي من الأمور الفطرية...) [906].

المبحث الثاني

نقد دليل الفطرة ومناقشته

وفيه مطالب :
المطلب الأول : نقد دليل الفطرة بالدليل العقلي.
المطلب الثـاني : نقد دليل الفطرة من كتب الاثني عشرية وواقعهم المعاصر .
المطلب الثالث : نقد دليل الفطرة من القرآن الكريم .
المطلب الرابع : نقد دليل الفطرة من أقوال علماء أهل السُّنة .

المطلب الأول

نقد دليل الفطرة بالدليل العقلي

يتمثل الرّد على دليل الفطرة الذي احتج به الاثني عشرية على إثبات الإمامة من عدة وجوه :

الأول : إنّ الروايات التي استدل بها متأخرو الاثني عشرية في صياغة الدليل , لا يخلو أمرها من اثنين : إما ضعف أسانيدها , وإما ضعف دلالاتها على دليل الفطرة كما صاغه المتأخرون .
فالبرغم من ضعف أسانيدها إلا أنّ الاثني عشرية تعتمد عليها ؛ لموافقتها المذهب !
أما دلالاتها فالناظر في متونها لا يكاد يظهر له دليل الفطرة بمقدماته التي صاغها المتأخرون من علماء المذهب .
ففطرية الإمامة والانجذاب نحو الكامل من اللا محدود , لا ينطبق على مافي الروايات ؛ لأنّ الروايات تقرر أنّ الله قد أخذ الميثاق على البشرية في الأزل على إمامة الأئمة وبينهما فرق .

الثاني : دعوى الاثني عشرية بأنّ محور الانجذاب إلى الكامل المطلق هو الانجذاب إلى الكامل من بني الإنسان وصياغة دليل الفطرة لإثبات الإمامة ! غير صحيح ؛ وذلك لأنّ دليل الفطرة ليس دليلاً يمكن أن يحتج به على المنـكر للإمامة ، بخلاف الاحتجاج به على المنكر لوجود الباري - تبارك وتعالى- ؛ وذلك لأنّ البشرية على اختلاف مذاهبهم , ومعتقداتهم اتفقوا على وجود الخالق , ولكن لم يتفقوا على وجود الإمام المعصوم .

ثم إنه قد يقول قائل : بسبب تأثري بالبيئة المحيطة حولي , فإنني لا أجد في قرارة نفسي الإيمان بوجود الإمام المعصوم !
وفي المقابل قد نجد من يقول : بسبب تأثري بالبيئة المحيطة حولي , فإنني أجد في قرارة نفسي الإيمان بوجود الإمام المعصوم !

لذا فلا يمكن أن نعتمد على هذا الدليل في الاستدلال على مسألة الإمامة ؛ وذلك لأنّ الإيمان به إيمان نسبي قد يحدث لفئة دون الأخرى بخلاف الإيمان بوجود الصانع .

الثالث : أما زعم الاثني عشرية بأته من الفطرة الانجذاب إلى الكامل من اللامحدود – الذي هو الإمام المعصوم بمعتقدهم - , والإيمان فطريًا بوجوده بسبب تمتع الإنسان بشعور غريزي بأته يجب عليه الارتباط بالإمام الكامل من اللامحدود المسيطر على كل الأمور والمدبر لها ! و المسير لحياة البشر والمخلوقات ! وهو عين توحيد الباري - تبارك وتعالى - , فهو باطل , غير فطري البتة ؛ لأتنا نجد من ينكر هذا الشعور , وهم فئة ليست قليلة ؛ إذ يؤكدون أتهم لا يشعرون بوجود هذا الكائن , ولا يحسون به ، ولا يرتبطون به لا من قريب ولا من بعيد , خاصة من يتوهم الإمامية الاثني عشرية وجوده – الإمام الثاني عشر - وهؤلاء هم الأكثرية من البشرية .

ثم إنه حتى المؤمن بوجود الإمام الكامل من اللا محدود لا يجد هذا الشعور واضحـًا جليًا في كل الأوقات والأحوال , مما يشكك بغريزية هذا الشعور ,

ويعطي مجالا ً لكونه شعور ًا وضعيـًا, لا حقيقيـة له [907] .

الرابع : ما يجده أرباب هذا الدليل - من الاثني عشرية - قد يكون متولد ًا من البيئة الاجتماعية المحيطة بهم , لا مرافق ًا لهم منذ ولادتهم , وأنّ العادات , والتقاليد , والتربية , والنشأة , وما وجـدوا عليه آباءهم , قد غرس في نفوسهم مشاعر وأحاسيس لا أساس لها من الصحة , فاختلط عليهم بين الأمور الفطرية الغريزية مثل : وجود الخالق , وبين الأمور المكتسبة مثل : وجود إمام معصوم كامل من اللامحدود .

الخامس : أما ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ معرفة الأئمة فطرية غير اختيارية!
فأقول : إن ّ تمتع الإنسان بشعور غريزي جبلِي كامن ٌ في أعماقه بأنّ ّ فوق الكائنات المحدودة المتناهية خالقـًا مهيمن ًا وقادرًا على كل شيء، ومدّبر ًا لكل أمر، ومرجو ًا ومقصود ًا ومعظّم ًا، ويُخشَى منه ، فهو شعور ينبع من أعماق النفس البشرية ، ويجده الإنسان في نفسه بغير تعلم , ولا تلقين , ولا اكتساب , ولا مقارنة بين هذا الشعور وبين الشعور بوجود إمام , معدوم , معطل الصلاحيات - على فرض صحة وجوده – لم ولن ينفع نفسه ولا غيره من أتباعه المؤمنين به ؛ إذ أنّ الفطرة الإنسانية تتعلق بمن يدفع الضرر المحيط بها من أخطار, و هلكات !

السادس : دعوى الاثني عشرية بوجوب تنزل الكمالا
ت فطريـًا بواسطة الإمام باطلة ؛ وذلك لأنّ هذه الكم
الات الفطرية , والتي تدعو إلى الإقرار بوجود
الخالق , وجدها البشر منذ أنْ خلق اللّه - تبارك
وتعالى - آدم إلى يومنا هذا , ولم تتوقف فطرية
المعرفة باللّه على وجود الإمام .

السابع : أما زعمهم بأنّ فطرة البشر لا تستغني عن الإ
مـام المعـصوم , وذلك من منطلق أنّ الإمامة أمر
فطري , واحتياج ضروري , وحاجة لازمة !
فأقول : لقد استغنت البشرية عن وظائف إمامهم
المعصوم ما يزيد على ألف ومائتي سنة , ولم يظهر
لإمامهم الثاني عشر أي وظيفة – على فرض
صحة وجوده – فوجوده وعدمه في النتيجة سواء .

الثامن : قول الاثني عشرية في آدم بأنه لم يثبت
ولم ينكر الولاية ؛ لذا قال الباري فيه

, فهذا فاسد ؛ يخالفه
نقول علمائهم للروايات الواردة في هذه الآية , وأنّ
سببها أكل آدم وزوجته من الشجرة التي أمرهما
اللّه - تبارك وتعالى - بعدم الاقتراب منها , وهذا هو
العهد الذي نسيه آدم لا الإقرار بالولاية على اعتبار
فطـريتها [(908)].

ثم كيف يؤخذ الميثاق من النبيين بولاية علي
وأبنائه من بعده والنبيين قد ماتوا قبل أن يخلق
اللّه علياً وأبناءه ؟!

هذا مع فساد دعواهم بأنّ عليـًا كان أميرًا على البشرية ! إذ كيف يكون أميراً عليهم , وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه ، أما الإمارة على من خلق قبله ، وعلى من يخلق بعده ، فهذا مما لا يعقل .

التاسع : وأما قولهم بأنّ الأئمة على استعداد تام لتحصيل الكمالات المحمدية !
فأقول : إن قصد الاثنا عشرية بكلمة " الكمالات المحمدية " بأنّ النبي محمدًا قد حاز على أعلى درجات الكـمال المطلق ! فهذا باطل ؛ لأنّ الكمال المطلق لله - تبارك وتعالى - , ولا يوجد دليل ثبوته للنبي , فمن باب أولى الإمام !

وإن قصد الاثنا عشرية بكلمة " الكمالات المحمدية " بأنّ النبي أقرب من الكمال من دون البشر , والأئمة على استعداد تام لتحصيل هذا الكمال ! هذا أيضا باطل ؛ وذلك لأنّ النبي محمدًا قد أيده اللّه - تبارك وتعالى - بنصره , وأعطاه القوة والتمكين للجهر بدعوة الإسلام , والدعوة إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له , أما الأئمة من زمن علي إلى زمن إمامهم الثاني عشر فلم تظهر عليهم هذه القوة للجهر بالإ مامة ومحاربة مغتصبيها وإدانتهم , بل كان مثلهم مثل أضعف قوة بشرية على وجه الأرض , لم تتحصل على أدنى درجات الكـمال .

العاشر : أما دعواهم بأنّ من الأمور الفطرية عند الا ثني عشرية أنّ الإمامة إتمام للنبوة وامتداد لها !

فأقول : الفطرة السليمة تقول: إن كانت النبوة ناقصة , ولا بد لها من إتمام لكان الأولى إتمامها من نفس نوعها , أي إتمامها بأنبياء لا بأوصياء مختلف فيهم !
ولكن بما أنّ الباري - تبارك وتعالى - قد أراد ختم النبوة , فهذا دليل على كمالها , ولا حاجة لمتمم لها .
كما أنّ الفطرة السليمة تدرك أنّ مهام النبي عظيمة جدًا , ولا تسلم هذه المهام – كما يدعي الاثنا عشرية - لغائب !

الحادي عشر : أما فيما ادعوه من ضـرورة وجود العقل المعصوم عن الخطأ ؛ لتكامل عقول البشر ! فهذا فاسد ؛ لأنه قد تبين سابقـًا سقوط دعوى العصمة بنصوص ثابتة عن أئمتهم عند الحديث عن مسألة الإنسان الكامل [909].

الثاني عشر : أما ما ذهب إليه الخميني بمنهجه العرفاني المتصوف أنّ الولاية من التوحيد ؛ لأنّ حقيقة الولاية هي من الفيض المطلق , والفيض المطلق هو ظل الوحدة المطلقة , والفطرة متوجهة بـ الذات للكمال الأصلي !

فأقول : كثيرًا ما يستخدم أصحاب المنهج العرفاني ألفاظـًا بدعية , مثل " الفيض المطلق " و " الوحدة المطلقة " , وهذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب ولا في السُنة ؛ مما قد تعطي مجالا ً أكبر في الخوض في معانيها , والحديث عنها , مما قد يبعدها عن النهج

السليم [910].

فاستخدام الخميني للفظ الفيض المطلق على الباري – تبارك وتعالى - باطل ؛ لأنّ الفاعل عبارة عمّن يصدر عنه الفعل مع الإرادة للفعل على سبيل الا ختيار ومع العلم بالمراد، وعند من قال بهذه النظرية أن العالم من اللّه كالمعلول من العلة يلزم لزوماً ضرورياً، لا يتصوّر من اللّه – تعالى - دفعة، كلزوم الظل من الشخص , والنور من الشمس، وليس هذا من الفعل في شيء .

بل من قال إن السراج يفعل الضوء , والشخص يفعل الظل , فقد جازف وتوسع في التجوز توسعاً خارجاً عن الحدّ , وهو أن الفاعل سبب على الجملة , و السراج سبب الضوء , والشمس سبب النور، ولكن الفاعل لم يسم فاعلا ً صانعاً بمجرد كونه سببا بل كونه سبباً على وجه مخصوص، وهو على وجه الإ رادة والاختيار، حتى لو قال القائل: الجدار ليس بفاعل , والحجر ليس بفاعل , والجماد ليس بفاعل , وإنما الفعل للحيوان، لم ينكر ذلك ولم يكن قوله كذابِ ًا، وللحجر فعل عندهم وهو الهوى والثقل والميل إلى المركز، كما أن للنار فعلا وهو التسخين، وللحائط فعل وهو الميل إلى المركز ووقوع الظل، فإن كل ذلك صادر منه وهذا محال [911].
فما قام به الخميني نظير ماقام به الفلاسفة المنتسبين للإسلام فيما يتعلق بالتوفيق بين نظرية الفيض أو الصدور الأفلوطينية من جهة والإسلام من

جهة أخرى , وهذا يعتبر عملا ً فاسداً لأنه أدى إلى كثير من التأويلات الفاسدة المخالفة لعقيدة الإسلام من عدم كون الباري – تبارك وتعالى – فاعلا َ مريدًا , صدر عنه العالم صدورًا ضروريـًا من غير اختيار كصدور النور عن الشمس مما جعل الكثير من علماء السلف يرفضون هذه النظرية ويوجهون سهام النقد إليها [912]0

أما لفظ الوحدة المطلقة فالمراد بها عند أربابها فهي أنه لا شيء سوى هذا العالم , وأنّ الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته , وجميع المخلوقات هي عينه , وتقرير مذهبهم على سبيل الإحاطة لا فائدة فيه , وحاصله أن الباري هو مجموع ما ظهر وما بطن وأنه لاشيء خلاف ذلك [913].

وهذا القول لم يقله أحد من المتقدمين وإنما حدث بين المتصوفة المتأخرين – ومن نهج منهجهم من ا لإمامية مثل الخميني - وهو شر من مقالة الفلاسفة فالقائل به قد أخرج من التوحيد ما هو منه كتوحيد الإلوهية , وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته[914].

فقول الخميني إن حقيقة الولاية من الفيض المطلق الذي هو من الوحدة المطلقة مما يتجرد عنه الدليل الصحيح السند الصريح الدلالة , ولو كانت الولاية من توحيد الله - تبارك وتعالى- فيضـًا مطلقـًا لنفى الإ رادة والاختيار عن الباري- تبارك وتعالى- , ولنصّ عليها في كتابه الكريم , ولبينها سيـد المرسلين , وخاتم النبيين , وبما أن ما استند عليه الخميني –

في تقـرير دليل الفطرة كدليل عقلي على الإمامة - فاسد , فالقول بأنّ من مقتضيات الولاية توجه الفطرة بالذات إلى الكمال الأصلي فاسد أيضـًا .

المطلب الثـاني

نقد دليل الفطرة من كتب الاثني عشرية
وواقعهم المعاصر

وفيه وجهان :
الوجه الأول : نقد دليل الفطرة من كتب الإمامية الاثني عشرية .
الوجه الثاني : نقد دليل الفطرة من واقعهم المعاصر .

وتفصيلهما الآتي :

الوجه الأول
نقد دليل الفطرة من كتب الإمامية الاثني عشرية .

أولا ً: الأخبار الدالة على تعلق فطرة الإنسان بالله وحـده لا شريك له :
من المتفق عليه بين العقلاء أنّ الدليل الفطري على وجود اللّه - تبارك وتعالى - قد يتأثر بالبيئة , وبالذنوب , وبـالغفلة ! ولكن في حالات الشدة والاضطرار لا يجد الإنسان ملجأ فيها إلا اللّه دون غيره من البشر , حتى وإنْ وصل إلى أعلى درجات الكمال - كما يعتـقد الإمامية الاثني عـشرية في أئمتهم-،قال تعالى:

[يونس/ 22]، وعند ذاك ترتفع الغشاوة , ويجد الإنسان نفسه متوجه ًا نحو اللّه , ومؤمنـ ًا بوجوده وقدرته , ولم نجد من يلجأ إلى أي

مخلوق كائنًا من كان , إلا من فسدت فطرته , وكسدت جبلته .

وهذا ما أكده أئمة الشيعة أنفسهم فيما نسب إليهم من روايات , فلا نجد من قال منهم : أنا الكامل اعتصموا بي , و الجؤوا إلي من دون اللّه - تبارك وتعالى - , فقد روى الصدوق بسنده عن الإمام الحسن العسكري : أنّ رجلا قال للإ مام الصادق : يا بن رسول اللّه دلني على اللّه ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلين وحيروني، فقال له : (يا عبد اللّه، هل ركبت سفينة قط؟) قال: نعم ، قال: (فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك , ولا سباحة تغنيك؟) قال: نعم ، قال: (فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئًا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟) قال : نعم، قال الصادق : (فذلك الشيء هو اللّه القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإ غاثة حيث لا مغيث) [915].

ثم إنّ من يلجأ إلى اللّه - تبارك وتعالى - لهو أحوج من أنْ يلجأ إليه أحد من الخليقة , فقد روى الإمامية الاثنا عشرية أنّ عليًا سئل : يا أمير المؤمنين ! بما عرفت ربك ؟ قال : (بفسخ العزم , ونقض الهمم , لما أن هممت حال بيني وبين همي , وعزمت , فخالف القضاء عزمي , فعلمت أنّ المدبر غيري) قال : فبماذا شكرت نعماءه ؟ قال : نظرت إلى بلاء قد صرفه عني , وأبلى به غيري , فعلمت أنه قد أنعم علي فشكرته) وقال : فبماذا أحببت لقاءه ؟ قال : (لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته , ورسله , وأنبيائه علمت أنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني , فأحببت لقاءه) [916].

ثانيًا : الأخبار الدالة على أنّ الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها هي معرفتهم به , وتوحيده والإقرار به :

ومن هذه الأخبار التي أشار إليها الإستربادي في كلامه السابق هو ما ورد عن زرارة أنه سأل الإمام أبا جعفر عن قـ-ول اللّه : ... , [الحج / 31] ؟ قال: (الحنيفية من الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها , لا تبديل لخلق اللّه, وقال : فطرهم على المعرفة به), ثم أشار إلى حكاية الذر [917] , وإلى الحديث الشريف الوارد عن النـ-بي : (كل مولود يولد على الفطرة) [918]على مـ-عرفة اللّه [919]

وعن عبد اللّه بن سنان [920] ، عن أبي عبد اللّه قال : سألته عن قول اللّه

: ما

تلك الفطرة ؟ قـال : (هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألست بربكم وفيهم المؤمن والكافر) [921].

و عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عن قول الله :
قال :
(فطرهم جميع ًا على التوحيد) [922] .

وعنه أيضًا قال : قلت لأبي جعفر : أصلحك الله قول الله في كتابه:
قال : (فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أته ربهم). قلت : وخاطبوه ؟ قال : فطأطأ رأسه ثم قال : (لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولا من رازقهم) [923].

والكثير من الأخبار التي تفسـر كلمة الفطـرة الواردة في الآية , معناها " التوحيد " [924].

فإن كان الإنسان مفطورًا على توحيد الله , وعلى معرفته دون غيره , فما الداعي إذن من جعل الدليل الفطري هو من الأدلة العقلية على الإمام ؟

ثالثًا : أقوال علماء الاثني عشرية الدالة على فطرية معرفة الله - تبارك وتعالى - وتوحيده :
" الإلهام الفطري " الذي استدل به أئمة الشيعة هو بعينه ما أكده بعض علماء الإمامية الاثني عشرية في أنّ أول

واجب على المكلف ,هو الإقرار بالشهادتين حيث إنّ الإقرار بوجود اللّه - تبارك وتعالى - ومعرفته أمر فطري متفق عليه بين البشر , بخلاف وجود الإمام , الذي يحتار الإمامية الاثنا عشرية في الاستدلال على وجوده بشتى الطرق , وبكافة الوسائل .

لذا نرى الإسترابادي الأخباري يبين أنّ تعلق النفس البشرية باللّه - تبارك وتعالى - من الإلهام الفطري الواقع في قلوب البشر , وبالتالي أول الواجبات عليهم ليس النظر في الكون , وإثبات واجب الوجود , بل هـو الإقرار بالشهادتين , فيقول : (من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بإلهام فطري إلهي ...

وتوضيح ذلك : أنه – تعالى - ألهمهم بتلك القضايا , أي خلقها في قلوبهم وألهمهم بدلالات واضحة على تلك القضايا , ثم أرسل الرسول , وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهى.

وبالجملة فإنه لم يتعلق بهم وجوب , ولا غيره من التكليفات إلا بعد بلوغ خطاب الشارع , ومعرفة اللّه – تعالى - قد حصلت لهم قبل بلوغ الخطاب بطريق الإلهام بمراتب , وكل ما بلغته دعوة النبي – صلى اللّه عليه وآله - يقع في قلبه من اللّه - تعالى - يقين على صدقه , فإنه تواترت الأخبار عنهم–عليهم السلام– بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق ,حتى يصدع قلبـَه قبـِله أو تركه , فأول الواجبات الإقرار اللساني بالشهـادتين .

وكذلك تواترت الأخبار عنهم - عليهم السلام - بأنه على اللّه التعريف والبيان , وعلى الخلق أنْ يقبلوا ما عرفهم اللّه - تعالى -, وطريق التعريف , والبيان أنه – تعالى - أولاً يلهمهم بتلك القضايا , وكذلك يلهمهم بدلالات واضحة عليها صادعة قلبهم , ثم بعد ذلك تبلغهم دعوة النبي – صلى اللّه

عليه وآله - , والدلالة على صدقه , ثم بعد ذلك يجب الإقرار أي الاعتراف اللساني , ثم الاعتراف القلبي بالشهادتين , وبباقي ما جاء به النبي – صلى اللّه عليه وآله - إجمالا ً ... ويفهم من كلامهم – عليهم السلام – أنّ الاعتراف , والإ قرار القلبي , أمرٌ مغايرٌ للمعرفة التصديقية التي بها يرتفع الشك والتردد , وأنّ الأول فعل مطلوب من العبد , وأنّ الثاني من خـلق اللّه في القلوب ...)[925].

ويقول المجلسي : (الذي يظهر من الأخبار هو أنّ اللّه - تعالى - قرر عقول الخلق على التوحيد , والإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق , فقلوب جميع الخلق على التوحيد مذعنة بذلك , وإنْ جحدوه معاندة) [926].

ويؤكد الإمامي جوادي آملي بأنّ الكثير من الآيات تدور حول فطرية التوحيد الربوبي , والميل إلى اللّه الواحد القهار دون غيره من البشر , فيقول : (القرآن الكريم , وكما يقيم البراهين على التوحيد الربوبي , فإنه يعرض طريق الفطرة , ويحييه , ويقول : إنّ الإنسان بفطرته يميل إلى اللّه الواحد , أي أنّه يميل إلى المبدأ الواجب بالذات , وكذلك إلى المـصدر الفريد الأحد لا الأكثر من واحد ...) [927].

أما الفيض الكاشاني ففي التعليق على قوله :

... ينقض روايات الميثاق بجملتها ؛ إذ يؤكد أن دعوى الميثاق والإخراج أصلا ً لم تكن حقيقة , إنما هي تمثيل وتصوير للمعنى , فيقول : (أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنـًا بعد قرن , يعني نثر حقائقهم بين يدي علمه , فاستنطق الحقائق بأسنى قابليات جواهرها ,

وألسن استعدادات ذواتها , وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا : بلى شهدنا : أي ونصب لهم دلائل ربوبيته , وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة الأشهاد على طريقة التمثيل, نظير ذلك قوله :

[النحل/40], وقوله -جلّ وعلا - : ...

[فصلت / 11] , ومعلوم أنه لا قول ثمة , وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى , وذلك حين كانت أنفسهم في أصلاب آبائهم العقلية , ومعادنهم الأصلية , يعني شاهدهم وهم دقائق في تلك الحقائق , وعبر عن تلك ا لآباء بالظهور ؛ لأنّ كل واحد منهم ظهر , أو مظهر لطائفة من النفوس, أو ظاهر عنده لكونه صورة عقلية نورية ظاهرة بذاتها , وأشهدهم على أنفسهم أي أعطاهم في تلك النشأة الإ داركية العقلية شهود ذواتهم العقلية , وهيأتهم النورية , فكانوا بتلك القوى العقلية...)[928].

الوجه الثاني
نقد دليل الفطرة من واقعهم المعاصر

بظهور مبدأ التقليد [929] للمراجع عند الشيعة يبطل ما ادعوه بشأن تطلب الفطرة للارتباط بالكامل من اللامحدود !

فالتقليد بحد ذاته يطعن في مبدأ فطرية الارتباط بالإ مام , بكونه أصبح منهجًا في المدارس الدينية الشيعية المسماة بالحوزات العلمية ! وذلك لأنّ التقليد أصبح يتدخل جبرًا بتفصيلات الحياة , و القضايا الدينية, والدنيوية

المعاصرة.
فمن البديهي إن كانت نفوس الشيعة الإمامية الاثني عشرية مرتبطة بإمام معصوم كامل من اللامحدود ,فلا ضرورة البتة للقول بتقليد علماء ومراجع لم يصلوا لدرجة الكمال بأدنى درجاته !

ثم إنّ تاريخ نشأة التقليد , وأصله التاريخي ومشروعيته , وإمكانية التوفيق بينه وبين الاعتقاد بوجود الإمام المعصوم على وجه الأرض م‍حل تساؤل , وموضع حيرة !
فهل يعقل أن يخرج بعض الاثني عشرية , ويدعون حظر طرح مثل هذه الأسئلة والموضوعات؟! وهل السؤال في هذا الشأن هو من باب الدخول في منطقة محرمة ؟

فالذين يستشكلون على الإنسان الع‍ادي أن يطرح تساؤلا ً حول تاريخ "التقليد" , أو مشروعيته، هم ممن ساهموا في تكميم أفواه الناس , وزرعوا ثقافة "اللاسؤال" في المجتمع.
إن ّ نظام "التقليد" عند الشيعة لم يتبلور إلا بقيادة الأ صولي مرتضى الأنص‍اري , والذي يلقبه الشيع‍ة ب‍ـ " المجدد " – والمتتلمذ على يديه الح‍ائري الإسكوئي[930] فترة من الزمن – , وم‍حمد حسن الشيرازي [931] الذي آلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة الأنص‍اري , ولمدة 39 عام‍اً بلا منازع .

وقد قدم الأنصاري أطروحات ساهمت في تأسيس منهج تقليد العامي للفقيه المجتهد الجامع لشرائط الفتوى في

الفقه الشيعي , وأفتى ببطلان عمل الشيعي الذي لا يقلد الفقيه أو يحتاط[932].

وجاء بعد الأنصاري تلميذه صاحب كتاب "العروة الوثقى" محمد كاظم اليزدي [933] ليشرح , وينظّر لفكرة أستـاذه ، حيث بحث بالتفصيل في بـاب

" التقليد " ووجوب اتباع المرجع في الأحكام العبادية[934].

وقد التزم الفقهاء الشيعة (أصحاب المدرسة الأصولية) بهذه العلاقة , وبنوا على إثرها أحكامًا وقوانين ترسخ "التقليد" , وتبطل عمل الاتباع بدون الرجـوع إلى مرجع التقليد[935].

فقد كان "التقليد" محرما عند الشيعة ؛ إذ يقول ابن زهرة[936] في (الغنية): (لا يجوز للمستفتي تقليد المفتي ؛ لأنّ التقليد قبيح ؛ ولأنّ ّ الطائفة مجمعة على أنّه لا يجوز العمل إلا بعلم ، وليس لأحد أن ْ يقول : قيام الدليل , وهو إجماع الطائفة على وجوب رجوع العامي إلى المفتي والعمل بقوله مع جواز الخطأ عليه يؤمنه من الأقدام على قبيح ، ويقتضي إسناد عمله إلى علم . لأنا لا نسلم إجماعها على العمل بقوله مع جواز الخطأ عليه ، وهو موضع الخلاف ، بل إنما أمروا برجوع العامي إلى المفتي فقط ، فأما العلم بقوله تقليد ًا فلا .

فإن ْ قيل : فما الفائدة في رجوعه إليه إذا لم يجز له العمل بقوله ؟

قلنا : الفائدة في ذلك أن يصير له بفتياه , وفتيا غيره من علماء الإمامية سبيل إلى العـلم بإجماعهم ، فيعمل بالحكم على يقين يتبين صحة ذلك)[937].

أما إذا نظرنا إلى وضع الاثني عشرية اليوم , فإننا سنري أنّ "التقليد" بات مسيطر ًا على حياة الإنسان الشيعي , وعلى عقله , وفطرته , التي يدعي الاثنا عشرية انجذابها نحو الإمام لا غير ، فقد أصبح هذا النظام بمثابة "تبعية" أ

كثر منه رجوء ًا إلى الفتوى.

فالمقلد اليوم لا يعتمد على عقله في التفكير , أو الحوار , أو المجادلة , أو حتى في اتخاذ القرار، بل إنّ العقل الآخر المرتبط بالمرجع أصبح هو البديل لعقله , وبالتالي لقراره , ومن ثم لفعله. فالمقلد يعتمد على عقله فقط ؛لدعم موقف العقل الآخر واتباعه متجاهلا ً في ذلك فطرته (938).

فقد أنشأ المراجع إزاء ذلك مجموعة من الأفكار و التصورات قضت بتشييد نمط من العلاقة "القيادية" بينهم وبين المقلدين، فاستفادوا من ذلك لتأسيس نظام سلطوي من إبراز صوره الراهنة مفهوم "ولاية الفقيه".

لذلك يعتبر العديد من المثقفين أنّ "التقليد"، إضافة إلى كونه تبعية، فقد وصل إلى مرحلة من "الاستسلام" للقائد أو المرجع الديني ؛ وذلك لتفويضه المرجع أو القائد حق التدخل في جميع أمور الحياة، ومصادرة حق العامة في تقرير آرائهم ، بل وحقهم أيضًا في الاجتهاد، ومحاصرة حريتهم الفطرية !
فباتت صورة "التقليد" ووجهة الكثير من مراجع الدين أ قرب إلى المؤسسة التي تحتكر تفسير الدين , وتأويله , و النطق باسمه، وتهيمن على الحياة الفكرية والسياسية والا جتماعية، وبالتالي باتت تلغي دور الناس السياسي والا جتماعي.

ومن أسباب هذا التوسع والتضخم، الاعتقاد الرائج بأنّ المرجعية قادرة من خلال "التقليد" على أنْ تجيب على جميع أسئلة الحياة , وفي جميع جوانبها. فهذا الاعتقاد راسخ في أذهان غالبية كبيرة من الشيعة، إلا أنه اعتقاد ٌ لا

يتماشى مع طبيعة الحياة الراهنة وتطورها ، فأصبح نظام "التقليد" مرآة تعكس عدم قدرة المراجع على طرح حلول واقعية لمشاكل الحياة. وبات المقلدون يعيشون في ظل رؤى ماضوية ، بعيدة عن روح المنطق والنقد والتدقيق !

فلا يمكن وصف نظام "التقليد"، وبالذات في الموضوعات ، إلا بأنّه حركة معارضة للتطور , ولا تسير باتجاه التغير و التقدم ؛ وذلك لوقوفه بوجه التحرر العقلي والفكري من ناحية , وبوجه الغريزة الفطرية من ناحية أخرى ؛ وذلك لأنّ الفقيه غير معصوم على الإطلاق , وغير كامل – كما يدعي ا لإمامية للإمام من كمال - ، وبالتالي لا يستطيع أن يقدم إجابات وافية , وحلولا ً مقنعة لأسئلة مقلدية [939].

وهذا مما لاشك فيه يبطل كون اتجاه الإنسان فطريـاً إلى الإمام المعصوم – كما يدعون – من غير الحاجة إلى تعلق النفس البشرية بغيره !

ولكن من شأن "التقليد" أن يكون مانع ًا من الوصول إلى الكـامل من اللامحدود ، ومانع ًا من العبور إلى معالم القضايا في الحياة من خلال الارتباط بالإمام مباشرة ، وبالتالي يبطل دليل الفطرة بالكلية , و من ثم يدخل في إطار نقد الإمامة القائمة على هذا الدليل .

المطلب الثالث
نقد دليل الفطرة من القرآن الكريم

1. سبق أن أشرت أنّ الإنسان حين الاضطرار يجد بفطرته اللجوء إلى الباري دون غيره من البشر - مهما كانت منزلته ومهما كان مقامه - وهذا ما بينه الله في كتابه الكريم , حيث قـال :

[الأنعام/63- 65], و

قوله تعالى :

[الزمر / 8] , وقـوله :

.

فلو كانت النفس البشرية تجد بفطرتها اللجوء إلى الكامل من اللامحدود حين الاضطرار – كما في

معتقد الاثني عشرية – لاتجهت بالفطـرة إلى الإ
مام !

2. المتتبع لحال الرسل الأنبياء من خلال محكم الآيات يرى أنّهم لم يخرجوا عن طور البشرية , ولم يد ّعوا وصولهم إلى الكمال من اللامحدود , وهذا ليس قدحـًا فيهم – سلام الله عليهم وعلى نبينا وآله وصحبه أجمعين – إنما هم بشر اختصوا بِ النبوة والرسالة فقط , فحالهم كحال بقية البشر مع تفضيلهم عليهم بالاصطفاء من الله ؛ لأداء شريعته وتبليغها للناس , وهذا من أعظم الأصول , قال - جلّ في علاه - :

, [النحل / 43] .

3. على فرض التسليم للإمامية أنّ الأئمة أعلى مرتبة من الأنبياء والرسل عدا محمد – وإلا فهي مسألة لا تصح لا نقلا ً ولا عقلا ً- فالنبي محمد هو لم يدع وصوله إلى مرتبة الكـمال من اللامحدود , وهذا ما بينه الباري -تبارك وتعالى - بقوله :

, [التوبة / 128] وقال أيضـًا:

,

[الجمعة / 2] وقال - تبارك وتعالى -:

, [الإسراء / 90 – 93] .

4. أخبرنا الباري بأنه قد جعل استغفار الرسول للظالمي أنفُسِهم طريقاً إلى توبة اللّه عليهم ، وهو التوّاب الرحيم , فقال :

, كما جَعَل ما يُنفَق عنده من الخيرات وصلاة الرسول قُربةً للمُنفِقين يتفضّل اللّه بها عليهم بأنْ يُدخِلَهم في رحمته , فقال :

,[التوبة / 99]، كما جَعَل صلاةَ الرسول ودعاءه سَكَناً وطمأنينةً وأمناً لمن يدعو لهم , ويصلّي عليهم , فقال :

,[التوبة / 103]. وتلك من آيات اللّه التي تبين اختصاص النبي محمد عن غيره من البشرية قاطبة , ولو كان للأئمة نفس المكانة ؛ لبين الباري- تبارك وتعالى - ذلك في كتابه

الكريم , هذا فضلاً عن ادعاء الإمامية الاثني عشرية أنّهم قد وصلوا إلى أعلى درجة من درجات الكمال , وانجذاب الناس بفطرتهم إليهم دليلاً على إمامتهم !

المطلب الرابع

نقد دليل الفطرة من أقوال علماء الاثني عشرية

بادئ ذي بدء نقول بأنّ المراد بالفطرة في قوله تعالى :
هي الإسلا
م , وهذا ما عليه أكثر الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف , ومن هؤلاء الصحابة والعلماء :

معـاذ بن جبل[940] , وعمر بن الخطـاب , وأبو هريرة , وابن عباس [941], والقاضـي شـريح [942], وسعيد بن جبير [943], ومجاهـد [944], وعكـرمـة [945],

والضحاك [946], والبصري [947], وقتادة [948], وابن شهاب[949], وا لأوزاعي[950],وحماد [951], وأبو عبيد [952], وابن حنبل [953] , و البخاري [954] , وابن جرير [955], والخـلال [956] ,

وأصحاب أبي حنيفة [957]، أهل الثغر[958]، وابن حزم[959]، و البيهقي[960]، [961]، وابن تيمية [962]، والكلبي[963]، [964]، و ابن القيم[965]،وابن كثير[966] [967]، وابن حجر[968]،

والشوكاني[969] [970], وسليمـــان الجمل[971] [972]وغيرهم.

كل من سبق ذكرهم أرادوا بالفطرة الإسلام ، وهو تارة يطلق عليه : توحيد الربوبية -أي الإقرار بالخالق -، وتارة هو دين جميع الرسل بمعنى أصول الدين المشتركة بين جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام-، وتارة بمعناه الخاص الذي يطلق على دين نبينا محمد .

فكل من فسّر الفطرة بالإسلام يجعلون لهذا التفسير عدة ضوابط -إن صح التعبير- ومنها:
1- أنّه ليس المراد بقولنا ولد المولود على فطرة الإسلام ، أنّه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن ّ الله – تبارك وتعالى- يقول :

, ولكن ّ فطرته تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء, بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض [973].

2- القول بأنّ ّ المولود فُطر على الإسلام، أو على الإ قرار بالخالق -وإن لم يكن ذلك وحده إيماناً-، أو على المعرفة الأولى يوم أخذ الميثاق عليهم، يحصل به المقصود، فهذه الثلاثة لا منافاة بينها.
والكتاب والسُنة دلا ّ على ما اتفقت عليه هذه الثلاثة من كون الخلق مفطورين على دين الله، الذي هو معرفة الله

والإقرار به، بمعنى أنّ ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها، إذا سلمت من المغيّر[974].

3- أنّ الفطرة التي فطر الله – تبارك وتعالى - الخلق عليها يوم قال لهم: "ألست بربكم؟ قالوا : بلى" تعني السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة ؛ لأنّ حقيقة "الإسلام" أن يستسلم المرء لله، لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله.

وهذه السلامة تعني أنّ المولود لو تُرك من غير مغيّر لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع هي فطرة الله التي فطر الناس عليها [975].

4- أنّ مقابلة الفطرة في الحديث باليهودية والنصرانية و المجوسية دليلٌ على أنّ المراد بها أكثر من مجرد التوحيد الذي هو المسائل الاعتقادية، إذ لو كانت هي المرادة فقط , لقابل الفطرة بالشرك ؛ لأنّ هذه الديانات في أصلها توحيد[976].

5- أنّ تفسير الفطرة بالإسلام لا يعني أنّ الإسلام لا يشتمل إلا على ما تشهد به الفطرة , بل المقصود أنّ الأصول التي في الإسلام هي من الفطرة , وتتبعها أصول وتفريعات هي من المقبول لدى الفطرة [977].

6- تفسير الفطرة بالإسلام الذي جاء به سائر الأنبياء و الرسل –عليهم الصلاة والسلام- يقصد به الأصول العقدية

المشتركة بينهم جميعاً، فقد جاء كلُ واحدٍ منهم في هذا الأ مر مصدقاً لمن قبله، قال تعالى:

, [آل عمران / 3] إلى أن جاء القرآن الكريم فصدّق وهيمن على ما قبله , قال تعالى:

,

[المائدة / 48] .

أما شرائع الأنبياء السابقين فغير داخلة في هذا ؛ لأنّ ّ لكل نبي شريعته الخاصة ,قال تعالى:
أما شريعة نبينا محمد
فهي فطرية , بمعنى أنّها لا تعارض الفطرة البشرية , بل تكملها وترقى بها، ومما يؤيد فطريتها أنّها عامة لسائر البشر، ولا يمكن أن يكون هناك شيء صالح للبشر عامة حتى يكون ملائماً لفطرتهم، كما أنّها غير قابلة للتغيير , والتبديل , بل ص الحة لكل زمان , ومكان.
وبهذه الأمور يتبين أنّ ّ الفطرة التي هي الإسلام تشمل معاني الإسلام الثلاثة السابقة.
غير أنّها لا تقتصر فطرة المولود على المعنيين الأولين , وهما : التوحيد , والأصول العقدية المشتركة بين الرسل , بل تتعدى ذلك إلى كل ما جاء به دين نبينا محمد , فهي تقتضيه وتوجبه إذا سلمت من المُغيّر المعارض ؛ لأنّ مهمة الفطرة أوسع من مجرد المعرفة والتسليم , فهي تشمل

الشعور والمحبة ، والقدرة على التمييز والتوجيه.

ومع هذا فلو قلنا : إنّ الفطرة تعني الإسلام الذي جاء به نبينا محمد لكان هذا القول صحيحاً ؛ لأنّ ّ الدين الذي جاء به يتضمن المعنيين السابقين ويزيد عليهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحو ِّج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن، وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، يقرر ما فيها من الحق , ويبطل ما حُرِّف منها, وينسخ ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق , وهو جمهور ما فيها، ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، و القليل الذي نسخ فيها، فإن المنسوخ قليل جداً بالنسبة إلى المحكم المقرر) [978].

7- القول بأنّ الفطرة هي الإسلام لا يعني أنّ ّ الفطرة تغني الناس عن إرسال الرسل وإنزال الكتب ؛ لأنّ الوحي يختص بمسائل ومعارف ليس للفطرة فيها مجال , وذلك كمسائل الاعتقاد الغيبية وما يتعلق بالشعائر التعبدية ونحوها [979].

إذن الفطرة هي بكل معانيها تدل على الإسلام الذي هو ا لاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك , أما كون الفطرة هي ما تدل على ولاية علي , أو الأئمة من بعده , أو إثبات الإمام المعصوم كما قال الإمامية الاثني عشرية , فهذا لم يقل به أحـد من السلف - رحمهم الله تعالى – على الإطلاق .

هذا إضافة إلى أنني أرى أنه من الخطأ إدراج الدليل الفطري - أنى كان تفسيرهم له - تحت الدليل العقلي – ؛ وذلك لأنّ الدليل العقلي: هو الدليل الاعتباري المبني على الاعتبار والنظر، سواءً اعتمد على مقدمات قطعية، أو مقدمات ظنية.

أما الدليل الفطري: فهو ابتداء من اللّه – تبارك وتعالى - في نفوس العباد، أي أنّ اللّه - تعالى - كما خلق العباد على صورة من الشكل الجسماني الجسدي المعروف، فكذلك خلق الإنسان وهو مبتدأ بهذه المعرفة الأولى وهي الفطرة، فهي مما استودعه اللّه في الإنسان عند ابتداء خلقه؛ ولذلك قال النبي : (كل مولود يولد على الفطرة) [980] ، مع أنّ المولود عند ولادته لا يكون متمتعاً بمسألة القياس والنظر والعقليات، ولا يفقه شيئاً.

إذن فالدليل الفطري: هو ما استودعه اللّه من المعرفة الأولى في نفوس بني آدم , ومن الخطأ إدراجه تحت الأدلة العقلية .

نعم من المعلوم أنّ هناك ما يسمى بالقوانين والسنن الفطرية , التي يرجع الناس إليها ليتعرفوا من خلالها على الأشياء , وهذه القوانين مغروزة في فطرة كل واحد من بني آدم – صغارهم وكبارهم – وهي ما تسمى عند بعض المفكرين بالضرورات العقلية , وهي التي لا يستغني عنها أحد , ولا يجادل في التصديق بها, والتحاكم إليها إلا من فقد عقله , وطمست بصيرته , ومسخت فطرته , وارتضى لنفسه

طريق العناد , والاستكبار – أمثال السوفسطائيين [981] الذين يجادلون في البدهيات من الأمور الحسية , فليس عندهم شيء ثابت مستقر , بل الكل في حركة وتغيير , فقد يأتي الواحد منهم بنقيض ما أثبته بالأمس من القضايا , فغايتهم الجدال , والتنكر للثوابت والبدهيات , ويكفى أنّ من سار على مناهجهم تعرض للشك في وجود نفسه [982]!

وكذلك أمثال الفلاسفة والمتكلمين الذين جعلوا وجود الخالق – تبارك وتعالى - مسألة نظرية يطلبون عليها الأدلة , ويجهدون الأذهان في تقريرها , بالرغم أنّ وجوده أظهر من وجود أي موجود [983]!

فالناس مفطورون على العلم بالضرورات العقلية التي لا ينازع فيها أحد من عقلاء بني آدم ؛ لأنّ العقل مبني على صحة الفطرة وسلامتها [984].

وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فيقول : (فإثبات الألوهية يوجب إثبات الربوبية , ونفى الربوبية يوجب نفى الألوهية ؛ إذ الألوهية هي الغاية , وهى مستلزمة للبداية , كاستلزام العلة الغائية للفاعلية , وكل واحد من وحدانية الربوبية والألوهية , وإن كان معلومـًا بـ الفطرة الضرورية البديهية , وبالشريعة النبوية الإلهية , فهو أيضـًا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية , لكن المتكلـمين إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقـلية على توحيد الربوبية) [985].

إذن فعلى الرغم من هذا التشابه بين القوانين الفطرية و الضرورات العقلية إلا أننا نجد أنّ الفطرة أخص من العقل , فمسائل الفطر كلها تحصـل بالاضطرار , وتلازم النفس من غير انفكاك , وهي هنا تسمى بالضرورات العقلية , لا بالأدلة العقلية ؛ وذلك لأنّ العقـل فيه قدر زائد يحصل بالكسب , و النظر , والبرهـان , فالأدلة العقلية تدرك بمجرد فـكر العقل , وتصوره للأمور [986].

ومع الاختلاف الحاصل في مسألة وجود الإمام المعصوم بين البشرية , وعدم اضطرار النفس على تصديق وجوده , فهو أكبر دليل على فساد هذا الاستدلال الفطري الذي قال به الإمامية الاثنا عشرية .

الفصل الرابع

" دليل الغاية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل الغاية ومقدماته وتقريره

من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المبحث الثاني : نقد دليل الغاية ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل الغاية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل الغاية ومقدماته.

المطلب الثـاني : تقرير دليل الغاية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول

صورة دليل الغاية ومقدماته

يذهب متقدمو الإمامية الاثناعشرية من خلال الروايات , أنّ الكون كله لم يخلق إلا من أجل النبي , والأئمة الاثني عشر .

ولم يظهر دليل الغاية بمقدماته كما ظهر عند المتأخرين , فهم توسعوا في تقريره , وذهبوا إلى أنّ غاية الإنسان هي السعي نحو الكـمال المطلق , وحيث إنّ الكمالات تشتمل كمالات الدنيا والآخرة فاقتضى ذلك – عند الاثني عشرية - وجود المعصوم الذي يسير بالبشرية نحو المعاد , وتحـقيق الكـمالات المتعلقة به , فهو المتصرف في النفوس البشرية ؛ وذلك لأنّ غاية وجود العالم هو الإمام , وعدّو ذلك من الأدلة العقلية على الإمامة .

ويتضح هذا الدليل بصورته المتأخرة من خلال النقاط الآتية :

- أنّ كل إنسان ليتكامل لا بد أن يجعل له غاية يريد الوصول إليها.

- أنّ الكمالات التي يسعى الإنسان إلى تحصيلها لا تقتصر على كمالات عالم الدنيا , بل تشمل عالم الآخرة .

- أنّ هذا السير يقتضي وجود المعصوم الذي يسير بالأمة نحو المعاد , وإحراز الكمالات العالية , فهو المتصرف في النفوس تصرفـًا غير إلجائي على أساس أته يملك الهداية الإيصالية , والآرائية

التفصيلية , والزعامة الاعتبارية في المجتمع .

وبالتالي فدليل الغاية يقوم على أمرين بمقدماتهما :

الأمر الأول :

المعصوم هو غاية لخلق العالم ولولاه لما خلق العالم , وتفصيله عند الإمامية :

بما أنّ خلق العالم من أجل غاية أو هدف
وبما أنّ الغاية والهدف يحققها الإمام المعصوم .
فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ خلق العالم من أجل الإمام المعصوم .

الأمر الثاني :

غاية وجود الإنسان هو اتباع المعصوم للوصول إلى الكمال المطلوب , وتفصيله عند الإمامية:

بما أنّ وجود الإمام غاية وجود الإنسان .
وبما أنّ وجود الإنسان يتطلب السعي للكمال المطلوب .
فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ وجود الإمام غاية للوصول للكمال المطلوب .

وبالقول بهذين الأمرين وبمقدماتهما يستنبط الإمامية الا ثنا عشرية " دليل الغـاية " الذي استدلوا به على ضرورة وجود الإمام في كل زمان ومكان .

المطلب الثاني

تقرير دليل الغاية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

قبل أنْ أشرع في عرض مرويات الإمامية الاثني عشرية , وأقوال علمائهم يتوجب علي بيان العلة الغائية عندهم :

العلة الغائية : هي إحدى أجزاء العلة التامة ، ويراد بها ما تخرج الفاعل من القوة إلى الفعل ، ومن الإمكان إلى الوجوب ، وتكون متقدمة صورة ً وذهنـ ًا, ومؤخرة وجود ًا وتحقق ًا [987] , فهي السبب لخروج الفاعل عن كونه فاعلا ً بالقوة إلى كونه فاعلا ً بالفعل .

مثال ذلك : النجار لا يقوم بصنع الكرسي إلا لغاية مطلوبة مترتبة عليه, ولولا تصور تلك الغاية لما خرج عن كونه فاعلا بالقوة ، إلى ساحة كونه فاعلا ً بالفعل , وعلى هذا فالعلة الغائية دور في تحقق المعلول , وخروجه من الإمكان إلى الفعلية [988].

وبما أنّ أفعال الله - تعالى - معللة بالأغراض [989], نادى الاثنا عشرية بدليل الغاية, فذهب المتقدمون منهم أنّ غاية وجود العالم هو وجود الأئمة , إلى أن تطور على يد المتأخرين فجعلوا دليل الغاية أساسـًا للوصول إلى الكمال المطلوب , فيكون – دليل الغاية - مرّ بطورين:

الطور الأول : المعصوم هو غاية لخلق العالم , ولولاه لما خلق العالم . وهذا يتضح من مرويات الإمامية الاثني عشرية, وأقوال علمائهم المتقدمين والمتأخرين !

الطور الثاني : غاية وجود الإنسان هو اتباع المعصوم

للوصول إلى الكمال المطلوب. وهذا يتضح من أقوال علمائهم المتأخرين !

الطور الأول

المعصوم هو غاية لخلق العالم ولولاه لما خلق العالم .

أولاً : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

المطّلع على بعض الروايات الشيعية الاثني عشرية يرى أنها تزعم أنّ الكون كله , بل الدنيا والآخرة لم يخلقا إلا من أجل سيدنا محمد والأئمة !

ثم إنّ الروايات الواردة في هذا المعنى قد اضطربت , فمرة جعلت النبي هو علة الخلق , وبعضها جعلت سيدنا محمد وعلي هما غاية وجود الكون , وبعضها ضمت إليهما باقي الأئمة الاثني عشر , وبعضها جعلت الحسين هو غاية وجود العالم .

وفيما يلي نورد بعض تلك الروايات :

أ – لولا سيدنا محمد لما خلق الله العالم – حسب زعمهم -:

نسب الاثنا عشرية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : (كان الله ولا شئ معه ، فأول ما خلق نور حبيبه محمد -صلى الله عليه وآله - قبل خلق الماء , والعرش , و الكرسي , والسماوات , والأرض , و اللوح , والقـلم, والجنة , والنار , والملائكة , وآدم , وحواء بأربعة وعشرين وأربع مئة ألف عام ، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد - صلى الله عليه وآله- بقي ألف عام بين يدي الله واقفاً يسبحه ويحمده ، والحق - تبارك وتعالى - ينظر إليه, ويقول:يا عبدي

أنت المراد , والمريد ، وأنت خيرتي من خلقي ،وعزتي , وجلا لي لولاك ما خلقت الأفلاك ، من أحـبك أحببته ، ومن أبغضك أبغضته...) [990].

ب- لولا سيدنا محمد وعلي لما خـلق اللّه العالم – حسب زعمهم -:

روى هاشم البحراني عن أبي مخنـف [991] عن جـابر بن عبـد اللّه الأنصاري أنّه قال : سألت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - [992], عن مولد علي ، قال : (يا جابر ! سألت عجيبـًا عن خير مولود ، اعلم أنّ اللّه - تعالى - لما أراد أن يخلقني ويخلق عليـًا ، قبل كل شيء خلق درة عظيمة أكبر من الدنيا عشر مرات ، ثم إنّ اللّه تعالى استودعنا في تلك الدرة ، فمكثنا فيها مئة ألف عام نسبح اللّه تعالى ونقدسه ، فلما أراد إيجاد الموجودات نظر إلى الذرة بعين التكوين ، فذابت , وانفـجرت نصفين ، فجعلني ربي في النصف الذي احتوى على النبوة ، وجعل عليـًا في النصف الذي احتوى على الإمامة .

ثم خلـق اللّه - تعالى - من تلك الدرة مائة بحر ، فمن بعضه بحر العلم ، وبـحر الكرم ، وبحر السخاء ، وبحر الرضا ، وبحر الرأفة ، وبحر الرحمة ، وبحر العفة، وبحر الفضل ، وبحر الجود ، وبحر الشجاعة ، وبحر الهيبة ، وبـحر القدرة، وبحر العظمة ، وبحر الجبروت ، وبحر الكبرياء ، وبحر الملكوت ، وبحر الجلال ، وبحر النور ، وبحر العلو ، وبحر العزة ، وبحر الكرامة ، وبحر اللطف ، وبحر الحكم ، وبحر المغفرة ، وبحر النبوة ، وبحر الولاية ، فمكثنا في كل بحر من البحور سبعة آلاف عام .

ثم إنّ اللّه - تعالى - خلق القلم وقال له : اكتب . قال :

وما أكتب ، يا رب ؟ قال : اكتب توحيدي ، فمكث القلم سكران من قول الله عشرة آلاف عام , ثم أفـاق بعد ذلك ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتـب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله . فلما فرغ القلم من كتـابة هذه الأسماء ، قال : رب ومن هؤلاء الذين قرنت اسمهما باسمك ؟قال الله – تعالى -: يا قلم ، محمد نبيي , وخاتم أوليائي وأنبيائي ، وعلي وليي , وخليفتي على عـبادي , وحجتي عليهم ، وعزتي وجلالي لولاهما ما خلقتك , ولا خلقـت اللوح المحفوظ)[993].

وكذلك نسبوا إليه أنه قال عن ربه : (يا محمد وعزتي , وجلالي لولاك لما خلقت آدم ، ولولا علي ما خلقت الجنة ؛ لأنّي بكم أجزي العباد يوم المعاد بالثواب و العقاب ، وبعلي وبالأئمة من ولده أنتقم من أعدائي في دار الدنيا , ثم إليّ المصير للعباد والمعاد ، وأحكمكما في جنتي وناري ، فلا يدخل الجنة لكما عدو , ولا يدخل النار لكما ولي ، وبذلك أقسمت على نفسي)[994] .

ج - لولا سيدنا محمد وعلي والأئمة من بعده لما خلق الله العالم – حسب زعمهم -:

عن عبد السلام بن صالح الهروي [995], عن علي بن موسى الرضا , عن أبيه موسى بن جعفر , عن أبيه جعفر بن محمد , عن أبيه محمد بن علي , عن أبيه , علي بن الحسين , عن أبيه الحسين بن علي , عن أبيه علي بن أبي طالب , عن النبي أنه قال : (ما خلق الله خلقاً أفضل مني , ولا أكرم عليه مني ، قـال علي , فقلت : يا رسول الله ! فأنت أفضل أم جبرائيل ؟ فقال : يا علي! إنّ الله - تبارك وتعالى - فضل

أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين , وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي , وللأئمة من بعدك ، وأنّ الملائكة لخدامنا , وخدام محبينا . يا علي ! الذين يحملون العرش , ومن حوله يسبحون بحمد ربهم , ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا ، يا علي ! لولا نحن ما خلق اللّه آدم , ولا حواء , ولا الجنة ولا النار ، ولا السماء ولا ا لأرض ، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة ، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا , وتسبيحه , وتهليله , وتقديسه)[996] .

وفي حادثة المعراج نسبوا إليه قوله : (...أوحى اللّه إلي ّ : يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة, فاخترتك منها, فجعلتك نبيـًا ، ثم اطلعت ثانيـًا , فاخترت منها علي ًا , فجعلته وصيك , ووارث علمك, والإمام بعدك ، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة , والأئمة المعصومين خزان علمي ، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة , ولا الجنة ولا النار ...)[997].

وعن أبي عبد اللّه أته قال : (...نحن علة الوجود , وحجة المعبـود , لا يقبل اللّه عمل عامل جهل حقنا)[998].

د – لولا الحسين لما خلق اللّه العالم – حسب زعمهم :-

عن جعفر بن محمد أته قال: (إن ّ أرض الكعبة ق الت :من مثلي وقد جعل بيت اللّه على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق ، وجعلت حرم اللّه وأمنه . فأوحى اللّه إليها : أن ْ كفي وقر ّي ، فوا عزتي ما فضل ما فضلت به

أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة إبرة غمست في البحر ، فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء ما فضلت ، ولولا من تضمنت أرض كربلاء ما خلقتك , ولا خلقت البيت الذي به افتخرت ، فقرّي واستقري , وكوني دنيا متواضعًا ذليلا مهينًا ،غير مستنكف ولا مستكبر على أرض كربلاء , وإلا أسخطتك ، فهويت في نار جهنم) [999].

ثانيًا : من خلال أقوال علماء الاثني عشرية[1000]الواردة في كتبهم :

أ – عند المتقدمين :

بحثت في أقوال المتقدمين فلم أجد قولا صريحًا يشير إلى هذا الدليل إلا قول الصدوق , حيث يقول: (إنّ اللّه - تبارك وتعالى - خلق جميع ما خلق له, ولأهل بيته-صلى اللّه عليه وآله وسلم-، وأنّه لولاهم ما خلق اللّه السماء والأرض ، ولا الجنة ولا النار ، ولا آدم ولا حواء ، ولا الملائكة ، و لا شيئًا مما خلق)[1001].

وكذلك وجدت للمرتضى ما نصه : (إنّ اللّه - تعالى - إذا علم المصلحة لسائر المكلفين في نبوة النبي – صلى اللّه عليه وآله – وإبلاغه لهم الشرائع , وأنّ أحدًا لا يقوم في ذلك مقامه , وكذلك الأئمة – عليهم السلام – من ولده على نسقهم , لو لم يخلق هؤلاء لما كان خلق لأحد , ولا تكليف لبشر للمعنى الذي ذكرناه) [1002].

ب – عند المتأخرين :

قال المجلسي: (ثبت بالأخبار المستفيضة أنّهم[أي الأ

أئمة] العلل الغائية لإيجاد الخلق ، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم ،وببركتهم, والاستشفاع بهم، والتوسل إليهم يظهر العلوم , و المعارف على الخلق ، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب ، كما قال تعالى:

... , [الأنفال/ 33]...) [1003].

وقال تحت عنوان " بيان ماهية العقل " : (فاعلم أنّ أكثر ما أثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبي والأئمة - عليهم السلام - في أخبارنا المتواترة على وجه آخر ، فإنهم أثبتوا القدم للعقل ، وقد ثبت التقدم في الخلق لأرواحهم إما على جميع المخلوقات أو على سائر الروحانيين في أخبار متواترة . وأيضا أثبتوا لها التوسط في الإيجاد , أو الا شتراط في التأثير ، وقد ثبت في الأخبار كونهم - عليهم السلام - علة غائية لجميع المخلوقات ، وأنّه لولاهم ما خلق الله الأفلاك وغيرها . وأثبتوا لها كونها وسائط في إفاضات العلوم , والمعارف على النفوس , و الأرواح ، وقد ثبت في الأ خبار أنّ ّ جميع العلوم , والحقائق , والمعارف بتوسطهم تفيض على سائر الخلق حتى الملائكة , والأنبياء) [1004] .

وقد جعل هاشم البحراني الباب الثاني في كتابه (غاية المرام) فقد جعله بعنوان : " لولا محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله - , وعلي وصيه الإمام , والأئمة الأحد عشر من ولده ما خلق الله - تعالى - الخلق ، وهم من نـور واحد " وجعل فيه أربعة عشر حديثـ ًا [1005].

ونظم المرزا أبو القاسم الهزار جريبي [1006] في القصيدة العينية في مدح الإمام أمير المؤمنين علي :
يا غاية الإيجاد يا بدو الورى * يا موئل الميعاد أنت موزع [1007].

ويقول محمد حسين الأصفهاني في مولد أبي محمد الحسن بن علي :
أصل الوجود غاية الإيجاد * جل عن الأشباه والأنداد
بل هو في مقامه الكريم * رابطة الحادث والقديم
وفي محيط الكون والمكان * واسطة الوجوب والإمكان [1008].

وفي مولد أبي عبد الله الحسين بن علي يقول :
صفاتك الغراء له ميراث * والمجد ما بين الورى تراث
لك الهنا يا غاية الإيجاد * بمبدأ الخيرات والأيادي [1009].

ويقول بدر الدين بن أحمد العاملي [1010] : (العلماء هم الرسول وأهل بيته - صلوات الله عليهم - ، وهم العلة والغاية في تكوين هذا العالم ، كما هو صريح " لولاك لما خلقت الأفلاك " والغاية متقدمة في الوجود الذهني الذي هو وقت أخذ العهود على المغيّا [هكذا] ,فصح بهذا كون العلم قبل الجهل) [1011].

وإلى هذا يذهب مصطفى الخميني [1012] , فيقول : (وقد ورد في أخبارنا ما يومئ إليه ، ومنه الحديث القدسي : " كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف "[1013] ، ومنه : " لولاك لما خلقت الأفلاك " ، و " خلقت الأشياء لأجلك , وخلقتك لأجلي " ، فتكون الغاية بالذات نفس ذاته تعالى التي هي مبدأ المبادئ وغاية الغايات ، ولكن ّ هذه الآية وأشباهها تدل على أنه - تعالى - يفعل للداني ، حيث :

... , [البقرة / 22] , والتحقيق : أنّ ّ اللام لا تدل إلا على أصل الغاية ، وأما أنها للغاية القصوى فهي خارجة عن مفهومها ومضمونها ، فلا ينافي أن تكون هذه الأفعال ذات غايات طولية ، فتأمل . ويمكن أن تكون هي للغاية بمعنى ما إليه الحركة ، لا ما لأجله الحركة ، كما تحرر في محله ، فتكون اللام هنا للغاية ، ولكن الغاية التي هي لأجلها الخلق أمر آخر أرفع , وأسنى ، فكن على بصيرة من الله – تعالى -) [1014].

فالإنسان الكامل هو سبب الوجود , كما قال بذلك جعفر السبحاني : (إن ّ النبي والإمام غاية لخلق العالم ، ولولا تلك الغاية لما خلق الله العالم ، بل كان خلقه أمراً لغواً . وبعبارة أخرى إن ّ العالم خُلق ؛ ليكون الإنسان الكامل فيه ، ومن أوضح مصاديقه هو النبي والإمام ، ومن المعلوم أنّ ّ فقدان الغاية يوجب فقدان ذيها ؛ ولأجل ذلك يصح أن ْ يقال : إن ّ الإنسان الكامل يكون من بسببه الوجود سببية غائية ، لا منه الوجود سببية فاعلية معطية

له , فهو سبب غائي , لا علة فاعلية ...) [1015].

الطور الثاني
غاية وجود الإنسان هو اتباع المعصوم للوصول إلى الكمال المطلوب.

يرى الإمامية الاثنا عشرية أنّ الإمامة ليست مقولة سياسية , بل هي مقولة تكوينية , على اعتبار أنها قانون تكويني وجودي يتعانق مع مبدأ محورية الإنسان المختار في الوجود , وغائية وجوده , ومبدأ توزيع الهداية إلى ضروب ثلاثة : هي هداية الفطرة , والنبوة , والإمامة , أو الفطرة , والتشريع , والتكوين [1016].

يقول رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني [1017] في القول المنسوب لأبي عبد الله: (بنا أثمرت الأشجار , وأينعت الثمار , وجرت الأنهار , وبنا ينزل غيث السماء, وينبت عشب الأرض , وبعبادتنا عُبد الله , ولولا نحن ما عُبد الله)[1018]: (أي بنا يصل كل مخلوق إلى كماله ؛ فإن ّ كمالا ت الإنسان - التي هي المعرفة والعبودية - وكمالات كمالاته - التي هي كون المعرفة والعبودية كما ينبغي , وعلى ما هي مطلوبة من العباد - إنما تحصل وتتم بهدايتهم , وطاعتهم ، وقال - عز ّ من قائل - :

فلولا هم - عليهم السلام – و الهداية بهم لما خ ُلقوا ، ولولا خ َلـ ْقهم لما خ ُلق ما سواهم ، ولا أ ُعطي لكل خلق منها كماله) [1019] .

فالغاية من إيجاد الخلق عند الإمامية الاثني عشرية هي المعرفة والعبادة المتوقفة على الواسطة بين الله , وبين خلقه ! يقول عبد الله شبر : (إنّ الغرض , والحكمة في

إيجاد الخلق المعرفة , والعبادة كما قال تعالى :
وذلك
يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق نبيًا كان , أو إمامًا يعلمهم ذلك ؛ لاستحالة الإفاضة والاستفاضة بلا واسطة , إذ لا ربط , ولا نسبة بين النور والظلمة , وكمال الكمال ومنتهى النقص فتستحيل المشاهدة , والمكالمة إلا بـ الواسطة ...) [1020].

وكذلك يذهب المرزا جواد التبريزي إلى أنّ الغرض من خلق الدنيا , ومن فيها هو معرفة اللّه - تبارك وتعالى - والتي لا تتم إلا من طريق الإمام المعصوم , وبه يصل الإنسان إلى الكمال المطلوب, وتتحقق لها الهداية المنشودة , فيقول : (إن ّ خلق الدنيا ومن فيها ، وكذا خلق الآخرة ، ومن فيها ، وما فيها كله من فعل اللّه ومشيئته ، وبما أنّ اللّه حكيم لا يخلق شيئـًا عبثـًا ؛ فالغرض من خلق الدنيا , وما فيها هو أن يعرف الناس ربهم ، ويصلوا إلى كمالاتهم ، بإطاعة اللّه ، والتقرب إليه ، وهذا يقتضي اللطف من اللّه بإرسال الرسل ، و إنزال الكتب ، ونصب الأوصياء والأئمة (ع) ؛ ليأخذ الناس منهم سبيل الاهتداء ... وبذلك يصح القول : إ نهم علة غائية لخلق العباد ، لا بمعـنى أنّ ّ الخالق يحتاج إلى الغاية ؛ بل لأنّ إفاضة فيض الوجود بسبب ما سبق في علمه أنهم السابقون الكاملون في الغرض , والغاية من الفيض) [1021].
ويجعل محمد فاضل المسعودي [1022]شروطـًا لعبادة اللّه - تبارك وتعالى -, وأنها لا تتحقق إلا بها , من أهمها : وجود القائد ؛ لأنه من دون القائد ، لا يمكن الانطلاق في اتجاه صحيح ، ولذلك صار القائد ، الإمام المعصوم , فيقول :

(فقدان القائد ، يعني فقدان العبادة ، وإذا فقدت العبادة ، انتفت الحكمة من وجود الإنسان ، وإذا انتفت الحكمة من وجود الإنسان ، ولم يعد لوجود الأفـلاك معنى ؛ لأنّ الأفلاك إنما وجدت بوجود الإنسان الذي يعـبد اللّه ...) [(1023)].

فمن لطف اللّه - تبارك وتعالى - عند الإمامية الاثني عشرية أن يعرّف اللّه الخلق بمن خلقهم لأجلهم , ويعرض عليهم محبتهم , يقول الإمامي طيب الموسوي الجزائري [(1024)]: (لما ثبت أنّ ذواتهم المقدسة هي أول الخلق , وغرض الحق , فبدليل العقل يجب على اللّه – تعالى - لطفـًا أن يعرفهم جميع خلقه , ويعرض محبتهم على جميع عباده , وإلا ليلزم الانفكاك بين الغاية والمغيى , فهم غرض الخلق , وغرض خلقهم ذات الحق) [(1025)].

ويقرر محمد الحسين الحسيني الطهراني بأنّ الإمام قد أصبحت له الهيمنة على أعمال البشر ظاهرًا , وباطنـًا على اعتبار أنّه هادٍ لقلوب البشر , فيقول: (فالإمام هو الذي صار له – بوصوله إلى مقام اليقين , وكشف الملكوت – الهيمنة على عـالم الأمر , وصار باطن الأفعال مكشوفـًا له , وصار بإمكانه – بسيطرته على الباطن – أنْ يهدي القلوب , و المقاصـد , والغايات ... والأئمة الأطهار لا يهدون فقط الأ فراد الصالحين فيوصلونهم إلى كمالهم , بل إنهم يهدون ا لأشقياء , وأصحاب الأعمال السيئة أيضـًا , فيوصلونهم إلى كمالهم) [(1026)].

والإمام بنظر الطباطبائي يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه ,

وهنا تكمن حاجة البشرية لتحقيق غاية وصولهم إلى الكـمـال , إذ يـقول : (... الإمام هاد ٍ يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه ، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم...)[1027].

وحصر الحيدري لوازم الإمامة في سبعة أمور منها :

1 – ارتباط غاية وجود الإنسان وهدايته عن طريق الإمام المعصوم .

2- أعمال العباد غير محجوبة عن الإمام ؛ لينهض بمهام الإمامة ؛ إذ لو كانت محجوبة لما أمكنه هدايتهم إلى الطريق القويم [1028].

ويقول : (وظيفة الإمام هي إيصال الناس إلى القرب الإلهي, فلابد أنّ يقترن وجوده بوجود الإنسان , وأن لا تخلو الأرض منه أبدًا) [1029].

ويقول محمد سند في دليل الغاية مبينـًا مدى ارتباطه بالمعاد : (هذا الدليل يثبت ضرورة الإمامة ...كذلك يبين الدليل الارتباط بين المعاد , ومعرفة الإمام ومن هنا نفهم قوله تعالى :

... , فالدعوة , والحشر , والمعاد يكون بتـوسط الإمام ؛ لأنه هو الهادي لهم نحو الكمالات التي تظهر في العوالم اللاحقة ، والآثار التي تظهر في المعاد , إنما هي بتوسط الإمام , حيث يكون مرتبطـًا بالغيب ، ويعلم بلوازم الأفعال الدنيوية , وحقائقها , وما يضر , وما ينفع....) [1030].

ويذهب وحيد الخراساني إلى أنّ عليًا بالإضافة إلى أنه

علة الوجود , فإنه قد وصل إلى مرتبة النبي , بل لم يتحقق الهدف من بعثته إلا ببقاء علي وأبنائه من بعده ! فيقول : (وقد وصل علي إلى مرتبة الذي قال الله في شأنه : (علي مني) ، الكاشف عن اشتقاق علي من الجوهرة الفريدة في عالم الإمكان ، وهي النفس القدسية التي هي العلة الغائية من خلق العالم , واستخلاف آدم ، ولم يقتصر على هذا ، بل قال : (وأنا منه) ؛ لأنّ غاية وجوده , والهدف من بعثته وما به قوام إنيته ، وهو الهداية إلى الدين القويم , والصراط المستقيم ، لم تتحقق حدوثـًا , وبقاءً إلا بعلي , وأبنائه المعصومين- عليهم السلام-, فكيف يمكن الفصل في الخلافة بين من هو من علي وعلي منه ؟ !) [1031].

فسيدنا محمد وآله عند الإمامية الاثني عشرية سـبب وجود هذا العالم بأفلاكه ، وحيث كانوا ألطافـًا فلا يصح التكليف إلا بهم ، ولا يقوم غيرهم مقامهم ؛ لذا كانت عبادة الله - تبارك وتعالى - عن طريقهم [1032].

المبحث الثاني

نقد دليل الغاية ومناقشته

وفيه مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل الغاية بالدليل العقلي.

المطلب الثـاني : نقد دليل الغاية من كتب الاثني عشرية .

المطلب الثالث : نقد دليل الغاية من القرآن والسُنة .

المطلب الرابع : نقد دليل الغاية من أقوال علماء أهل السُنة .

المطلب الأول

نقد دليل الغاية بالدليل العقلي

يتجلى الرد العقلي على دليل الغاية الذي استدل به الاثنا عشرية على الإمامة باعتباره دليلا ً عقليـًا بعدة أمور منها :

أولا : اضطراب الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية – على ضعف أسانيدها - بخصوص الـغاية من خلق هذا العالم !
فمرة يقولون : إنّ الغاية من خلق العالم هو سيدنا محمد !
وتارة يذهبون إلى أنّ الغاية من خلق العالم هو سيـدنا محمد , وعلي !
وثالثة يقولون : إنّ الغاية من خلق العالم هو سيدنا محمد وعلي والأئمة من بعده !
ورابعة يقولون : إنّ الغاية من خلق العالم هو الحسين !

فسرد الروايات , وعدم التعليق عليها , و الترجيح لها ,يوهم الاضطراب والتعارض بينها , خاصة أنّ مضامينها تختلف !
فمثلا ً: في رواية تدعي أنّ الباري - تبارك وتعالى - قد خلق نور سيدنا محمد قبل خلق العرش , و السماوات , والأرض , وآدم , وحواء بأربعة وعشرين وأربع مئة ألف عام !

وفي رواية أخرى أنّ الله - تبارك وتعالى - قبل أن يخلق سيدنا محمد وعلي خلق درّة عظيمة أكبر

من الدنيا بعشر مرات , واستودعهم ألف عام يسبحون فيها , ولما أراد الباري أنْ يخلق هذا الكون نظر إلى الدّرة بعين التكوين فجعلها نصفين , فجعل سيدنا محمد في نصف النبوة , وعلي في نصف الإمامة !
فكيف الجمع بين هاتين الروايتين , وكل واحدة منهما تنفي مافي الأخرى !

ثانيـًا : على اعتبار ما ذهب إليه علماء الإمامية في أقوالهم من القول بأنّ العالم خلق من أجل سيدنا محمد , وعلي , والأئمة من بعده فأقول : لو خلق هذا الـعالم من أجل سيدنا محمد , والأئمة من بعده , ولو سبق وجودهم في هذا الكون على باقي البشر , لما دعت الحاجة إلى الرسل والأنبياء , ولبعث اللّه - تبارك وتعالى- بشرعه , وأحكامه , وهدايته سيدنا محمد , والأئمة من ولده دون غيرهم من البشر !

ولكن بما أنّ دعوى وجود هذا الكون من أجلهم , وكـونهم قد وجدوا قبل الخليقة دعوى فاسدة , احتاجت البشرية إلى بعثة الأنبياء , وإرسال الرسل , حتى يتمكنوا من الوصول لغرضهم الوجودي الذي هو إقامة العبودية لله , وإخلاصها له دون غيره من البشر ، من حيث الطبيعة النفسية والاجتماعية و المدنية للإنسان ، والتي بنفسها تستدعي وجود الأ نبياء , والرسل ؛ ليعلموهم طريق الهدى , وليرشدوهم حال الاختلاف فيه بينهم .

ثالثـًا : أما دعوى الاثني عشرية بأته لولا الأئمة لما تحققت الهداية للبشرية , ولاستحقت أنواع العذاب على قبيح أعمالهم !
فأقول : اتفق أهل الملل قاطبة على حاجة البشرية ل بعثة الأنبياء والرسل , ولم تتفق على الحاجة إلى أئمة الشيعة ، وذلك لمدى الارتباط بين وجود الإنسان وبين تحقيق الغاية التي خلق من أجلها ، وأته بوجود الأنبياء والرسل يتمكن الإنسان من الوصول إلى الهداية الربانية ، ومع وجود تمام الظروف الملائمة يصل الإنسان لها , وتتم سعادته في الدارين .
ولم يحاول أئمة الاثني عشرية أن يُوصلوا أتباعهم إلى هذه الهداية الربانية - والواقع خير شاهد على ما أقول - لا لأتهم كانوا أئمة فقصروا في وظيفتهم , ولكن لأتّهم بشر عاديون غير معصومين , حالهم حال غيرهم من صالحي الأمة .

رابعـًا : أما ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ وجود القائد – الذي هو الإمام - من أهم شروط العبادة , وأنّ وظيفته هي إيصال الناس إلى القرب الإلهي !
فأقول : لا أنكر أنّ الإنسان بطبعه الاجتماعي و المدني , وبما أعطاه الله من المواصفات في الخلقة من المدنية , والاجتماع , والاختلاف في تشخيص المصالح , والتخاصم الشديد في تطبيقها ، فإنه يحتاج لمرشد , وهاد ٍ يعلمه سبيل الوصول ؛ لتمام سعادته , وحقيقة أهدافه في جميع شؤون حياته المادية , والمعنوية , وبالخصوص إقامة حقيقة العبودية لله – تبارك وتعالى - ، وكل ذلك وفق قانـ ون عادل , ودقيق , ومتقن يصلح لجميع البشر في جميع الآفاق والبقاع .

ولكن لا يتوقف الأمر على وجود إمام من أئمة الاثني عشرية ؛ لأنه بوجود الرسول , وبما أسسه من نهج الهداية , وربى عليه أصحابه , وبما بقي بعده من كتاب الله وسنته يعرف الناس هدى الله ، وينفصل التخاصم بينهم في تعلم هذا الهدي وتطبيقه ، ويرتفع الاختلاف بما يعلمه بشكل صريح وقاطع، كما يمنع من الكذب على الله في ادعاء النبوة , أو تعليم الضلال , وحجبه على هـدى الله ودينه الحق ، وبالتالي تتم لهم إقامة عبوديته , ويتم صلاحهم بـ العدل, والإحسان , وشكر الرب الكريم الرحمن بما يحب ويرضى .
ثم أين هو قائد الاثني عشرية الذي ينطلق بهم في اتجاه صحيح محققـًا عبادة الله - تبارك وتعالى - بين أتباعه ؟!

خامسـًا : أما قول الاثني عشرية بأنه لا طريق للوصول إلى الكمال وإلى معرفة الله - تبارك وتعـالى - , وعبادته إلا من طريق أئمتهم الاثني عشر !
فأقول : قد حقق كثير من أفراد البشرية منذ أنْ خلق الله - تبارك وتعالى - آدم إلى يومنا هذا غاية وجوده في الدنيا من دون وجود الإمام المعصـوم !
وهذا واقع مشاهد بما أخبر الله - تبارك وتعالى - عنه في كتابه الكريم , وبما أخبر به النبي الكريم في سنته المطهرة عن حال الأنبياء , والمرسلين مع أقوامهم , وأتباعهم .

سادساً : أما ما قرره الإمامية في رواياتهم وأقوالهم بأنّ الأئمة هم خزنة علم الله - تبارك وتعالى - !
فأقول : وما فائدة وجود العلم الربّاني في شخص يكتمه ولا يظهره مخافة أن يُفتك به ؟! ولا يستفيد منه ولا أتباعه مع ضرورتهم لذلك !

سابعاً : أعجب من زعم الاثني عشرية بأنّ للإمام الهيمنة على أعمال البشر الظاهرة والباطنة منها ؛ على اعتبار أنّه الهادي لقلوب البشر !
ومع كون الهداية بيد الله - تبارك وتعالى - , فإن ما زعمه الاثنا عشرية مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة ! إلا أنّه كيف تكون هذه الهيمنة في يد أئمة الاثني عشرية , ولم يستطيعوا أنْ يسيطروا على أعدائهم الذين سلبوا منهم الخلافة أعواماً عديدة , وأزمنة مديدة على حد زعمهم ؟!
ثم إن كانت الهداية بيد الإمام فلا مجال لإلقاء اللوم والعتاب , وكيل اللعنات والسباب , وصبِّ العذاب على من اغتصب الخلافة منهم !
فإنّ اللوم ينصبُّ عليهم ؛ إذ لم يفعلوا ما يحقق لهم تنفيذ ما أمروا به.

ثامناً : كذلك يوجه الاعتراض على ما ادعوه بأنّ أعمال البشر غير محجوبة عن أئمتهم !
فإنّ النبي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين لم يكن على اطلاع على الغيب إلا بأمر من الله - تبارك وتعالى - فيما يرتضيه الله لرسله, إذ يقول :

, فغيره من البشر من باب أولى [1033] .

ثم إن ْ كانت أعمال البشر المستقبلية غير محج۔وبة عن أئمتهم ! فإن ّ الأئمة الاثني عشرية بهذا قد أقدموا على الانتحار, فسيدنا علي عندما خرج ليوقظ الناس لصلاة الفجر ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه ! فإن كانت أعمال البشر غير محجوبة عنه فلماذا لم يتوق هذه الضربة , ويأمر بحبس عبد الرحمـن بن ملجم ؛ لعلمه أنّ ابن ملجم يترصد لقتله ؟! أو حتى لماذا لم يدافع عن نفسه , ويتوخى الحذر بصورة أكبر , وح۔رص أشد يومها ؟!

وبسبب ما تقدم نقول بأنّ الحسن مات منتحرًا ؛ لأنّ – على حسب زعم الإمامية - زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس [1034]قد دست له السمّ في طعامه , وقد أقدم على أكله , وهو على عـلمٍ بما فيه [1035]!
وكذلك بسبب هذا القول نقول : إن الحسين مات منتحرًا ؛ لأنّه قدم إلى الكوفة , وهو على علم بما في نيتهم , وما سيقومون به من أعمال , ولم يكتف بإقدامه , بل شارك في معركة سينهزم فيها هو ومن معه , وسيفضي ذلك بالقتل والسبي والتشريد لمن معه – كما يدعي الاثنا عشرية - .
ففي الحقيقة أنّ ما ادعاه الاثنا عشرية هو في حد ذاته ذم وطعن مبطن لأئمتهم , لا مدح وتزكية لهم .

خاصة أنّ الله - تبارك وتعالى - قد أخبرنا في كتابه بأنّ الطبيعة البشرية تسعى للحصول على الخيرات , وتنفر من المكاره , وهذه قاعدة فطرية لا يخالفها عاقل , فالإنسان لا يقبل على مكـروه مع علمه به , كما يبعد يده عن النار خوفا من إصابته بالأذى .
وهذا من منطلق قوله تعالى : ...

.

فإنْ قيل : إن ّ ما فعله الأئمة من قِبيَلِ الجهاد في سبيل الله لا من قبيل إلقاء النفس في التهلكة , وإمضاءً منهم للأقدار السبحانية , والأقضية الربانية , كما قال بذلك الإمامي يوسف البحراني [(1036)].

فأقول ردًا على اعتراضهم :
هناك بون شاسع بين إلقاء النفس إلى التهلكة جهاداً في سبيل الله , و الموت في سبيل إعلاء كلمته، و بين إلقاء النفس بالتهلكة انتحارًا لها, و إضاعتها سدى ، دون أن يترتب على هذا الموت منفعة , أو مصلحة متوقعة للإسلام و المسلمين .
فالجهاد هو أن يقتل الإنسان بيد عدوه عند لقائه , أما أن يقدم الإنسان على مقابلة عدوه بدون سيف , و بدون إبداء أدنى مقاومة , أو محاولة لدرء الضرر و القتل، أو يقبل على أكل طعام مسموم - مع علمه بهذا - فهذا من قبيل الانتحار , والتخلص

من النفس .

فإن قالوا : إن ما فعلوه كان إمضاء لقضاء اللّٰه وقدره !
فأقول : إذن فالإمامة ليست بمنصب إلهي ! وإلا لعارضت إرادة اللّٰه - تبارك وتعالى - قضاءه وقدره !
فإرادة اللّٰه -تبارك و تعالى -من تنصيب الأئمة هي إقامة شرائعه في الأرض , و بين عباده ، و قضاؤه بموت الأئمة يخالف إرادته .

فإن قالوا : أراد اللّٰه -تبارك وتعالى - للناس التوحيد , وختم رسالاته بإرسال سيدنا محمد , وقضى له الموت كما قضى لغيره من الرسل والأنبياء !
فأقول : بعث اللّٰه - تبارك وتعالى - الرسل والأنبياء ؛ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور , وأيدهم بالآيات الباهرات , وكلـما مضى نبي , أو رسول أتى بعده نبي , أو رسول ؛ لاتمام إرادة اللّٰه - تبارك وتعالى - إلى أنْ ختم اللّٰه رسالاته برسالة سيدنا محمد , وعصمه من الناس , ولم يعجل في قبض روحه حتى أرسى قواعد الإسلام , وأنزل في كتابه الكريم ما يدل على كمال الدين , وتمام النعمة .

أما الأئمة فقد عجل اللّٰه في قبض أرواحهم – بغض النظر عن كيفية موتهم – من غير أن يرسوا لنا قواعد الإمامة , ومن غير أنْ يظهروا ما أراده اللّٰه – حسب زعمهم – ولم يقيموا شرائعه قبل الموعد المحتم لموت الإمام فيه , مع سابق علم الإمام بهذا الموعد , ولم يؤصلوا قواعد الإمامة بين الناس بـ الخطب على منابرهم ! بل قضوا من حياتهم

متلبسين بلباس التقية , وكتمان علوم الإمامة , فضلا ًعن أنّها لم تصل بموتهم بهذه الطريقة !

فهذا دال على أنّ الإمامة لا تعد منصبـًا إلهيـًا , وغير واجبة على اللّه - تبارك وتعالى - , وإلا لتعارضت إرادته مع قضائه وقدره .

تاسعـًا : أما ما زعمه الإمامية من أنّ عليًا قد وصل لمرتبة النبي !
فأقول : لماذا لم ينص الباري - تبارك وتعالى - على إمامة علي في كتابه بدلا ً من اختلاف الناس حوله وحول أبنائه ما يزيد على الألف والمئتين سنة ؟!

المطلب الثـاني

نقد دليل الغاية من كتب الاثني عشرية

اتسمت روايات الشيعة الاثني عشرية بالتناقض و التضاد , فما من رواية تقرر عقيدة من عقائدهم , أو فرعـًا من فروع دينهم إلا وبإزائها رواية أخرى تنقضها , وهذا ما أكده أحد علماء الطائفة في القرن الخامس الهجري , وهو الطوسي , حيث يقول : (ما وقع فيها [أي الأخبار] من الاخـتلاف , والتباين , والمنافاة , والتضاد , حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده , ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه) [(1037)].

وهذه العقيدة عندهم هي إحدى تلك العقائد التي تناقضت فيها الروايات , وفيما يلي نورد جملة منها تحت أربعة أوجه ناقضت بعضها بعضًا :

الأول : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ الغاية من الخلق عبادة الله - تبارك وتعالى - , فالاستدلال بـالروايات التي تقرر أنّ الغاية من الخلق هو النبي محمد , وعلي , والأئمة من بعده باطل ! وبالتالي جعل هذه الروايات في صدارة دليل الغاية فاسد .

الثاني : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ الغاية من خلق الكون هي السيدة فاطمة – رضي الله تعالى عنها – وهي ليست من الأئمة باتفاقهم , فالاستدلال بـالروايات التي تقرر أنّ الغاية من خلق الكون النبي محمد , وعلي , والأئمة من بعده باطل ! وبالتالي جعل هذه الروايات في صدارة دليل الغاية فاسد .

الثالث : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ مشاركة الرسل والأنبياء لجميع البشر في الخلق والتركيب دون تمييز , فقيام هذا الدليل على أنّ سيدنا محمد , والأئمة من ولده كانوا أشباحًا من نور يمنة العرش , أو قدامه باطل ! وبالتالي يسقط الاستدلال بدليل الغاية ؛ لأنّ ما قام على الباطل فهو باطل مثله .

الرابع : ما ورد عن علي أنه لا علم له بضمائر النفوس , وأنه محتاج لهداية الله -تبارك وتعالى - مثله مثل باقي البشر , وبالتالي لا تتعلق به الهداية التكوينية لباقي البشرية , فقيام هذا الدليل على أنّ عليًا , والأئمة من ولده كانوا أسبابـًا لكمال الناس وهدايتهم باطل ! وبالتالي يسقط الاستدلال بدليل الغاية ؛ لأنّ ما قام على الباطل فهو باطل مثله .

وتفصيل هذه الأوجه بما يجلي الرّد عليهم , ويبطل استدلالهم بدليل الغاية على ضرورة وجود الإمام كالآتي :

الوجه الأول : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ الغاية من الخلق عبادة الله - تبارك وتعالى - , فالاستدلال بالروايات التي تثبت أنّ الـغاية من الخلق النبي محمد , وعلي , والأئمة من بعده باطل ! وبالتالي جعل هذه الروايات في صدارة دليل الغاية فاسد .

فعن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عن قول الله :

؟ قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة . قال : وسألته عن قول الله
: ...

... , [هود / 118 – 119] ؟

قال : خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم [1038].

وعن جميل بن دراج[1039] قال : لأبي عبد الله جعلت فداك , ما معنى قول الله :
؟ قال : (خلق-هم للعبادة) [1040].

وفي رواية أخرى أته سأله عن قول الله :
قال :
خلقهم للعبادة قلت : خاصة أم عامة ؟ قال : لا ، بل عامة [1041].

ورووا عن حبيب السجستاني [1042] أته قال : سمعت أبا جعفر يقول : (إن الله لما أخرج ذرية بني آدم من ظهره ، ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، وبالنبوة لكل نبي ، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته ، محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله - ثم قال الله لآدم : انظر ماذا ترى ؟ قال : فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملأوا السماء ، قال آدم : يا رب ما أكـثر ذريتي ؟ و لأمر ما خلقتهم ! فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ قال الله : يعبدونني ولا يشركون بي شيئـًا , ويؤمنون برسلي ويتبعونهم . قال آدم : يا رب فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض ؟ وبعضهم له

نور كثير ؟ وبعضهم له نور قليل ؟ وبعضهم ليس له نور أصلا ؟ فقال الله : وكذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم . قال آدم : يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال الله :تكلم فإن روحك من روحي ، وطبيعتك خلاف كينونتني ، قال آدم : فلو كنت خلقتهم على مثال واحد ، وقدر واحد ، وطبيعة واحدة ، وجبلة واحدة وألوان واحدة ، وأعمار واحدة ، وأرزاق سواء ، لم يبغ ِ بعضهم على بعض , ولم يك بينهم تحاسد , ولا تباغض ، ولا اختلاف في شيء من الأ شياء . قـال الله : يا آدم بروحي نطقت ، وبضعف طبيعتك تكلمت مالا علم لك به ، وأنا الخالق العليم ، بعلمي خالفت بين خلقهم . وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيري وتقديري صائرون ، ولا تبديل لخلقي ، إنما خلقت الجن والإ نس ليعبدوني ، وخلقت الجنة لمن عبدني فأطاعني منهم , واتبع رسلي ، ولا أبالي . وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ، ولم يتبع رسلي , ولا أبالي . وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم ، وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملا ً في دار الدنيا في حياتكم ، وقبل مماتكم فلذلك خلقت الدنيا والآخرة ، والحياة والموت ، والطاعة والمعصية ، والجنة والنار , وكذلك أردت في تقديري وتدبيري ، وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم ، وألوانهم وأعمارهم ، وأرزاقهم ، وطاعتهم ومعصيتهم ، فجعلت منهم الشقي والسعيد ، والبصير والأ عمى ، والقصير والطويل ، والجميل والدميم ، والعالم و الجاهل , والغني والفقير ، والمطيع والعاصي ، والصحيح و السقيم، ومن به الزمانة ، ومن لا عاهة به . فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة، فيحمدني على عافيته ، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ، ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني

ويسألني ، وينظر المؤمن إلى الكافر ، فيحمدني على ما هديته . فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء ، وفيما أعافيهم ، وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم ، وفيما أمنعهم ، وأنا الله الملك القادر ، ولي أن أمضي جميع ما قـدرت على ما دبرت ، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت ، وأقدم من ذلك ما أخرت ، وأؤخر من ذلك ما قدمت ، وأنا الله الفعال لما أريد ، لا اسأل عما أفعل , وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون) [1043].

قال المجلسي تعليقـًا على هذه الرواية : (قوله " وكذلك خلقتهم " في بعض النسخ " لذلك " أي لأجل الاختلا ف كما قال - سبحانه - : ...

... على بعض التفاسير ، أو لأن يعبدوني , ولا يشركوا بي شيئـًا) [1044].

ويبين المرتضـى أنّ اللام في قوله تعالى : لام الغرض , إذ يقول : (إن ّ هذا القول يقتضي أنّ ّ غرضه في خلقهم أن ْ يعبدوه ، لأنّ ّ اللام في قوله تعالى : هي لام الغرض ، بدلالة قولهم : (جئتك لتكرمني , وقصدتك لتنفعني) أي غرضي في قصدك الإكرام , والنفع) [1045].

وكذلك يذهب إلى هذا الطوسي , موضحـًا أنها ليست بلام العاقبة , فيقول : (قال الله تعالى : ومعناه أراد منهم العبادة ؛ لأنّ هذه اللام لام الغرض ؛ لأنها لو كانت لام العاقبة

لكان كذبـًا لوجودنا كثيـ ـرًا من الجن والإنس غير عابدين لله تعالى) [1046].

وأجاب عن مسألة : قول الله تعالى :

[الفرقان / 77] ,

أهو دعاء الطلب والسؤال ؟ أم هو دعاء الشرك معه إلهـًا آخر - تعالى الله عما يشركون- ؟ بقوله : (هو دعاء للطلب والا نقطاع إلى الله - تعالى - على وجه العبادة , فكأنه أراد : إنما خلقكم ؛ لتعبدوه وتنقطعوا إلى دعائه ومسألته ,كما قال :
(

[1047].

فالعالم لم يخلق عبـثًا , بل لغاية مقصودة , وقد وضح الباري - تبارك وتعالى - هذه الغاية في قوله :
, يقول علامة الشيعة الحلي: (فإن ّ الله – تعالى - لم يخلق العالم عبثـ ًا ، بل لغاية مقصودة ، وحكمة ٍ متحققة ٍ موجودة ، كما قال تعالى:
... ، وقال تعالى :
. ثم ّ إنه - تعالى - نص ّ على الغاية بالتعيين ، فقال :
) [1048].

ويقول محمد صالح المازندراني : تعليقـًا على قوله تعالى :
[المؤمنون / 115] ,

: (يعني لو لم يكن غاية وجود الإنسان الرجوع إلى اللّه كان خلقه عبثـًا ; إذ لا شيء أعلى منه حتى يكون غايته) (1049).

فاستكمال النفس بالعبادة هي الغاية للتكوين والتشريع , يقول الخوئي : (إن ّ العبـادة غاية لأوامر اللّه - سبحانه - كما أنّها غاية لخلقه على ما صرح به في قوله عز ّ من قائل :
. إذا العبادة هي الغاية القصوى لكل من التكوين والتشريع , حيث إنه – سبحانه- خلقهم وأرسل إليهم رسله بعد ذلك ؛ ليعبدوه والعبادة موجبة ؛ لا ستكمال النفوس , فالغاية لكل من التكوين والتشريع هو استكمال النفس بالعبادة , وعليه فلا دلالة للآية المباركة على اعتبار قصد التقرب في الواجبات إلا ما خرج بالدليل) (1050) .

الوجه الثاني : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ الغاية من خلق الكون هي السيدة فاطمة – رضي اللّه تعالى عنها – وهي ليست من الأئمة باتفاقهم , فالاستدلال ب الروايات التي تقرر أنّ الغاية من خلق الكون النبي محمد وعلي والأئمة من بعده باطل ! وبالتالي جعل هذه الروايات في صدارة دليل الغاية فاسد .

فقد نسبوا إلى النبي قوله : (لو تعلمون أنّي أفضل الأ نبيـاء ، وأنّ وصيي أفضل الأوصياء ، وأنّ أبي آدم لما رأى اسمي , واسم أخي , واسم فاطـمة , والحسن , والحسين مكتوبين على سرادق العرش بالنور ، فقال : إلهي هل خلقت خلق ًا قبلي هو أكرم إليك مني ؟ قال : يا آدم ، لولا هذه الأ

أسماء لما خلقت سـماء مبنية ، ولا أرضـًا مدحية ، ولا ملكـًا مقربـًا ، ولا نبيـًا مرسلاً لولاهم ما خلقتك ، فلما عصى آدم ربه سأله بحقنا ، أن يتقبل توبته ويغفر خطيئته فقال : إلهي وسيدي , ومولاي بحقهم عليك إلا غفرت لي خطيئتي ، فأجابه ونحن الكلمات وبحق الكلمات التي تلقاها آدم فقال : أبشر يا آدم ، فإنّ هذه أسماء من ولدك , ومن ذريتك ، فحمد الله آدم ، وافتخر على الملائكة بنا فإذا كان هذا فضلنا عند الله ، فإنه لا يعطي نبيـًا من الفضل إلا أعطاه لنا , فقام سلمان[1051] , وأبو ذر[1052]، وقالوا ومن معهم : نحن الفائزون غدا ؟ فقـال -صلى الله عليه وآله وسلم - : أنتم الفائزون ، ولأجلكم خلقت الجنة ، ولأعدائكم خلقت النار)[1053].

ونسبوا إليه أيضًا أته قال : (لما خـلق الله آدم ونفخ فيه من روحه ، نظر آدم يمنة العرش ، فإذا من النور خمسة أشباح على صورته ركعـًا سجدـًا. فقال : يا رب هل خلقت أحدـًا من البشر قبلي ؟ قال : لا . قال: فمن هؤلاء الذين أراهم على هيئتي وعلى صورتي ؟ قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك , ولا خلقت الجنة ولا النار , ولا العرش , ولا الكرسي , ولا السماء ولا الأرض , ولا الملائكة , ولا الإنس ولا الجن . هؤلاء خمسة اشتققت لهم أسماء من أسمائي . فأنا المحمـود وهذا محمد ، وأنا الأعلى وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا الإحسان وهذا حسن ، وأنا المحسن وهذا الحسين . آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من حب أحد منهم إلا أدخلته جنتي ، و آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحد منهم إلا أدخلته ناري , ولا أبالي . يا

آدم ، وهؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجي , وبهم أهلك) [1054].

وكذلك ورد في كتبهم بعض روايات حديث الكساء [1055] ما نسبوه إلى النبي أنه قال : (... اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي ، لحمهم لحمي ، ودمهم دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم , ويحزنني ما يحزنهم ، وأنا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، وعدو لمن عاداهم ، ومحب لمن أحبهم ، وإنهم مني, وأنا منهم ، فاجعل صلواتك , وبركاتك , ورحمتك , وغفرانك , ورضوانك علي وعليهم ، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقال : يا ملائكتي ! يا سكان سماواتي ! إني ما خلقت سماءً مبنية , ولا أرضًا مدحية , ولا قمرًا منيرًا, ولا شمسًا مضيئة, ولا فلكًا يدور , ولا فلكًا تسري , ولا بحرًا يجري إلا لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء ، فقال الأمين جبرئيل يا رب ! ومن تحت الكساء ؟ فقال الله : هم أهل بيت النبوة , ومعدن الرسالة , وهم فاطمة , وأبوها , وبعلها وبنوها ، فقال جبرئيل : يا رب ! أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادسًا ؟ فقال الله : قد أذنت لك ، فهبط الأمين جبرئيل وقال لأبي : السلام عليك يا رسول الله , العلي الأعلى يقرئك السلام , ويخصك بالتحية , والإكرام ، ويقول لك : وعزتي وجلالي : إني ما خلقت سماءً مبنية , ولا أرضًا مدحية , ولا قمرًا منيرًا , ولا شمسًا مضيئة , ولا فلكًا يدور , ولا بحرًا يجري , ولا فلكًا تسري ؛ لأجلكم ومحبتكم ، وقد أذن لي أن أدخل معكم ، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله ، فقال أبي : وعليك السلام يا أمين وحي الله , نعم قد أذنت لك ، فدخل جبرئيل معنا

تحت الكساء ...) [1056].

وعن المفضل بن عمر ، قال : قال أبو عبد اللّه : (إنّ اللّه - تبارك وتعالى - خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام , فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد, وعلي , وفاطمة , و الحسن , والحسين , والأئمة بعدهم - صلوات اللّه عليهم - , فعرضها على السماوات والأرض , والجبال , فغشيها نورهم , فقال اللّه - تبارك وتعالى - للسموات , والأرض , والجبال : هؤ لاء أحبائي , وأوليائي , وحججي على خلقي , وأئمة بريتي , ما خلقت خلق ًا هو أحب إلي منهم ، لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي , ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري , فمن ادعى منزلتهم مني , ومحلهم من عظمتي عذبته عذاب ًا أليم ًا , لا أعذبه أحد ًا من العالمين , وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري , ومن أقر بولايتهم, ولم يدع منزلتهم مني , ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي , وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي , وأبحتهم كرامتي , وأحللتهم جواري , وشفعتهم في المذنبين من عبادي , وإمائي , فولايتهم أمانتي عند خلقي , فأيكم يحملها بأثقالها, ويدعيها لنفسه دون خيرتي ؟ فأبت السماوات والأ رض والجبال أن يحملنها , وأشفقن من ادعاء منزلتها, وتمنى محلها من عظمة ربها , فلما أسكن اللّه آدم وزوجته الجنة ق ال لهما :

... , [البقرة / 35]

يعني شجرة الحنطة : ...

فنظرا إلى منزلة محمد , وعلي , وفاطمة , والحسن , و الحسين , والأئمة بعدهم - صلوات اللّه عليهم - فوجداها أشرف منازل الجنة , فقالا : يا ربنا ! لمن هذه المنزلة ؟ فقال

اللّه   ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي , فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد , وعلي , وفاطمة , والحسن , والحسين , والأئمة - صلوات اللّه عليهم - مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار   فقالا : يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك , وما أحبهم إليك , وما أشرفهم لديك ؟ فقال اللّه   : لولاهم ما خلقتكما ! هؤلاء خزنة علمي , وأمنائي على سري ، إياكما أنْ تنظرا إليهم بعين الحسد , وتتمنيا منزلتهم عندي , ومحلهم من كرامتي , فتدخـلا بذلك في نهيي , وعصياني , فتكونا من الظالمين) [1057].

وعن أبي الصلت الهروي , عن الرضا قال : (إنّ آدم - صلوات اللّه عليه - لما أكرمه اللّه - تعالى - بإسجاده ملائكته له , وبإدخاله الجنة ناداه اللّه : ارفع رأسك يا آدم , فانظر إلى ساق عرشي ، فنظر فوجد عليه مكتوبـ ًا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه ، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن , و الحسين سيدا شباب أهل الجنة ، فقال آدم   يا رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك لولاهم ما خلقتك) [1058].

وينسبون إلى ابن عباس أته قال : (لما خلق اللّه - تعالى - آدم , ونفخ فيه من روحه عطس , فألهمه اللّه الحمد لله رب العالمين , فقال له ربه : يرحمك ربك, فلما اسجد له ملائكته تداخله العجب , فقال : يا رب خلقت خلق ًا أحب إليك مني ؟ فلم يجب ! ثم قال الثالثة , فلم يجب ! ثم قال اللّه   : له نعم , لولاهم ما خلقتك , فقال يا رب: فأرينهم فأوحى اللّه إلى ملائكة الحجب أن ارفعوا الحجب , فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش , فقال : يا رب من هؤلاء ؟ قال :

يا آدم هذا محمد نبي , وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبي ووصيه , وهذه فاطمة ابنة نبي , وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولد ابنة نبي ، ثم قال: يا آدم هم ولدك , ففرح بذلك , فلما اقترف الخطيئة قال : يا رب أسألك بمحمد , وعلي , وفاطمة , والحسن , والحسين لما غفرت لي , فغفر اللّه له بهذا , فهذا الذي قال اللّه :
(... , [البقرة / 37])
[1059].

وقد جعل هاشم البحراني الباب الأول من كتابه (غاية المرام) بعنوان : " في أنّ لولا الخمسة محمد رسول اللّه ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ما خلق اللّه آدم ، ولا الجنة ، ولا النار ، ولا العرش ، ولا الكـرسي ، و لا السماء , ولا الأرض ، ولا الملائكة , ولا الإنس , ولا الجن ، وهم الخمسة الأشباح ، وأنّ ّ رسول اللّه ، وأمير المؤمنين علياً خـُلقـا من نور واحد , وخلق الملائكة من نور وجه علي " وجعل فيه تسعة عشر حديثـًا [1060].

قال محمد فاضل المسعودي في السيدة فاطمة – رضي اللّه عنها - : (فهي تحمل أسرار النبوة والإمامة ، كما تحمل أسرار الكون وما فيه ، تحمل أسرار الأئمة الأطهار وعلومهم ، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة ، ولولا مثل هذا المعلول المقدس لما خلق اللّه النبي والوصي , كما ورد في الحديث الشريف المعراجي: (يا أحمد ! لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك ، ولولا فاطمة لما خلقتكما) [1061] ...)
[1062].

ويقول في موضع آخر : (قد يكون السر هو ما أشارت إليه الرواية المروية في شأن الحديث القدسي المروي عن لسان جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال : (يا أحمد ! لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما) أي إنه العلة الغائية لخلقكما , كما يظهر من الحديث القدسي هو وجود فاطمـة - عليها السلام -) [1063].

وفي الحديث عن مقاماتها يقول : (من المقامات الأخرى لها – عليها السلام – هو علة الإيجاد أي أنها كانت علة الموجودات التي خـلقها الـباري) [1064].

الوجه الثالث : ورود بعض الروايات والأقوال التي تقرر أنّ مشاركة الرسل والأنبياء لجميع البشر في الخلق والتركيب دون تمييز [1065] , فقيام هذا الدليل على أنّ سيدنا محمدًا , والأئمة من ولده كانوا أشباحًا من نور يمنة العرش , أو قدامه باطل ! وبالتالي يسقط الاستدلال بدليل الغاية ؛ لأنّ ما قام على الباطل فهو باطل مثله :
فعن علي بن أبي طالب أنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - : (إنّ الله - تبارك وتعالى - رفع عنكم عُبِّيّةَ الجاهلية , وفخرها بالآباء، فالناس بنو آدم - صلى الله عليه - وآدم خلق من تراب) [1066] .

وعن أبي جعفر أنه قال : لما كان يوم فتح مكة قام

رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - في الناس خطيبـ ـًا ، فحمد اللّه , وأثنى عليه , ثم قال : (أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب ، أنّ اللّه - تبارك وتعالى - قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، والتفاخر بآبائها وعشائرها ، أيها الناس إنكم من آدم , وآدم من طين ، ألا وإن ـّ خيركم عند اللّه وأكرمكم عليه أتقاكم , وأطوعكم له ، ألا وإن ـّ العربية ليست بأب و الد ، ولكنها لسان ناطق ، فمن طعن بينكم , وعلم أنّه يبلغه رضوان اللّه حسبه ، ألا وإن كل دم مظلمة , أو إحنة كانت في الجاهلية ، فهي تظل تحت قدمي إلى يوم القيـامة) [1067].

وكذلك رووا عن أبي عبد اللّه أنّه قال في معرض إثباته ضرورة وجود الأنبياء والرسل , وأنّهم على اختلاف أحوالهم للبشر إلا أنّهم مشاركين لهم في التركيب : (إنا لما أثبتنا أنّ ـّ لنا خالقـًا , صانعـًا , متعاليـًا عنا , وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيمـ ـًا لم يجز أن يشاهده خلقه , ولا يلا مسهم ولا يلامسوه , ولا يباشرهم ولا يباشروه , ولا يحاجهم ولا يحاجوه , فثبت أنّ ـّ له سفراء في خلقه وعباده , يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم , وما به بقاؤهم , وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون , والناهون عن الحكيم العليم في خلقه , وثبت عند ذلك أنّ له معبرين وهم الأنبياء , وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها , غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ، مؤيدين من عند اللّه الحكيم العليم بالحكمة , و الدلائل , والبراهين , و الشواهد من إحياء المـوتى , وإبراء الأ كمه , والأبرص ، فلا تخلو أرض اللّه من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الـرسول , ووجوب عدالته) [1068].

وكذلك عن عبد الغفار الجازي [1069] , عنه أنّه قال : (إنّ اللّه خلق المؤمن من طينة الجنة , وخلق الكافر من طينة النار , وقال : إذا أراد اللّه بعبد ٍ خيرًا طيب روحه , وجسده , فلا يسمع شيئًا من الخير إلا عرفه , ولا يسمع شيئًا المنكر إلا أنكره قال : وسمعته يقول : الطينات ثلاث : طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أنّ الأنبياء هم من صفوتها ، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب ، كذلك لا يفرق اللّه بينهم وبين شيعتهم ، وقال : طينة الناصب من حمأ مسنون ; وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه , ولا نصب عن نصبه , ولله المشيئة فيهم) [1070].

قال المولي محمد صالح المازندراني في قوله : (و المؤمن من تلك الطينة) : (أي قلبه أم الأعم منه ومن البدن ؛ لأنّ المراد بتلك الطينة طينة الجنة , وهي تشملها إلا أنّ الأنبياء خلقت قلوبهم وأبدانهم من صفوتها ، أو خالصها ، وأما أرواحهم فمن فوق ذلك كما مر ، وهم الأصل في الإيجاد والمقصودون أصالة في خلق هذا النوع , ولهم فضلهم في العلم والعمل والتقدم والتقرب التام بالحق و إرشاد ، و المؤمنون فرع الأنبياء وتلوهم في القصد والإيجاد أبدانهم خلقت من طين لازب , وهوم ثفل عين الأنبياء سمي به ؛ لأنّه الزق وأصلب من الصفو المذكور ، وأما قلوبهم فخلقت مما خلق من الأنبياء كما مر , وكما لم يفرق اللّه – تعالى - بين الأ نبياء وشيعتهم في الخلقة , والطينة ,كذلك لا يفرق بينهما في الدنيا والآخرة ؛ لأنّ الفرع مع الأصل , والتابع من المتبوع) [1071].

وعن صالح بن سهل[1072] أنه قال : قلت لأبي عبد الله : (جعلت فداك من أي شيء خلق الله المؤمن ؟ فقال :من طينة الأنبياء فلم تنجس أبد ا)[1073].

وفي رواية أخرى أنه سأله بقوله : المؤمنون من طينة الأ نبياء ؟ فقـال له أبو عبد الله : (نعم) [1074].

وعن أبي عبد الله أنه قال : (إن ّ الله لما أراد أن يخلق آدم بعث جبرائيل في أول ساعة من يوم الجمعة ، فقبض بيمينه قبضة ، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى ، فأمر الله كلمته , فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ، ففلق الطـين فلقتين , فذرأ من الأرض ذروا , ومن السماوات ذروا , فقال للذي بيمينه : منك الرسل, والأنبياء , و الأوصياء , والصديقون, والمؤمنون , والسعداء , ومن أريد كرامته ، فوجب لهم ما قال كما قال ، وقال للذي بشماله : منك الجبارون , والمشركون , والكافرون , والطواغيت , ومن أريد هوانه وشقوته ، فوجب لهم ما قال) [1075].

قال المولي محمد صالح المازندراني في قوله : (ففلق الطين) : (فلقته فلقـًا من باب ضرب شققته فانفلق ، وفلقته بالتشديد مبالغة , وذرأ الشيء تحرك وتفـرق سريعـًا , والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين ، ولما فلقه بفتح القبضة تحرك ما في شماله في الأرض , وما في يمينه في

السماوات , فقال الله -تعالى - أو جبريل للذي بيمينه منك الرسل الذي يأتون بالدين , أو الكتاب, ويشاهدون جبريل , ويسمعون منه , والأنبياء المخبرين عن الله - تعـ الى - , وأن لم يكـونوا رسلا ً , والأوصياء لهم , و الصديقون المعصومون, أو المصدقون للأنبياء والرسل كثيـ ـرا , أو المطابق أعمالهم لأقوالهم , والمؤمنون المتصفون بالإ يمان الكامل , والمقرون بالله , واليوم الآخر , والسعداء الواصلون إلى الله بمجاهدات نفسانية , وقوة روحانية) [1076].

الوجه الرابع : ما ورد عن علي أنه لا علم له بضمائر النفوس , وأنه محتاج لهداية الله - تبارك وتعالى - مثله مثل باقي البشر , وبالتالي لا تتعلق به الهداية التكوينية لباقي البشرية , فقيام هذا الدليل على أنّ عليا والأئمة من ولده كانوا أسبابـًا لكمال الناس وهدايتهم باطل ! وبالتالي يسقط الاستدلال بدليل الغاية ؛ لأنّ ما قام على الباطل فهو باطل مثله :

فعلي لا يعلم ما في ضمائر أتباعه , ولا ما تخفيه السرائر , بل ولم يكن هاديًا لهم هداية تكوينية كما أدعو ؛ إذ يطلب من الباري - تبارك وتعالى - أن يدله على طريق الخير , وأن يأخذ بقلبه للرشاد , وهذا ما يؤكده ما نسبوه إليه في كتبهم , إذ يقول في دعاء له : (اللّهم إنك آنس الآنسين لأ وليائك [1077] ، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك ، تشاهدهم في سرائرهم ، وتطلع عليهم في ضمائرهم ، وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة , وقلوبهم إليك ملهوفة [1078] إن ْ أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك ، وإن صبت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك ، علمـ ـًا بأنّ أزمة الأمور

بيدك ، ومصادرها عن قضائك . اللّهم إن فههت [1079] عن مسألتي ، أو عميت عن طلبتي [1080]، فدلني على مصالحي ، وخذ بقلبي على مراشدي ، فليس ذلك بنكر من هداياتك ، ولا ببدع من كفاياتك , اللّهم احملني على عفوك ، ولا تحملني على عدلك) [1081] .

هذا وقد نهى علي الغلو فيه , ومن ذلك ما رووه عنه أته قال : (اللّهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللّهم أخذلهم أبدًا , ولا تنصر منهم أحدًا) [1082] .

وجاء في نهـج البلاغة أنّ ّ عليـ ًا بن أبي طالب قال : (سيهلك في صنفان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البـغض إلى غير الحق ، وخير الناس في ّ حالا النمط الأوسط فالزموه ، والزموا السواد الأعظم بأنّ ّ يد الله على الجماعة ، وإياكم وا لفرقة) [1083].

وما رووه عن فضيل بن يسار أته قال : قال الصادق : (احذروا على شبابكم " الغلاة " لا يفسدوهم ؛ فإن الغلاة شر خلق الله ، يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله ، والله إنّ الغلاة لشر من اليهود , والنصارى , والمجوس والذين أشركوا) , ثم قال : (إلينا يرجع الغـالي فلا نقبله ، وبنا يلحق المقصر فنقبله) ، فقيل له : كيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : (الغالي قد اعتاد ترك الصلاة , و

الزكاة , والصيام , والحج فلا يقدر على ترك عادته , وعلى الرجوع إلى طاعة اللّه أبدًا ،وأنّ المقصر إذا عمل , وأطاع) (1084).

ونسب إلى أبي عبد اللّه أنه قال : (اتقوا اللّه , وعظموا اللّه , وعظموا

رسوله - صلى اللّٰه عليه وآله - , ولا تفضلوا على رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وآله - أحدًا فإن ّ اللّٰه - تبارك وتعالى - قد فضله ، وأحبوا أهل بيت نبيكم حبًا مقتصدًا , ولا تغلوا , ولا تفرقوا , ولا تقـولوا مالا نقول ، فإنكـم إن قلتم , وقلنا , متم , ومتنا, ثم بعثكم اللّٰه , وبعثنا فكـنا حيث يشاء اللّٰه , وكنتم) [1085].

المطلب الثالث

نقد دليل الغاية من القرآن والسُنة

أولا ً: نقدهم من القرآن الكريم :

1.أخبر القرآن الكريم أنّ بدء خلق الإنسان كان بسيدنا آدم ، يدلٌ على ذلك قوله تعالى :

, [البـ

قرة / 30 – 33] , ولو كان سيدنا محمد , أو الأئمة من بعده هم أول الخليقة – كما يدعي الإمامية الاثنا عشرية لأخبر المولى - تبارك وتعالى - بهذا في كتابه , ولا يعجزه عن ذلك شيء - سبحانه -!

2. عندما خلق الباري - تبارك وتعالى - سيدنا آدم أمر بالسُجود له سجود تحيّة وتكريم لا سجود عبادة وتعظيم ، قال تعـالى:

, [البقرة / 34] وقال :

,

[الأعراف /11] , ونظيره أيضـًا :

, [الإسراء /61] , وكذلك قوله :

, [الكهف /50] , وقوله :

, [طه /
116] , فلو كان لسيدنا محمد , والأئمة من بعده سبق في الوجود لأمر الباري - تبارك وتعالى - السجود لهم دون غيرهم ؛ وذلك لأفضليتهم على الخلق – كما يدعي الاثنا عشرية - !

3. عبادة الله - تبارك وتعالى - هي الغاية من خلق العالم ؛ حيث يبدو للمتأمل في آيات القرآن الكريم أنّ خـلق الإنسـان واستخلافه في الأرض، وابتلاءه بالتكليف، وترتيب الثواب والعقاب عليه هو الغاية من خلق العالم كله , قال - جلّ في علاه - :

, [الذاريات / 56 – 58] , وقـال أيضاً:

, [الإنسان / 1- 3] , فلمّا كان اللّه لا يخلق شيئاً عبثاً , ولا يتركه سدىً ، فقد أوضح لنا في كتابه الكريم الغاية من خلق الإنس-ان , فقال:
ق
ال بعض العلماء معنى قوله ,
أي إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً ؛ لأنّ ّ المؤمن يطيع باختياره , والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه جبراً عليه . وهذا المعنى وارد عن ابن عباس [1086], ويدل له قوله تعالى :

,
[الرعد / 15] , والسجود والعبادة كلاهما خضوع وتذلل لله , وقد دلت الآية على أنّ بعضهم يفعل ذلك طوعاً , وبعضهم يفعله كرهاً .
وعن مجاهد أنّه قال : (, أي إلا ليعرفوني [1087], وهذا أحسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده , وتوحيده دليله قوله تعالى:

, [الزخرف / 87]) [1088] .
وقال بعض أهل العلم وهو م-روي عن مجاهد أيضاً معنى قوله : , أي إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي دون غيره , وعلى هذا القول فإرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله : إرادة دينية شرعية , وهي الملازمة للأمر , وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل لطاعة اللّه , لا إرادة كونية قدرية ؛ لأنها لو كانت كذلك لعبده جميع الإنس , و

الجن , والواقع خلاف ذلك بدليل قوله تعالى :

,[الكافرون / 1- 3] إلى آخر السورة [1089].

وقال بعضهم : أي إلا لآمرهم بعبادتي , وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن ْ خيراً فخير , وإن ْ شراً فشر , وإنما قلنا : إن ّ هذا هو التحقيق في معنى الآية ؛ لأ ته تدل عليه آيات محكمات من كتاب اللّه , فقد صرح - تعالى - في آيات من كتابه أته خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملا ً , وأته خلقهم ليجزيهم بأعمالهم , قال تعالى :

... , [هود / 7] , ثم بين الحكـمة في ذلك , فقال :

, ونظيره قوله تعالى :

,[الملك / 2] [1090].

4.لتأكيد سموّ الغاية من هذا الخلق , جاء قوله موضِّحاً:

أي لا أريد من خلقهم جلب نفع لي ، ولا دفع ضُرٍّ عنِّي . فاللّه هو

الغنيُّ المطلق ، والرزّاق المعطي الذي يرزق جميع مخلوقاته , ولا ينسى منهم أحداً ، ويقوم بما يصلحهم ، وهو صاحب القدرة والقوّة ، بل هو شديد القوّة , فكيف يحتاج إليهم , وهو المتفضِّل عليهم بقضاء حوائجهم.
فلم تكن الغاية من خلق اللّٰه للثقلين (إنساً وجنّاً) لحاجة به إليهم، فهو الغني عنهم جميعاً , وهم المحتاجون إليه أبداً. قال تعالى :

, [فاطر / 15] ,
وقـوله :

, [محمد / 38
], ونظيره :

, [الأنعام / 14] .

5. إن ّ اللّٰه – تبارك وتعالى - لم يختر وصفاً جليلا ً لأعظم أوليائه خاتم أنبيائه محمد غير وصف العبودية ، وهذا في أعظم مقامات الرسول وأحواله ، قال تعـالى :

, [الإسراء / 1]
وفي مقام التحدي بالقرآن قال اللّٰه تعالى :

, [البقرة / 23] .
وفي مقام الدعوة إلى الله يقول :

,
[الجن / 19 – 21] هذا وصـف سيدنا محمد في أعظم مقام , وأجل حال .
وكذلك وصف الله – تبارك وتعالى - أنبياءه في كتابه :
- ففي معرض الحديث عن سيدنا نوح يقول :

, [الإسراء / 3] .
ويقول - جلّ في علاه - عن سيدنا إبراهيم :

, [الصافات / 109 – 111] .
- وعن سيدنا زكريا يقـول :
, [مريم / 2] .
- ويقول - تعالى - عن سيدنا داود :

, [ص / 30] .
- ويقول - تعالى - عن الرسل جميعاً :

, [الصافات / 171] . وغير هذه الآيات كـثير .
فمن باب أولى أن يوصف غيره بمقام العبودية لله – تبارك وتعالى - دون الغلو فيه .

6. نفى الباري - تبـارك وتعالى - علم النبي بالأمور المستقبلية , وبما يفعله فيه , وفي أتباعه على الرغم من وجـود الوحي بينه , وبين الله - تعـالى - بواسطة

جبريل   , فيقـول :

, فمن باب أولى أن لا يملك
أحد هذا العلم , وبالتالي , فدعـوى الإمامية الاثني عشرية علم الإمام التكويني باطل ؛ يعارض كتاب اللّه تعالى .

7.لا يعلم النبي   ما في ضمائر أتباعه ؛ إلا بما يطلعه اللّه - تبارك وتعالى - عليه ؛ فهو المتفرد بما تخفيه الأ نفس , وتكتمه الصدور , قال اللّه– تعالى -:

,[المائدة / 61

[, ونظيره قوله تعـالى :

, [هود / 31] , وقوله :

,   [الإسراء / 25] , فمن باب أولى أنْ لا يكون للإ مام العلم الذي يكشف به عن نفوس البشر , وعما في ضمائرهم !

8.أخبر المولى   تفرده بالهداية لمن يشاء من عباده , دون أنْ يخص بذلك أحدًا من رسله , وأنبيائه هداية خلقه , فمن باب أولى عدم اختصاص غيرهم بهداية البشرية , إذ يقول - جلّ في علاه - :

و ,

لا غيره - تبارك وتعالى- يعلم الضالين من المهتدين , قال تعالى :

, [الأنعام / 117] ,ومثله قوله تعالى :

,

[القصص/ 85] , وقوله :

,

[النجم / 29 – 30] .

ثانيـًا : نقدهم من السُنة النبوية :

1. خلق الباري - تبارك وتعالى - سيدنا آدم وذريته من تراب , كما ورد ذلك في الآيات السابق ذكرها , أما الزعم بأنّ النبي , وعلي , والأئمة من ولده خلقوا من نور , فهذا مخالف للنصوص الشرعية كتابـًا وسنة , فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة - رضي اللّه عنها - أنها قالت: قال رسول اللّه : (خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم ممّا وُصف لكم) [(1091)].

2. تعتبر العبادة حق للخالق العظيم الذي أوجد الإنسان من العدم , فعبادته , والتسليم له , والانقياد لأمره هو حق استحـقه بمقتضى ربوبيته , وألوهيته , وكماله , ولو لم تأت الرسل من عنده آمرة بعبادته لاستحق أن يعبد , ويعظم لذاته لا لشيء زائد , ففي الصحيحين

من حديث معاذ   أنّ الرسول   قال : (يا معـاذ !

أتدري ما حق اللّٰه على العباد , وما حق العباد على اللّٰه ؟ قلت اللّٰه ورسوله أعلم ! قال : حق اللّٰه على العباد أنْ يعبدوه , ولا يشركوا به شيئًا , وحق العباد على اللّٰه أنْ لا يعذب من لا يشرك به شيئـًا) [1092].

المطلب الرابع

نقد دليل الغاية من أقوال علماء أهل السُّنة

ما ذكره الإمامية الاثنا عشرية عن الرسول غير ثابت متنـًا - لمعارضته الآيات السابق ذكرها – , ولا سندًا !

فعند البحث عما نـُسِبَ إلى النبي بخصوص هذا الدليل في كتب أهل الحديث لم أجد إلا ما رواه الحاكم[1093] بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم , عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب ,قال : قال رسول الله : (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي , فقال الله : يا آدم ! وكيف عرفت محمدًا , ولم أخلقه؟ قال : يا رب ! لأنك لما خلقتني بيدك , ونفخت في من روحك رفعت رأسي , فرأيت على قوائم العرش مكتوبـًا لا إله إلا الله محمد رسول الله , فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله : صدقت يا آدم , إنه لأحب الخـلق إلي ادعني بحقه , فقد غفرت لك, ولولا محمد ما خلقتك) [1094].

قال البيهقي : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف) [1095].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله -: (رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه , فإنه نفسه قد قال في كتاب " المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم " [1096]: (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة, لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن

الحمل فيها عليه) قلت : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً , ضعفه أحمد بن حنبل [1097] , وأبو زرعة [1098][1099] , وأبو حـاتم [1100] , والنسـائي [1101][1102] , والدارقطنى[1103][1104]... وغيرهم وقال أبو حـاتم ا بن حبان [1105]:كان يقلب الأخبار ,

وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل , وإسناد الموقوف فاستحق الترك [1106].

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث , وقالوا : إنّ الحاكم يصحح أحاديث وهى موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بـ الحديث ...

ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم , وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه , وإن كان الصـواب أغلب عليه , وليس فيمن يصحح الحديث أضعـف من تصحيحه) [1107].

وقال في موضع آخر : (ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة , ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين , فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي , وهذه لو نقلها مثل كعـب الأحبار[1108] , ووهب بن منبه [1109] وأمثالهما من ينقل أخبار المبتدأ , وقصص المتقدمين عن أهل الكتاب ,لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين , فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب , ولا عن ثقات علماء المسلمين , بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه , واضطرب عليه فيها اضطرابـًا يعرف به أنه لم يحفظ ذلك , ولا ينقل ذلك , ولا ما يشبه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم , وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر [1110] وأمثاله في كتب المبتدأ , وهذه لو

كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعًا لهم ! وحينئذ فكان الا حتجاج بها مبنيـ ـًا على أنّ شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا ؟ والنزاع في ذلك مشهور ! لكن الذي عليه الأئمة , وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه , وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا , أو بما تواتر عنهم لا بما يروى على هذا الوجه , فإنّ هذا لا يجوز أنْ يحتج به في شرع المسلمين أحد من المسلمين)[1111] .

وقال الحافظ ابن عبد الهادي [1112] في رده على السبكي في" الصارم المنكي " متعجبًا في تقليد السبكي للحاكم[1113] في تصحيح هذا الحديث : (وإني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم : (ولولا محمد ما خلقتك) مع أ نه حديث غير صحيح , ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدًا , وقد حكم عليه بعض الأئمة بـ الوضع , وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن , منهم ابن زيد بصحيح , بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه , ولو كان صحيحـًا إلى عبد الرحمن لكان ضعيفـًا غير محتج به ؛ لأنّ عبد الرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه , وتناقض تناقضًا فاحشًا كما عرف له ذلك في مواضع فإنه قال في كتاب الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم وقال : (ما حكيته عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة , لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه) , وقال في آخر هذا الكتاب : (فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم ؛ لأنّ الجرح لا يثبت إلا ببينة , فهم الذين أبين جرحهم لمن ط

البني به , فإنّ الجرح لا أستحله تقليدًا , والذي أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديثـًا واحدًا من هؤلاء الذين سميتهم , فالراوي لحديثهم داخل في قوله : (من حدّث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) [1114] هذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرك , وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل , وأنّ الراوي لحديثه داخـل في قوله : (من حدّث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)...) [1115].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - : (ومن عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال بعد روايته : هذا صحيح الإسناد , وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن مع أنه قال في كتابه الذي جمعه في الضعفاء: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة , لا يخفي على من تأملها من أهل الصنعة أنّ الحمل فيها عليه , وقال في آخر هذا الكتاب : فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم ؛ لأن ّ الجرح لا أستحله تقليدا) [1116].

أما الرواية الثانية ما ورد عن ابن عباس مرفوعـًا : (أتاني جبريل فقال: يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار) [1117]

ورواية : (لولاك ما خلقت الأفلاك) , ورواية : (لولاك ما خلقت الدنيا) فقد أخـرج ثلاثتهم القاوقجي [1118] في " اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصـل له , أو بأصـله موضوع " [1119].

وكذلك الألباني[1120] في " سلسلة الأحاديث الضعيفة و

الموضوعة " [1121].

وقال : (... (لولاك لما خلقت الأفلاك) موضوع . كما قال الصاغاني[1122] في " الأحاديث الموضوعة "[1123] ، وأما قول الشيخ القاري [1124]: (لكن معناه صحيح فقد روى الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً : أتاني جبريل فقال : (يا محمد لولاك ما خلقت الدنيا ، ولولاك ما خلقت النار) .

وفي رواية ابن عساكر[1125] : (لولاك ما خلقت الدنيا)) [1126] فأقول : الجزم بصحة معناه لا يليق إلا بعد ثبوت ما نقله عن الديلمي [1127]، وهذا مما لم أر أحداً تعرض لبيانه ، وأنا وإن كنت لم أقف على سنده فإني لا أتردد في ضعفه ، وحسبنا في الدليل على ذلك تفرد الديلمي به . وأما رواية ابن عساكر , فقد أخرجها ابن الجوزي[1128] أيضاً في حديث طويل عن سلمان مرفوعاً ، وقال إنه موضوع [1129]، وأقرّه السيوطي [1130] في " اللآلئ المصنوعة " [1131], وقال الشوكاني في كتابه " الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ": (حديث لولاك لما خلقت الأفلاك) ، قال الصاغاني : (موضوع)...) [1132].

ثم الذي يعارض قول الشيخ القاري – رحمه الله تعالى – بما ذهب إليه من صحة معناه هو ما قاله في معـرض رده

على المتصوفة بخصوص هذا المعنى , إذ يقول : (وأما تأويله بأته جعل الإنسان علة غائية في خلق هذه الدار لما ورد : (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) , ولا الجنة والنار فغير صحيح ؛ لأن أفعاله - سبحانه - غير معللة , وإن كانت صادرة عن حكم مبينة , أو مجملة , ومع هذا فالحكمة التي بمنزلة العلة الغائية في الجملة هي المعرفة الإلهية كما قال تعالى :

أي ليعرفون كما فسر ابن عباس وغيره [1133], وكما ورد : (كنت كنزًا مخفيًا , فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ؛ لأن أعرف)[1134] , وإنما خص الجن والإنس بها ؛ لأتهما مظهرًا صفات الكمال من صفتي الجمال والجلال , إذ الملائكة مختصون بمظهرية اللطف و الجمال,كما أنّ الشياطين محصورون في مظهرية القهر , و الجلال بخلاف الإنسان, فإن له قابلية كل من المظهرين في عظمة الشأن) [1135] .

وكلامه وإن اشتمل على معنىً جيد إلا أنه خالف إجماع السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم – وكفى بإجماعهم حجة – على إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله .

وقد حكى إجماعهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في عدة مواضع من كتبه إما بلفظ الإجماع أو الإتفاق يقول – رحمه الله – واصفـًا قول النفاة للتعليل : (ولهذا كان قولهم في نفي مافي الشريعة من الحكم والأسباب خلف إجماع السلف والفقهاء ...) .

وقال في موضع آخر : (فما وجدت في كلام السلف ما يوافق ذلك [أي نفي الحكمة والتعليل] , بل يصرحون بالحكم والأسباب ... ولم أر عن أحد منهم قط أنه خالف

النصوص الدالة على ذلك , ولا استشكل ذلك , ولا تأوله عن مفهومه ...) [1136].

وممن حكى الإجماع هنا أيضـًا ابن الوزير[1137] – رحمه الله - , فيقول بعدما نقل كلام كثير من الأئمة في إثبات الحكمة والتعليل : (فلو ادعى مدعٍ إجماع

المتأخرين مع إجماع المتقدمين من المسلمين على ذلك لما بعد عن الصواب) [1138].

ثم بين مستنده في حكاية هذا الإجماع بذكر الطوائف وا لأئمة القائلين به , ويفهم من كلامه – رحمه الله – الجزم بنقل إجماع المتقدمين على تعليل أفعاله تعالى .
فالاستدلال بمثل هذه الأحاديث لا يصح ؛ لأتها من قبيل الأحاديث الموضوعة , كما أتها مخالفة لما جاء في كتاب الله - تبارك وتعالى - , فكل ما في الكون من إنس , وجن , وحيوان , وكافة الموجودات خلقت لغاية واحدة ألا وهي إفراد الله - تبارك وتعالى - بالعبادة , الذي لا مثيل له , ولا شـ ريك له ,كـما في قـوله :
, [الإخلاص / 3 – 4] .

وكما رأينا سابقـًا في معرض الرّد بالأدلة القرآنية أنّ المولى صرّح بأوضـح عبارة , وأجلى بيان الغاية من خلق الإنس , والجان بـقوله تعالى :

, وقال - تبارك وتعالى - :

, [الإسراء / 44] .

ثم إنْ كان الرسل – عليهم السلام – عبادًا للرحمن – كما تبين سابقًا - , فقط وصفوا أيضـًا بالبشرية ,كما قال تعالى عنهم :

, [إبراهيم / 11] .

فكذلك الرسول أيضًا بشر كما وصفه الباري - تبـارك وتعالى- في كتابه :

.

فمن باب أولى أنْ يكونوا الأئمة كذلك بشر , وهم من جملة مخلوقات الله, خلقهم الله تعالى , كما خلق غيرهم , فليس الكون مخلوقـًا لأجلهم , إنما خلقوا والكون من أجل عبادة الله وحده لا شريك له .

وقد أحسن الإمام حافظ أحمد الحكمي[1139] – رحمه الله – حين قال في نظمه الموسوم بـ " سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله وأتباع الرسول " :

اعلم بأنّ الله جلّ وعلا * لم يترك الخلق سدى وهملا .
بل خلق الخلق ليعبدوه * وبالإلهيـــة يفردوه .
أخرج فيما مضى من ظهر * آدم ذريتـه كالـذر .
وأخذ العهد عليهم أته * لا رب معبود بحق غيره [1140].

وقال الشيخ خالد محمد علي الحاج بعد أنْ ذكر الأدلة على أنّ الجن والإنس خلقـًا ؛ لعبادة الله وحده : (نعم خلق الله الجن والإنس , وكل دابة في الأرض ؛ لتدين له وحده بالولاء , والطاعة , والعبودية ...

إلى أن قال : ولا ندري كيف يزعمون أنّ الكون مخلوق من أجل محمد , نحن نطالب دعاة الضلال , وأصحاب الإفك والبهتان أنْ يأتوا بدليلٍ واحدٍ يدعمون به باطلهم .

نقول إنّ محمدًا بشر ممن خلق اللّه , وسبقه كثير من إخوانه الرسل , والأنبياء جميعـًا – صلوات اللّه عليهم – , وقد أمرنا اللّه - سبـحانه - أنْ لا نفرق بين أحد من رسله) (1141) .

فيتضح مما سبق بطلان دليل الغاية الذي استدل به الإ مامية الاثنا عشرية على الإمامة , والمقتضي عندهم أنّ هذا الكون خلق من أجل سيدنا محمد , ومن أجل علي , والأ ئمة من ولده , إذ تبين أنهم ما خُلقوا جميعهم وجميعنا وجميع البشرية إلا من أجل عبادة اللّه - تبارك وتعالى - .

الفصل الخامس

" دليل العناية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل العناية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية فيه.

المبحث الثاني : نقد دليل العناية ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل العناية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل العناية ومقدماته.

المطلب الثـاني : تقرير دليل العناية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول
صورة دليل العناية ومقدماته

الناظر في كتب علماء الإمامية الاثني عشرية يرى أنّ دليل العناية تأسس على أمرين :
الأول : أنّ عناية الله - تبارك وتعالى - بعباده تستوجب تعيين الإمام .
الثاني :حاجة البشرية للإمام ولعنايته تستوجب وجوده على وجه الأرض .

بالنسبة للأساس الأول :
ذهب أعلام الاثني عشرية أنّ العناية[1142] من مستلزمات صفة اللطف التي يتصف بها الباريء , وبالتالي موقع الإمام بين الناس هو لطف ؛ لذا يجب نصبه وتعيينه على الله , ولكن لا تكاد تظهر صورة دليل العناية عند المتقدمين كما صاغه المتأخرون , فأكثر ما عليه المتقدمون الاهتمام بجمع رواياتٍ مفادها أنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت ! وأنّ ا لإمام أمان لأهل الأرض ! من غير أدنى تعليق عليها - ولو بـ ا الشيء البسيط - بما يفيد تضمنها هذا الدليل .

أما المتأخرون توسعوا في الاستدلال بروايات , وحملوها كثيرًا من الدلائل العقلية , ومنها دليل العناية , مستندًا عندهم على أمرين :
الأول- : إنّ نهج برهان العناية الإلهية يثبت به ضرورة نظام الخير الأتم الأفضل الأكمل الصادر عن الله – تعالى - [1143] .

الثـاني : إنّ نصب الخليفة بعد النبي المرسل لازم في العناية الإلهية .
وتفصيله عند الإمامية :
بما أنّ عناية اللّه - تبارك وتعالى - تشمل جميع العباد .
وبما أنّ جميع العباد العناية بهم تستوجب تعيين الإمام .
لتصبح النتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثني عشرية هي أنّ عناية اللّه - تبارك وتعالى- بعباده تستوجب تعيين الإمام .

أما الأساس الثاني :
فعناية الإمام بأفراد المجتمع هي من الكمالات المنشودة التي تحقق للإنسان حاجته على وجه الأرض , وورد في الروايات ما يتضمن عناية الإمام بالناس وحاجتهم له , وهي ما جعلت علماء الاثني عشرية المتقدمين يستدلون بها على ضرورة الإمامة , في حين أنّها جعلت علماء الاثني عشرية المتأخرين يصوغون دليل العناية ضمن الأدلة العقلية على ا لإمامة , وتفصيله عند الإمامية :
بما أنّ عناية الإمام المعصوم تشمل حاجة جميع البشر .
وبما أنّ حاجة جميع البشر تستوجب وجود إمام على وجه الأرض.

لتصبح النتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثني عشرية هي أنّ حاجة البشرية للإمام , ولعنايته تستوجب وجوده على وجه الأرض .

وبالقول بهذين الأساسين وبمقدماتهما يستنبط الإمامية ا لاثني عشرية " دليل العناية " الذي استدلوا به على ضرورة وجود الإمام في كل زمان ومكان .

المطلب الثاني

تقرير دليل العناية من خلال الروايات والأقوال
الواردة في كتب الاثني عشرية

سوف أذكر في هذا المطلب بعض الروايات المنسوبة لأئمة الاثني عشرية , وأقوال علمائهم في تقرير دليل العناية بناءً على الأساسين الذين أشرت إليهما في المطلب السابق :

الأساس الأول
عناية الله بعباده تستوجب تعيين الإمام المعصوم .

أولاً : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

استند الإمامية الاثنا عشرية على الكثير من الروايات الواردة في كتبهم عن بعض أئمتهم لتقرير دليل العناية , منها ما رووه عن أبي جعفر أنه قال: (قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله-: إني واثني عشر من ولدي, وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها, وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها , ولم ينظروا) (1144).

ورووا عنه أيضـًا أنه قال : (لو بقيت الأرض يومـًا بلا إمام منا ، لساخت بأهلها ، ولعذبهم الله بأشد عذابه ، ذلك أنّ الله جعلنا حجة في أرضه ، وأمانـًا في الأرض لأهل الأرض ، لن يزالوا في أمان أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم ، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم ، ذهب بنا من بينهم ، ورفعنا إليه ، ثم يفعل الله بهم ما شاء

وأحب) [1145].

ومن ذلك نسبوا إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين أته قال : (نحن أئمة المسلمين , وحجج الله على العالمين , وسادة المؤمنين , وقادة الغر المحجلين , وموالي المؤمنين , ونحن أمان لأهل الأرض , كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء , ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه , وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها , وبنا ينزل الغيث , وينشر الرحمة , وتخرج بركات الأرض منا لساخت الأرض بأهلها) [1146].

وروى الكليني بسنده عن أبي حمزة أته قال : قلت لأبي عبد الله : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) [1147].

ثانيـًا : من خلال تقرير علماء الاثني عشرية وأقوالهم الـواردة في كتبهم :

أ – عند المتقدمين :

اهتم المتقدمون بجمع الروايات – بغض النظر عن صحتها أو عدمه - التي تفيد بأنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت , وأنّ وجود الإمام أمان لأهل الأرض ! من غير أدنى تعليق عليها , فمحمد بن الحسن الصفار عقد بابـًا في الأئمة " أنّ الأرض لا تبقـى بغير إمام , ولو بقـيت لساخت " وفيه سبـع روايات [1148].

وكذلك الكليني , فقد جعل بابـًا بعنوان " أنّ الأرض لا

تخلو من حجة ", وأورد فيه ثلاث عشرة رواية [1149].

ووافقه ابن بابويه القمي في عنوان هذا الباب , وذكر فيه خمـس عشرة رواية [1150].

وذكر النعماني إحدى عشر رواية في باب بعنوان " ماروي في أنّ اللّه لا يخلي أرضه بغير حجة [1151].

وتبعهم الصدوق , فقد أورد اثنتين وثلاثين رواية في باب " العلة التي من أجلها لا تخلو الأرض من حجة اللّه على خلقه " [1152].

وفي موضع آخر عقد بابـًا بعنوان " العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام " , وفيه ثلاث وعشرون رواية [1153].

ب – عند المتأخرين :

قال المازندارني في شرح ما نسب إلى أبي عبد اللّه : (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) : (قوله " لساخت ": أي لغاصت في الماء وغابت،ولعله كناية عن هلاك البشر وفنائهم...أما قولهم"لولا الحجة لساخت الأرض ", فإن ثبت صدوره من الإمام المعصوم كان المراد الفتنة , والضلال , وهلاك الناس بزوال الأمن والسعادة ؛لأنّ عدم وجود الإمام العادل المتصرف إما أن يكون بعدم وجود أمير مطلقًا , وفساده ظاهر ، وإما بوجود جائر , أو جاهل وهو مثله...)[1154].

فمن باب لطف الله - تبارك وتعالى - وعنايته بخلقه –عند الاثني عشرية - عدم إهمالهم , وتركهم بدون من يدير شؤونهم , ويعلمهم , ويربيهم , ويوجههم , يقول الطهراني : (ليس من المعقول أن يهمل الله الأمة , ويتركها بدون من يدير شؤونها , في حين أنّ جميع الناس متساوون من حيث الحاجـة إلى من يربيهم , ويعلمهم , وجميعهم متكافئون من حيث شمولهم بقاعدة اللطف الإلهي ... ولمـّا أخذ الله على نفسه أن يمنّ على عباده بلطفه الخفي , ويرعاهم رعاية دقيقة , ويهديهم , ويحسن بهم, ولا يريد إلا خيرهم , وسعادتهم , لذلك عليه أن لا يترك دين نبيه ناقصًا بارتحاله , وإنما يواصل رعايته للدين من خلال تعيين الإمام الذي يستطيع هو فقط أن يحمل هذه المهمة الثقيلة ...) [1155].

فتجهيز الإنسان كما يقرر الطباطبائي , وإلهامه الخير و الشر , والتقوى والفجور بطريق العقل يكون عن طريق تجهيز الباري نفوسـًا طاهرة , وقلوبـًا سليمة مستقيمة على فطرتها الأصلية لازمة لتوحيده , ممتنعة عن الشرك به , وهذه النفوس هي نفوس الأنبياء والأئمة , ولولاهم لأحيطت الأرض بالماء , وساخت الأرض بأهلها [1156].

ويقول عبد اللطيف البغدادي [1157]: (إذا كانت عناية الله في العالم الإنساني , واللطف بهم... أن لا يترك جوارح الإ نسان بلا مدبر يدبرها وهو القلب ، فكيف يتخلف لطفه بهم ؟ فيترك العالم خاليًا من رئيس يدبرهم ويرشدهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية ، وكيف يكل ذلك إليهم مع أنّ العقل السليم يوجب أن يكون الإمام مكتنفـًا بشرائط بعضها ؟ بل المهم منها من النفسيات الباطنة الخفية كالعصمة

، والقداسة الروحية ، والعلم الذي لا يضل معه في شيء من الأحـكام ...) [1158].

الأساس الثاني
حاجة البشرية لعناية الإمام تستوجب وجوده على وجه الأرض

يجمع الإمامية الاثني عشرية فيما بينهم أنه لا خلاف في أنّ عناية الإمام بالخلق ، وعدم الاستغناء عنها لحاجة البشرية لها في كل زمان ، هو ما استوجب ضرورة وجوده على وجه الأرض.

أولاً : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

وصفت مرويات الإمامية الاثني عشرية حاجة البشرية لعناية الإمام مما استوجبت وجوده فيما بينهم , فعن جابر بن يزيد الجعفي [(1159)] أنه قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي الـباقر – عليهما السلام - : لأي شيء يحتاج إلى النبي – صلى الله عليه وآله – والإمام ؟ فقال : (لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك أنّ الله يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام ، قال الله :
.. , وقال النبي - صلى الله عليه وآله - : (النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون) [(1160)] يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله طاعتهم بطاعتـه ، فقال :

, وهم
المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ، ولا يعـصون الله ، وهم المؤيدون الموفقون المسددون ، بهم يرزق الله عبـاده

، وبهم تعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر من السماء ، وبهم تخرج بركات الأرض ، وبهم يمهل أهل المعاصي ، ولا يعجل عليهم بـ العقوبة والعذاب ، ولا تفارقهم روح القدس ، ولا يفارقونه ، لا يفارقون القرآن ، ولا يفارقهم - صلوات الله عليهم أجمعين- ...) [1161] .

وعن الفضل بن شاذان [1162],عن الرضا أنه سئل : لِـمَ جـعل أولي الأمر، وأمر بطاعتهم ؟ فقال : (لعلل كثيرة ! منها : أن ّ الخلق مما وقفوا على حد محدود ، وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك , ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أمينـ ًا ، يأخذهم بالوقف عندما أبيح لهم , ويمنعهم من التعدي والدخول فيما خطر عليهم ؛ لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته , ومنفعة لفساد غيره ، فجعل عليهم قيمـ ًا يمنعهم من الفساد ، ويقيم فيهم الحدود , والأحكام ... لابد لهم منه ، ولا قوام لهم إلا به ، فيقاتلون به عدوهم , ويقسمون به فيأهم ، ويقيم لهم جمعتهم , وجماعتهم ، ويمنع ظالمهم من مظلومهم ، ومنها أنه لو لم يجعل لهم إمامـًا , قيمـ ًا, أمينـ ًا , حافظـ ًا , مستودعـ ًا لدرست الملة ، وذهب الدين , وغيرت السُنة , والأحكام ، ولزاد فيه المبتدعون ، ونقص منه الملحدون ، وشبهوا ذلك على المسلمين ...)[1163].

ثانيـًا : من خلال أقـوال علماء الاثني عشرية الواردة في كتبهم :

أ – عند المتقدمين :

توسع علماء الاثني عشرية في الاستدلال بالروايات , وحصروا عناية الإمام بالبشرية ومدى حاجة الناس إليها من

خلال وظائفه , ومهامه الموكل بها – في نظرهم - مما استوجب وجوده على وجه الأرض دون غيره , جاعلين هذه العناية من مقتضيات لطف اللّٰه - تبارك وتعالى - بالبشرية , الذي أراد منهم فعل الواجب , وكره منهم فعل القبيح , يقول المرتضى في معرض حديثه عن " علة الحاجة إلى الإمام في كل زمان " : (من الأدلة التي لا يدخلها احتمال ولا مجاز ، وجوب جنس الإمامة من الرئاسة في كل زمان ... الذي يدل على ذلك إنما يعلم ضرورة باختيار العادات أنّ الناس متى خلوا من رئيس مهذب نافذ الأمر, باسط اليد يقود الجاني , ويؤدب المذنب ،لشاع بينهم التظالم , و التقاسم, والأفعال القبيحة , وأنه متى دعاهم من هذه صفته كانوا إلى الارتداع والانزجار, ولزوم المحجة المثلى أقرب ... ومن كلفهم وأراد منهم فعل الواجب , وكره فعل القبيح لا بد أن يلطف بهم بما هو مـقرب من مراده مبعد عن سطوحه ، فيجب أن لا يخلهم من إمـام في كل زمان) [1164] .

ويقول في موضع آخر تحت عنوان " أصل وجوب الإ مامة " : (أما الذي يدل على وجوب الإمامة في كل زمان : فهو مبني على الضرورة ، ومركوز في العقول الصحيحة ، فإنا نعلم علمـًا - لا طريق للشك عليه ولا مجال - أنّ وجود الرئيس المطاع المهيب مدبر ًا , و متصرفـًا أردع عن القبيح , وأدعى إلى الحسن ، وأنّ التهارج بين الناس , و التباغي إما أن يرتفع عند وجود من هذه صفته من الرؤساء ، أو يقل ويندر ، وأن ّ الناس عند الإهمال , وفقد الرؤساء , وعدم الكبراء يتتابعون في القبيح, وتفسد أحوالهم , وينحل نظامهم . وهذا أظهر, وأشهر من أن يدل عليه ، والإشارة فيه كافية) [1165].

ويقول أيضـًا : (إن ّ علة الحاجة إلى الإمام هي أن يكون لطفـًا للرعية في الامتناع من القبيح , وفعل الواجب على ما اعتمدناه ونبهنا عليه ...) [1166] .

و أجاب المفيد على من اعترض عليهم من مخالفيهم بأنّ الحاجة إلى الإمام تبطل بغياب الإمام المعصوم عن الأنظار بحجة أن دعوته يتولاها شيعته , وتقوم الحجة بهم في ذلك ، ولا يحتاج هو إلى تولي ذلك بنفسه ، كما تثبت الحجة لهم – حسب دعواه - في ثبوتهم بامتحانهم في حياتهم , وبعد موتهم ، وكذلك إقامة الحدود, وتنفيذ الأحكام ، التي يتولاها أمراء الأئمة , وعمالهم دونهم ، كما كان يتولى ذلك أمراء الأ نبياء - عليهم السلام - , وولاتهم , ولا يخرجونهم إلى تولي ذلك بأنفسـهم [1167] .

فالإمامة – عند الإثني عشرية - من الألطاف الإلهية التي تحتاجها البشرية في التكليف , كما يقول بذلك الطوسي ثبت من كونها [أي الإمامة] لطفًا في التكليف العقلي لا يتم من دونها , فجرت مجرى سائر الألطاف في المعارف ؛ وغيرعا في أته لا يحسن التكليف من دونها, إذ الأمة محتاجة إلى أخذ معالم دينها من الإمام,والإمام لا يكون عندنا إلا من هو عالم جميع ما تحتاج إليه الرعية)[1168].

ويقول محمد بن سعيد الراوندي [1169]: (اعلم أن ّ الوصول إلى الكمال , والتمام لا يحصل إلا بالنظام ، وذلك لا يتم إلا بوجود الإمام . فوجوده مقرب إلى الطريق المفضي إلى الكمال , يأمر بالعدل ، وينهى عن الفحشاء , والمنكر ، فلا

بد من وجوده ، ما دام التكليف باقيـًا) [1170] .

وتبعهم ابن جبر في أنّ حاجة الناس إلى الإمام هو كونهم أقرب إلى الصلاح بوجوده ؛ إذ يقول : (إن ّ العادة جارية في جميع الأزمنة أنّ الناس متى كان لهم رئيس يرجعون إليه في تدبير أمورهم , ويفزعون إليه عند اختلاف أحوالهم ، مهيب ذو قوة يردع الناس , وينصف المظلوم من الظالم ، يؤدب الجناة , ويقم العصاة , ويقمع الغواة, ويضع الأ شياء مواضعها ، كانوا إلى الصلاح أقرب , ومن الفسـ اد أبعد , ويكثر الصلاح , ويقل الفساد ، ومتى خلوا من رئيس موصوف بما ذكر انعكس الأمر فيما بينهم ، فهو واجب على الله تحققها ، والدافع لهم جاحد للضروريات) [1171].

ب – عند المتأخرين :

ربط علامة الشيعة الحلي بين رحمة الله بعباده وبين تنصيب الإمام ؛ لشدة حاجة الناس إليه , فيقول : (إنّ الله في غاية الرحمة والشفقة على العباد والرأفة بهم، فكيف يهمل الله - تعالى - نصب أمر الرئيس مع شدة الحاجة, ووقوع النزاع العظيم مع تركه , أو مع استناده إلى اختيار المكلفين ؟ فإنّ كل واحد منهم يختار رئيساً، وذلك فتح باب عظيم للفساد , ومناف للحكمة الإلهية - تعالى الله عن ذلك -) [1172].

وربط أيضًا بين كون الإمام لطفـًا وبين عصمته [1173] , وذهب إلى جواز حصول الخطأ من المكلف , وبالتالي وجب وجود من يبعده عنه وهو الإمام ؛ ووجه الحاجة إليه هي عصمته ؛ إذ لو كان غير ذلك لألزمه بفعل الخطأ وهو محال

[1174].

ويقول في موضع آخر مؤكدًا على أنّ علة الحاجة إلى الإ مام هي نفسها علة الحاجة إلى عصمته , فيقول : (علة الحاجة إلى الإمام المقتضية لوجوب نصبه هي علة الحاجة إلى عصمته المقتضية لوجوبها , لكن ّ وجوب نصبه ثابت فثبتت علته , وثبت معلولها الآخر وهو وجوب عصمته) [1175].

ويقرر الحلي بأنّ الحاجة إلى الإمام تتمـثل في ردع الظالم عن ظلمه , والفاسق عن معصيته , وفي رفع الفساد على وجه العموم , وحسم الفتن , وقهر المعتدين ، والدفاع عن المجتمع من الهجمات والغارات , وحمل الناس على الطـ اعة , واجتناب المحرمات , وإقامة الحدود , ومؤاخذة الفساق , وتعزير من يستحق التعزير [1176].

ولا يحصل ذلك كله إلا تحت ظل دولة نافذة ذات شوكة وقدرة تحقق كيانهم . ولا تستقر الدولة إلا بخضوع الأمة لها ، فيجب تحقيق جميع ذلك بحكم العقل , وكل ما يحكم به العقل يحكم به الشرع , كما قرر ذلك منتظري[1177]!

كما يعتقد الاثنا عشرية أنّ الإمام هو المنظم للحياة , و المشرف على أعمال أفرادها , من غير انفراد , أو استقلال منهم بالرأي , والتنفيذ , كما يذهب الطهراني [1178][1179] , فتحت عنوان " التصدي للشؤون الاجتماعية من قبل غير المعصوم عرضة للزلل والانحراف دائمًا " , يقول : (ومن ينجو من هذه

المز الق غير الإنسان المعصوم ؟....) [1180].

بل إنّ تحصيل الأحكام الشرعية مرتبط بالنفس المعصومة من الخطأ [1181] ؛ لذا وجود الإمام بعد الرسول عند الاثني عشرية ضروري , ومتمم له ؛ لبيان أحكام الشريعة , وحفظها من التحريف والتغيير , والتزوير , ولإدارة أمور المسلمين الاجتماعية والسياسية , وتحقيق مصالحهم, وسن أحكام السعادة في الدارين [1182].

يقول إبراهيم الأميني : (إن ّ أحكام السماء إنما أنزلت لهداية الناس ، ولذا ينبغي استمرارها في مأمن عن التحريف حذفاً , وإضافة ، فلا يأتيها الباطل من بين يديها , ولا من خلفها حتى تكون- وعلى الدوام- في متناول البشرية ... وهذا لا يتحقق إلا بوجود فرد إلهي معصوم من الخطأ , منزه عن الذنب , والخطيئة, والنسيان ...) [1183].

ويقول أيضًا : (ولكي تبقى حجة اللّه قائمة بوجود الشريعة ، وقوانين الدين دون حذف , أو إضافة...فإن ّ من الواجب هنا وجود فرد بين ظهراني البشر, ينهض بمسؤولية حفظ الشريعة , ويسعى إلى تطـبيق شرع السماء في الأ رض...)[1184].

فالبشرية في حاجة إلى إمام تقتدي به , وتستضيء بنور علمه , وتستفيد منه كاحتياجهم إلى النبي , والرسول ؛ وذلك لأنّ الإمامة إتمام , وامتداد للنبوة والرسالة [1185] .

ويقرر محمد باقر الصدر مدى حاجة البشرية للإمام , بأنّ كتاب اللّٰه - تبارك وتعالى - لا يمكن التوصل لفهمه وأخذ الأحكام منه إلا من طريق الإمام؛ إذ يقول : (إنّ كتاب اللّٰه العظيم الذي هو كتاب الهداية , ودستور البشرية الذي فيه آيات محكمات , وأخر متشابهات , كيف يمكن التوصل و الوصول إلى مراداته , ومعرفة محتوياته , وفهم مجملاته , ومتشابهاته حتى يتسنى العمل بآياته بدون معلم , ومبين لها , وهادٍ بهداية اللّٰه فيها ؟ ...

فمن المستحيل أن نستغني في فهم أعظم الكتب عن تعليم من نزل في بيتهم الكتاب , فالضرورة تقتضي بلزوم الإ مامة بعد الرسـالة , والإمـام في جنب القرآن ... وقول عمر : (حسبنا كتاب اللّٰه) [(1186)] هو كذب , وخــداع ,

وتزوير , وبهتان , قد كذبه حتى نفسه , حينما كان يرتطم في الإشكال , ويقول : (لولا علي لهلك عمـر) [1187] , ويـقول : (لا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبو الحسن) [1188]... فهلا كان يكتفي بكتاب اللّه لحل المسـائل الواردة عليه) [1189] .

ويؤكد على أنّ كمال الدين , وتمام النعمة لا تكون إلا بنصب الإمام من قِبل اللّه - تبارك وتعالى - : (اللابدية الشرعية , والعقلية تقضي بأنّ اللّه - تعالى - قد عين للخليقة , ونصبه للرعية بواسطة نبيه الأمين – صلوات اللّه عليه وآله أجمعين – شأن سائر الأمور التي يحتاجون إليها , مما قد بلغ النبي إياها, وإلا لكان الدين ناقصـًا من هذه الجهة , وحاشا الدين الكامل عن النقص الذي هو بديهي البطلان , ومخالف لقول ذاته المقدسة: ...

...)[1190].

فحاجة البشرية إلى الإمام وعنايته تظهر من عدم تهيؤ النفوس , وعدم كفاية الزمان للنضوج الفكري[1191] ؛ لأنّ عشر سنوات فقط غير كافية لذلك ! كما يقول محمد باقر الصدر: (والأمة الإسلامية-ككل- لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير ، وهذا الزمن لا يكفي عادة في منطق الرسالات العقدية , و الدعوات , والتغييرات لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط إلى درجة من الوعي , و الموضوعية , والتحرر من رواسب الماضي, والاستيعاب

لمعطيات الدعوة الجديدة، تؤهله للقيمومة على الرسالة , وتحمل مسؤولية الدعوة ... بل إن ّ منطق الرسالات العقدية يفرض أن تمر بوصاية عقدية فترة أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة ...) [1192].

وذهب كاظم جعفر مصباح[1193]إلى أنّ البشر على اختلا فهم , واختلاف أهوائهم, وتشتت حالاتهم , ناقصين غير كاملين محتاجين للإمام القيّم ولعنايته[1194].

ويربط تحقق القانون الإلهي بوجود الإمام المعصوم , أو من يقوم مقامه من الفقهاء العدول ضمن إطار حكومة إسلا مية [1195] .

ويعدد هادي المدرسي مشاكل تخويل سلطة تعيين القيادة بعد الرسول إلى الناس في ثلاث مشاكل هي :

أولا ً : رجال المجتمع هم أكثر الناس جهالة , ولا يتمتعون بالعلم , والوعي, والخبرة اللازمة , وهي أمور لابد منها في تنظيم القيادة .

ثانيـًا : تخويل القضية إلى المجتمع قد يجرها إلى ارتكاب أكبر الجرائم , بسبب انتخاب أشخاص غير صالحين للقيادة .

ثالثـًا : الانتخاب حسب التعبير الحديث مخالف كليًا للإ سلام الذي يقوم على أساس أنّ مصدر التشريع من اللّه , وأنّ دين اللّه لا يميـــل مع هوى الناس [1196].

ويقرر جواد التبريزي دليل العناية بأنّ وجود الإمام المعصوم بقاء للشريعة حتى مع غيبته فيقول : (الإمام لا

يختص وجوده ؛ لأجل بيان الأحكام الشرعية الفرعية ، بل وجوده , وبقاؤه , وجود للشريعة , ولو كان غائبًا ! حتى لا يتخيل بأن الشريعة انقضت , وزالت بارتحال النبي - صلى الله عليه وآله -) [1197] .

المبحث الثاني

نقد دليل العناية ومناقشته

وفيه مطالب :
المطلب الأول : نقد دليل العناية بالدليل العقلي.
المطلب الثـاني : نقد دليل العناية من كتب الاثني عشرية و واقعهم المعاصر.
المطلب الثالث : نقد دليل العناية من القرآن والسُنة .
المطلب الرابع : نقد دليل العناية من أقوال علماء أهل السُنة .

المطلب الأول

نقد دليل العناية بالدليل العقلي

يتجلى الرّد العقلي على دليل العناية الذي استدل به الا ثنا عشرية على الإمامة باعتباره دليلا ً عقليـًا عليها بعدة أمور منها :

الأول : ضعف الروايات التي استدل بها متأخرو الإ مامية الاثني عشرية سندًا ودلالةً لصياغة دليل العناية على أساس أنّ عناية اللّه – تعالى- بخلقه تستوجب تعيين الإمام .

أما السند فقد تبين لنا من التعليق على الروايات في الحاشية ضعفها وضعف من نقلها .

وأما الدلالة فلم ينصّ أحد من أئمة الاثني عشرية على أنّ من مقتضيات عناية اللّه بخلقه تعيين الإ مام , وبالتالي ضرورتها عقلا ً, إنما كان النص – عندهم - على أنّ خلو الأرض من الإمـام يعني خرابها أو زوالها.

الثاني : كما أنّ الناظر في روايات الأساس الثاني الذي يقول بأنّ حاجة البشرية للإمام والعناية تستوجب وجوده على وجه الأرض , يرى ضعفها الشديد من ناحية السند , وقد علقت عليها في الحاشية .

وكذلك من ناحية المتن فعلى نحو ما قرره الإمامية فهي تأصيل لشرك الربوبية استلزم شرك الألوهية ف اللّه الحي القيوم , بيده مقاليد السماوات والأرض .

الثالث : إنّ ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت مردودة ؛ وذلك لأنّ الأرض

بقيت بغير من هو أهم من الإمام , وهو النبي و الرسول , ومع ذلك لم تسخ !

الرابع : توضيحـًا لما سبق , إنّ حاجة البشرية إلى الأ نبياء والرسل أكبر , وذلك أنّ اللّٰه خلق الخلق , وهو عليم , وحكيم بعبـاده ، وبر رحيم بهم , وهاد ٍ لهم , قيوم عليهم ، فهو الذي بعث النبي والرسول في زمان يحتاج فيه المجتمع لعناية النبي و الرسول ؛ ليـدلهم على مكارم الأخلاق , وكل ما فيه صلاح حـ الهم , ويخيرهم , ويرشدهم لضرورة الإيمان بـاللّٰه – تبارك وتعالى - , وطريق هداه الذي فيه نعيمهم , وسعادتهم ، وما يجب عليهم من العمل من اعتقاد, بـ العدل , وبالإحسان بينهم ، وضرورة الصدق في أقوالهم , وأفعالهم ؛ ليسود بينهم التعامل باللطف , و الوئام، وذلك بعد أن ساد بينهم الشرك , والكفر , و الظلم , والغش , والخيانة , والجهل , والعدوان ، فيرتفع بهم بما أنزل اللّٰه عليه من ذل الانحطاط , و الكفر إلى عز الإيمان, والحكمة ؛ ليصلوا لسعادة الدنيا والآخرة .

وبالتدبر في رسالة الأنبياء والرسل ودعوتهم للإصلا ح نعرف مدى تحقيق الهداية للخلق في تعاليمهم , وسيرتهم , وسلوكهم , وما دعوا إليه من عدل , وإ حسان , وضرورة الإيمان بـاللّٰه الكريم الرحمن ، و لا يمكن إنكار خير , وبر , وهدى رسالة المرسلين ، ويكفيك التدبر في القرآن المجيد لتعرف المهام التي جاء بها الأنبياء والرسل , فلا حاجة إلى وجود الإ مام , ولا إلى عنايته البتة , خاصة وأننا لم نر لهم أثرًا في إصلاح البشرية , ونشر الحق , والأمر بالعدل , وا

لإحسان, وعمّ السلام , ومحاربة الظلم والطغيان !
فإن كانت هناك حاجة ماسة لعناية شخص ما بـ
البشرية فالحاجة إلى الأنبياء والرسل أكبر بكثير من
الحاجة إلى غيرهم .

الخامس: أما قول الاثني عشرية : إنّ الإمامة من الأ
لطاف الإلهية التي لا يحسن التكليف إلا بها , لذا فهي
مستمرة وباقية إلى قيام الساعة !
فأقول : ولماذا لم تكن النبوة أو الرسالة – وهي أولى
- من الألطاف الإلهية التي لا يحسن التكليف إلا بها
؟! ولماذا لم تستمر إلى قيام الساعة ؟!

السادس : إذا كانت قاعدة اللطف الإلهي الشيعية
توجب على رب العالمين - سبحانه - أن يرسل أئمة
معصومين ؛ للعناية بالأمة , ولمنعها عن الخروج عن
الصراط المستقيم , ولردع الظالم عن ظلمه , و
الفاسق عن معصيته , ولرفع الفساد , وحسم الفتن ,
وقهر المعتدين! فكيف نفسر الواقع المخالف لهذه
العناية ؛ فلا اجتمعت كلمة الأمة بوجود الأئمة على ا
لإطلاق , بل على العكس فقد كثرت الحروب , وشاع
القتل , والسجن , والتشريد وغير ذلك ,بخلاف ما كان
ت عليه الأمة زمن النبي من استقامة الحال ,
وارتفاع راية التوحيد عالية قبيل وفاته , فهل العقل
البشري أخطأ في هذه القاعدة؟أم أن ّ رب العالمين
هو الذي أخطأ - والعياذ بالله تعالى من سخطه
وغضبه - ؟!
فكيف للأئمة المعصومين - على حسب المنظار
الشيعي والرؤية للتاريخ - أن يكون نتيجة أعمالهم
مناقض تمام ًا لما أسسه النبي !! وبالتالي فكيف

يكون عملهم تكميلي إذا ؟!

السابع : إنّ الذي يطلع على دعوى الاثني عشرية بضرورة وجود الرئيس المطاع , المهاب , المدبر , و المتصرف أردع عن القبيح , وأقرب إلى الحسن ! يجدها فاسدة ؛ لأنّه كان من الأولى , والأجدر بأئمتهم أن يصلحوا بطانتهم , وخواصهم , ولكن الناظر إلى بطانة الأئمـة يجدهم من الخونة !
وكل إمام يأتي معه شيعة أسوأ ممن سبقهم ؛ وما هذا إلا دليل على أنّه لم ينجح ولا واحدًا من الأئمة ا لاثني عشر بعد علي من أن يهذب بطانته , وأن يقربهم إلى الحسن , ويردعهم عن القبيح , فضلا ً عن أن يقيم دولة وخلافه .

وهكذا كل أمام يحظى بشيعة إن لم تكن أسوأ ممن سبقهم , فهم مثلهم في السوء ؛ لأنّهم في الفعل و النتائج سواء .
إلى أن نصل إلى الأسوأ بلا منازع , وهم شيعة الإمام الثاني عشر , وهو محمد بن الحسن العسكري – على فرض صحة وجوده - الذي من سوء شيعته و أصحابه لم يستطيعوا أن يحموه , أو أن يعتنوا به , فضلا ً عن أنّه لم يستطع أن يحمي نفسه , ويعتني بها, فخاف على نفسه فدخل السرداب !

ولا ننكر أنّ الخوف من طبيعة البشر , وربما خاف من كان قبله من الأئمة فمنهم من تعرض للقتل , ومنهم من تعرض للسجن , ومنهم من اكتفى بالبكاء و النياحة ! ولكن ّ خوف الإمام الثاني عشر – على فرض صحة وجوده - أشد ممن سبقه ؛ إذ أدى به إلى

أن يهرب , ويختفي عن الأنظار ! وهو المطالب بعناية البشرية , والاهتمام بهم , وتحقيق مصالحهم ! وهذا كله بالتأكيد دليل على انحطاط , وسوء الشيعة , وما وصلوا إليه في العصر الحاضر , فضلا ً عن انحطاط من يتقلد هذا المنصب .

الثامن : عندما نزل القرآن يخاطب الذين آمنوا بضرورة طرد المشركين من مكة وعدم قربها في قوله تعالى :

, [التوبة / 28] . فهل أمر الله - تعالى - نافذ أم أنّ النبي مخير في أن يبقيهم حسب ما يراه ؟ ثم هل نزلت الآية الدالة على إخراج المشركين من مكة قبل أن يكون للمسلمين قوة , أم بعد أن علم الله انهم أقوياء , ويستطيعون تنفيذ أمره ؟
ثم هل الله أمر المسلمين بالقتال إبان الحقبة الضعيفة التي كانوا فيها أم بعد أن هاجروا وصاروا ذا عدة وعتاد ؟!
وكذلك عندما يدعي الإمامية الاثنا عشرية نص الله – تبارك تعالى - في كتابه على الإمامة للأئمة– ضمنيـًا - فهل نصها لهم وهو يعلم ضعفهم , وقلة حيلتهم ؟ أم نصها لهم وهو يعرف أنهم سيستطيعون تقلدها ؟! إن كانت الأولى فهذا تقوّ ل على الله , وطعن فيه , والعياذ بالله , ونستغفره من أن نقول ذلك , وإن كانت الثانية فهم مخطئون مقصرون لأمر الله .

التاسع : أمّا ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ وجود الإ مام بعد الرسول ضروري , ومتمم له ؛ لبيان أحكام الشريعة , وحفظها من التحريف, والتغيير , ولإدارة أمور المسلمين الاجتماعية والسياسية !

فأقول : ولماذا لم يعمر النبي إذا كانت حاجة الناس إلى تحقيق هذه الأمور من قبل شخص معصوم ؟! فالنبي قد استقامت له الأمور , وقويت دولة الإسلام في حياته , ولا إشكال أبد ًا في أن يعيش ألف سنة , أو ألفين ! فإمامهم الثاني عشر عاش مدة تقارب من هذه للآن والله يعلم متى يموت - على حسب المعتقد الشيعي – مع أنّه خلاف لما ورد عن إمامهم الرضا عندما سئل : جعلت فداك قوم قد وقفـوا على أبيك يزعمون أنّه لم يمت ! قال : (كذبوا , وهم كفار بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وآله - ، ولـو كان الله يمد ُ في أجل أحد من بني آدم ؛ لحاجة الخلق إليه ! لمد ّ الله في أجل رسـول الله - صلى الله عليه وآله-) [1198].

فهذا رد على من يدعي أنّ حاجة الناس مفتقرة إلى عنـاية إمام معصوم , فلو كانت هذه الحاجة موجودة فعلا لكان النبي هو المختار في أن يعيش ويعمر , لاسيما وأنّ الأمور منضبطة , والكفار في تراجع , ودولة الإسلام قوية , فهل يعقل أن تضيع كل هذه الحاجات للناس - على حسب مفهوم الإ مامية الاثني عشرية - ثم يرسل الله بشر ًا آخرين يختلف الناس حولهم , ويتقاتلون , ولا يحركون للفتن ساكنـًا , أليست نظرية اللطف الإلهي تستدعي مصـلحة الناس ؟!

فأي الأمرين أفضل : أن يعمر النبي , أو أن يعمر

رجل في مكان مجهول أقل منه رتبة , ودرجة , وعلمـًا ولا يجيد حسب روايات الاثني عشرية سوى الندب , والبكاء [1199] – على فرض التسليم الجدلي بوجوده - ؟!

خاصة وأنّ العقل الشيعي لا يمكنه أن يحكم – وجوبًا - على النبي بالرحيل , أو الموت ؛ لأنّ المذهب الشيعي يعتقد بأن ّ هناك معصومـًا يعيش منذ أكثر من ألف سنة في سرداب , أو شيء من هذا , فكيف للإمامية أن تقبل عيش الإمام الثاني عشر كل هذه السنين , وتمنع ذلك على النبي , مع الحاجة الماسة لعناية النبي للخلق أكثر من الإمام المـُدّعـَية عصمته ؟!

والسؤال هنا : لماذا لا يقبل العقل الشيعي ونظرية اللطف الإلهي أن يعمر النبي ؛ لحاجة الناس إليه , وإلى عنايته بدلا من الإمام , وهو أفضل , وأعلى من غيره بالإجماع ؟!

فالعقل يوجب تعمير الأفضل , والأعلى رتبة إذا كان ثمة اختيار وحاجة , وأما أن يعمر الأدنى , والأقل , وأن يموت الأعلى , وهو صاحب الرسالة , ومبلغها , وأدرى الناس بها بعدما استقام أمره , فهذا مرفوض عقلا ً , وغير مقبول البتة !

العاشر : أما ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ تحصيل الأ حكام الشرعية مرتبطة بالنفس المعصومة ! وعلى الحاجة إلى الإمام هي نفسها علة الحاجة إلى عصمته !

فأقول : لم تثبت عصمة أئمة الشيعة الاثني عشرية لا

بنقل صحيح , ولا بعقل صريح , بل على العكس , فقد وردت الكثير من الروايات على ألسنتهم ما يثبت عكس ذلك ا لأمر [1200].

الحادي عشر : أما ما ادعاه الاثنا عشرية من أنّ كتاب الله - تعالى - لا يمكن فهمه إلا بإمام ؛ لذا احتاجت البشرية لوجوده !
فأقول : هذه دعوى تفتقر إلى الدليل , وزعم يكذبه النقل الصحيح , والعقل الصريح , وينقضه واقع التفسير عندهم .

فأما النقل الصحيح فقد أخبر الباري - تبارك وتعالى - في عدة مواضع في كتابه ضرورة تدبر آيات كتابه الكريم من الناس كافة , ولم يكن هذا الأمر مقتصرًا على فئة معينة من الناس بل هو عام لكل البشر؛ لما فيه الهداية لها إخبار الله أنّ هذا القرآن بيّنٌ واضح لا شبهة فيه , إذن فلا حاجة للإمام الذي حصر الاثنا عشرية فهم القرآن به [1201].
وأما العقل الصريح فكتابٌ أنزله الله هداية للبشرية , وخاطب به الناس جميعـًا , واختار له أفصـح اللغات , وأعظمها , فلا يقال أنّ فهمه أو المخاطبة به لم تكن إلا لأفراد من البشرية ؟!
وأما واقع التفسير عند الشيعة الاثني عشرية فإنه يناقض هذه الدعوى ؛ لأنّ جميع المفسرين الاثني عشرية يفسرون القرآن بأنفسهم بدون إمـام , ويتضح ذلك لكل من يطلع على تفاسيرهم , بل إنّ كثيرًا من تلك التفاسير تفَسّرْ تفسيرًا باطنيـًا , لم يَرِدْ

عن أحد من أئمتهم, ولا تشهد به اللغة العربية .
وفيما يلي بعض النماذج من التفسير الباطني :
فقد قال رجب البرسي في تفسير " بسم الله الرحمن الرحيم " : (ظاهرها أمان , وباطـنها إيمان , ولفظها يُمْنٌ , وبركة , وهو ذكر الله وحده , وهي تسعة عشر حرفـًا , بعدد حروف الأشباح الخمسة, الذين كتبهم الله بيمين قدرته , بالنـور في عالم الـنور قبل خلق الأعوام والدهور ...) [1202].
وقال مصطفى الخميني : (بسم الله ..الباء بهاء الله , والسين سناء الله, والميم مجد الله أو ملكه , و النـقطة تحت البـاء هي الولاية الكلية الظلية للولا ية الكلية الإلهية) [1203].
وكذا في قوله تعالى :

, ..
[البقرة / 26] , فتم تأويل البعوضة بعلي - وحاشاه - [1204].

الثاني عشر: أما ما ادعاه بعض الاثني عشرية من أنّ البشرية لم تنضج , ولم تتحرر من رواسب الماضي , ولم تتهيء بما فيه الكفاية خلال حياة النبي ؛ لذا احتاجت البشرية إلى الإمام !

فأقول : من المعلوم لدى المسلمين جميعـًا أنّ الدين كامل , وما انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى إلا بعدما أتم الله الدين وأكمله على نبيه , فكيف يدعي علماء الإمامية الاثني عشرية أنّ الأئمة المعصومين تكمل الدين والرسالة ؟!
وبالتالي فكيف يعتقد الشيعة أنّ النبوة قد ختمت ,

وفي نفس الوقت الرسالة ناقصة والدين ناقص فيحتاج إلى غيره ليتمه ؟!
بل كيف يستـطيع إنسان أن يحتج بالرسالة إذا كانت ناقصة سواء على الإمامة , أو غيرها ؟!

الثالث عشر : وأخيرًا , هبْ أنّ ما ادعاه الاثنا عشرية في دليل العناية صحيح !
فنحن اليوم نريد من يبلغنا , ويعصمنا ! فأين المعصوم والحاجة إليه حسب الدعوى القائمة ؟!
كيف يحرم الله البشرية ما يزيد على الألف عام من هداية المعصوم مع وجوده – حسب زعمهم – فإنّ الذي قدر على حفظه إلى اليوم قادر أن يحفظه من الناس ليبلغ أمره - سبحانه - !

ولو كانت البشرية تحتاج الإمام لحفظه الله ونصره , كما حفظ نبيه ونصره ؛ لحاجة البشرية إليه , وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى استدلال .
كل هذه الدلائل تبطل دعوى الدليل العقلي الذي يزعم حاجة البشرية إلى إمام معصوم !

المطلب الثـاني

نقد دليل العناية من كتب الاثني عشرية وواقعهم المعاصر

يتمثل الرد على دليل العناية في هذا المطلب بثلا ثة أمور :

الأمر الأول : التمسك بالقرآن الكريم طريق للنجاة , وللهداية من دون الرجوع للإمام , وبالتالي فوجود الإمام أمر ثانوي غير ضروري ؛ وذلك لتحقق النجاة والهداية بغيره !

الأمر الثاني : بإظهار واقع الإمامية الاثني عشرية - أئمةً وأتباعـًا- من مرويات أئمتهم , ومن أقوال علمائهم .

الأمر الثالث : إهانة الإمامية الاثني عشرية لأئمتهم مما ينفي عناية الأئمة بهم , وحاجة الاثني عشرية لأئمتهم .

وتفصيلهم الآتي :

الأمر الأول

التمسك بالقرآن الكريم طريق للنجاة, وللهداية من دون الرجوع للإمام, وبالتالي فوجود الإمام أمر ثانوي غير ضروري؛ وذلك لتحقق النجاة والهداية بغيره !

ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكري ما يؤكد على أنّ من اتبع القرآن نجا واهتدى , ومن تركه ضل وغوى , من غير الرجوع إلى قول الإمام , فقال : (قال رسـول اللّه – صلى اللّه عليه وآله - : (إن هذا القرآن هو النور المبين , و الحبل المتين , والعروة الوثقى , والدرجة العليا, والشفاء الأ شفى , والفضيلة الكبرى , والسعادة العظمى , من استضاء به نو ّره اللّه , ومن عقد به أموره عص َمه اللّه ومن تمسك

به أنقذه اللّه ، ومن لم يفارق أحكامه رفعه اللّه ومن استشفى به شفاه اللّه , ومن آثره على ما سواه هداه اللّه , ومن طلب الهدى في غيره أضله اللّه , ومن جعله شعاره , ودثاره أسعده اللّه , ومن جعله إمامه الذي يقتدي به , ومعوله الذي ينتهي إليه هداه اللّه إلى جنات الن-عيم , و العيش السليم)...) [1205] . فكيف يتفق مع أقواله-م بضرورة وجود الإمام ؛ لعنايته بالبشرية ؟!

و كذلك روى الحارث الأعور[1206] قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسدّ به ديننا , وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي ؟ قال: أوقد فعلوها ؟ قال : قلت : نعم . قال : سمعت النبي – صلى اللّه عليه وآله - يقول : أتاني جبريل فقال : يا محمد ! سيكون في أمتك فتنة , قلت : فما المخرج منها ؟قال : كتاب اللّه , فيه بيان ما قبلكم من خبر, وخبر ما بعدكم , وحكم ما بينكم , وهو الفصل ليس بالهزل , من ولا ّه من جبار فعمل بغيره قصمه اللّه , ومن التمس الهدى في غيره أضله اللّه , وهو حبل اللّه المتين , وهو الذكر الحكيم , و الصراط المستقيم , لاتزيغه الأهواء , ولا تلبسه الألسن , و لا يخلق على الرّد , ولا ينقضي عجائبه , ولا يشبع منه العلماء , لم تنته ال-جّن إذ سمعته:

... , [الجن/1-2] . من قال به صدق , ومن عمل به أجر , ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم , هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه , تنزيل من حكيم حميد) [1207].

وما رواه المقداد بن الأسود [1208] أنّ النبي قال : (فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن , فإنه شافع مشفع وما حِلٌ مصدق , ومن جعله إمامه قاده إلى الجنة, ومن جعله خلفه ساقه إلى النار , وهو الدليل يدل على خير سبيل, وهو كتاب فيه تفصيل, وبيان , وتحصيل ...) [1209].
ومن الخطب المنسوبة للإمام علي في نهج البلاغة قوله في القرآن : (فالقرآن آمر , وزاجر , وصـامت ناطـق , حجة اللّه على خـلقه , أخذ عليهم ميـثاقه , وارتهن عليه[1210] أنفسهم , أتم نوره , وأكمل به دينه , وقبض نبيه , وقد فرغ إلى الخلق من أحـكام الهدى به) [1211].

ونُسبَ إلى الرضا أنّه ذكر القرآن يومـًا فعظّم الحجة فيه , والآية , والمعجزة في نظمه , فقال: (هو حبل اللّه المتين , وعروته الوثقى , وطريقته المثلى , المـؤدي إلى الجنة , والمنجي من النار , لا يُخلَق على الأزمنة , ولا يغث على الألسنة ؛ لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان , بل جعل دليل البرهان , والحجة على كل إنسان , لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, تنزيل من حكيم حميد) [1212] .

الأمر الثاني
إظهار واقع الإمامية الاثني عشرية - أئمةً وأتباعـًا- من مرويات أئمتهم , ومن أقوال علمائهم .

قبل الخوض في نقد هذا الدليل من خلال واقعهم كما ورد في مرويات أئمتهم وأقوال علمائهم ! أطرح بعض التساؤ لات التي تسقط أوجه الاستدلال بهذا الدليل على ضرورة الإ مامة, وهي :

أولا ً : أين عناية اللّه - كما قررها الإمامية - بجعله النظام الأحسن المتمثل في وجود إمام معصوم على وجه الأ رض , وحال الأئمة , وحال أتباعهم عمومـًا ينفي وجود النظام الأحسن , كما ينفي أنّ من متطلباته وجود إمام معصوم على الإطلاق ؟!

ثانيـًا : أين عناية الإمام المعصوم بأتباعه , وما تعـرض إليه – كما يدعي الإمامية في كتبهم ومجالسهم - من أذى , وتشريد , وقطع الأيدي , والأرجل , والحبس في أعماق السجون ، وتعذيبه بمنع الماء , والطعام , وقتله وأبنائه , وسبي لنسائه , ولبناته , واضطهاد لأهل بيته , و أقربائه , و الذي يثبت مدى حاجته لعناية غيره لا أنه هو المعتني بغيره ؟!

ثالثـًا : أين هي حاجة البشرية لعناية الإمام المعصوم التي أريقت الدمـاء , وقتلت الأنفس , وزهقت الأرواح , واضطهدت الحقوق , وأبيدت الشيعة , وشردت لسنوات عديدة , ولقرون مديدة بوجوده , وتحت حكمه , وولايته ؟!

رابعـًا : أين هو امتثال أتباع الإمامية الاثني عشرية لأ

أئمتهم , وهم أول الناس خيانة لهم , وأشد الناس قسوة عليهم , وأكثر الناس أذى لهم دون غيرهم ؟! فلو كان أتباع ا لإمامية الاثني عشرية مؤمنين بعناية الإمام , وبتمكنه من ذلك[1213] لكانوا أقرب الناس إليه , وأكثرهم له إخلاصـًا , وتقربـًا !

ويتمثل واقع الإمامية الاثني عشرية المبطل لدليل العناية عدة أمور :

أولا ً: مجمل ما تعرض له آل البيت كما وصفت كتبهم[1214]**:**

يعد كتاب " مقاتل الطالبيين [1215]" من أول الكتب تأليفـًا في وصف المصائب التي تعرض إليها آل البيت , والاضطهاد الذي عايشوه من قبل أعدائهم – على حد وصف الاثني عشرية - !

قال لطف الله الصافي : (فهذا كتاب مقاتل الطالبيين ، ا قرأ فيه شيئـًا من مصائب أهل البيت , ومحنهم ، وما أصابهم من الخلفاء , وحكوماتهم الشرعية ! من الظـلم , و القتل ، وقطع الأيدي , والأرجل , والحبس في أعماق السجون ، وتعذيبهم بمنع الماء, والطعام) [1216].

ويقول جعفر السبحاني عن هذا الكتاب : (وكم من الإ نصاف فيما كتبه الأصفهاني [1217]عن مدى العبء الذي تحمله أهل البيت , وشيعتهم من أجل كلمة الحق ، وموقف الصدق ، وما ترتب على ذلك من تكالب لا يعرف الرحمة من قبل الحكومات الجائرة المتلاحقة للقضاء على هذا الوجود المقدس , واجتثاثه من أصله ، حيث ذكر : (والله لا يعرف التأريخ أسرة كأسرة أبي طالب بلغت الغاية من شرف الأ

أرومة ، وطيب النجار ، ضل ّ عنها حقها ، وجاهدت في سبيل الله حق الجهاد من الأعصار ، ثم لم تظفر من جهادها المرير إلا بالحسرات، ولم تعقب من جهادها إلا العبرات ، على ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم في ساحة الوغى ، راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم ، وصافحوا الموت في بسالة فائقة، وتلقوه في صبر جميل يثير في النفس الإ عجاب , والإكبار ، ويشيع فيها ألوان التقدير , والإعظام .

وقد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة في محاربتها ، وأذاقوها ضروب النكال ، وصبوا عليها صنوف العذاب ، ولم يرقبوا فيها إلا ّ ولا ذمة ، ولم يرعوا لها حقـًا ولا حرمة ، وأفرغوا بأسهم الشديد على النساء , والأطفال ، والرجال جميعـًا ، في عنف لا يشوبه لين ، وقسوة لا تمازجها رحمة ، حتى غدت مصائب أهل البيت مضـرب الأمثال ، في فظاعة النكال ، وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة , و المودة في قلوب الناس ، وأشاعت الأسف الممض في ضمائرهم ، وملأت عليهم أقطار نفوسهم شجنـًا ، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثـًا يروى ، وخبـ ًرا يتناقل ، وقصصـًا تقص ، يجد فيها الناس إرضاء عواطفهم , وإرواء مشـاعرهم ، فتطلبوه , وحرصوا عليه) [1218]..) [1219].

ويكمل السبحاني ,فيقول : (.. لقد اقترن تأريخ الشيعة بأنواع الظلم , والنكال ، والقتل والتشريد ،بحيث لم تشهده أي طائفة أخرى من طوائف المسلمين بلى !لم ير الأمويون [1220],ولا العباسيون [1221],ولا الملوك الغزانوة[1222], ولا السلا جقة[1223] ولا من أتى بعدهم أي حرمة لنفوسهم , وأعراضهم , وعلومهم, ومكتباتهم ، فحين كان اليهود , والنصارى

يسرحون , ويمرحون في أرض الإسلام والمسلمين ، وقد كـ
فل لهم الحكام حرياتهم باسم الرحمة الإسلامية ، كان
الشيعة يأخذون تحت كل حجـر , ومدر ، ويقتلون بالشبهة ,
والظنة ، وتشرد أسرهم ، وتصادر أموالهم ، ولا يجدون بد ًا
من أن يخفوا كثير ًا من عقائدهم خوف النكال , والقتل ،
وبأيدي وقلوب نزعت منها الرحمة) [1224] .

وقد كان لهذا الكتاب صدى كبيرًا في نفوس علماء الإ
مامية الاثني عشرية ؛ إذ صنف ابن طاووس
الحلي [1225] كتاب " اللهوف على قتـلى الطفوف" [1226] .

مرتبه على ثلاثة مسالك :

الأول : في الأمور المتقدمة على القتل .

الثاني : في وصف القتال .

الثالث : في الأمور المتأخرة عنه .

كما وصنف محمد محمدي الاشتهاردي [1227] كتابًا بعنوان "
مصـائب آل محمد " في بيان المصائب المؤلمة للمعصومين ا
لأربعة عشر , وشهداء , وسـبايا
كربلاء مع مراثيهم [1228] !

وكذلك ألف شرف الدين الموسوي كتابـًا بعنوان "
المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة " وقال في
مقدمته : (فهذا كتاب " المجالس الفاخرة في مآتم العترة
الطاهرة " وضعته تقربـًا إليهم في الدنيا ، وتوسلا ً بهم
في الآخرة ، سائلا ً من الله -سبحانه - أن يكون خالصـًا
لوجهه الكريم ، إنه هو الرؤوف الرحيم) [1229] .

ثانيـًا : ما تعرض له الحسين بن علي   ومن معه في حادثة كربلاء على وجه الخصوص كما ورد في كتبهم :

أ – وصف ما تعرض له الحسين   ومن معه في حادثة كربلاء :

رووا عن الرضا أته قال : (إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال , فاستحلت فيه دماؤنا , وهتكت فيه حرمتنا , وسبي فيه ذرارينا , ونساؤنا , وأضرمت النيران في مضاربنا , وانتهب ما فيها من ثقلنا , ولم ترع لرسول الله – صلى الله عليه وآله – حرمة في أمرنا , إن يوم الحسين أقرح جفوننا , وأسبل عيوننا, وأذل عزيزنا , بأرض كرب وبلاء , أورثتنا الكرب والبلاء , إلى يوم ا لانقضاء ...) [1230].

وفي رواية عنه قال فيها : (إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم , و القتال ؛ لحرمته , فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها , ولا حرمة نبيها – صلى الله عليه وآله - , لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته , وسبوا نساءه , وانتهبوا ثقله , فلا غفر الله لهم ذلك أبدًا) [1231].

ويصف المرعشي [1232] حال الإمـام علي بن الحسين " زين الـعابدين " في

موقف كربلاء , مشيرًا إلى مدى مـعاناته مع مرضه , واحتمائه بعمته زينب [1233], فيقول : (شاءت عناية الله ، أن يكون علي بن الحسين حاضر ًا في كربلاء ، كما شاءت الأقدار أن تنقذ حياته بأعجوبة لتستمر السلالة الطاهرة للرسول من نسل الحسين ...كان علي مريضـًا في فراشه داخل مخيم المؤمنين الذين ذهبوا إلى كربلاء , ولم يستطع أن يقوم , ويمسك السيف ، بينما النصال تصطدم بالنصال , و الدماء الزكية تسيل كالأنهار حارة بعد استشهاد كل الرجال مع الحسين من أهل بيته , وذويه , ومن الصحابة , و التابعين. وحين تنتهي المعركة ، يساق آل البيت إلى ابن زياد [1234], وإلى الكوفة في ركب تتقدمه السبـايا , والرؤوس المقطعة ، في نحو أربعين جملا ً , وكان زين العابدين على جمل بغير وطاء , ضعيفـًا , مريضـًا , حزيناً يأسى ، وأثناء سير الركب قال :

يا أمة السوء لا سعيًا لربعكم * يا أمـة لم تراعِ أحمد ًا فينا

سيرونا على الأقتاب عالية * كأننا لم نشيّـِد فيكم دينا

وهنا تحبس الأنفاس حين يتفحص والي الأمويين الأسرى ، ويرى صبيـًا وحيدًا معهم خشي أن يكون مع الأيام شوكة في حلق الأمويين . فيلتفت إلى الشاب الذي كان لا يزال مجهدًا بفعل المرض ، ويسأله : ما اسمك ؟ ويرد الشاب : علي بن الحسين . فيقول ابن زياد : أو لم يقتل الله عليـًا بن الحسين ؟ وهنا يصمت الشاب ولم يجب , فيصيح فيه ابن زياد : ما لك لا تتكـلم ؟ ويجيب علي بن الحسين ، بعد أن كرر عليه ابن زياد السؤال : كان لي أخ يسمى عليـًا قتله الناس بأسيافهم . فيقول ابن زياد : بل الله قتله , ويجيب علي زين العابدين :

, [الزمر / 42]

, [آل عمران / 145] , ويغضب الوالي الأ
موي ويصيح مهدد ًا : أوبك جرأة على جوابي ، وفيك بقية للرد ؟ والله إنك منهم . أيها القوم اكشفوا عنه ، فإن كان قد بلغ مبلغ الشباب فاقتلوه . ويكشف عليه مري بن معاذ الأ حمري ، ويقول : نعم ، لقد بلغ مبالغ الشباب . ويستعد الجند لضرب علي بن الحسين . ويقول ابن مرجانة : اقتلوه . ويقول زين العابدين : من يوكل بهذه النسوة ؟ لكن عمته السيدة زينب- بطـلة كربلاء - تندفع بقوة إيمانها , وثبات يقينها , فتحتضن ابن أخيها ، وتقول لابن زياد : حسبك يا ا بن زياد ما رويت من دمائنا . وهل أبقيت أحد ًا غير هذا ؟ والله لا أفارقه ، فإن قتلته فاقتلني معه . ويسرع علي زين العابدين ، ويقول هو الآخر بشجاعة آل بيت النبوة : أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أنّ القتل لنا عادة ، وكرامتنا الشهادة ؟ وينكس والي الكوفي رأسه طويلا ً ، ربما من خجله ثم يقول ، موجهـًا الحديث إلى السيدة زينب : عجبـًا لصلة الرحم ! والله إني أظنها ودت لو أنّي قتلتها معه . دعوه ينطلق مع نسائه ، فإني أراه لما به مشغولا ً. ثم يصيح في زبانيته : دعوا الغلام !

وقبل هذا الموقف ! إن ّ هناك موقف ًا آخر مع آل البيت عقب كربلاء مباشرة, ففي كربلاء , وبعد استشهاد الإ مام الحسين ، تنبه جند يزيد[1235]إلى وجود زين العابدين علي بن الحسين ، وكان صبيـ ًا مريضـ ًا، فأراد شمر بن ذي الجوشن[1236] أن يقتله ، فقال له حميد بن مسلم [1237]: سبحان الله ، أتقتل الصبيان ؟ فجاء عمر بن سعد وقال : لا يدخلن بيت النسوة أحد ، ولا يتعرض لهذا الغلام المريض أحد . وكان جند ابن زياد قد اقتحموا فسطاط نساء آل البيت ،

واعملوا فيه سلبـ ًا ونهبـ ًا ، وبعد ذلك ساقوا الأسرى ، وكان منهم ولدان للإمام الحسن ، استصغر الجند شأنهما , وسنهما , فتركوهما ، كما كان فيهم كذلك زين العـابدين علي بن الحسين ، وكان مريضـًا في حجر عمته العقيلة زينب . كان علي زين العابدين من الذين استقطبوا أهم الأدوار خلال مأساة كربلاء , وفي أعقابها) [1238].

ب – موقف شيعة الحسين بن علي في حادثة كربلاء :

لو كان في قلب أصحاب الحسين بن علي مثقال ذرة من إيمان بمدى إمكانية اعتناء إمامهم بهم , وبالبشرية أجمع لما كانوا أسوأ من أعدائه ؛ لأنهم خذلوه في حادثه تعد من أسوأ , وأفجع مصائب آل البيت .

فشيعة الحسين هم الذين راسلوه , وشجعوه على الخروج , بل وبايعوه , ثم غدروا به, وخذلوه في أشهر خذلا ن في التاريخ ! سجلت تفاصيله كتبهم , فكانوا بهذا أسوأ أصحاب , وشيعة بلا خلاف !

وقد كان الحسين يناديهم قبل أن يقتلوه : (تبـ ًا لكم أيتها الجماعة وترحا وبؤسا لكم ! حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفا كان في أيدينا ، وحمشتم علينا نارا أضرمناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم إلبا على أوليائكم ، ويدا على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، ولا ذنب كان منا إليكم ، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم ، و الجأش طامن ، والرأي لم يستحصف ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا ، وتهافتم إليها كتهافت الفراش ، ثم نقضتموها سفها وضلة ، فبعد ًا وسحقـ ًا لطواغيت هذه ا

لأمة ! ... أجل والله ، خذل فيكم معروف ، نبتت عليه أصولكم ، واتذرت عليه عروقكم ، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر ، وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين , الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها , وقد جعلوا الله عليهم كفيلا) [1239].

ثم ناداهم الحر بن يزيد [1240] ، أحد أصحاب الحسين , وهو واقف في كربلاء فقـال لهم : (أدعوتم هذا العبد الصالح ،حتى إذا جاءكم أسلمتموه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه فصار كالأسير في أيديكم ؟ لا سقاكم الله يوم الظمأ) [1241].

وهنا دعا الحسين على شيعته قائلا ً : (اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا ً [أي شيعاً وأحزاباً] واجعلهم طرائق قدد ًا ، و لا ترض الولاة عنهم أبد ًا ، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا فقتلونا) [1242]..

وقد ذكر ابن طاووس ما رواه مصنف كتاب المصابيح أنّ الحسن بن الحسن المثنى قتل بين يدي عمه الحسين في يوم كربلاء سبعة عشر نفسـًا , وأصابه ثمانية عشر جراحة , فوقع فأخذه خاله إلى الكوفة , وداواه حتى برأ , وحمله إلى المدينة , وكان معهم أيضـًا زيد , وعمر , وولدا الحسن السبط , فجعل أهل الكوفة ينوحون , ويبكون , فقال علي بن الحسين: (تنوحـون , وتبكـون من أجلنا ! فمن ذا الذي قتلنا ؟) [1243].

وقال بشير بن خزيم الأسدي[1244] : (ونظرت إلى زينب بنت عليّ يومئذ , ولم أر خفرة والله أنطق منها كأنها تفرع من لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب , وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا , فارتدت الأنفاس , وسكنت الأجراس , ثم قالت: الحمد الله والصلاة على أبى محمد وآله الطيبين الأ خيار . أما بعد : يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر أتبكون ؟! فلا رقأت [1245] الدفعة, ولا هدأت الرنة [1246] إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثـًا, تتخذون إيمانكم دخلا ً بينكم ! ألا وهـل فيكم إلا الصلف [1247] النطف [1248] , والصدر الشنف [1249] , وملق [1250] الإماء , وغمز ا لأعداء , أو كمرعى على دمنة , أو كقصَة على ملحودة [1251]، أ لا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أنّ سخط الله عليكم, وفى العذاب أنتم خالدون .

أتبكون وتنتحبون ! أي والله فابكوا كثيـ ًرا , واضحكوا قليلا ً , فلقد ذهبتم بعارها, وشنارها , ولن ترحضوها بغسل بعدها أبد ًا , وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة , ومعدن الرسالة , وسيد شباب أهل الجنة , وملاذ حيرتكم , ومفزع نازلتكم, ومنار حجتكم , ومدرة سنتكم [1252], ألا ساء ما تزرون , وبعد ًا لكم وسحقـًا . فلقد خاب السعي , وتبت الأيدي , وخسرت الصفقة , وبؤتم بغضب من الله , وضربت عليكم الذلة , والمسكنة .

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم , وأي كريمة له أبرزتم, وأي دم له سفكتم , وأي حرمة له

انتهكتم لقد جئتم بها صلعاء , عنقاء[1253] , سوداء , فقماء ,خرقاء [1254] , شوهاء [1255] كطلاع الأرض[1256] , [1257] أو كملئ السماء , أفعجبتم إن مطر بالسماء دمـًا , ولعذاب الآخرة أخزى , وأنتم لا تنصرون , فلا يستخفنكم المهـل , فإنه لا يحفزه البدار , ولا يخاف فوت الثأر , وإن ربكم لبالمرصاد)[1258] .

كما ونسبوا إلى فاطمة الصغرى [1259] بعد أن وردت من كربلاء أتها قالت : (الحمد لله عدد الرمل , والحصا , وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده , وأؤمن به , وأتوكل عليه , وأشهد أنّ لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له , وأنّ محمد ًا عبده ورسوله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - , وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفـرات بغير ذحل [1260] , ولا ترات [1261].

اللّهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك بالكذب , أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب , المسلوب حقه , المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت اللّه , فيه معشر مسلمة بألسنتهم تعسـًا لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيمـًا في حياته , و لا عند مماته حتى قبضته إليك مـحمود النقية , طيب العريكة , معروف المناقب , مشهور المذاهب , لم تأخذه فيك اللّهم لومة لائم , ولا عذاب عاذل [1262], هديته اللّهم للإسلام صغير ًا , وحمدت مناقبه كبيـ ًرا , ولم يزل ناصحـًا ,

ولرسولك - صلى الله عليه وآله وسلم- حتى قبضته إليك زاهد ًا في الدنيا غير حريص عليها, راغبـًا في الآخرة مجاهد لك في سبيلك , رضيته , فاخترته , فهديته إلى صراط مستقيم . أما بعد .

يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر , والغدر , والخيلاء ، فإنا أهل بيت ، ابتلانا اللّه بكم, وابتلاكم بنا , فجعل بلاءنا حسنـًا , وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا, فنحن عيبة علمه , ووعاء فهمه , وحكمته , وحجته على الأرض في بلاده لعباده , أكرمنا اللّه بكرامته , وفضلنا بنبيه محمد - صلى اللّه عليه وآله وسلم - على كثير ممن خلق تفضيلا ً بينا , فكذبتمونا , وكفرتمونا , ورأيتم قتالنا حلالا, وأموالنا نهبـًا كأننا أولاد ترك وكابل ,كما قتلتم جدنا بالأ مس , وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت , لحقد متقدم قرت لذلك عيونكم , وفرحت قلوبكم على افتراء اللّه , ومكر ًا مكرتم واللّه خير الماكرين .

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل [1263] بما أصبتم من دمائنا , ونالت أيديكم من أموالنا , فإن ّ ما أصابنا من المصائب من الجليلة , والرزايا العظمية في كتاب من قبل أن نبرئها إن ذلك على الله يسير,لا يحب كل مختال فخور ، تبـً ا لكم فانتظروا اللعنة والعذاب , فكان قد حل بكم , وتواترت من السماء نقمـًا , فيسحتكم بعذاب , ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا , ألا لعنة اللّه على الظالمين .

ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم ؟ و أية نفس نزعت إلى قتالنا ؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟ واللّه قست قلوبكم , وغلظت أكبادكم , وطبع على أفئدتكم , وختم على سمعكم وبصركم , وسو ّل لكم الشيطان , وأملى لكم , وجعل على بصركم غشاوة , فأنتم لا تهتدون .

فتبـًا لكم يا أهل الكوفة ، أي تراث لرسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم- قبلكم , ودخول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب ، جدي وبنيه, وعترته الطيبين الأ خيار , فافتخر بذلك مفتخر فقال :

نحن قتلنا عليا وبني علي * بسيوف هندية ورماح

وسبينا نساءهم سبى ترك * ونطحناهم فأي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث , والأثلب [1264] افتخرت بقتل قوم زكاهم اللّه , وطهر هم اللّه وأذهب عنهم الرجس ، فاكظم وأقع كما أقعى أبوك قائمـًا لكل امرئ ما كسب, وما قدمت يداه أحسدتمونا على ما فضلنا اللّه .

فما ذنبنا إن جاش دهرا بحورنا * وبحرك ساج ما يوارى الدعا مصا [1265].

ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم , ومن لم يجعل اللّه له نور ًا فما له من نور) [1266].

وخطبت أم كلثوم بنت علي[1267]في ذلك اليوم رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت : (يا أهل الكوفة سوأة لكم , ما لـكم خذلتم حسينـًا , وقتلتموه , وانتهبتم أمواله , وورثتموه , وسبيتم نساءه , ونكبتموه ؟ فتبـًا لكم وسحقـًا .

ويلكم أتدرون أي دواة دهتكم ؟ وأي وزر على ظهور كم حملتم ؟ وأي دماء سفكتموها ؟ وأي كريمة أصبتموها ؟ وأي صبية سلبتموها ؟ وأي أموال انتهبتموها ؟ قتلتم خير رجالا ت بعد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - , ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن ّ حزب اللّه هم الفائزون , وحزب الشيطان هم الخاسرون , ثم قالت :

قتلتم أخي صبرا فويل لأمكم * ستجزون نارا حرها

يتوقد

سفكتم دماء حرم الله سفكها * وحرمها القرآن ثم محمد

ألا فأبشروا بالنار إنكم غدا * لفي سقر حقـًا يقينـًا تخلدوا

وإني لأبكي في حياتي على أخي * على خير من بعد النبي سيولد

بدمع عزيز مستهل مكفكف * على الخد مني دائمـًا ليس يحمد) [1268].

ويروون أنّ زين العابدين أومأ إلى الناس أن اسكتوا , فسكتوا ، فقام قائمـًا , فحمد الله, وأثنى عليه وذكر النبي , فصلى عليه, ثم قال : (أيها الناس من عرفني , فقد عرفني , ومن لم يعرفني , فأنا أعرفه بنفسي : أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - أنا ابن من انتهكت حرمته , وسلبت نعمته, وانتهب ماله , وسبى عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل , ولا ترات , أنا ابن من قتل صبرًا ، وكفى بذلك فخرًا ، أيها الناس فأنشدكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي , وخدعتموه , وأعطيتموه من أنفسكم العهد , والميثاق , والبيعة, وقاتلتموه ؟ فتبـًا لما قدمتم لأنفسكم , وسوءة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ يقول لكم قتلتم عترتي , وانتهـكتم حرمتي , فلستم من أمتي) [1269].

قال الإمامي محسن الأمين : (بايع الحسين عشرون ألفاً من أهل الـعراق ، غدروا به , وخرجوا عليه , وبيعته في أعناقهم , وقتلوه) [1270].

فهذه كتب الشيعة بأرقام صفحاتها تبين بجلاء أنّ الذين زعموا تشييع الحسين ونصرته هم أنفسهم الذين قتلوه , ثم ذرفوا عليه الدموع ، وتظاهروا بالبكاء !

ج - موقف باقي أئمة الاثني عشرية مما حصل في كربلاء :

أقصى ما استطاع أئمة الإمامية الاثني عشرية عمله ضد أعداء الحسين بن علي هو البكاء بالسنوات ! فلو كان بيدهم أكثر من ذلك كنشر الحق , وإبطال الباطل , ودفع الظلم , وإبادة الظالم على وجه الأرض تحقيقاً لمبدأ العناية لأنفسهم على الأخص , ولأتباعهم على وجه الخصوص , وللبشرية على وجه العموم لفعلوا !

فقد زعموا أنّ الإمام علياً زين العابدين بكى عشرين سنة , وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال مولى له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف أن تكون من الهالكين , قال : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله , وأعلم من الله مالا تعلمون, إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة) [1271] .

وحدثوا عن مولى له بأنه برز يوماً إلى الصحراء قال: فتبعته , فوجدته قد سجد على حجارة خشنة , فوقفت , وأنا أسمع شهيقه , وبكاءه , وأحصيت عليه ألف مرة يقول : لا إله إلا الله حقاً , لا إله إلا الله تعبداً ورقاً , لا إله إلا الله إيماناً , وتصديقاً , وصدقاً , ثم رفع رأسه من سجوده , وإن لحيته, ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه , فقلت : يا سيدي ! أما آن لحزنك أن ينقضي , ولبكائك أن يقل ؟ فقال لي : (ويحك أن يعقوب بن إسحاق كان نبياً ابن نبي له اثنا عشر ابناً , فغيب الله واحداً منهم , فشاب رأسه من الحزن , واحدودب ظهره من الغم , وذهب بصره من

البكاء , وابنه حي في دار الدنيا.. وأنا رأيت أبي , وأخي , وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين , فكيف ينقضي حزني , ويقل بكائي؟!) [1272].

وفي رواية : أما آن لحزنك آن ينقضي ؟ فقال له : (ويحك ! إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابن-ًا , فغيب الله واحدًا منهم , فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه, واحدودب ظهره من الغم , وكان ابنه حي-ًا في الدنيا , وأنا نظرت إلى أبي , وأخي , وعمي , وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي , فكي-ف ينقضي حزني ؟) [1273].

وذكر المجلسي أنه بكى حتى خيف على عينه , وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتى يملأها دمع-ًا , فقيل له في ذلك , فقال : وكيف لا أبكي ؟ وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلق-ًا للسباع والوحوش , وقيل له : إنك لتبكي دهرك , فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا ؟ فقال : (نفسي قتلتها , وعليها أبكي) [1274].
وروي عن الصادق أنه قال : (إن زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة صائم-ًا نهاره , قائم-ًا ليله , فإذا حضر ا لإفطار , وجاء غلامه بطعامه , وشرابه, فيضعه بين يديه فيقول : كُلْ يا مولاي . فيقول : (قتل ابن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – جائع-ًا , قتل ابن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عطشان , فلا يزال يكرر ذلك , ويبكي حتى يبتل طعامه من دموعه , ثم يمزج شرابه بدموعه , فلم يزل كذلك حتى لحق بالله) [1275].

وفي زيارة الناحية يندب الإمام الثاني عشر ! جده الحسين بما هو أكبر وأعظم من البكاء , إذ زاد على ذلك اللعن والدعاء , فيقول : (السلام عليك فإني قصدت إليك ورجوت الفوز لديك , السلام عليك سلام العارف بحرمتك, المخلص في ولايتك , المتقرب إلى الله بمحبتك , البراء من أعدائك , سلام من قلبه بمصابك مقروح , ودمعه عند ذكرك مسفوح , سلام المفجوع , المحزون , الواله , المستكين , سلام من لو كان معك في الطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف , وبذل حشاشته دونك للحتوف , وجاهد بين يديك , ونصرك على من بغى عليك , ونصرك , وفداك بروحه , وجسده , وماله , وولده , وروحه لروحك فداء , وأهله لأهلك وقاء [1276]، فلئن أخرتني الدهور , وعاقني عن نصرك المقدور , ولم أكن لمن حاربك محارباً , ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلأندبنك صباحـًا , ومساء ً , ولأبكين لك بدل الدموع دما حسرة عليك , وتأسفـًا على ما دهاك , وتلهفـًا حتى أموت بلوعة المصاب , وغصة الاكتئاب[1277] ...

فلما رأوك ثابت الجأش ، غير خائف , ولا خاش ، نصبوا لك غوائل مكرهم وقاتلوهم بكيدهم , وشرهم ، وأجلب اللعين عليك جنوده ، ومنعوك الماء وروده , وناجزوك القتال ، وعاجلوك النزال ، ورشقوك بالسهام ، وبسطوا إليك ا لأكف للاصطلام ، ولم يرعوا لك الذمام ، ولا راقبوا فيك الأ نام، وفي قتلهم أولياؤك و نهبهم رحالك ، وأنت مقدم في الهبوات ، محتمل للأذيات ، وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات ، وأحدقوا بك من كل الجهات ، وأثخنوك بالجراح , وحالوا بينك وبين ماء الفرات ، ولم يبق َ لك َ ناصر ، وأنت محتسب صابر ، تذب عن نسوانك وأولادك . فهويت إلى الأرض طريحـ ًا ، ظمآن جريحـ ًا , تطؤك الخيول

بحوافرها ، وتعلوك الطغاة ببواترها [1278]، قد رشح للموت جبينك ، واختلفت بالانبساط , والانقباض شمالك ويمينك ، تدير طرفـًا منكسر ًا إلى رحلك ، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهلك وأسرع فرسك شارد ًا ، وإلى خيامك قاصد ً ا ، محمحم ًا , باكيـًا .

فلما رأين النساء جوادك مخزيـًا , وأبصرن سرجك ملويـً ا ، برزن من الخدور للشعور ناشرات ، وللخدود لاطمات ، وللوجوه سافرات ، وبالعويل داعيات ، وبعد العز مذللات ، وإلى مصرعك مبادرات ، وشمر جالس على صدرك ، موغل سيفه في نحرك ، قابض شيبتك بيده ، ذابح لك بمهنده ، وقد سكنت حواسك ، و خمدت أنفاسك ، وورد على القنـاة رأسك ، وسبي أهلك كالعبيد ، وصفدوا في الحديد فوق أقتاب المطيات ، تلفح وجوههم حرور الهاجرات ، يساقون في الفلوات أيديهم مغلولة إلى الأعناق ، يطاف بهم في الأ سواق ...

فالويل للعصاة الفساق ، لقد قتلوا بقتلك الإسلام , وعطلوا الصلاة , والصيام, ونقضوا السنن , والأحكام ، وهدموا قواعد الإيمان ، وحـرفوا آيات القرآن ، و هملجوا في البغي[1279] , والعدوان، لقد أصبح رسول الله - صلى الله عليه وآله - من أجلك موتور ًا , وعاد كتاب الله مهجور ًا ، وغودر الحق إذ قهرت مقهور ًا ، وفقد بفقدك التكبير , و التهليل ، و التحريم , والتحليل ، والتنزيل , والتأويل ، وظهر بعدك التغيير , والتبديل ، والإلحاد , والتعطيل ، والأهواء , وا لأضاليل ، والفتن , والأباطيل ، وقام ناعيك عند قبر جدك الرسول -صلى الله عليه وآله -، فنعاك إليه بالدمع الهطول ، قائلا ً : يا رسول الله ! قتل سبطك وفتاك ، واستبيح أهلك , وحماك ، وسبي بعدك ذراريك ، ووقع

المحذور بعترتك , وبنيك ، فنزع الرسول الرداء ، وعزاه بك الملائكة , والأنبياء ، وفجعت بك أمك فاطمة الزهراء ، واختلفت جنود الملائكة المقربين ، تعزي أباك أمير المؤمنين , وأقيمت عليك المآتم في أعلى عليين ، تلطم عليك فيها الحور العين، وتبكيك السماوات وسكانها ، والجبال وخزانها ، والسحاب وأقطارهـا ، والأرض وقيعانها ، و البحار وحيتانها ، ومكة وبنيانها ، والجنان وولدانها ، والبيت والمقـام ، والمشعر الحرام ، والحطيم وزمزم ، والمنبر المعظم ، و النجوم الطوالع ، والبروق اللوامع ، والرعود القعاقع ، والرياح الزعازع ، والأفلاك الروافع ، فلعن الله من قتلك , وسلبك ، واهتضمك , وغصبك ، وبايعك , فاعتزلك ، وحاربك, وسـاقك , وجهز الجيوش إليك , ووثب الظلمة عليك ...) [1280].

فأين ما عمله إمامهم الثاني عشر من البكاء , والندب مما رواه الكليني بسنده عن أبي جعفر أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : (من ولدي اثنا عشر نقيبا ، نجباء ، محدثون ، مفهمـون ، آخرهم القائم بالحق يملؤها عدلا ً كمـا ملئت جور ًا) [1281].

فلماذا لم يملأها عدلا ً كما ملأها أعداؤه , وأعداء أجداده ظلمًا , وجورًا بدلا من ندبه وبكائه ؟!

ثالثـًا : ما تعرض له الشيعة مجملا ً كما ورد في كتبهم :

يقول علي بن يونس العاملي : (يطول بنا المقام إذا أردنا أن نستعرض - ولو بإيجاز - الحوادث , والهنابث التي لقيها شيعة أهل البيت من أعداء أهل البيت ، والحرائق و البوائق التي منيت بها مكتبات الشيعة في مختلف العصور , والقرون ، فقد لعبت بهم أيدي الحدثان ، وعبثت بآثارهم ,

ومآثرهم الأهواء , والأغراض ، أملا ً في قبر سنة الرسول - صلى الله عليه وآله - التي تمثلت في أهل بيته ، وفي شيعتهم من بعدهم ، وبغية القضاء على علومهم ومعالمهم :

, [التوبة / 32] وبالرغم من كل الكوارث , والفواجع , وحملات الإبادة نجد شيعة أهل البيت - عليهم السلام - في كل صقع من أصقاع العالم ، وفي كل بقعة من بقاع المعمورة ، ونرى آثارهم , وعلومهم مـ لِءْ السمع , و البصر ، وما كان لله ينمو) [1282].

أ – موقف الدولة الأموية والعباسية من الشيعة كما وصفته كتبهم :

يقول علي الطباطبائي معطينا نبذة عن التاريخ السياسي للتشيع في بلاد الشام : (لبلاد الشام علاقة عريقة , وقديمة بالتشيع منذ عهد الأمويين , والعباسيين ، إلا أن ّ الشيعة في هذين العهدين كانوا يعيشون مرحلة التقية , والسرية من الناحية السياسية, والدينية بسبب الاضطهاد الطائفي الذي كان يمارسه حكام بني أمية , والعباسيين, وولاتهم في هذه المنطقة وغيرها من مناطق العالم الإسلامي ,حتى إذا انقضى عصر عهد العباسيين ,وظهرت للشيعة دول في التاريخ بعد سقوط الدولة العباسية-مثل دولة البويهيين في العراق , وفارس، ودولة الحمدانيين [1283] في الموصل, وحلب ، ودولة العلويين [1284]في مصر , والحجاز, والشام , وإفريقيا) [1285].

ب - موقف الدولة الأيوبية [1286] من الشيعة كما وصفته كتبهم :

قال علي الطباطبائي : (... حـ ـكـ ـم ـ الأيوبيون الذين استلموا الحكم من الفاطميين وحكموا مصر , والشام وجددوا اضطهـاد الشيعة في بلاد مـصر , والشام مع ـًا ، مما أدى إلى ضمور كبير للحالة الشيعية في مصر , والشام) [1287].

ج – موقف دولة المماليك[1288] من الشيعة كما وصفته كتبهم :

قال علي الطباطبائي : (ثم جاء من بعدهم [أي الدولة ا لأيوبية] المماليك عام 648 هـ ؛ ليواصلوا نفس السياسة التي مارسها سلفهم الأيوبيون في اضطهاد الشيعة , و التضيق عليهم في بلاد الشام ، وكانت أيامهم من أشق الفترات على شيعة الشام , وكان المماليك يتخذون من فتاوى ابن تيمية ذريعة للفتك بالشيعة , وإباحة دمائهم ، وأدى ذلك إلى أن يحتمي طائفة منهم بالجبال والمناطق الجبلية ؛ ليحموا أنفسهم من فتك النظام وبطشه ، ويتظاهر طائفة منهم بالانتماء إلى المذاهب السنية ؛ ليحمي نفسه , وذويه من بطش الحكام .

ونتج عن ذلك ضمور للتشيع في بلاد الشام , واختفاء معالمه الفكرية , والثقافية , فقد فقدت الطائفة الأولى بـ التدريج انتماءها الفكري , والعملي للتشيع ... وأما الطائفة الثانية , فقد شاع فيها الجهل نتيجة البعد, والانقطاع عن مراكز العلم) [1289] .

د - موقف ملوك السلاجقة من الشيعة كما وصفته كتبهم :

يقول علي بن يونس العاملي : (حسبنا أن نشير إلى

حادثة واحدة مما يخص المؤلفات , والمكتبات ، وإن كنا قد فصلناها في محلها فإن طغرل بك[1290] أول ملوك السلاجقة لما ورد بغداد في سنة 447 هـ , وشن حملته المشهورة على الشيعة أمر بإحراق مكتبتهم التي أسسها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي في محلة(بين السورين) في كرخ بغداد سنة 381 ه أ. وقد كانت من دور العـلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل , والأديب الفاضل على
مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد [1291] , كما ذكر في ترجمته , وقد جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق ، واستكتب تأليف أهل الصين, والروم كما ذكره الأ ستاذ محمد كرد علي [1292] ونافت كتبها على عشرة آلاف ، من جلائل الآثار , ومهام الأسفار ، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين ، قال ياقوت الحموي [1293] : (وبها كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ولم يكن في الدنيا أحسن كتبـً ا منها ،كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة , وأصولهم المحررة...)[1294].

وكان من جملتها مئة مصحف بخط ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير[1295]. تلك حادثة واحدة مما تعرضت له آثار الشيعة من ضياع وتلف ، وقد ذهبت ضحيتها ألوف الآثار ، وقد سبقتها , ولحقتها حوادث مروعة يشيب لها الأطفال، و فضائح مخزية يندى منها جبين الإنسان ، غير أنّ عناية الله - تعالى شأنه- قد حفظت أصول المذهب الجعفري وفروعه من

العبث , وصانتها من الدنس ،
, [الحجر / 9])
.[1296]

وقال جعفر السبحاني : (هذا هو طغرل بيك أول ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة 447 ه ـ ، وشن على الشيعة حملة شعواء ، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير ، وزير بهاء الدولة البويهي ، وكانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل في محلة بين السورين في الكرخ سنة 381 ه ـ على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد ، وكانت من الأهمية العلمية بمكان ، حيث جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس , والعراق ، واستكتب تآليف أهل الهند , و الصين , والروم ، كما قاله محمد كرد علي ، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار , ومهام الأسفار ، وأكثرها نسخ ا لأصل بخطوط المؤلفين) [1297] .

خلاصة الأمر :

1- أين كانت العناية – كما يزعمون - بجعله النظام الأ حسن المتمثل في وجود إمام معصوم على وجه الأرض , وحال الأئمة , وحال أتباعهم الإمامية الاثني عشرية طوال هذه السنوات ؟ وما عانوه من اضطهادات أئمة وأتباعٍ تنفي وجود النظام الأحسن , كما تنفي أن من متطلباته وجود إمام معصوم على الإطلاق ؟!

2- أين كانت عناية الأئمة بأتباعهم وبمخلصيهم؟وما تعرضوا إليه – على حد وصف الاثني عشرية - من أذى , وتشريد , وقطع الأيدي , والأرجل, والحبس في أعماق

السجون ، وتعذيبهم بمنع الماء , والطعام, وقتل أبنائهم , وسبي نسائهم وبناتهم , واضطهاد لأهل بيتهم , و أقربائهم يثبت مدى حاجتهم لعناية غيرهم , لا أنهم هم المعتنون بغيرهم ؟!

1-أين هي حاجـة البشرية لعناية الإمام المعصوم التي أريقت الدماء , وقتلت الأنفس , وزهقت الأرواح , واضطهدت الحقوق , وأبيدت الشيعة , وشردت لسنوات عديدة , ولقرون مديدة بوجوده , وتحت حكمه , وولايته ؟!

2- أين هو امتثال أتباع الإمامية لأئمتهم , وهم أول الناس خيانة لهم , وأشد الناس قسوة عليهم , وأكثر الناس أذى لهم دون غيرهم ؟! فلو كان أتباع الإمامية الاثني عشرية مؤمنون بعناية الإمام , وبتمكنه من ذلك لكانوا أقرب الناس إليه , وأكثرهم له إخلاصـًا , وتقربـًا !

وبهذه الخلاصة المثبت تفاصيلها من كتب الإمامية الا ثني عشرية يسقط دليل العناية الذي استدلوا به الإمامية الا ثني عشرية على ضرورة وجود إمام معصوم على وجه الأ رض .

الأمر الثالث
إهانة الإمامية الاثني عشرية لأئمتهم مما ينفي عناية الأئمة بهم ,
وحاجة الاثني عشرية لأئمتهم

تعرض بعض أئمتهم للإهانة, والتحقير , والتصغير من قبل القوم أنفسهم، فإنهم تكلموا فيهم، وشنعوا عليهم، وخذلوهم، وأذلوهم، وضحكوا عليهم، مما يدل على نفي عناية الأئمة بهم , ونفي حاجتهم إلى هؤلاء الأئمة .

فعلى سبيل المثال : الحسن لم يـُهن أحد مثل ما أهين هو من قبل الشيعة، فقد كانوا يصفونه بأنّه مذل للمؤمنين ، فلقد ذكر الكشي عن أبي جعفر أنّه قال : جاء رجل من أصحاب الحسن يقال له سفيان بن أبي ليلى[1298] وهو على راحلة له، فدخل على الحسن وهو مختبئ في فناء داره، فقال له : السلام عليك يا مـذل المؤمنين! قال : (وما علمك بذلك؟) قال : عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك وقلدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله[1299].

قال علامة الشيعة الحلي : (الظاهر أنّه قاله عن محبة !)[1300]. وإلى هذا ذهب الحسن بن زين الدين العاملي[1301] [1302] !

وعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، والذي يعدونه إماماً , مطاعاً ، متبعاً, مبايعاً بعد أبيه , بقولهم إنه كان أجبن من شخص عامي , وعادى ؛ بسبب إقراره بعبودية يزيد قاتل

الحسين - حسب زعمهم - والرواية بنصها من كتابهم الكافي عن ابن زين العابدين محمد الباقر أنّه قال : إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد : أتقر لي أنك عبد لي، إن شئت بعتك وإن شئت استرقيتك. فقال له الرجل : والله يا يزيد ! ما أنت بأكرم مني في قريش حسباً , ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية , والإسلام ، وما أنت بأفضل مني في الدين , ولا بخير مني ، فكيف أقر لك بما سألت ؟ فقال له يزيد : إن لم تقر لي والله لقتلتك ، فقال له الرجل : ليس قتلك إياي بأعظم من قتلك الحسين بن علي - عليهما السلام - ابن رسول الله – صلى الله عليه وآله -, فأمر به فقتل.

ثم أرسل إلى علي بن الحسين - عليهما السلام - , فقال له مثل مقالته للقرشي، فقال له علي بن الحسين - عليهما السلا م - : (أرأيت إن لم أقر لك ألست تقتلني كما قتلت الرجل با لأمس؟) فقال له يزيد : بلى . فقال له علي بن الحسين – عليهما السلام - : (قد أقررت لك بما سألت ، أنا عبد مكره ، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع) , فقال له يزيد : أولى لك , حقنت دمك , ولم ينقصك ذلك من شرفك [1303].

وأما محمد الباقر فهو المظلوم حقيقة ؛ فقد نسبوا إليه من الجبن , والنفـاق, والكذب ، والخداع الشيء الكثير , وباسمه اخترعوا مذهباً ، واختلقوا مسلكاً , وهو لا يدري عنه شيئاً، فلقد قالوا إنه كان يحل ما حرمه الله خوفاً , وجبناً.

فعن إبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبد الله يقول : (كان أبي يفتي في زمن بني أمية أنّ ما قتل البازي , و الصقر فهو حلال , وكان يتقيهم , وأنا لا أتقيهم , وهو حرام ما قتل) [1304].

هذا , ولقد نقلوا أنّ زرارة بن أعين قال : سألت محمد الباقر عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت : يا ابن رسول اللّه! رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال : (يازرارة ! إن هذا خير لنا , وأبقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد , لصدقكم الناس علينا , ولكان أقل لبقائنا وبقائكم) .

قال : ثم قلت لأبي عبد اللّه : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة , أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين ، قال : فأجابني بمثل جواب أبيه [1305].

فكيف لمثل هؤلاء الأئمة بيان الأحكام الشرعية , وما وجه الحاجة إليهم, وهو على هذا الحال ؟!

وقالوا عن جعفر أيضاً أنّه مدح أبا حنيفة أمامه، وذمه بعد ما خرج من عنده كما رواه الكليني عن محمد بن مسلم[1306] أنّه قال : دخلت على أبي عبد اللّه وعنده أبو حنيفة فقلت له : وجعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة فقال لي : يا ابن مسلم! هاتها فإن العالم بها جالس , وأومأ بيده إلى أبي حنيفة، قال : فقلت : رأيت كأنّي دخلت داري , وإذا أهلي قد خرجت علي فكسرت جوازاً كثيراً ونثرته علي، فتعجبت من هذه الرؤيا , فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم, وتجادل لئاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء اللّه، فقال : أبو عبد اللّه : (أصبت واللّه يا أبا

حنيفة) ، قال : ثم خرج أبو حنيفة من عنده ,فقلت:جعلت فداك إنى كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : (يا ابن مسلم ! لا يسؤك اللّه، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا. ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره) ، قال : فقلت له : جعلت فداك فقولك : أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ ؟ قال : (نعم! حلفت عليه أنه أصاب الخطأ) [1307].

كما رووا عن أبي عبد اللّه أنه قال : (إني لأتكلم على سبعين وجهـًا لي في كلها المخرج) [1308].

وعن عبد الأعلـى بن أعين [1309] قال : دخـلت أنا وعـلي بن حنظلة على

أبي عبد الله فسأله علي بن حنظلة [1310] عن مسألة فأجاب فيها , فقال رجل فإن كان كذا وكذا فأجابه فيها بوجه آخر , وإن كان كذا وكذا فأجابه بوجه حتى أجابه فيها بأربعة وجوه فالتفت إلى علي بن حنظلة قال يا أبا محمد قد أحكمناه فسمعه أبو عبد الله , فقال : لا تقل هكذا يا أبا الحسن فإنك رجل ورع , إن من الأشياء أشياء ضيقة , وليست تجري إلا على وجه واحد منها وقت الجمعة ليس لوقتها إلا واحد حين تزول الشمس,ومن الأشياء أشياء موسعة تجري على وجوه كثيرة , وهذا منها , والله إن له عندي سبعين وجها)[1311].

وأما موسى بن جعفر فأهانوه، وأهانوا أمه فقالوا : إن ابن عكاشة [1312]دخل على أبي جعفر , وكان أبو عبد الله قائماً عنده، فقدم إليه عنباً، فقال : (حبة حبة يأكله الشيخ الكبير , والصبي الصغير , وثلاثة , وأربعة يأكله من يظن أنّه لا يشبع ، وكله حبتين حبتين فإنه يستحب) . فقال لأبي جعفر : (لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك التزويج ؟) قال : وبين يديه صرة مختومة،فقال : (أما إنه سيجيء نخاس [1313]من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرة جارية) ، قال : فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر فقال : (ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم قد قدم، فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية) ، قال : فأتينا النخاس , فقال : قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين مريضتين , إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا : فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا : بكم تبيعنا هذه المتماثلة قال :بسبعين ديناراً، قلنا: أحسن، قال: لا أنقص

من سبعين ديناراً، قلنا له : نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت , ولا ندري ما فيها وكان عنده رجل أبيض الرأس و اللحية , قال : فكوا وزنوا، فقال النخاس : لا تفكوا فإنها إن نقصت حبة من سبعين ديناراً لم أبايعكم ، فقـال الشيخ : ادنوا، فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير، فإذا هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر , وجعفر قائم عنده فأخبرنا أبو جعفر بما كان ، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ثم قال لها (ما اسمك ؟) قالت : حميدة، فقال : (حميدة في الدنيا ، محمودة في الآخرة ، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب ؟) قالت : بكر قال : (وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه ؟) ، فقالت : قد كان يجيئني مني مقعد الرجل من المرأة ، فيسلط اللّٰه عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية، فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مراراً , وفعل الشيخ به مراراً فقال : (يا جعفر! خذها إليك) ، ولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر - عليهما السلام -) [1314].

وكان أبو بصير المرادي هذا يتهم موسى بن جعفر أنّه رجل الدنيا , كما ذكر الكشي عن حماد بن عثمان [1315] أنّه قال : خرجت أنا وابن أبي يعفور [1316] وآخر إلى الحيرة , أو إلى بعض المواضع، فتذاكرنا الدنيا فقال أبو بصير المرادي : أما إن صاحبكم لو ظفر بها لاستأثر بها [1317].

وتكلموا في علم , وعقل أبي الحسن حيث قالوا : إنه سئل عن امرأة تزوجت ولها زوج؟ قال : (ترجم المرأة، ولا شيء على الرجل) ، فلقى السائل أبا بصـير , فقلت له : إني سألت أبا الحسن عن المرأة التي تزوجت ولها زوج ،

قال : ترجم المرأة , ولا شيء على الرجل، قال : فمسح صدر ه , وقال : ما أظن صاحبنا تناهى حكمه بعد [1318].
وفى رواية أخرى : أظن صاحبنا ما تكامل علمه [1319].

ثم قد نسـبوا إلى هذا الرضا بأته كان يعشق ابنة عم المأمون [1320] وهى تعشقه , كما يذكر ابن بابويه القمي في بيان علاقات ذي الرياستين [1321] وأبو الحسن الرضا , حيث قال : (وأظهر ذو الرياستين عداوة شديدة على الرضا وحسده على ما كان المأمون يفضل به ، فأول ما ظهر لذي الرياستين من أبي الحسن أنّ ابنة عم المأمون كانت تحبه وكان يحبها، وكان ينفتح باب حجرتها إلى مجلس المأمون، وكانت تميل إلى أبي الحسن الرضا وتحبه، وتذكر ذا الرياستين وتقع فيه، فقال ذو الرياستين حين بلغه ذكرها له لا ينبغي أن يكون باب دار النساء مشرعاً إلى مجلسك، فأمر المأمون بسده، وكان المأمون يأتي الرضا يوماً والرضا يأتي المأمون يوماً، وكان منزل أبي الحسن بجنب منزل المأمون، فلما دخل أبو الحسن إلى المأمون , ونظر إلى الباب مسدوداً قال : يا أمير المؤمنين ما هذا الباب الذي سددته؟فقال : رأى الفضل ذلك وكرهه، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون، ما للفضل والدخول بين أمير المؤمنين وحرمه ؟ قال : فما ترى؟ قال : فتحه والدخول إلى ابنة عمك , ولا تقبل قول الفضل فيما لا يحل ولا يسع ، فأمر المأمون بهدمه , ودخل على ابنة عمه، فبلغ الفضل ذلك فغمه[1322].

وينسبون إليه الجبن , والمذلة بقولهم لما أرسل إليه الجلودي [1323]- أحد أمراء الرشيد - لينهب بيته ويسلب أمواله ، فبدل أن يدافع عنه , وعن أهل بيته , وعن شرفه , وحرمه, وحرماته بدأ يدفع إليه الأموال : "فدخل الحسن أبو الرضا ، فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن , وخلاخيلهن , وأزرارهن إلا أخذه منهن , وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير - ودفعها إليه - [1324].

وأما ابن الرضا محمد الملقب بالقانع والمكنى بأبي جعفر الثاني ، فقد شكوا في بنوته للرضا وترددوا في قبول إمامته لاسوداد وجهه , وتغير لونه، وقالوا : إن ّ الذين سبقوا إلى الشك فيه هم عمومته وأخوته ,كما نقلوا عن علي بن جعفر بن الباقر أنه قال له أخوته (أي الرضا) :ما كان فينا إمام قط حائل اللون[1325]فقـال لهم الرضا : هو ابني، قالوا : فإن ّ رسول الله – صلى الله عليه وآله - قد قضى بالقافة [1326] فبيننا وبينك القافة، قال : ابعثوا أنتم إليهم، فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم , ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاؤوا أقعدونا في البستان واصطف عمومته , وإخوته , وأخواته، وأخذوا الرضا وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها، ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له : ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاؤوا بأبي جعفر فقالوا : ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا : ليس له ههنا أب , ولكن هذا عم أبيه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة، فلما رجع أبو الحسن قالوا : هذا أبوه[1327].

ويقولون عنه إنه كان جباناً خوافاً لما استدعاه الخليفة المعتصم [1328] بكى حتى اخضلت لحيته , مترددًا في تعيين الخليفة من بعده إلا أته قال في آخر الأمر : (عند هذه يخاف علي , الأمر من بعدي إلى ابني علي) [1329].

وأما ابنه علي فيقولون إنه مات أبوه وكان في الثامنة من عمره، فاختلفوا في إمامته وتكلموا كثيراً حولها حتى أثبتوها بشهادة رجل لم يكن منهم , وبعد إجباره على تلك الشهادة [1330].

ويقولون إنه مع إمامته لم يسلم إليه تركته من الضياع , والأموال , والنفقات , والرقيق ، وجعل عبد اللّه بن المساور [1331] قائماً عليها إلى أن يبلغ من قبل أبيه[1332].

وأما الحسن بن علي الملقب بالعسكري فيقولون عنه إنه شكر اللّه على وفاة أخيه الأكبر محمد بن على لما سمع أن ّ الإمامة تصل إليه بعد ما شق جيوبه ولطم خدوده كما ذكره المفيد في "الإرشاد"[1333] .

فأي عنايةٍ كانت من الأئمة لشيعتهم وهم يصفونهم بهذه الصفات , وينسبون إليهم هذه الروايات – وما خفي كان أعظم - ؟!

وأي حاجةٍ للشيعـة – على وجه الخصوص – وللبشرية – على وجه العموم لمثل هؤلاء الأئمة ؟!

المطلب الثالث

نقد دليل العناية من القرآن والسُنة

أولا ً: من القرآن الكريم :

1.نيل حاجتنا من الأنبياء والرسل يظهر علو منزلة الأ مة الفكرية بما يؤهلها من السير بمفردها لعبادة الله - تبارك وتعالى - , وقد قال تعالى:

, [النحل / 36] . وقال

:

,

[الحديد/ 25]. وقال :

.

2.أكثر آيات القرآن المجيد تبين بأن ّ البشر محتاجون لأنبياء ورسل هداة, كلما بد ّل الناس حقيقة الأحكام الإلهية يتفضل الله عليهم بمن يعلمهم طريق الحق ق ال :

, [الرعد / 7] .

وقال الله تعالى :

, [النساء / 163 – 164] .

وبهؤلاء المطهرين المصطفين الأخيار يقيم الله حجته ، فبهم عر ّف البشر طريق الهداية ، وعليهم طاعة الأنبياء والمرسلين ؛ لأنهم بما علموه وبينوه يكون صلاح العباد ، وهذا يدركوه بعقولهم وبفطرتهم التي تسعى للكمال من الله – تبارك وتعالى - ، ولكونه هادي لهم وقيوم عليهم ، يوصلهم لطريق الخير بالأحكام المنزلة على الأنبياء , والمرسلين - عليهم السلام - ولم تتوقف مصلحة البشر , ولا حاجتهم على أئمة الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق !

3. أنّ أغلب أحاديث السُنة جاءت مكملة , ومبينة للأصول المذكورة في القرآن الذي أجمل الله فيه أغلب الأحكام ووكل إيضاحها , وتمثيلها إلى النبي دون غيره , بل كلفه بذلك ,حيث قال: ...

, وكذلك أمره بتعليم الناس , والحكم بينهم حيث قال :

, [النساء / 105] , فلا يعجز الباري - تبارك وتعالى - أن يوجه خطابه للإمام في كتابه الكريم بأن يعتني بالبشرية وبتعليمهم .

4. إخبار المولى أنّ النبي قد حصل بتبليغه هداية

للناس جميعـًا,كما أمره اللّه , فقد قال تعـالى :

[المؤمنون/ 73] . وقال :

[52 / الشورى],

فلو كان تبليغه ناقصـًا , أو كانت هداية هذه الأمة على يد أحد الأئمة لما قال اللّه ذلك في كتابه الكريم .

5.إخبار اللّه أته أنزل القرآن الكريم متضمنًا الهداية للبشرية جمعاء , ولو كان فهمه متوقفـًا على وجود الإمام لكانت هذه الهداية الواردة فيه عبثـًا لا معنى لها , ومن هذه الآيات قوله تعالى :

[البقرة / 1 – 2] .وقال:,

[البقرة / 185] . ,

وقوله : ...

, وقال :

.

كما أخبر اللّه – تبارك وتعالى- أنّ هذا القرآن بيّنٌ واضح لا شبهة فيه, فلا حاجة للإمام الذي يدعي الاثني عشرية فهم القرآن عن طريقه , قال تعالى :

[البقرة / 99] ,

وقـال :

, [الشعراء / 2] . ومنها قوله :

.... .

وفي نفس الوقت فقد أمر الله – تعالى - الناس كافة بتدبر آيات كتابه الكريم, ولم يكن هذا الأمر مقتصرًا على فئة معينة من الناس , بل هو عام لكل البشر؛ لما فيه الهداية لها. قال تعالى:

,[النساء / 82] . وقال تعالى :

وقال - جلّ في علاه - :

, [ص / 29] .

6. أخبر الباري- تبارك وتعالى- في كتابه بأنه لم يكتب الخلد لأحد من البشر, بقوله تعالى :

[الأنبياء / 34 – 35] . والنبي محمد على أفضليته على الأنبياء و المرسلين إلا أنه بشر مثله , كـُتبَ عليه الموت كما كـُتبَ عليهم , قال تعالى:

, [آل عمران / 144] .

ثانيًا : من السُنة النبوية المطهرة :

1. ورود الأحاديث الثابتة عن النبي تحث على

التمسك بكتاب اللّه وقراءته , وتبين منزلة من أخذ بـ
القرآن , وجعله منهاجًا سار عليه , ولم تتوقف حجيته
على قول أحد من البشر مهما كانت منزلته . فعن زيد
بن أرقم [1334] عن النبي أنه قال : (إني تارك فيكم
الثقلين أولهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور , فخذوا
بكتاب اللّه , واستمسكوا به) فحث على كتاب اللّه ,
ورغب فيه ... ثم قال : (وأهل بيتي , أذكركم اللّه في
أهل بيتي)... ثلاث مرات[1335].
فقد بيّن – صلوات اللّه وسلامه عليه – أنّ القرآن فيه
الهدى , أي : تبيان الحق من الضلال , ثم حثّ على
اتباعه فقال : (فخذوا بكتاب اللّه) . وهذا أمر باتباع
القرآن من غير اشتراط وجود الإمام ؛ لتعليمه للبشرية
عناية بهم , فلو كان وجود الإمام وعنايته ضرورية
للبشر لقال : (إني تركت فيكم الإمام فاتبعوه , ولا
تعلموا القرآن إلا بوجود الإمام ؛ لضرورة وجوده بين
أظهركم , وفهمه احتياجاتكم) ...ونحو ذلك .

2. وردت الأحاديث عن النبي والتي تحث على تعلم
القرآن وتعلمه , فعن عثمان عن النبي قال :
(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [1336] , ولو كان
تعلم القرآن , وتعلمه لا يكون إلا من طريق الإمام ,
لبين ذلك النبي .

3. كان النبي إذا نزل عليه شيء من القرآن بلغه
أصحابه جميعًا, ولم يكتفِ بتبليغه لعلي وحده .
فقد ذكرَ عبدُ اللّه بن مسعود [1337] فقال : لا أزال

أحبه . سمعت النبي يقول : (خذوا القرآن من أربعة من : عبد الله بن مسعود , وسالم مولى أبي حذيفة [1338], ومعاذ بن جبل , وأبي بن كعب [1339]) [1340]. فلو لم يكن النبي قد بلغهم, وعلمهم إياه , لم تكن وصيته لأ متة بأخذ القرآن منهم معنى !

وكذلك لو كان تبليغهم متوقفـًا على وجود الإمام على وجه الأرض لما كانت لوصيته معنى !

4. ثبت في الصحيح أنّ النبي قد بين أنّ في بقائه أمانـًا لأصحابه من عذاب الله , فإذا ذهب أتى أصحابه ما يوعدون , وكذلك في بقاء أصحابه أمان للناس , فإذا ذهب أصحابه أتى الناس ما يوعدون , ولم يخص أحدا من أهل بيته بهذا الأمر , فضلا ً عن أنّه لم يخص الأئمة الاثني عشر بهذا الأمر , فعن أبي بردة [1341] , عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله , ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء .قال : فجلسنا, فخرج علينا , فقال : (ما زلتم ها هنا ؟!) قلنا : يا رسول الله ! صلينا معك المغرب , ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء . قال : (أحسنتم) , أو (أصبتم) قال : فرفع رأسه إلى السماء , وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال : (النجوم آمنة للسماء , فإذا ذهبت النجوم أتى السمـاء ما توعد , وأنا آمنة لأصحابي , فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعـدون , وأصحابي آمنة لأمتي , فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) [1342].

فلو كان أهل بيته أو أفراد منهم سيكونون أمانـًا للأ
رض مثلما النجوم أمان للسماء لقال النبي : وأهل
بيتي آمنة لأمتي , فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما
توعد [1343] .

المطلب الرابع

نقد دليل العناية من أقوال علماء أهل السُنة

اتضح في مبحث العرض ما رآه الإمامية الاثنا عشرية من أنّ عناية اللّه بخلـقه واجبة , ووجه وجوبها نصب الإمام المعصوم على وجه الأرض , وقد بينت سابقـًا أنه لا يجب على اللّه - تبارك وتعالى- شيء إلا ما أوجبه على نفسه في كتابه الكريم , ولا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده , بل لا يعقل في حقه الوجوب , لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون[1344].

أما عناية الإمام التي رآها الإمامية الاثنا عشرية أنها تستوجب وجوده على أرض الواقع , فنحن لا ننكر أنّ ماذهب إليه السواد الأعظم من المسلمين أنّ تنصيب الإمام أمر واجب على المسلمين وعلى الأمة [1345]- لا على الباري كما تبين سابقـًا - , من منطلق أنّ وجوده في المجتمع البشري يساهم في استمرار النوع الإنساني وعمران الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ إذ الفرد وحده لا يقوى على تحصيل قوته من الطعام والشراب، ولا يمكنه القيام بما يحتاجه من حرف وصناعات، بل لابد أن يحتاج إلى غيره في تحصيل ما ذُكر مهما كان عليه من غنى وقدرة على الأشياء , ولو كان ملكًا مطاعًا، فالإنسان دائمًا محتاج إلى غيره في تحصيل القوت[1346].

ثم إن ّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم بهم , فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية في العدوان والظلم، وليست آلة السلاح

التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم؛ لأنها موجودة لجميعهم، فلابد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون في غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم , ويكون له عليهم الغلبة والسلطان، واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للإنسان طبيعة ولابد لهم فعلها [1347] .

فلابد من إقامة خليفة على المسلمين يهتم بشؤون الأمة، ويرعى مصالحها الدينية والدنيوية، ويقوم بالجهاد، وينظم الجيوش، ويدرأ عن الأمة خطر أعدائها، ويتولى تنفيذ الأ حكام الشرعية، ويعتني بجباية أموال الدولة في مواردها، وينفقها في مصارفها، إلى غير ذلك من الأمور التي يتعين على الخليفة القيام بها، ولا تتم مصالح الأمة إلا بها[1348].

وهذا محل إجماع بين المسلمين ـ أعني وجوب نصب الإ مام ـ لم يعرف فيه لأحدٍ خلاف سوى ما يروى عن الأ صم[1349] , والفوطي[1350]من المعتزلة , وفرقة النجدات من الخوارج [1351]، وخـلاف هؤلاء لا يقدح بصحة الإجماع ؛ لأنه قول شاذ لم يبن على دليل صحيح , ولا حجة ثابتة .

وفي هذا يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ : (اتفق جميع أهل السُنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأنّ الأمة واجب عليها

الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله حاشا النجدات من الخوارج , فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم) [1352] .

ويقرر الغزالي وجوب نصب الإمام , إذ يقول في بيان شرعي وبرهان قوي: (لا ينكر وجوب نصب الإمام لما فيه من الفوائد ودفع المضار في الدنيا ، ولكنا نقيم البرهان القطعي الشرعي على وجوبه ، ولسنا نكتفي بما فيه من إجماع الأمة، بل ننبه على مستند الإجماع ونقول : نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع - عليه الصلاة والسلام – قطعـً ا , وهذه مقدمة قطعية لا يتصور النزاع فيها , ونضيف إليها مقدمة أخرى : وهي أنّه لا يحصل نظام الدين إلا بإمام مطاع , فيحصل من المقدمتين صحة الدعوى : وهو وجوب نصب الإمام) [1353].

ثم يبين الإمام الغزالي البرهان على المقدمة الثانية , وهو أنّ نظام الدين لا يحصل إلا بحاكم مطاع , فيقول : (البرهان عليه أن ّ نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا ، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع) [1354].

وبعدها يرد اعتراض أشباه العلمانيين من قديم القائلين : بأن ّ الدنيا والدين ضدان , والاشتغال بأحدهما خراب للآخر فيقول : (هذا كلام من لا يفهم ما نريده بالدنيا الآن , فإنه لفظ مشترك ، قد يطلق ويراد به فضول التنعم والتلذذ، والزيادة على الحاجة والضرورة ، وقد يطلق على جميع ما هو محتاج إليه قبل الموت ... ونظام الدين بالمعرفة و

العبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن ، وبقاء الحياة ، وس
لامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ...
وليس يأمن الإنسان على روحه , وبدنه , وماله , ومسكنه ,
وقوته في جميع الأحوال ، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأ
من على هذه المهمات .

وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من
سيوف الظلمة , وطلب قوته من وجه الغلبة , متى يتفرغ
للعلم والعمل ؟ وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة ؟ وإذن بان
أنّ نظام الدنيا شرط لنظام الدين) [1355].

ويسترسل الإمام الغزالي في البرهنة على
المقدمة الثانية , وهي القول بـأنّ الدنيا والأمن على النفس
والأموال لا ينتظم إلاّ بسلطان مطاع ، فيقول : (ذلك تشهد
له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين الأئمة ، وأنّ ذلك لو
دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج والمرج ,
وعم السيف , وشمل القحط وهلكت المواشي ، وبطلت
الصناعات , ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم ، إن بقي حيـ ًا ،
والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف .

ولهذا قيل : الدين والسلطان توأمان .

ولهذا قيل : الدين أس والسلطان حارس .

وما لا أس ّ له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع .

وعلى الجملة لا يتمارى العاقل في أنّ الخلق على اختلا
ف طبقاتهم , وما هم عليه من تشتت الأهواء , وتباين الآراء
لو خلوا وآراءهم , ولم يكن لهم رأي مطاع , يجمع شتاتهم
لهلكوا عن آخرهم , وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر
مطاع , يجمع شتات الآراء , فبان أنّ السلطان ضروري في
نظام الدنيا ، ونظـام الدنيا ضروري في نظام الدين ، ونظام
الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة ، وهو مقصود الأ

أنبياء قطعـًا ، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه فاعلم) [1356].

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة, ولا بين الأئمة ، إلا ما روي عن الأصم ، حيث كان عن الشريعة أصم ، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه) [1357].

فأهل السُّنة متفقون على أن ّ الإمامة وسيلة لا غاية – كما ذهـب الاثنا عشرية - ؛ فهي وسيلة إلى مقاصد معينة يستطيع الإمام - بما له من صلاحيات خاصة - أن يحقق ما يعجز عن بلوغه آحاد المسلمين.

ومن مجمل مقاصد الإمامة : إقامة أمر الله في الأرض على الوجه الذي شرع , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , وحفظ الدين، ونشره والدعوة إليه, ودفع الشبه والبدع والأ باطيل , وتحصين الثغور , وإقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام, و سياسة الدنيا بالدين , ونشر العدل، ورفع الظلم , وجمع الكلمة، ونبذ الفرقة, ونشر الأمن، وتأمين السبل , والقيام بعمارة الأرض ، واستغلال خيراتها فيما هو صالح للإسلام و المسلمين, وبث العلم، ورفع الجهل [1358]. فهذه بعض مقاصد ا لإمامة على وجه الإجمال [1359].

فدعوى الاثني عشرية من أنّ عناية الإمام بالبشرية تستوجب وجوده على وجه الأرض ! باطل ؛ لأنّ الناظر إلى ما حققه أئمة الإمامية الاثني عشرية من هذه المقاصد الإ جمالية لا يرى شيئًا مما حققوه أثناء حياتهم ! ولا أقول خلا فتهم ؛ لأنه لم يتول الخلافة , ولم يتقلد المنصب إلا علي

مدة زمنية , ثم قتل , والحسن فترة بسيطة من الزمن , ثم بايع معاوية , و الـحسين فترة وجيزة أيضًا , ثم قتل !

وبالتالي فلا يلزم حصر الإمامة , ومهام الإمام , ولا مقاصد الإمامة بهم ؛ إذ قد قامت هذه المقاصد بدونهم, وتحققت عناية البشر بغيرهم , وهذا معلوم في كتب التاريخ !

أيضـًا مما ينبغي توفره في الخليفة أن يكون شجاعًا , جريئًا على إقامة الحدود , واقتحام الحروب بصيرًا بها , كفيـلا ً بحمل الناس عليها ، عارفًا بالدهاء , قويًا على معاناة السياسة , وحسن التدبير ؛ ليصبح له بذلك ما جعل له من حماية الدين , وجهاد العدو , وتدبير المصالح .

وممن اشترط هذه الشروط أبو يعلى [1360], إذ يقول: (...أنّ يكون قيّما بأمر

الحرب والسياسة ,وإقامة الحدود لا تلحقه رأفة في ذلك , و الذب عن الأمة) [1361] .

ومن ضمن صفات الإمام يقول الماوردي : (... الشجاعة ، والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة , وجهاد العدو) [1362].

وإلى هذا يذهب إمام الحرمين الجويني [1363] والبغدادي [1364] ، وابن خلدون [1365] ، والإيجي [1366] والغزالي [1367] وغيرهم كثير .

وعندما نسأل الإمامية الاثني عشرية عن إنجازات أئمتهم اتجاه أتباعهم منذ علي إلى إمامهم الثاني عشر , وماهي الحماية التي حصلها الاثنا عشرية من أئمتهم ؟

لا يكاد يجيب أكثرهم علمـًا بمروياتهم , وأكثرهم دراية بكتبهم بما يثلج الصدر , ويطمئن النفس , ويبين مدى حاجة البشرية لمثلهم , ومدى حفظ الدين الإسلامي ونشره بهم , خاصة وأنّ إمامهم الثاني عشر - على فرض صحة وجوده - مختبئـًا خائفًا وجلا ً من البطش به ! وهذا مما يثير العجب حقيقة!

خلاصة الأمر :

تحققت الكثير من مقاصد وغايات الإمامة زمن الخلفاء الثلاثة , مما يدل على صحة إجماع المسلمين على خلا فتهم , أما ماذهب إليه الاثنا عشرية لايصح نقلا ً , ولا عق لا ً , ولا واقعـًا , ودليل العنـاية الذي يستدل به الإمامية ا لاثنا عشرية عقلا ً على ضرورة الإمامة ! ماهو إلا دليل نظري بحت , لا وجود له على أرض الواقع البتة .

الفصل السادس

" دليل الأفضلية "

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة دليل الأفضلية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية فيه.

المبحث الثاني : نقد دليل الأفضلية ومناقشته.

المبحث الأول

صورة دليل الأفضلية ومقدماته وتقريره من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صورة دليل الأفضلية ومقدماته.

المطلب الثـاني : تقرير دليل الأفضلية من خلال الروايات و الأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية .

المطلب الأول

صورة دليل الأفضلية ومقدماته

يذهب الإمامية إلى أنّ الشخص الذي يجب أن يكون إمامًا لابد أن يمتلك خصائص شخصية تميزه وتفضله على بقية الناس ؛ لأنّه لو لم يكن أفضل لا تخلو حالته من أمرين :
أولاً : إما أن يكون مساويًا .
ثانيًا : إما أن يكون مفضولاً .
أما المساوي فيستحيل تقديمه عند الاثني عشرية ؛ لأنّه يفضي إلى الترجيح بلا مرجح .
و أما المفضول فترجيحه على الفاضل يبطله العقل لحكمه بقبح تعظيم المفضول , وإهانة الفاضل , ورفع مرتبة المفضول , وخفض مرتبة الفاضل .
فأفضل الناس في عصره مطلقًا - حسب معتقد الإمامية - يجب أن يجعله الله إمامًا, كما أنّ أفضل الناس مطلقًا يجب أن يجعله الله نبيًا ؛ لأنّهما مقدما على الكل ، فلو كان فيهم من هو أفضل منهما للزم تقديم المفضول على الفاضل , وهو قبيح عقلاً .

ويقوم " دليل الأفضلية " – عند الاثني عشرية - على عدة نقاط :
الأولى : إنّ الإمام إذا لم يكن أفضل وأعلم أهل زمانه لم يحصل الوثوق بقوله ، لجواز أن يكون الهلاك والمعصية في قوله ، وهذا ينفر عن الطاعة ، مع أنّ الغرض من نصب الإمام هو الطاعة فيكون نقضًا للغرض .
الثانية : إنّ الإمام إذا لم يكن أفضل الناس خلقا لما نُصِّبَ لتكميل فضائل الناس , ولتعليمهم أحكام الإسلام ، ولتدبير الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،

ولتأديبهم من الناحية الخلقية .
الثالثة : لما كانت طاعة الإمام واجبة على الجميع ولا يجب عليه طاعة أحد، كانت نفسه أكمل من نفس الكل ، لذا هو أفضل من الكل .
الرابعة : إنّ الإمام المفضول لا يحبه اللّه ، وكل من لا يحبه اللّه مخالف للنبي وغير متبع له . فينتج أنّ الإمام المفضول مخالف للنبي ، ومن المعلوم أنّ مخالفة النبي قبيح .
كما يستنبط الإمامية من دليل الأفضلية قاعدة عقلية , وأطلقوا عليها " قبح تقديم المفضول على الفاضل " .

إذن فإنّ هذا الدليل – عند الاثني عشرية - يثبت مقام ا لإمامة لأئمتهم , وهو يقوم على أمرين بمقدماتهما :
الأمر الأول :
تقديم الفاضل على المفضول لاستحقاقه الإمامة , وتفصيله عند الإمامية :
بما أنّ كل فاضل مستحق للإمامة .
وبما أنّ كل مستحق للإمامة مقدم على المفضول .
فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ كل فاضل مقدم على المفضول .

الأمر الثاني :
تقديم أفضل الصحابة في مسألة الإمـامة . وتفصيله عند الإمامية :
بما أنّ أفضل الصحابة عند الاثني عشرية هو سيدنا علي .
وبما أنّ سيدنا علي عند الاثني عشرية هو المقدّم في مسألة الإمامة
فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي أنّ

أفضل الصحابة   عند الاثني عشرية هو المقدّم في مسألة الإ مامة .

وبالقول بهذين الأمرين وبمقدماتهما يقول الإمامية بـ " دليل الأفضلية " الذي استدلوا به ضمن الأدلة العقلية على ضرورة الإمامة .

المطلب الثاني

تقرير دليل الأفضلية من خلال الروايات والأقوال الواردة في كتب الاثني عشرية

تبين في المطلب السابق قيام دليل الأفضلية على أمرين اثنين :

الأول : تقديم الفاضل على المفضول لاستحقاقه الإمامة .

الثاني : تقديم أفضل الصحابة في مسألة الإمـامة .

وفي هذا المطلب سوف أعرض مرويات أئمة الاثني عشرية التي استند عليها علماؤهم – المتقدمون والمتأخرون – , وأقوالهم في تقرير هذا الدليل من خلال هذين الأمرين .

الأمر الأول

تقديم الفاضل على المفضول لاستحقاقه الإمامة

أولا : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

يعتقد الإمامية أنّ الإمام أفضل أهل زمانه , لذا فهو مستحق للإمامة دون غيره , وبالتالي فهو مقدم على غيره بالإمامة .

والذي يدل على استحقاق أئمة الشيعة الإمامة وأفضليتهم - وبالتالي تقديمهم هو ما وصفوا به الإمامة والإمام في مروياتهم - منها ما رووه عن أبي عبد الله أنه قال : (... الإمام هو المنتجب المرتضى ، والهادي المنتجى ، و القائم المرتجى ... منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه ...) [1368] .

وكذلك رووا عن عبد العزيز بن مسلم[1369] عن الرضا أنه قال : (... إن ّ الإمامة أجل قدر ًا , وأعظم شأن ًا , وأعلى مكان ًا , وأمنع جانب ًا , وأبعد غور ًا من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إمام ًا باختيارهم ...

إن ّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء .

إن ّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول - صلى الله عليه وآله - ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين - عليهما السلام - .

إن ّ الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين .

إن ّ الإمامة أس ّ الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم , وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى , وأجواز البلدان والقفار ، ولجج البحار .

الإمام الماء العذب على الظماء , والدال على الهدى ، والمنجي من الردى .

الإمام النار على اليفاع ، الحار لمن اصطلى به , والدليل في المهالك ، من فارقه فهالك .

الإمام السحاب الماطر ، والغيث الهاطل , والشمس

المضيئة ، والسماء الظليلة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام الأنيس الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، و الأم البرة بالولد الصغـير ، ومفزع العباد في الداهية النآد .

الإمـام أمين اللّه في خلقه ، وحجته على عباده وخليفته في بلاده ، والداعي إلى اللّه ، والذاب عن حرم اللّه .

الإمام المطهر من الذنوب , والمبرأ عن العيوب ، المخصـوص بالعلم ، المرسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعز المسلمين , وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل , ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتـساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب) [1370].

يقول محمد صالح المازندراني في قوله : (ولا يعاد له عالم) : (دل ّ على أنه يشترط أن يكون الإمام أفضل زمانه , وهو مذهب الإمامية ، وأما مذهب العامة فقال الآبي [1371]: لم يشترط ذلك الأكثر يعني أكثر العامة وأجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، وفصل القاضي أبو بكر الباقلاني[1372] فقال : إن لم يؤد العقل إلى هرج ٍ وفساد ٍ جاز , وإلا لم يجز . ولا يخفى عليك فساد قولهم ؛ لأنّ الإمامة ولاية عامة في الدين والدنيا موجبة لطاعة موصوفها على الإطلاق , فلو سئل المفضول بما ليس عنده من أمر الدين , وكان عند الأفضل وجب عليه وعلى غيره إطاعة ذلك الأفضل , فيلزم أن يصير الإمام مأمومـًا , فلا يكون الإمام إمامـًا على الإطلاق , ومثل هذا لا يصلح للإمامة قطعـًا)

[1373].

ثانيـًا : من خلال أقوال علمـاء الاثني عشرية الواردة في كتبهم :

أ – عند المتقدمين :

يقول المرتضى : (إن ّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته في الثواب والعلوم , وسائر ضروب الفضل المتعلقة بـ الدين ، الداخلة تحت ما كان رئيسـ ًا فيه ما نعلمه , وكل العقلاء من قبح جعل المفضول في شيء بعينه إمام ًا , ورئيسـ ًا للفاضل فيه , ألا ترى أنه لا يحسن منا أن نعقد لمن كان لا يحسن من الكتابة إلا ما يحسنه المبتدئ المتعلم رياسة في الكتابة على من هو في الحذق بها , والقيام بحدودها , بمنزلة ابن مقلة [1374] , حتى نجعله حاكم ًا عليه فيها ، وإمام ًا له في جميعها وكذلك لا يحسن أن نقدم رئيسـ ًا في الفقه وهو لا يقوم من علوم الفقه إلا بما يتضمنه بعض المختصرات على من هو في الفقه , بمنزلة أبي حنيفة , وهذه الجملة ليس مما يدخل على أحد فيها شبهة , وإن جاز أن تدخل في ضروب من تفصيلها وإلحاق غيرها بها ، وما نعلم عاقلا ً يتمكن من دفع العلم بقبح تقديم من ذكرناه في الكتابة ، ومن وصفنا حاله في الفقه ، وإذا كان ما ادعيناه معلوم ًا متقرر ًا في العقول , ولم نجد بقبحه علة إلا كون المرؤوس أفضل من الرئيس في الشيء الذي كان رئيسـ ًا فيه بدلالة ارتفاع القبح عند ارتفاع العلة بأن يكون المقدم هو الفاضل والمؤخر هو المفضـول ، وثبوته عند ثبوتها وجب قبح كل ولاية كان المتولي لها أنقص منزلة في الشيء الذي تولاه من المتولى عليه ، وإذا ثبت أن ّ الإمام لنا في جميع الدين وعلومه وأحكامه , وجب أن يكون

أفضل منا في جميع ذلك , وفي ثبوت كونه أفضل وأكثر ثوابـًا وجوب النص عليه ؛ لأنّ ذلك مما لا طريق إلى معرفته بالاختيار) [1375].

ويقول الطوسي : (إنّ الإمام حجة في الشرع ، فوجب أن يكون أكثر رعيته ثوابا كالنبي - صلى الله عليه وآله - ، فإنه إنما وجب ذلك فيه لكونه حجة في الشرع .

وأما الذي يدل على أنّه يجب أن يكون أفضل في الظاهر ما نعلمه ضرورة من قبح تقديم المفضول على الفاضل . ألا ترى أنّه يقبح من ملك حكيم أن يجعل رئيسـًا في الخط على مثل ابن مقلة ونظرائه من يكتب خطوط الصبيان و البقالين, ويجعل رئيسـًا في الفقه على مثل أبي حنيفة , و الشافعي[1376] وغيرهما .

والعلم بقبح ذلك ضروري لا يختلف العقلاء فيه ، ولا علة لذلك إلا أنّه تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه .

وإذا كان الله - تعالى -هو الناصب للإمام يجب أن لا ينصب إلا من هو أفضل في ظننا وعلمنا .

وإنما قلنا " إنه يجب أن يكون أفضل فيما هو إمام فيه " ؛ لأنّه يجوز أن يكون في رعيته من هو أفضل منه ,فيما ليس هو إمام فيه , ككثير من الصنائع والمهن وغير ذلك ، والمعتبر كونه أفضل فيما هو إمام فيه ... ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل لعلة وعارض ؛ لأنّ تقديمه عليه وجه قبح ، ومع حصول وجه القبح لا يحسن ذلك , كما لا يحسن الظلم ، وإن عرض فيه وجه من وجوه الحسن - ككونه نفعـًا للغير - لأنّ مع كونه ظلمـًا - وهو وجه القبح - لا يحسن على حال . ولو جاز أن يحسن ذلك لعلة لجاز أن يحسن تقديم الفاسق المتهتك على أهل الستر والصلاح ، وتقديم الكافر

على المؤمن لمثل ما قالوه ، وذلك باطل . ويجب أن يكون الإ مام عالم ًا بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة رعيته , و النظر في مصالحهم , وغير ذلك بحكم العقل) [1377].

ويقول ابن جبر تحت عنوان " الدليل على أفضلية الإمام " : (وأما الدليل على كونه أفضل وأعلم الناس بأحكام الشريعة , وبوجوه السياسة والتدبير ، فيدل عليه وجهان :

الأول : أنه مقدم في ذلك ، فيجب أن يكون أفضل . أما ا لأولى فبالإج‍ماع ؛ لأن ّ الكلام على هذا التقدير ، وأما الثانية ؛ فلأنه معلوم قبح تقديم المفضول على الفاضل فيما هو أفضل منه فيه . ألا ترى أنه يقبح تقديم ضعيف الخط على ابن مقلة وابن البواب [1378] في الخط ، وكذا يقبح تقديم المبتدئ في الفقه على أبي حنيفة والشافعي في الفقهيات ، وهكذا تق‍ديم المسترشد في

الأصول على أبي هاشم[1379] وأبي الحسين [1380] في الأصول .
وإنما قبح جميع ذلك ؛ لأنه تقديم المفضول على الفاضل فيما هو متقدم عليه فيه ، بدلالة أنّ من عرف ذلك عرف قبحه , وإن لم يعرف شيئا آخر ، ومن لم يعرف ذلك لم يعرف قبحه ، وإنما عرفه على أوصاف أخر سوى وجوه القبح . فيجب أن يكون تقديم المفضول على الفاضل فيما هو متقدم عليه هو وجه القبح لا غير . وهذا هو استدلال القوم على أنّ كون الفعل ظلمًا , أو القول كذبًا , وغيرهما من وجوه القبح هي المؤثرة في القبح لا غير , وإذا كان الأمر كذلك [1381], وكان الله – تعالى - هو الناصب للإمام وجب أن يكون أفضل ظاهر وباطن وأكثر ثوابًا ؛ لأنه - تعالى - مطلع على الباطن . والإمام إمام في الدين , وفيما يتعلق بتكليف المكلفين الذي الغرض فيه تعريضهم للمنافع الدينية ، فيجب أن يكون في ذلك أفضل منهم , وأن يكون أكثر ثوابًا منهم ...

فإن قيل : يجوز تقديم المفضول على الفاضل إذا كان في الفاضل مانع يمنع من تقديمه , وفي تقديم المفضول مصلحة .

فالجواب : لا يجوز ذلك ؛ لأنّ كون تقديم المفضول على الفاضل فيما هو أفضل منه فيه وجه قبح ، ومع ثبوت وجه القبح يقبح الفعل , وإن ثبت فيه عدة من وجوه الحسن ! ألا ترى أنّ الظلمة لما ثبت أنها وجه قبح لم يجز أن يحسن ظلم قط بسبب أن يكون فيه مصلحة لأحد , أو تناول نفع عاجل ...) [1382].

ب– عند المتأخرين :

يُعِد علي البحراني تقديم المفضول على الفاضل قبيحًا عقلا ً, فيقول : (ارتكز في العقول السليمة من قبح تقديم المفضول على الأفضل ولزوم العكس، وأيضً ا إن المقطوع به من سيرة الناس في الأعصار والأمصار من المسلمين والكفار استقباح تقديم أهل الغباوة والحمق في جميع الأمور التي لها شأن وخطر على ذوي الفطنة والذكاء ، وتقديم المتهورين على ذوي الآراء السديدة في المشورة , وإ حالة الرأي في عقد أو حل ، وتقديم من ليس كاملا ً ومتقنا ً في الصناعات والحرف على أولى الكمال والإتقان فيها ، وما ذاك إلا لاستقباح العقول تأخير الأفضل وتقديم المفضول ، فيثبت ذلك في الشرع , إذ لا تخالف بين العقل و الشرع في المعلومات)[1383].

وسئل محمد بن مكي هل يجوز تولية المفضول مع وجود الأفضل في إمامة الصلاة ؟ فأجاب : (جـوزه قـوم ، بخلاف الإمامة العظمى[1384]؛ لأنّ ما يفوت من مزيد الفضل فيها لا مستدرك له ، والقاضي يكتفي بمراقبة الإمام ، والوجه المنع حسما لمادة التخطي ، مع منع الآية من ذلك على الإطـ لاق)[1385] .

وعقب في " ذكرى الشيعة في أحكام الشيعة " على قول ابن أبي عقيل[1386]: (ولا يؤم المفضول الفاضل ولا الأعرابي المهاجر ولا الجاهل العالم) : (وقول ابن أبي عقيل بمنع إمامة المفضول بالفاضل , ومنع إمامة الجاهل بالعالم إن أراد به الكراهة فحسن , وإن أراد به التحريم أمكن استناده إلى أنّ ذلك يقبح عـقلا ً ،

وهو الذي اعتمد عليه محققو الأصوليين في الإمامة الكبرى ، ولقول الله تعالى : ...

, [يونس / 35] [1387],
وللخبرين المتق-دمين ف-ي كلام ابن بابويه) [1388].

يقول يوسف البحراني : (ظاهره احتمال التحريم في المسألة احتمالا قوي-ًا لمطابقة الدليل العقلي للدليل النقلي كتاب-ًا وسنة . وتقريب الاستدلال بالآية المذكورة أنها خرجت مخرج الإنكار على من يحكم بخلاف ذلك الذي هو مقتضى بديهة العقول السليمة ,كما يشير إليه قوله تعالى:
... ...) [1389] .

ويقول الإمامي علي عاشور تحت عنوان " قبح تقدم المفض-ول على الفاضل " : (إن ّ تقدم المفضول أو الجاهل على الفاضل أو العالم من الأمور التي يحكم العقل و العقلاء بقبحها ، بل الوجدان قاض ٍ بذلك ، غير أنّ ذهاب البعض إلى جوازه أو حسنه يستدعي بسط الأدلة للبرهنة عليه ... إما لأغراض شخصية , و إما لتبريرات - من رؤوس مذاهبهم - على صحة تقدم الخليفة الأول , و الثاني , و الثالث) [1390].

الأمر الثاني
تقديم أفضل الصحابة في مسألة الإم ـامة

أولا ً : من خلال الروايات الواردة في كتب الاثني عشرية :

يدعي الإمامية أنّ عليًا هو أفضل الصحابة , ونسبوا إلى النبي أنّه خطب بالناس يوم الغدير خطبة [1391] تثبت الإمامة لسيدنا علي وأبنائه من بعده, فقال : (اتقوا اللّه أيها الناس حق تقاته , ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعلموا أنّ اللّه بكل شيء محيط ، وأنّه سيكون من بعدي أقوام يكذبون علي فيقبل منهم ، ومعاذ اللّه أن أقول على اللّه إلا الحق , أو أنطق بأمره إلا الصدق ، وما آمركم إلا ما أمرني به , ولا أدعوكم إلا إلى اللّه ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ... عليكم بالسمع والطاعة للسابقين من عترتي والآخذين من نبوتي ، فإنهم يصدونكم عن الغي ويدعونكم إلى الخير ، وهم أهل الحق ومعادن الصدق ، يحيون فيكم الكتاب والسُّنة ، ويجنبونكم الإلحاد والبدعة ، ويقمعون بالحق أهل الباطل لا يميلون مع الجاهل .

أيها الناس ! خلقني وخلق أهل بيتي من طينة لم يخلق منها غيرها ، كنا أول من ابتدأ من خلقه ، فلما خلقنا نور بنورنا كل ظلمة وأحيا بنا كل طينة , ثم قال - صلى اللّه عليه وآله وسلم - هؤلاء خيار أمتي , وحملة علمي , وخزانة سري , وسادة أهل الأرض ، الداعون إلى الحق , المخبرون بالصدق غير شاكين, ولا مرتابين , ولا ناكصين , ولا ناكثين .

هؤلاء الهداة المهتدون , والأئمة الراشدون ، المهت ـدي من جاءني بطاعتهم وولايتهم ، والضال من عدل منهم وجاءني بعداوتهم ، حبهم إيمان , وبغضهم نفاق ، هم الأئمة الهادية وعرى الأحكام الواثقة ، بهم تتم الأعمال الصالحة ،

وهم وصية اللّه في الأولين والآخرين ، والأرحام التي أقسمكم اللّه بها إذ يقول : ...

, [النساء / 1] ثم ندبكم إلى حبهم فقال : ...

... , [الشورى / 23] .

هم الذين أذهب اللّه عنهم الرجس , وطهرهم من النجس ، الصادقون إذا نطقوا, العالمون إذا سئلوا ، الحافظون لما استودعوا .

جمعت فيهم الخلال العشر , لم تجمع إلا في عترتي وأهل بيتي : الـحلم , والعلم , والنبوة , والنبل , والسماحة , والشجاعة , والصـدق , والطهارة , والعفاف , والحكم .

فهم كلمة التقوى , ووسيلة الهدى , والحجة العظمى , و العروة الوثقى ، هم أولياؤكم عن قول ربكم ، وعن قول ربي ما آمرتكم ...) [1392] .

ويستنبط الإمامي حامد النقوي مواضع الأفضلية من الخطبة , فيقول :

(إنه أمر أمته بالسمع والطاعة لهم , وهذا يستلزم الإمامة والخلافة بلا ريب، إذ لا يعقل أن يكون المأمور بالإطاعة إمامًا والمطاع مأمومًا...

ووصفهم بالسابقين . وهذا الوصف يستلزم الأفضـلية , وهي تستلزم الإمامة...

وقوله : "يحيون فيكم الكتاب والسُنة , ويجنبونكم الإلحاد والبدعة , ويقمعون بالحق أهل الباطل لا يميلون مع الجاهل " يدل على الأفضلية بوضوح.

وقوله : " خلقني وخلق أهل بيتي من طينة لم يخلق منها غيرها " دليل على الأفضلية.

وقوله : " كنا أول من ابتدأ من خلقه " دليل على الأ فضلية [1393].
وقوله : " نور بنورنا كل ظلمة " دليل على الأفضلية.
وقوله : " هؤلاء خيار أمتي " دليل على الأفضلية.
وقوله : " حملة علمي" دليل على الأفضلية والأعلمية.
وقوله : " سادة أهل الأرض " صريح في الأفضلية...
وقوله : " جمعت فيهم الخلال العشر ... الحلم , والعلم , والنبوة ...[1394] " دليل الأفضلية المطلقة) [1395].

ومما ينسبه الإمامية إلى ابن عباس أته قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - (ما أظلت الخضراء , ولا أقلت الغبراء بعدي أفضل من علي بن أبي طالب ...) [1396].

ونسبوا إلى النبي أته قال : (يا علي أنت أفضل أمتي فضلا ً, وأقدمهم إسلامـًا , وأكثرهم علمـ ًا) [1397].

ونسبوا إلى الباقر أته قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - : (فضلوا عليـ ًا , فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى) [1398] .

ومن ذلك ما نسب إلى رسول الله أته قال : (علي مني كمنزلتي من ربي) [1399]... إلى غير ذلك من الروايات التي تدل – حسب معتقدهم - على أفضلية علي على الأمة بعد رسول الله , وبالتالي تدل عندهم على استحقاقه الإمامة .

ونسبوا إلى علي بن أبي طالب أنّه قال :

لقد علم الأناس بأنّ سهمي * من الإسلام يفضل كل سهم
وإني قائد للناس طرا * إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس * وجبار من الكفار ضخم
فمن منكم يعادلني بسهمي * وإسلامي وسابقتي ورحمي
؟[1400]

ولقد شرح الميبذي[1401] هذه الأشعار في شرحه المسمى بـ " الفواتح " , ثم ذكر في نهاية شرحه للأشعار عن الإمام علي بن أحمد الواحدي [1402]عن أبي هريرة : أنّ أمير المؤمنين أنشأ هذه الأبيات في حضور أبي بكر, وعثمان , وطلحة [1403] , والزبير [1404], والفضل بن العباس [1405], وعمار [1406] , وعبد الرحمن [1407], وأبي ذر , والمقداد , وسلمان , وابن مسعود ... [1408]

ويرى الاثنا عشرية أنّ هذه الأبيات تدل على أفضلية علي من وجوه :

1- قوله :" لقد علم الأناس بأنّ سهمي من الإسلام يفضل كل سهم" فإن هذا القول نص صريح في أفضليته من غيره مطلقـًا !

2- قوله: " وإني قائد الناس طرا ..."فيه دلالة على أنّه هو السبب في إسلام جميع الناس من عرب ومن عجم ، فهو إذن أفضلهم مطلقـًا !.

3- قوله :" وقاتل كل صنديد ..."فيه دلالة على أفضليته ؛ لأن ّ من عمدة أسباب قوة الدين قتل الكفار والمعاندين !

4- قوله:" فمن منكم يعادلني بسهمي..." فيه دلالة على أفضليته[1409] !

ثانيًا : من خلال أقوال علماء الاثني عشرية الواردة في كتبهم :

أ – عند المتقدمين :

يرى المفيد أنّه متى ثبتت الأفضلية لسيدنا محمد على سائر البشر ثبتت الأفضلية لسيدنا علي على سائر البشر ، لدلالة الحكم بأنّه منه في آية المباهلة, فوجب أن يكون مساويًا له في الأحكام كلها إلا ما أخرجه الدليل[1410].

ويقول الطوسي : (إنّ من شرط الإمام أن يكون معصومًا على الجملة –أي إمام كان ولم نعينه –فإذا علمنا بذلك إمامته علمنا عصمته على التعيين ... وكل من قال بإمامة أبي بكر , أو بإمامة العباس لم يجعل من شرط الإ مامة العصمة , فينبغي أن نسقط قول الفريقين , ويبقى قول القائلين بإمامة علي ... فالقائلين بكون أبي بكر أفضل يقولون إنه أفضل في الظاهر وعلى غالب الظن, فأما على القطع والثبات عند الله فليس بقول لأحد , ومتى نازع فيه منازع دللنا على أنّ عليًا أفضل الصحابة ليسقط خلافه ...

إلى أن قال : وهذه طرق عقلية اعتبارية لايمكن إفسادها إلا بالمنازعة في الأصل الذي بني عليه , والخلاف في ذلك يكون كلامًا في مسألة أخرى) [1411].

وإلى هذا ذهب المرتضى , فبعدما استدل بحديث الطائر

المشوي [1412] قال : (وفي ذلك برهان على فضل أمير المؤمنين على الخلق كلهم سوى النبي – صلى الله عليه وآله -) [1413].

ب– عند المتأخرين :

يتمسك علامة الإمامية الحلي بما نسبه الثعالبي [1414] إلى ابن عمر : (كان لعلي ثلاثة ،لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم ، تزويجه بفاطمة - عليهما السلام - ، وإعطاؤه الرايـة يوم خيبر[1415] ، وآيـة النجوى [1416]) [1417].

ثم قال : (...وهذا يدل على أفضليته عليهم ، فيكون أحق بالإمامة) [1418].

وكذلك تمسك بما رواه أبو نعيم[1419]في قوله تعالى:

, [البقرة / 43] ، بسنده

عن ابن عباس : أنها نزلت في رسول الله وعلي خاصة ، ثم قال : (وهو يدل على أفضليته ، فيدل على إمامته) [1420].

ويقول المرعشي في قوله تعالى :

,

[1421][السجدة / 18] : (الآية دالة على أفضليته وأولويته للإ

إمامة، لعدم استواء الفاسق وغير الفاسق عند الله – تعالى - , والثلاثة المتقمصون للخلافة كانوا فاسقين ظالمين كافرين قبل الإسلام اتفاقـًا , فلا يكونون مستحقين للخلافة...)[1422].

ويقول محمد طاهر القمي الشيرازي[1423] : (مما يدل أيضـًا على أفضليته أنه كان عادلا ً صالحا ً تقيـًا ، و الخلفاء الثلاثة كانوا ظالمين فاسقين ...)[1424] .

ويقول في تفضيل سيدنا علي خاصة دون بقية الصحابة: (مما يدل على أفضليته أنّ النبي - صلى الله عليه وآله - اختاره بين كل الصحابة للأخوة[1425],ومما يدل على أفضليته ما ورد أنه خير البرية[1426]....................

..........) [1427].

ويذهب المجلسي إلى ما ذهب إليه المفيد , فيقول : (لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين وزوجته وولديه - عليهم السلام - في المباهلة ، وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد ، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول ، وهذا ما لا يدانيه أحد ولا يقاربه ... وكونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله ، يكونون أفضل من غيرهم ، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم ...) [1428].

أما الحر العاملي فجعل تفضيل علي من ضروريات المذهب الاثني عشري فقال : (من ضروريات مذهب الإمامية أنّ الإمام والنبي -صلى الله عليه وآله - كل منهما أفضل وأكمل من جميع الجن والإنس في العلم والمعرفة بالله , ويعتقدون قبح تقديم المفضول على الفاضل فضلاً عن الأفضل) [1429].

ويقول ابن ميثم البحراني في علي بأنه: (أفضل الخلق بعد محمد , وأما أنّ كل من كان أفضل فهو أولى بالخلافة , وأحق بالتقديم فهي مقدمة جلية غنية عن البيان ، إذ كان قبح تقديم المفضول على الفاضل فيما يحتاج إليه في التقديم مركوزا في بداية العقول) [1430].

وعقّب الماحوزي على توقف علامة الشيعة الحلي في مسألة تفضيل الأئمة على أولي العزم من الرسل , حيث قال : (قال العلامة الحلي : (أجمعت الإمامية أنّ علياً بعد

نبينا أفضل من الأنبياء غير أولي العزم ، وفي تفضيله عليهم خلاف ، وأنا في ذلك من المتوقفين انتهى) [1431]. أقول : لا ينبغي التوقف في ذلك بعد تصريح الأخبار به ، وفي هذا الخبر وغيره شهادة قاطعة به ، واستبعاد المخـالفين ذلك دفع للأخبار بالراح) [1432].

ويقول في موضع آخر ما يؤيد مذهبه: (إن ّ أمير المؤمنين والأئمة من أولاده - عليهم السلام- أعظم وأفضل من جميع الأنبياء والأولياء...وقد صرح بذلك من أصحابنا المتألهين السيد العارف المحقق الأوحدي حيدر بن علي الآملي[1433] في كتابه الموسوم " بجامع الأسرار ومنبع الأنوار"، و إليه أشار الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي في الفص العزيزي والفص النبوي من كتاب فـصوص الحكم..[1434]وإذا عرفت أنّ كل واحد من الأولياء إنما يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانية نبيه،وجب أن يكونوا أفضل من الأنبياء ، وأكمـل وأتم في مقام الوحدة ...) [1435].

ويبرر علي الميلاني سبب أفضلية سيدنا علي على باقي الصحابة بأنّه فرع عن نور سيدنا محمد [1436],كما أنّه تربى في حجره [1437],وبسبب تقدمه في الخلق فإنه كالنبي أفضل من غيره ،وجميع الخلائق مخلوقون لأجله أيضًا [1438] [1439].

ويستدل أحمد الرحماني الهمداني على أفضلية سيدنا علي وبالتالي على إمامته بما نسب إليه : (سلوني قبل أن تفقدوني , سلوني عن طرق السماوات فإني أعلم بها من طرق الأرض ، فجاء جبرائيل في صورة رجل ، فقال : إن كنت صادقـًا فأخبرني أين جبرائيل ؟ فنظر إلى السماء يمينًا وشمالاً ، ثم إلى الأرض فقال : ما وجدته في السماء ولا في الأرض ولعله أنت)[1440].

المبحث الثاني

نقد دليل الأفضلية ومناقشته

وفيه مطالب :

المطلب الأول : نقد دليل الأفضلية بالدليل العقلي.

المطلب الثـاني : نقد دليل الأفضلية من كتب الإمامية .

المطلب الثالث : نقد دليل الأفضلية من القرآن والسُنة .

المطلب الرابـع : نقد دليل الأفضلية بمنهج الصحابة .

المطلب الخامس : نقد دليل الأفضلية من أقوال علماء أهل السُنة .

المطلب الأول

نقد دليل الأفضلية بالدليل العقلي

يتجلى الرد العقلي على دليل الأفضلية الذي استدل به الاثنا عشرية على الإمامة باعتباره دليلا ً عقليـًا عليها بعدة أمور منها:

الأول : بالرغم من أنّ أكثر الروايات الواردة في صفات الإمام , وفي صفات الإمامة سندها ضعيف أو معدوم ! فقد استنبط متأخرو الاثني عشرية منها دليل الأفضلية , وادّعوا أنّ من مقدماته ضرورة أفضلية الإمام على غيره من رعيته !

الثاني : دلالة الروايات التي تدل على أفضلية الإمام على غيره من رعيته ضعيفة بالنسبة لما ادّعاه الاثنا عشرية لأئمتهم ؛ وذلك لأنّ مسألة تطبيق هذه الصفات على غير الأئمة الاثني عشرية أمر ممكن عقلا ً , ووارد واقعًا , فالناظر مثلا ً في سيرة الصديق والفاروق , وذي النورين يرى مدى تحقق الكثير من الصفات فيهم .
وكذلك بالنسبة لتحقق غايات الإمامة وأهدافها , فقد ساهمت الفتوحات التي وقعت في عهد سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان في نشر الإسلام , وإثبات دعائمه في كثير من الأمصار .
ومن المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ , وأحداثه المستفيضة المعلومة بالتواتر حال الصحابة جميعـًا ، وأنّهم لم يـؤثـروا على الله شيئـًا ، فقد بلغ المكروه بهم كل مبلغ ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيـّدَ الله تعالى بهم نبيـّ

٥ ، وأظهر بهم دينه .
الثالث : ذهب الإمامية إلى أنّ الإمام إذا لم يكن أفضل وأعلم أهل زمانه لم يحصل الوثوق بقوله ، لجواز أن يكـون الهلاك والمعصية في قوله ؛ لأنّ المقصود من نصب الإمام حفظ الأمة ، فإذا أمر غير ا لأعلم وغير الأصلح بالخطأ وقعت الفتنة ، والفتنة اختلال لأمور الأمة !
أقول : هذا مخالف لواقع كبار أئمتهم علي وابنه الحسين – رضي الله عنهما – فقد خاضا حروبـًا بين المسلمين , ووقعت بينهما وبين أعلام الصحابة الفتنة ! وذهب إثر ذلك أرواح الكثير من الناس مما أدى إلى اختلال أمور الأمة في عصريهما [1441]!

الرابع : أما قولهم : إنّ الله أمر بإطاعة الإمام فإذا لم يكن الأعلم والأفضل جاز عليه الوقوع بالخطأ والله - تبارك وتعالى - لا يأمر بالخطأ !
أقول : إنّ الأفضلية لا تقتضي العصمة على الإطلاق ! ولا يعد كل ذي فضل معصومـًا البتة ! ولم يقل بذلك حتى علماء الاثني عشرية أنفسهم في الصحابة الذين يقرون بإيمانهم ؛ لورود العديد من فضائلهم .

الخامس : وقولهم : إن لم يكن الإمام الأفضل , لم تتحقق فائدة الخليفة في تكميل قوى العلم والعمل لسائر الناس , ومراتب الناس مختلفة ، فلابد للخليفة من تكميل كل فرد على حسب استعداده ، وهذا يوجب كون الخليفة قد بلغ إلى نهاية الكمال البشري , وجمع القوتين العلمية والعملية بكل مراحلها , وهو الأفضل !

أقول : الناظر بعين الإنصاف يرى أنّ مثل الأمر لم يتحقق طول فترة وجود أئمتهم من عهد سيدنا علي إلى يومنا هذا على فرض صحة وجود إمام في زمننا ؛ إذ لم تستفد منه البشرية على الإطلاق – حتى الشيعة أنفسهم – !

السادس : دعواهم بأته لما كانت طاعة الإمام واجبة على الجميع ولا يجب عليه طاعة أحد ، كانت نفسه أكمل من نفس الكل ، وعلمه أغزر من علم الكل ، وزهده أعظم من زهد الكل ، وتقواه أقوى من تقوى الكل ، لذا هو أفضل من الكل – كما زعموا - ! ففاسد .
وذلك لأنّ سيدنا علي قد أطاع الخلفاء الثلاثة , وانضم إلى رعيتهم , وتحت رايتهم , وقام بمبايعتهم وهذا متفق عليه ، وبيعته تعتبر إقرار ًا بشرعية الخلفاء الذين سبقوه , وهذا الإقرار حجة على المنتسبين إليه بهتانـًا وزورًا !

السابع : فإن قالوا : إنّ بيعة علي كانت خوفـًا على الإسلام من الضياع !
أقول : إن ّ عصر الإسلام في عهد أبي بكر وعمر وعثمان كان عصر ًا ذهبي ًا امتدت فيه الخلافة من بخارى شرق ًا إلى شمال إفريقيا غرب ًا.
فإن قالوا : بايع علي الخلفاء الثلاثة – مع أفضليته عليهم - ؛ لعدم إراقة الدماء , وخوفـًا على الناس من الفتنة !
أقول : لكننا نراه بعد عثمان أخذ الأمر وبايعه الناس الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة من قبله ! وقـَبـِل َ هو ببيعتهم , ولم يتخذ موقفـًا منهم , ولو

كانت الإمامة منصبـًا إلهيـًا لما رضي بمن وضعوا أيديهم في أيدي من غصبوه الخلافة , وفي أيدي من عاونوهم في ذلك – على حد تعبير الاثني عشرية- !

ثم لماذا لم يفهم سيدنا الحسين موقف سيدنا علي , ولماذا لم يعمل مع سيدنا معاوية مثلما عمل أبيه مع الخلفاء الثلاثة وحقن دماء المسلمين ؟!

الثامن : فإن ادعوا بأنّ عليـًا بايعهم تقية ، أي أظهر لهم الموافقة ظاهر ًا , وأسر في قلبه عدم الرضى عن خلافتهم وبيعتهم !
فأقول : إنّ هذا أقبح من الذي قبله ، إذ يجعل من شخصية علي شخصية مزدوجة خائفة جبانة مضطربة تتظاهر بخلاف ما تبطن , وهذا ما لا يعهد عنه لمن يعرف شجاعته الفائقة , بل من شدة شجاعته نام بفراش النبي ليلة خروجه من مكة مهاجرًا , ولم يخف علي من أهل مكة قاطبة ! فهل يخاف أن يصدع بالحق , ويأخذ الخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان , أو حتى ينكرها عليهم ! وقوته في الحق ظاهرة لمن يقرأ التأريخ – عند كلا الفريقين - !

ثم إن كان منكرًا لخلافتهم على صمت ! فلماذا مكث وزير ًا لهم طيلة خمس وعشرين سنة من خلافتهم ؟ إنه لمن الصعب الاعتقاد أته كان يستخدم التقية طيلة تلك الفترة !

التاسع : أما قولهم : إنّ الإمام المفضول لا يحبه الله – تبارك وتعالى ، وكل من لا يحبه الله مخالف للنبي , وغير متبع له !

فهذا من أقبح الأقوال , وأشدها فسادا ؛ إذ يستلزم مخالفة البشرية للنبي , وبالتالي لا يحبهم الله – تبارك وتعالى -, وتقتصر الجنـة على أئمتهم فقط !

وإن قالوا بل كل من يتبع النبي يحبه الله .
أقول : بالتالي يكون فاضلا ً , والفاضل – على حسب قولهم - إمام , فتعدت الإمامة الاثني عشرية الذين يعتـقدون الاثني عشرية الإمامة فيهم .

العاشر : أما دعوى الاثني عشرية بأنّ النبي أمر أمته بالسمع والطاعة للأئمة , وهذا يستلزم الإمامة و الخلافة بلا ريب، إذ لا يعقل أن يكون المأمور بالإ طاعة إمام ًا , والمطاع مأموم ًا !
فأقول : جلّ ما تمسك به الاثنا عشرية من روايات عن النبي ضعيف , والثابت أنّ الطاعة لله ولرسوله مطلقة ,ولأولي الأمر مقيدة واحتمال منازعتهم ومنازعة المعصوم ممنوعة,كما في قوله:

, ولو كانت طاعة الأئمة واجبة لما ذكر التنازع وأمر برده إلى غيرهم .
الحادي عشر : أما ما ادّعوه الإمامية بأنّ النبي وصف أئمتهم بالـسابقين , وبسبب هذا الوصف ثبتت الأفضلية , وهي تستلزم الإمامة !
فأقول : وصف الباري - تبارك وتعالى - المهاجرين وا لأنصار بالسابقين فقال :

,
[التوبة / 100] . فالمهاجرون والأنصار لما أطاعوا اللّٰه - تبارك وتعالى - , وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه , أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه , وإيمانهم به , وبنبيه - عليه الصلاة والسلام - , وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خ الدين فيها لابثين فيها أبدًا لا يموتون فيها , ولا يخرجون منها , وذلك هو الفـوز العظيم [1442] . فهل معنى هذا أنّ المهاجرين والأنصار السابقين الأولين كلهم أئمة ؟!

الثاني عشر : أما ما ورد في رواياتهم بأنّ أئمتهم يحيون الكتاب والسُّنة, ويجنبونهم الإلحاد والبدعة , ويقمعون بالحق أهل الباطل مما يدل على أفضليتهم , وبالتالي يدل على إمامتهم !
فأقول : الناظر في سيرة أئمتهم , ومـن كتب أتباعهم يرى أنّهم كانوا في صف أهل الباطل– على حد وصف الاثني عشرية - ؛ فقد بايع علي الخلفاء الثلا ثة , وكان وزيرًا لهم , وهم عند الاثني عشرية فسّاق أو كفار , ثم تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية , ولم يتمسك بالإمامة مع أنّها أصل من أصول الدين , كما يدعي الاثنا عشرية , ومعاوية عندهم كافر , فهل هذا قمع لأهل الباطـل , وعدم الميل مع الجاهل ؟!

الثالث عشر : أما دعواهم بأنّ من أدلة الأفضلية أنّ الله خلق النبي وأهل بيته من طينة لم يخلق منها غيرهم !
فأقول : دعوى كاذبة , فإنّ الله يقرر في كتابه أنّه خلق جميع الخلق من آدم , وآدم من تراب , ولم يميز أحدًا في تربته عن أحد .

الرابع عشر : أما قولهم : إنّ الله – تعالى -ينور بأئمتهم كل ظلمة !
فأقول : لو كان كذلك لخصّ الباري - تبارك وتعالى - ذكر آل محمد في كتابه , ووصفهم بأنّهم يخرجون الناس من الظلمات إلى النور, فالله تعالى يقول :

, [البقرة/257] , وقال :

.

ثمّ أين الظلمة التي نوروها في تاريخهم الطويل ؟!

الخامس عشر : كذلك وصفهم أئمتهم بأنّهم خيار أمتهم ! فاسد ؛ لأنّ الباري - تبارك وتعالى - قد وصف هذه الأمة بالخيرية , ولم يخص بذلك آل محمد , فقال:

.

السادس عشر : أما دعواهم بأنّ من أدلة الأفضلية أنّ

أئمتهم هم حملة العلم !
فأقول : أين العلم الذي حملوه وبلغوه للأمة ؟! فلا فضل لهم في حمله؛ لأنّهم لم يبلغوه , بل على العكس ففيما ادعاه الاثنا عشرية لأئمتهم ذمـًا لهم ؛ وذلك لأنّ الباري -تبارك وتعالى - قد توعد كاتم العلم باللعن , فقال :

, [البقـرة /159] , وقال أيضًا متوعدهم :

,

[البقرة/174].

السابع عشر : أما دعواهم بأنّ من أدلة الأفضلية كون أئمتهم سادة أهل الأرض !
فأقول : ساد سيدنا محمد ومن معه من أصحابه الأرض , ولم يخص الله- تبارك وتعالى- آل بيته دونهم , إذ يقول :

,[الفتح /29].

الثامن عشر : أما دعواهم بأنّهم قد فـُضلوا على غيرهم بسبب جمعهم لكثير من الصفات كالحلم , و العلم , والنبوة , والنبل , والسماحة , والشجاعة , و

الصـدق , والطهارة , والعفاف , والحكم !
فأقول : اتصف الكثير من صحابة رسول الله بكثير من هذه الصفات , بل كانت تجتمع أكثر من صفة في أحدهم , وهذا ملاحظ من سيرتهم , فهل هذا دليل على أفضليتهم , وبالتالي دليل على إمامتهم ؟!
أما وصفهم لهم بـ " النبوة " فهذا من الكذب بل من الكفر أن يدعي لرجل النبوة بعد نبينا محمد , وهو خاتم النبيين .
وأما وصفهم بـ " الشجاعة " فالشيعة أول من يكذب هذه الدعوى إذ نسبوا إليهم إخفاء الحق خوفـًا , وجبنـًا حتى اعتذروا لهم بالـتقية , وهذا مخالف للشجاعة !

التاسع عشر : أما ما ورد في آية المباهلة :

,
[آل عمران /61] , والاحتجاج قائم في هذه الآية عند ا لاثني عشرية على الإمامة على أساس أن ّ لفظ (أنفسنا) يقتضي المساواة بين النبي وبين سيدنا علي في الولاية العامة إلا النبوة ؛ لأنّ علياً هنا صار نفس النبي .
فأقول : هذا الاستنباط غير صحيح ؛ والدليل على عدم صحته أنّ الله – تعالى - استعمل اللفظ نفسه في غير المتساوين .كما في قوله تعالى:

, ...
[النور/12] والمؤمنون غير متساوين في كل شيء !

وكذلك قوله:

, [البقرة/84] وهؤلاء ليسوا
متساوين، وليس أحدهم هو نفس الآخر.
وقوله:
,
[الحجرات/11] أي لا يلمز بعضكم بعضًا ، وهذا لا
يستلزم مساواة اللامز لمن لمزه .
وقولـه :

والناس غير متساوين , وقد خلقوا من
نفس واحدة! وحواء لا تساوي آدم , وقد خلقت
من نفسه!

فلو كان علي خلق من نفس محمد لما استلزم
ذلك مساواته به!
وكذلك قوله:

... , [آل
عمران/164] ,وقوله:

,
فعلى مذهبهم فنبينا محمد مساوٍ للمشركين , وهم
مسـاوون له ؛ لأنه من أنفسهم , وهذا باطل , فلفظ
النفس إنما تدل على الجنس لا على الجزئية .
وكذلك قوله:

, [الروم/21] . وهذه عامة في النبي وغيره.

ولو جردنا اللفظ من فحواه وفسرناه تفسيراً لفظيً ا لقلنا : إن ّ الزوجة مخلوقة من نفس الزوج فهي جزء منه، والجزء أدل على التجانس والمساواة بجزئه. فقول الله تعالى :
يحمل على فحواه لا على لفظه المجرد. واللفظ لغة لا يعني المساواة بأي حال من الأ حوال. ولو قال مجموعة من الأشخاص لأحدهم: (أنفسنا فداك) لما خطر ببال أحد أنّهم متساوون في كل شيء.

ثم إنّ سيدنا عليً ا لم يحتج بهذه الآية , والإ مامية لا يقبلون حجة إلا قول المعصوم ! وتفسيرهم هذا للآية لم يقل به رسول الله المتفق على عصمته ، ولا علي الذي يعتقدون عصمته، وإلا لكان هو أول المحتجين به , ولنازع القائمين بالأمر , واحتج عليهم بهذه الآية وأمثالها، ولما انتظر ربع قرن حتى تؤول الخلافة إليه بالبيعة وهو مكره , إذ يقول: (دعوني والتمسوا غيري ...وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميرً ا) [1443].

أما لماذا اختار النبي هؤلاء الأ ربعة : علياً , وفاطمة , والحسن, والحسين للمباهلة دون غيرهم ؟ فالأسباب خارجة عن موضوع الإمامة. وإلا فلو كان الاختيار دليلا ً على الإمامة لاستلزم إمامة السيدة فاطمة - رضي الله عنها - ! والإمامية لا

يعتقدون بإمامة النساء . إذن لا علاقة للآية بالإمامة .[1444]

العشرون : أما تمسكهم بحديث إعطاء النبي الراية لعلي , والاستدلال به على أفضليته على غيره من الصحابة ففاسد .

وذلك لأنّ الحديث وإن كان فيه فضل لسيدنا علي إلا أنّه لا دلالة فيه على اختصاصه بالإمامة , وما قاله الإمامية في جوابه وجوه :

أولاً : لا يلزم إذا كان الفتح المعين على يديه أن يكون أفضل من غيره , فضلاً عن أن يكون مختصاً بالإمامة , وإلا لصرح النبي بإمامته .

ثانيًا : لا نسلم أنّ هذا يوجب التخصيص , كما لو قيل : لأعطين هذا المال رجلاً فقيرًا , أو رجلاً صالحًا , و لأدعون اليوم رجلاً مريضًا صالحًا , أو لأعطين هذه الراية رجلاً شجاعًا , و نحو ذلك , فلم يكن في هذه الألفاظ ما يوجب أنّ تلك الصفة لا توجد إلا في واحد , بل هذا يدل على أنّ ذلك الواحد موصوف بذلك , مع إمكانية اتصاف غيره بها , و لهذا لو نذر شخص أن يتصدق بألف درهم على رجل صالح أو فقير , فأعطى هذا المنذور لواحد , لم يلزم أن يكون غيره ليس كذلك , ولو قال : أعطوا هذا المال لرجل قد حج عني , فأعطوه رجلا لم يلزم أن غيره لم يحج عنه .

ثالثًا : أنّه لو قدر ثبوت أفضليته في ذلك الوقت فلا يدل ذلك على أنّ غيره لم يكن أفضل منه بعد ذلك .

رابعـًا : أنّه لو قدرنا أفضليته لم يدل ذلك على أنّه إمام معصوم , منصوص عليه , بل كثير من الشيعة الزيدية , ومتأخرو المعتزلة وغيرهم يعتقدون أفضليته , ويقررون أن ّ الإمام هو أبو بكر , وتجوز عندهم ولاية المفضول على الفاضل , وهذا مما يجوزه كثير غيرهم ممن يتوقف في تفضيل بعض الأ ربعة على بعض , أو ممن يرى أن ّ هذه المسألة ظنية , ليس فيها دليل قاطع على فضيلة واحد معين .[1445]

ثم إذا كان حديث الراية دليلا ً على إمامة علي بعد النبي , فإعطاء علي بن أبي طالب الراية لا بنه محمد بن الحنفية يوم الجمل دليل قوي تثبت به إمامته , حيث سلم له الراية , وقال : (أنت ابني حقاً) [1446], ويرون أنّ ترك إعطاء الراية للحسين والحسين ما هو إلا دليل على تقدم ابن الحنفية عليهما , حيث كانا حاضرين ولم ينالا هذا الفضل !

الحادي والعشرون : أما ما استدل به الاثنا عشرية على أفضلية علي بسبب آية النجوى , فالجواب عليه من وجوه :

أولا ً : الأمر بالصدقة لم يكن واجبـًا على المسلمين حتى يكونوا عصاة بتركه , وإنما أمر به من أراد النجوى , واتفق أنّه لم يرد النجوى إلا علي , فتصدق لأجل المناجاة , وهذا كأمره بالهدي لمن تمتع بالعمرة إلى الحج , وأمره بالهدي لمن أحصر , وأمره لمن به أذى من رأسه بفدية من صيام أو صدقة أو نسك , وكأمره لمن كان مريضـًا أو على سفر بعدة

من أيام أخر , وكأمره لمن حنث في يمينه بإطعام عشرة مساكين , أو كسوتهم , أو تحرير رقبة , وكأمره إذا قاموا إلى الصلاة أن يغسلوا وجوههم وأيديهم إلى المرافق , وكأمره إذا قرأوا القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم , ونظائر هذا متعددة .

ثانيـًا : الأمر المعلق بشرط إذا لم يوجد ذلك الشرط إلا في حق واحد لم يؤمر به غيره , وهكذا آية النجوى , فإنه لم يناج ِ الرسول قبل نسخها إلا علي , ولم يكن على من ترك النجوى حرج , فمثل هذا العمل ليس من خصائص الأئمة , ولا من خصائص علي , ولا يقال إن ّ غير علي ترك النجوى بخلا ً بالصدقة ؛ لأنّ هذا غير معلوم فإن ّ المدة لم تطل , وفي تلك المدة القصيرة قد لا يحتاج الواحد إلى النجوى .

ثالثـًا : على تقدير أن ّ هذا كان يخص بعض الناس , فلم يلزم أن يكون أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما – منهم , كيف وأبو بكر قد أنفق ماله كله يوم رغب النبي في الصدقة , وعمر جاء بنصف م اله بلا حاجة إلى النجوى .
فكيف يبخل أحدهما بدرهمين أو ثلاثة يقدمها بين يدي نجواه , وقد روى زيد بن أسلم عن أبيه , قال : سمعت عمر يقول : أمرنا رسول الله أن نتصدق , فوافق ذلك مالا ً عندي , فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومـًا فجئت بنصف مالي , فقال رسول الله : (ما أبقيت لأهلك يا عمر ؟) فقلت : مثله . ق ال : وأتى أبو بكر بكل مال عنده , فقال : (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟) , فقال : أبقيت لهم الله

ورسوله . فقـلت : والله لا أسبقك إلى شيء أبدً ا[1447] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
(الجواب أن يقال أما الذي ثبت فهو أن عليا تصدق و ناجى ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره , لكن الآية لم توجب الصدقة عليهم , لكن أمرهم إذا ناجوا أن يتصدقوا , فمن لم يناج لم يكن عليه أن يتصدق و إذا لم تكن المناجاة واجبة لم يكن أحد ملوما إذا ترك ما ليـس بواجب , و من كان فيهم عاجزا عن الصدقة , و لكن لو قدر لناجٍ , فتصدق فله نيته و اجره و من لم يعرض له سبب يناجي لأجله لم يجعل ناقصً ا, و لكن من عرض له سبب اقتضى المناجاة فتركه بخلا فهذا قد ترك المستحب , و لا يمكن أن يشهد على الخلفاء أنهم كانوا من هذا الضرب , و لا يعلم أنهم كان ثلاثتهم حاضرين عند نزول هذه الآية , بل يمكن غيبة بعضهم , و يمكن حاجة بعضهم , و يمكن عدم الداعي إلى المناجاة , و لم يطل زمان عدم نسخ الآية حتى يعلم أن الزمان الطويل لا بد أن يعرض فيه حاجة إلى المناجاة , و بتقدير أن يكون أحدهم ترك المستحب , فقد بينا غير مرة أن من فعل مستحبً ا لم يجب أن يكون أفضل من غيره مطلقً ا)[1448].

الثاني والعشرون : أما ما ادعاه الاثنا عشرية من الفضل لسيدنا علي , وأنّ قوله تعالى:

نزلت في
رسول الله , وفي علي خاصة, وبالتالي تدل على

إمامته !

فأقول : الجواب عليه من وجوه :
أولا : لا نسلم صحة هذا , ولم يـُذكر دليلا ًعلى صحته , ومجرد رواية أبي نعيم ليست بحجة باتفاق طوائف المسلمين .

ثانيـًا : أنّ الحديث الذي ذكره أبو نعيم سببـًا لهذه الآيةكذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

ثالثـًا : أنّ هذه الآية في سورة البقرة , وهي مدنية باتفاق المسلمين, وهي في سياق المخاطبة لبني إسرائيل , وسواء كان الخطاب لهم , أو لهم وللمؤمنين فهو خطاب أنزل بعد الهجرة , وبعد أن كثر المصلون والراكعون , ولم تنزل في أول الإسلام حتى يقال أنها مختصة بأول من صلى وركع .

رابعـًا : أنّ قوله :
صيغة جمع , ولو أريد النبي وعلي , لقيل مع الراكعيَن بالتثنية , وصيغة الجمع لا يراد بها اثنان فقط باتفاق الناس , بل إما الثلاثة فصاعدًا , وإما الاثنان فصـاعدًا , أما إرادة اثنين فقط فخلاف الإجماع .

خامسـًا : قال الباري - تبارك وتعالى - للسيدة مريم :

,
[آل عمران / 43] , ومريم كانت قبل الإسلام , فعلم أنهم كانوا راكعين قبل الإسلام , وليس فيهم علي ,

فكيف لا يكونون راكعين في أول الإسلام , وليس فيهم علي , وصيغة الاثنين واحدة ؟!

سادسـًا : أنّ الآية مطلقة لا تخص شخصـ ًا بعينه , بل أمر الرجل المؤمن أن يصلي مع المصلين , وقيل المراد به : الصلاة في الجماعة ؛ لأن ّ الركعة لا تدرك إلا بإدراك الركوع .

سابعـًا : أنـ ّه لو كان المراد الركوع معهما لانقطع حكمها بموتهما , فلا يكون أحد مأمور ًا أن يركع مـ ع الراكعين .

ثامنـًا : إن ّ قول القائل : إنّ عليـ ًا أول من صلى مع النبي ممنوع, بل أكثر الناس على خلاف ذلك , وأن ّ أبا بكر صلى قبله .

تاسعـًا : أنـ ّه لو كان أمر ًا بالركوع معه لم يدل ذلك على أنّ من ركع معه يكون هو الإمام ,فإن ّ عليـ ًا لم يكن إمامـ ًا مع النبي , وكان يركع مع ـه [1449].

الثالث والعشرون : أما ما جعلوه دليلا على الأ فضلية , وهو قوله تعالى: ...

... . وأنّ سيدنا عليًا هو من قرابة النبي , فهو أفضل الصحابة وأحقهم بالإمامة !
فأقول : المشهور في تفسير الآية أته لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله فيهم قرابة , فـقال :

لكن أسألكم ...
مودة القرابة التي بيني وبينكم , فهو لم يقل إلا المودة للقربى , ولا المودة لذوي القربى , فلو أراد ذلك لقال هكذا كما قال اللّٰه تعالى :

... ,
[الأنفال / 41], وقال :
, [الحشر / 7] , وقال أيضـًا :
, [الروم / 38] وقوله :

, [البقرة / 177] .
فلما ذكر قوله : بالمصدر دون ا
لاسم دل على أنه لم يرد ذوي القربى , ولو أراد لقال المودة لذوي القربى , فإنه لا يقال : لا أسألك المودة في فلان , ولا في قربى فلان , بل لفلان .

ونقول : الرسول لا يسأل على تبليغ الإرسال أجرًا البتة بل أجره على اللّٰه كما قال:
[180/ الشعراء],
وقال:
[40/ الطور], .

ولا ريب أن محبة أهل البيت واجبة , لكن لم يثبت وجوبها بهذه الآية, ولا محبتهم أجر الرسول , بل هو مما أمرنا به , فهو من العبادات .

ثم إن كانت المودة توجب الطاعة فيجب أن تكون السيدة فاطمة – رضي الله عنها - أيضًا من ضمن الأئمة , وإلا فالمودة ليست مستلزمة للإمامة , فإن كانت ملزوم الإمامة , وانتفاء الملزوم يقتضي

انتفاء اللازم , فلا تجب مودة إلا من يكون إمامـًا معصومـًا [1450] .
ثمّ هذه الآية مكية قبل أن يوجد للنبي قربى غير زوجته السيدة خديجة – رضي اللّه عنها - , وبناته , ولم يعرف أتهن تعرضن لأذى في قريش مطلقـًا , فكيف يطلب مودة ليس لها سبب ؟!

الرابع والعشرون : أما نعت الاثني عشرية بأنّ الخلفاء الثلاثة كانوا فاسقين ظالمين كافرين قبل الإسلام , فلا يكونون مستحقين للخلافة !
فأقول : فيه مخالفة صريحة لقول الباري - تبارك وتعالى - :

, [الفرقان / 70 – 71] , ثم لو لم يكن الإسلام يجبُّ ما قبله لما مدح أئمة آل البيت الكثير من الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة [1451].
ودعوى كفر الصديق , وأخويه الفاروق وذي النورين طعن في رسول اللّه , الذي أدناهم , وتزوج من بناتهم , وزوج أحدهم ابنتيه , وما كان رسول اللّه ليقرب الكفار والمنافقين , ويصـاهرهم .

الخامس والعشرون : أما قولهم : إنّ سيدنا عليًا أفضل الصحابة؛ لأنه تربى في حجر النبي , فمردود ؛ لأنّ التربية إن كانت في حجر النبي دليلا ً على الأفضلية , وبالتالي دليلا ً على الإمامة !

فتكون البنوة أولى بذلك , فالنبي   تبنى زيد بن حارثة   قبل النبوة, وبعدما جاء الإسلام أنزل اللّٰه في هذا آيات تتلى , فقال :

, [الأحزاب /40] .

أوَ ليس من كان في مقام ابن للنبي   أحق بالأولوية والأفضلية والإمامة – على قياس الاثني عشرية – وإن نقضت بعد ذلك ؟!

المطلب الثـاني

نقد دليل الأفضلية من كتب الإمامية

سبق أن أشرت في المبحث السابق أنّ دليل الأفضلية يقوم على أمرين :

الأول : تقديم الفاضل على المفضول لاستحقاقه الإمامة .

الثاني : تقديم أفضل الصحابة في مسألة الإمامة .

وكلا الأمرين عند التحقيق - في معتقد الإمامية - يُقدم علي و أبناؤه من بعده على أساس أفضليتهم .

ولكن ما ثبت في كتب الإمامية الاثني عشرية من مدح أئمة أهل البيت للصحابة , يثبت أيضًا مدى أفضليتهم , وبالتالي يقتضي ذلك إمامتهم .

فمن ذلك ما يرويه الاثنا عشرية عن أبي جعفر أنّه قال : (أما إنّ أصحاب محمد – صلى الله عليه وآله- قالوا : يا رسول الله نخاف علينا النفاق. فقال : (ولم تخافون ذلك ؟) قالوا : إذا كنا عندك فذكّرتنا , ورغّبتنا, وَجِلنَا ونسينا الدنيا , وزهدنا , حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة و النار , ونحن عندك , فإذا خرجنا من عندك , ودخلنا هذه البيوت , وشممنا الأولاد, ورأينا العيال والأهل , يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك , وحتى كأنا لم نكن على شيء ؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقـًا ؟ فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وآله- : (كـَلا ّ.. إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا , والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة , ومشيتم على الماء, ولو لا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقـًا حتى يذنبوا ، ثم يستغفروا الله , فيغفر الله لهم...)...) (1452).

ورووا عن جعفر عن أبيه أنّ رسول الله – صلى الله

عليه وآله - قال : (ما وجدتم في كتاب الله فالعمل به لا زم , لا عذر لكم في تركه , وما لم يكن في كتاب الله , وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي , وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فخذوه , فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجـوم, فبأيها أخذ اهتدى , وبأي أقاويل أصحـابي أخذتم اهتديتم , واختلاف أصحـابي لكم رحمة) [1453] .

وعن موسى بن جعفر قال : (قال رسول الله – صلى الله عليه وآله - : (أنا أمنة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يـوعدون , ولا يزال هذا الدين ظاهرًا على الأديان كلها مادام فيكم من قد رآني)...) [1454].

وعن الرضا عن آبائه قال: (قال رسول الله– صلى الله عليه وآله -: (اللهم ارحم خلفائي)ثلاث مرات,قيل له:يا رسول الله ومَن خلفاؤك ؟قال: (الذين يأتون من بعدي , ويروون أحاديثي , وسنتي فيسلمونها الناس من بعدي)..)[1455] .

ونسب إلى الإمام علي في نهج البلاغة تزكيتهم بقوله : (لقد رأيت أصحاب محمد – صلى الله عليه وآله - فما أرى أحدًا منكم يشبههم ؛ لقد كانوا يصبحون شعثـًا غبرًا , وقد باتوا سُجّدًا , وقيامـًا, ويراوحون بين جباههم وخدودهم , ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم , كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم , إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم, ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف , خوفـًا من العقاب , ورجاءً للثواب ...) [1456].

وبرواية أخرى عن علي بن الحسين أنه قال : (صلى

أمير المؤمنين   الفجرَ , ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح , وأقبل على الناس بوجهه ، فقال : (والله لقد أدركتُ أقوامًا يبيتون لربهم سجدًا وقيامـًا , يخالفون بين جباههم وركـبهم ، كأنّ زفير النار في آذانهم , إذا ذُكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر ، كأنّما القوم باتوا غافلين)...)[1457] .

ومن طريق معروف بن خربوذ [1458] ، عن أبي جعفر أنّه قال : (صلى أمير المؤمنين   بالناس الصبح بالعراق ، فلما انصرف وعظهم فبكى , وأبكاهم من خوف الله ، ثم قال : (أما والله لقد عهدت أقوامـًا على عهد خليلي رسول الله   , وإنهم ليصبحون ويمسون شعثـًا غبرا خمصـًا ، بين أعينهم كركب المعزى ، يبيتون لربهم سجدًا , وقيامـًا يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون)...)[1459] .

أما في مدح الخلفاء الثلاثة - على وجه الخصوص - فقد رووا عن علي   م ُثنيـًا على خلافتهم   : (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر, وعمر, وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار, ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار , فإن اجتمعوا على رجل , وسموه إمامـًا كان ذلك لله رضى ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى   ما خرج منه ، فإن أبى قاتلـوه على اتباعه غير سبيـل المؤمنين , وولاه الله   ما تولى...)[1460] .

وفي كتابٍ له إلى معاوية – رضي اللّه عنهما – يقول :
(وذكرتَ أنّ اللّه اجتبى له من المسلمين أعوانـًا أيده اللّه بهم , فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم , فكان أفضلهم – كما زعمت - في الإسلام , وأنصحهم لله ورسوله الخليفة , وخليفة الخليفة , ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم , وإنّ المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد , رحمهما اللّه وجزاهما بأحسـن الجزاء ...)[1461] .

ومن الدعاء المنسوب لعلي بن الحسين في " الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم " مدحٌ للصحابة , ومدحٌ لمتابعتهم , ولا احتمال للتقية في الخلوات , وبين ربِّ البريات , ونصه :
(اللّهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب ، والاشتياق إلى المرسلين بحقائق الإيمان ، في كل دهر وزمان ، أرسلت فيه رسولا ً , وأقمت لأهله دليلا ً من لدن آدم إلى محمد – صلى اللّه عليه وآله - من أئمة الهدى ، وقادة أهل التقى على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان .

اللّهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة , و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه ، وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودتـه ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللّهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانـك ، وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى

ضيقه , ومن كثرت في إعزاز دينك من مظل-ومهم ...)[1462].

وورد عنه أفضلية السبق إلى الإيمان من المهاجرين والأ نصار , فقد سأله أبو عمرو الزبيري [1463] بقوله : إنّ الإيمان درجات ومنازل , يتفاضل المؤمنون فيها عـند اللّه ؟ قال : (نعم) , فقال له : صفه لي - يرحمك اللّه - حتى أفهمه . فقال : (إنّ اللّه سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان , ثم فضلهم على درجاتهم في السبق إليه , فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه , لا ينقصه فيها من حقه , ولا يتقدم مسبوق سابقـًا , ولا مفضول فاضلا ً, تفاضل لذلك أوائلُ هذه الأمة , وأواخرها , ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذن للحق آخر هذه ا لأمة أوّلها...
إلى أن قال :

, فبدأ بـ
المهاجرين الأولين على درجة سبقهم , ثم ثنّى بالأنصار , ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان , فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده ...)[1464].

وكذا ورد عنه مدحه لأبي بكر الصديق خاصة , فقد سُئل يومًا عن حلية السيف هل تجوز؟ فقال : (لا بأس به , قد حلـّى أبو بكر الصديق سيفه) ، فقال السائل: أفتقول الصديق ؟ فوثب الإمام وثبة , واستقبل القبلة ، وقال: (نعم الصديق ، نعم الصديق ، نعم الصديق , فمن لم يقل له الصديق ، فلا صدق اللّه له قولا ً في الدنيـا ولا الآ خرة)[1465].

ولم يكن الصادق يتولى أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما - فحسب ، بل كان يأمر أتباعه بتوليهما , ويحذر من التبرُّؤ منهما ، فقد روى الكليني بسنده عنه أته قال لامرأة من الشيعة سألته عنهما , فقال لها : (توليهما) قالـت : فأقول لربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما ؟ قال : (نعم) [(1466)].

وقال يومـًا لجابر الجعفي : (أبلغ أهلَ الكوفة أنّي بريء ممن يتبرأ من أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما -) [(1467)].

وروى القوم عن الرضا أنّ موسى سأل ربه : هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي ؟ فقال : (يا موسى أما علمت أنّ فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين ؛ كفضل آل محمد على جميع آل النبـيين , وفضل محمد على جـميع المرسلين ؟)[(1468)] .

وذكروا عن العسكري أنّ آدم سأل الله أن يعرفه بفضل صحابة نبيه , فقال الله : (إنّ رجلا ً من خيار أصحاب محمد لو وُزن به جميع أصحاب المرسلين لرجح عليهم, يا آدم لو أحبّ رجلٌ من الكفار أو جميعهم رجلا ً من آل محمد وأصحابه الخيّرين؛ لكافأه الله عن ذلك بأن يختم له بالتوبة والإيمان ثم يدخله الله الجنة ، إنّ الله ليفيض على كل واحد من محبي محمد , وآل محمد , وأصحابه من الرحمة ما لو قسمت على عدد كعدد كل ما خـلق الله من أول الدهر إلى آخره , وكانوا كفارًا لكفاهم , ولأدّاهم إلى عاقبة محمودة الإيمان بالله ,حتى يستحقوا به الجنة , ولو أنّ رجلا ً ممن يبغض آل محمد , وأصحابه

الخيرين , أو واحدًا منهم , لعذبه اللّه عذابـًا لو قسم على مثل عدد ما خلق اللّه لأهلكهم اللّه أجمعين)[1469] .

فهذه أقوال من يزعم الإمامية أنهم أئمة معصومون [1470] ، وهذه حالتهم ، يتولون أبا بكر وعمر - رضي اللّه عنهما - ، بل وسائر الصحابة ، ويترحمون عليهم ، ولا يتبرؤون منهم , ويأمرون الناس بتوليهم , ومحبتهم , ومتابعتهم ، ويحذرونهم من بغضهم , وسبهم , والانحراف عن هداهم .

بل وتدل أقوال هؤلاء الأئمة على سمو إيمانهم , وفضلهم بصورة عامة , وفضل أبي بكر وعمر وعثمان بصورة خاصة .
أفلا يسع الشيعة الإمامية ما وسع أئمتهم من توثيقهم, و الترضي عنهم , وقبول خلافتهم - فضلا ً عن لعنهم - [1471]؟!
وبالتالي فلا تخرج هذه النصوص عن ثلاثة أمور :
الأول : كونهم أفضل من علي وأبنائه .
الثـاني : كونهم وعلي متساوين في الفضل .
الثالث : كون علي أفضل منهم من غير أن يمنع فضلهم .
فبالقول بالأمر الأول تثبت إمامتهم من غير أدنى شك .
أما الأمر الثاني فتنتفي قاعدة تقديم الفاضل على المفضول , إذ الكل متساوون في الفضل .
إذن لم يبق إلا الأمر الثالث والقول به يخالف واقع الإ مامية الاثني عشرية , فهم وإن قالوا إن الإمام الحسن كان أفضل من الإمام الحسين لذلك كان الإمام الحسن إمامـًا مفروض الطاعة على الحسين , و باقي أهل الأرض.
إلا أنّهم قالوا بأنّ الحسن العسكري كان إمام زمانه , و

كان الإمام المهدي – على فرض صحة وجوده - مأمومـًا بـالرغم من أفضليته على أبيه !

إذ رووا أفضلية الإمام الثاني عشر – على فرض صحة وجوده - على آبائه الثمانية ! بسندين عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، قال : (قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله -: إن اللّه اختار من كل شيء شيئـًا ، اختار من الأرض مكة ، واختار من مكة المسجد ، واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة ، واختار من الأنعام إناثها ، ومن الغنم الضأن ، واختار من الأيام يوم الجمعة ، واختار من الشهور شهر رمضان ، ومن الليالي ليلة القدر ، واختار من الناس بني هاشم ، واختارني وعليـًا من بني هاشم ، واختار مني ومن علي الحسن والحسين ، وتكملة اثني عشر إمامـًا من ولد الحسين , تاسعهم باطنهم ، وهو ظاهرهم ، وهو أفضلهم ، وهو قائمهم) [1472].

إذن ففضل سيدنا علي لا يعطيه الاستحقاق بالإمامة دون غيره من الصحابة , مثلما أنّ فضل المهدي – على فرض القول بصحة وجوده – لم يعطه الاستحقاق بالإمامة , وهو أفضل من أبيه !

هذا وقد ورد في كتبهم أيضًا عن الإمـام علي أنّه كـان يقول : (لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري...) [1473].

ثم إنّ عليـًا رفض الخلافة عندما عرضت عليه قائلا : (دعوني والتمسوا غيري , فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان , لا تقوم له القلوب , ولا تثبت عليه العقول , وإن الآ

آفاق قد أغامت , والمحجة قد تنكرت , واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم , ولم أصغ إلى قول القائل , وعتب العاتب, وإن تركتموني فأنا كأحدكم , ولعلي أسمعكم , وأطوعكم لمن وليتموه أمركم , وأنا لكم وزير ًا خير لكم منـي أميرًا) [1474].

وقال عند مبايعته عقب قتل عثمان : (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة , ولا في الولاية أربة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها) [1475] 0

وفي رواية : (فو الله ما كانت لي في الولاية رغبة , ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها , فخفت أن أردكم فتختلف الأمة) [1476].

وثبت في كتبهم أنه قال : (ألا وإنّ الله عالم من فوق سمائه وعرشه , أني كنت كارهـًا للولاية على أمة محمد , حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأني سمعت رسول الله يقول : أيما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم على حدِّ الصـراط , ونشرت الملائكة صحيفته , فإن كان عادلا ً أنجاه الله بعدله , وإن كان جائرًا انتقض به الصراط حتى تتزايل مفاصله , ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها بها أنفه , وحر وجهه , ولكن لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم) [1477].

وقال للمهاجرين والأنصار وقد جاؤوا لبيعته : (لا حاجة لي في أمركم , أنا بمن اخترتم راضٍ) [1478].

وقال : (إني لم أرد الناس حتى أرادوني , ولم أبايعهم حتى أكرهوني)[1479].

المطلب الثالث

نقد دليل الأفضلية من القرآن والسُّنة

أولا : نقد دليل الأفضلية من القرآن الكريم :

1. لا سبيل إلى معرفة الأفضل إلا بنص أو إجماع وهذه ممتنعة ؛ إذ لا يدري أحد فضل إنسان على غيره ممن بعد الصحابة إلا بالظن والحكم بالظن لا يحل [1480] ؛ لقوله تعالى : ...

, [الجاثية / 32

] ونحوه من الآيات .

2. قال الباري - جلّ في علاه - :

[النور / 55] .

هذه الآية الكريمة لهي أوضح دليل و أصدق برهان علي صحة خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان , فقد كتب الله لهم الاستخلاف والتمكين في الأرض لهم بعد موت النبي , و لا يستطيع من يملك مُسكة عقل أن ينكر ذلك , ويدعي أنّ الله لم يكتب لهم ذلك - رضوان الله عليهم وعلى جميع الأصحاب - , وهذه الآية يُلحق بها جميع أصحاب النبي فقد كتب الله لهم التمكين في الأرض , و يسر لهم عبادته بلا خوف , و بأمان ما بعده أمان .

---

3. في قول الله - تبارك وتعالى - :

, [الفاتحة / 6-7] دلالة على إمامة أبي بكر , يقول الفخر الرازي : (أنا ذكرنا أنّ تقدير الآية : " اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم " والله تعالى قد بين في آية أخرى أنّ الذين أنعم الله عليهم من هم فقال :

, ولا شك أنّ رأس الصديقين ورئيسهم أبي بكر الصديق فكان معنى الآية أن ّ الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق , وسائر الصديقين , ولو كان أبو بكر ظالمـًا لما جاز الاقتداء به , فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر)[1481].

ثانيا : نقد دليل الأفضلية من السُنة النبوية :

1. وردت في السُنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث في فضائل ومناقب الصحابة , وما يثبت أنهم من أصحاب الجنة - وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة- منها ما رواه البخاري عن سعيد بن المسيب أنّه قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنّه توضأ في بيته , ثم خرج فقلت : لألزمنّ رسولَ الله , ولأكوننّ معه يومي هذا . قال : فجاء المسجد , فسألَ عن النبي , فقالوا :خرج , ووجه ها هنا . فخرجت على إثره أسأل عنه , حتى دخل بئر أريس ,

فجلست عند الباب , وبابها من جريد , حتى قضى رسول الله   حاجته فتوضأ , فقمت إليه , فإذا هو جالس على بئر أريس,وتوسط قفها , وكشف عن ساقيه , ودلاهما في البئر , فسلمت عليه , ثم انصرفت , فجلست عند الباب , فقلت : لأكوننّ بوّابَ رسول الله   اليوم , فجاء أبو بكر فدفع الباب , فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر , فقلت : على رسلك , ثم ذهبت فقلت : يا رس-ول الله هذا   أبو بكر يستأذن , فقال: (ائذن له , وبشره بالجنة) فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل , ورسول الله   يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله   معه في القف , ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي   , وكشف عن ساقيه , ثم رجعتُ , فجلستُ , وقد تركت أخي يتوضأ , ويلحقني , فقلت : إنْ يردِ الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به , فإذا إنسان يحرك الباب , فقلت : من هذا ؟ فقال: عمر بن الخطاب , فقلت : على رسلك , ثم جئت إلى رسول الله   , فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن . فقال : (ائذن له , وبشره بالجنة) فجئت فقلت: ادخل , وبشرك رسول الله   بالجنة . فدخل فجلس مع رسول الله   في القف عن يساره , ودلى رجليه في البئر , ثم رجعت,فجلست, فقلت : إنْ يردِ الله بفلان خيرًا يأت به , فجاء إنسان يحرك الباب , فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان , فقلت : على رسلك , فجئت إلى رسول الله   فأخبرته , فقال : (ائذن له , وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فجئته, فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله   بالجنة على بلوى تصيبك , فدخل ,

فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآ خر) [1482].

وكذا شهد لأصحاب الحديبية بالجنة , فعن جابر بن عبد اللّه قال : أخبرتني أمّ ُ مبشر[1483] أنّها سمعت النبي يقول عند حفصة : (لا يدخل النار إن شاء اللّه من أصحاب الشجرة أحدٌ , الذين بايعوا تحتها) قالت : بلى يا رسول اللّه , فانتهرها , فقالت حفصة: ,[مريم / 71] فقال النبي : (قد قال اللّه :

,[مريم / 72]) [1484].

أفلا يكفيهم فضلا شهادة النبي بالجنـّة لهم ؟!

فالأمر لا يخلو من أمرين : إمـّا أنّ النبي كان يكذب على أمته – وحاشاه صلوات ربي وسلامه عليه - , وإمـّا أنّ الإمامية تخالف القول الثابت عنه , وتنفي فضائل الصحابة – خاصة الخلفاء الثلاثة - من غير دليل نقلي أو عقلي !! وقد علم بانتفاء الأ ول بالضرورة ثبوت الثاني ؛ لأنّ الثابت أنّ قول النبي وحي من اللّه ؛ لقوله تعالى :

, وقد حـذر اللّه مخالفة أمره , فقال :

. وبالتالي ففضل الصحابة ثابت في

الكتاب والسُنة , ولو كانت الأفضلية دليل على الخلا فة فالصحابة   كلهم فضلاء , وكلهم خلفاء .

2.أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق   , فقد أمره   أن يصلي بالناس , فعرضت له عائشة عمر، وذكرت رقة أبي بكر , وكثرة بكائه في الصلاة، فأبى   إلا إمامة أبي بكر , بل وصلى وراءه , فعن عَائِشَةَ قالت لَمّا ثقُلَ رسول اللهِ   جاء بِلَالٌ يؤذنه بِالصّلَاةِ فقال : (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بِالنّاسِ) فقلت : يا رَسُولَ اللهِ إنّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ , وَإنّهُ مَتَى ما يَقُمْ مَقامَكَ لَا يُسْمِعُ الناس , فَلَوْ أمَرْتَ عُمَرَ فقال : (مُرُوا أبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنّاسِ) فقلت لِحَفْصَةَ : قُولِي له إنّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ , وَإنّهُ مَتَى يَقُمْ مَقامَكَ لَا يُسْمِعُ الناس فَلَوْ أمَرْتَ عُمَرَ قال : (إنّكُنّ لَأَنْتُنّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ , مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بِالنّاسِ) فلما دخل في الصّلَاةِ وَجَدَ رسول اللهِ   في نَفْسِهِ خِفّةً , فَقَامَ يُهَادَى بين رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ تخطان في ا لأرض حتى دخل الْمَسْجِدَ , فلما سمع أبو بَكْرٍ حِسّهُ ذَهَبَ أبو بَكْرٍ يَتَأَخّرُ, فَأَوْمَأَ إليه رسول اللهِ   فَجَاءَ رسول اللهِ   حتى جَلَسَ عن يَسَارِ أبي بَكْرٍ فَكَانَ أبو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا , وكان رسول اللهِ   يُصَلِّي قَاعِدًا يَقْتَدِي أبو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رسول اللهِ   وَالنّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أبي بَكْرٍ [1485], وهذا فيه إشارة على الرضا به خليفة من بعده ؛ لأنّ الصلاة عماد الدين ، وقد أجمع المسلمون على خلافته [1486]، وكما رضي النبي   به خليفة في أمر دينهم رضوا به خليفة بعد رسول الله   في أمر دنياهم ، وهذا دليل على

فضله على سائر الصحابة [1487].

3. كذلك من الأدلة التي فيها إشارة على خلافة سيدنا أبي بكر بعد النبي ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أَنّ رَسُولَ اللهِ جَلَسَ على الْمِنْبَرِ فقال : (إِنّ عَبْدًا خَيّرَهُ اللّه بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا ما شَاءَ وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ما عِنْدَهُ) فَبَكى أبو بَكْرٍ وقال : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا له وقال: الناس انْظُرُوا إلى هذا الشّيْخِ يُخْبِرُ رسول اللهِ عن عَبْدٍ خَيّرَهُ اللّه بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ , وهو يقول فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمّهَاتِنَا , فَكَانَ رسول اللهِ هو الْمُخَيّرَ , وكان أبو بَكْرٍ هو أَعْلَمَنَا بِهِ ,وقال رسول اللهِ : (إِنّ من أَمَنّ الناس عَلَيّ في صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبو بَكْرٍ وَلَوْ كنت مُتّخِذًا خَلِيلًا من أُمّتِي لَاتخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ , إلا خُلّةَ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَيَنّ في الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلا خَوْخَةُ أبي بَكْرٍ) [1488].
قال الهيتمي[1489] : (قال العلماء في هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق - رضي اللّه تعالى عنه وكرم وجهه - ؛ لأنّ الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها) [1490].

4. فعل النبي في أمرائه ورؤساء أجناده ، فلم يكن يختار أفضلهم فيوليه الإمارة ، بل ولى الإمارة أناسًا فيهم من هو أفضل منهم ، فاستعمل على أعمال اليمن معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري ، وخالد بن الوليد . وعلى عمان عمرو بن العاص . وعلى

نجران أبا سفيان . وعلى مكة عتاب بن أسيد . وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص . وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ، وغيرهم - رضي اللّه عنهم أجمعين- . ولا خلاف في أنّ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًا ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعمار بن ياسر ، وأبا عبيدة ، وابن مسعود ، وأبا ذر - رضي اللّه عنهم أجمعين - أفضل ممن ذكر .

قال ابن حزم : (فصح يقينًا أنّ الصفات التي يستحق بها الإمامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل) [1491]؛ لذا فقد كان من هديه

تولية الأنفع للمسلمين , وإن كان غيره أفضل منه [1492].

5. منع رسول الله أبا ذر من التولية رغم فضله , فعنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : (يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها , وأدى الذي عليه فيها) [1493] هذا أبو ذر الذي قال فيه النبي : (ما أظَلَّتْ الخَضْرَاءُ ولا أقَلَّتْ الغَبْرَاءُ أصْدَقَ من أبي ذَرٍّ) [1494].

المطلب الرابع

نقد دليل الأفضلية بمنهج الصحابة

سار الخلفاء الراشدون على هدي النبي في توليتهم ا لأمراء , فهم لا يشترطون الأفضل , ومن منهجهم قولا ً وعملا ً يتضح ما ذهبوا إليه :

1. قال أبو بكر يوم السقيفة : (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - يعني أبا عبيدة وعمر - فبايعوا أيهما شئتم) [1495] , ومن المعلوم أنّ أبا بكر أفضل من عمر ، وعمر أفضل من أبي عبيدة ، فدلّ على أنّ أبا بكر يرى إمامة المفضول مع وجود الأفضل .
2. عَهدَ عمر إلى الستة ، ولابد أنّ لبعضهم على بعض فضلا ً ، فدل ذلك على أنّ عمر قد أجاز أن يعقد لواحد منهم إذا اجتمعوا عليه ، ورأوا - مصلحتهم في توليته ، وهذا يدل على أته لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الناس [1496].

قال ابن حجر- رحمه الله - عن عمر : (والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد , أته كان لا يراعي الأفضل في الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فيها ، فلأجل هذا استخلف معاوية ، والمغيرة ابن شعبة ، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كل منهم في أمر الدين والعلم , كأبي الدرداء في الشـام , وابن مســعود في الكوفة) [1497].

فهذا وإن كان في الإمامة الصغرى فإنه يقاس عليه الإ مامة الكبرى, فلا تشترط الأفضلية ، بل قد روي عنه

قوله : (إني لأتحرج أن أستعمل الرجل , وأنا أجد أقوى منه) [1498].

3. ورد عن علي بأته قال : (لا يفضلني على أبي بكر , وعمر) , أو (لا أجد أحدًا يفضلني على أبي بكر , وعمر إلا وجلدته جـلدة المفتري) [1499].

وورد عنه أته خطب علي على هذا المنبر , فحمد الله , وأثنى عليه , ثم قال : (إنه بلغني أنّ ناسـًا يفضلوني على أبي بكر, وعمر , فلو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه , ولكن أكره العقوبة قبل التقدم, فمن قال شيئـًا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري , خير الناس بعد رسول الله أبو بكـر , ثم عمر , ثم أحدثنا بعدهم أحداثـًا يقضي الله فيها ما يشاء) [1500].

وعن سويد بن غفلة [1501]قال : مررت بقوم يذكرون أبا بكر , وعمر وينتقصونهما , فأتيت عليـًا فذكرت ذلك له , فقلت له : إني مررت بقوم من الشيعة يذكرون أبا بكر , وعمر وينتقصونهما مما ليس هما له من الأمة بأهل , ولولا أتهم يعلمون أتك تضـمر على ما هم عليه لم يجترئوا على ذلك . قال: (أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل , لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل , لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل , أخوا رسول الله , ووزيراه) ثم نهض دامع العين يبكي قابضًا على يدي حتى صعد المنبر متكئـا قابضـًا على لحيته ينظر فيها , وهي بيضاء, وقد اجتمع الناس فقام يخطب خطبة موجزة بليغة فقال : (ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش , وأبوي المسلمين بما أنا عنه

متنزه , ومما يقولون بريء , وعلى ما يقولون معاقب , فو الذي فلق الحبة , وبرأ النسمة إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي , ولا يبغضهما إلا فاجرٌ غوي , صحبا رسول الله بِالصدق, والوفاء يأمران وينهيان , ويعاقبان مما يجاوزان فيما يصنعان رأيا رسول الله , وهو عنهما راض , والناس راضون, ولي أبو بكر الصلاة فلما قبض الله نبيه , ولاه المسلمون ذلك...فسار بسيرة رسول الله حتى قبض - رحمة الله عليه- , ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب واستأمر في ذلك الناس , فمنهم من رضي , ومنهم من كره, فكنت ممن رضي, فو الله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهًا , فأقام الأمر على منهاج النبي , وصاحبه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه , وكان والله خير من بقي رؤوفـًا رحيمًا , وناصر المظلوم على الظالم ثم ضرب الله بالحق على لسانه ,حتى أرينا أن ملكـًا ينطق على لسانه وأعز الله بإسلامه الإسلام , وجعل هجرته للدين قوامـًا , وقذف في قلوب المؤمنين الحب له , وفي قلوب المنافقين الرهبة منه...فمن لكم بمثلهما ؟ لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما , واتباع آثارهما , فمن أحبهما فقد أحبني , ومن أبغضهما فقد أبغضني , وأنا منه بريء , ولو كنت تقدمت في أمرهما لعاقبت أشد العقوبة , فمن ألمت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري...) [1502].

4. إجماع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - على إمامة معاوية بعد تسليم الحسن الأمر إليه ، وسمي ذلك العام عام الجماعة ، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف , ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل ، قال ابن حزم – رحمه الله - : (فكلهم أولهم عن

آخرهم بايع معاوية , ورأى إمامته ، وهذا إجماع متيقن بعد إجماع [يقصد ما سبق من كلام أبي بكر , وعهد عمر إلى الستة , فلم يخالف في ذلك أحدًا من الصحابة] فدلّ إجماعهم عليه على جواز إمامة من غيره أفضل بيقين لا شك فيه ، إلى أن حدث من لا وزن له عند الله - تعالى - فخرقوا الإجماع بآرائهم الفاسدة بِلا دليل) [1503].

5. من المتفق عليه أنّ الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية , وتنبأ به رسول الله قائلا : (إنّ ابني هذا سيّد , ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) [1504] . وهذا مخالف لقولهم : إنّ الله – تبارك وتعالى - أمر بإطاعة الإمام , فإذا لم يكن الأعلم والأفضل جاز عليه الوقوع بالخطأ , والله - تبارك وتعالى - لا يأمر بالخطأ إذ أنّ إمامهم الفاضل أمر بخطأ – على حد قولهم – وتنازل عن الخلافة لمفضول ! ولو كان ما فعله سيدنا الحسن خطأ لما عدّ النبي هذا الفعل من مناقبه !

المطلب الخامس

نقد دليل الأفضلية من أقوال علماء أهل السُنة

ذكرت في المبحث السابق من هذا الفصل ما ذهب إليه علماء الاثني عشرية من أنّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته , وعلي أفضل أهل زمانه , فهو الإمام ؛ لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً .

وقد رددت على ما ذهبوا إليه في المطالب السابقة من

هذا المبحث , ولكن سأعرض في هذا المطلب نقد ما ذهبوا إليه من خلال أقوال علماء أهل السُنة من خلال أمرين :

الأول : ترتيب الصحابة من حيث الأفضلية .

الثاني : تولية المفضول على الفاضل .

وتفصيلهما الآتي :

الأمر الأول : ترتيب الصحابة من حيث الأفضلية :

نقل عن البيهقي بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال : (أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر , ثم عمر , ثم عثمان , ثم علي) [1505] .

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي [1506] – رحمه الله - : (ونثبت الخلافة بعد رسول الله أولاً لأبي بكر الصديق تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة ,

ثم لعمر بن الخطاب , ثم لعثمان , ثم لعلي بن ابي طالب) [1507].

فقد اتفق أهل السنة والجماعة على تفضيل أبي بكـر وعمر على عثمان وعلي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : (فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتـابعين وتابعيهم ، وهو مذهب مالك وأهل المدينة ، والليث بن سعد وأهل مصر ، والأوزاعي وأهل الشام ، وسفيان الثوري ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهـل العراق ، وهو مذهب الشافعي ، وأحـمد ، وإسحاق ، وأبي عبيد وغير هؤلاء من الأئمة) [1508].

ونقل عن الإمام مالك – رحمه الله - إجماع أهل المدينة على ذلك فقال : (ما أدركت أحدًا ممن يقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر) [1509].

والأدلة على ما ذهبوا إليه مستفيضة منها :

1. ما رواه البخاري وغيره عن نافع عن عبد اللّه بن عمر - رضي اللّه تعالى عنهما- قال : (كنا نخير بين الناس في زمن النبي فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان) [1510].

وفي رواية قال سالم بن عبد اللّه : إنّ عبد اللّه بن عمر قال : (كنا نقول ورسول اللّه حي : أفضل أمة النبي بعده أبو بكر , ثم عمر , ثم عثمان) [1511].

2. عن محمد بن الحنفية أنه قال : (قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين) [1512] .

قال ابن تيمية : (وروي هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجهًا ، وأنه كان يقول على منبر الكوفة ، بل قال : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري ، فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله ثمانين سوطًا) [1513] .

وفي هذا أكبر حجة على بطلان قول الرافضة بأنه لم يبايع إلا تقية وكان مكرهًا وإلا فهو أفضل منهما ، ولو كان الأمر كذلك لما أعلنه على رؤوس الأشهاد على المنبر ، ولما جلد من يقول ذلك حد الافتراء .

3. منها ما رواه البخاري أيضًا وغيره عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال : (إني لواقف في قوم ندعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره ، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله إن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله يقول: كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما ، فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب) [1514] .

4. وروي عن سفيان الثوري أنه قال : (من زعم أن عليًا كان أحق بالولاية منهما فقد خطأ أبا بكر

وعمر والمهاج-رين والأنصار - رضي اللّٰه عن جميعهم - وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء) [1515].

الأمر الثاني : تولية المفضول على الفاضل :

كثير من علماء أهل السُنة والجماعة , وأكثر المعتزلة , و الزيدية من الشيعة لا يوجبون تولية الأفضل , ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة للمسلمين , فإن كانت المصلحة تقتضي تقديم المفض-ول قدم ، وإن كانت تقتضي تقديم الفاضل قدم ، ولأنه رب مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف وبشرائطها أقوم [1516].

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه اللّٰه - حينما سئل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما : قويٌ فاجرٌ ، والآ خر : صالحٌ ضعيفٌ ، مع أيهما يُغزى ؟ قال : (أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين , وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه , وضعفه على المسلمين ، فُيغزى مع الق-وي الفاجر) [1517].

ثم إنّ ما اشترطته الاثنا عشرية في مسألة تقديم الفاضل على المفضول تك-ليف بما لا يطاق , وإلزام بما لا يستطاع ، وهذا باطل لا يحل ؛ وذلك لأنّ قريشًا مفترقون في البلاد , فمعرفة أسمائهم ممتنع , فكيف يمكن معرفة أحوالهم؟ وكيف يمكن معرفة أفضلهم ؟ وأيضًا فالناس متباينون في الفضائل فيكون الواحد أزه-د ، ويكون الآخر أورع ، ويكون الثالث أعلم ، وهكذا فكيف يبين التف-اوت

بينهم ؟ [1518].

قال التفتازاني – رحمه الله -: (اشترطت الشيعة أمور ًا منها أن يكون هاشمي ًا أي من أولاد هاشم بن عبد مناف أبي عبد المطلب , وليس لهم في ذلك شبهة , فضلا ً عن حجة , وإنما قصدهم نفي إمامة أبي بكر وعمر وعثمان , ومنهم من اشترط كونه علوي ًا نقي ًا لخلافة بني العباس , وكفى بإجماع المسلمين على إمامة الأئمة الثلاثة حجة عليهم , ومنها أن يكون عالم ًا بكل الأمور , وأن يكون مطلع ًا على المغيبات , وهذه جهالة تفرد بها بعضهم , ومنها أن يكون أفضل أهل زمانه ؛ لأن ّ قبح تقديم المفضول على الأفضل في إقامة قوانين الشريعة, وحفظ حوزة الإسلام معلوم للعقلاء , ولا ترجيح في تقديم المساوي ... و لأن ّ ا لأفضل أقرب إلى انقياد الناس له , واجتماع الآراء على متابعته ؛ ولأن ّ الإمامة خلافة عن النبي , فيجب أن يطلب لها من له رتبة أعلى قياس ًا على النبوة , وأجيب بأن ّ القبح بمعنى استحقاق تاركه الذم والعقاب عند الله ممنوع , وبمعنى عدم ملاءمته بمجاري العقول والعادات غير مفيد مع أنه أيض ًا في حيز المنع , إذ ربما يكون المفضول أقدر على القيام بمصالح الدين والملك , ونصبه أوفق لانتظام حال الرعية , وأوثق في اندفاع الفتنة , وهذا بخلاف النبي فإنه مبعوث من العليم الحكيم الذي يختار من يشاء من عباده لنبوته , ويوحي إليه مصالح الملك والملة , ويراه أهلا لتبليغ ما أوحي إليه بمشيئته , فيدل ذلك قطع ًا على أفضليته , وإليه الإشارة بقوله تعالى : ...

) [1519].

وذكر بعد ذلك عدة أوجه على جواز تقديم المفضول على الفاضل منها :
الأول : إجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على انعقاد ا لإمامة لبعض القريشيين مع أنّ فيهم من هو أفضل منه .
وكما ذكر ابن حزم – رحمه الله - أنّ : (الإجماع قد انعـقد على جواز إمامة المفضول)[1520] .

الثاني : أنّ عمر جعل الإمامة شورى بين ستة من غير نكير عليه , مع أنّ فيهم عثمان وعلي ًا , وهما أفضل من غيرهم إجماعـًا , ولو وجب تعيين الأفضل لعينهما .

الثالث : أنّ الأفضلية أمر خفي , قلما يطلع عليه أهل الحل والعقد , وربما يقع فيه النزاع ويتشوش الأمر , ثم إنّ تعيين الأفضل متعسر في أقل فرقة من فرق الفاضلين , فكيف في قريش مع كثرتهم وتفرقهم ؟ [1521] .
أما القاضي عبد الجبار – رحمه الله - فقد حدد أسبابًا معينة تقتضي في رأيه جواز العدول عن إمامة الفاضل إلى المفضول إذا وجد أحد هذه الأسباب , وهي :
الأول : أنّ يكون في الأفضل علة تخرجه من أن يصح كونه إمامًا ، نحو أن تكون بعض الشرائط التي يحتاج إليها ا لإمام مفـقودة ، كالعلم وكالمعرفة بالسياسة .

الثاني : أنّ يكون الأفضل من غير قريش , فيقدم المفضول من قريش عليه لثبوت السمع الدّال على أنّ الإمامة في قريش [1522].

الثالث : أنّ يقترن إلى حال المفضول ما يجعله بالتقديم أحق , وإن كان الأول سليم الحال ، وذلك بحق شهرة فضله , وصلاحه عند الخاص والعام دون الأفضل فيكون بالتقديم أولى ؛ لأنّ النفوس إليه أسكن ، ولأنّ الفضل المطلوب في الإ مامة إنما يراد لما يعود على الكافة من المصلحة .

الرابع : كذلك القول فيمن يعرف أن انقياد الناس له أكثر , واستقامتهم إليه أتم وشكواهم إليه أعظم ، فهو بالتقديم أحق ممن هو أفضـل منه , إذا لم يكن هذا حاله .

الخامس : إذا كان في حال العقد عارض يقتضي تقديم المفضول ، نحو أن يكون المفضول في البلد الذي مات فيه ا لإمام , ومست الحاجة إلى نصب آخر ، وإن أخر نصب المفضول أدى إلى فتنة أو ما شاكلها ، أو أن يكون الفاضل غائبًا أو مريضًا أو نحو ذلك .

أما إذا لم يوجد هناك أي سبب يؤدي إلى تقديم المفضول على الفاضل, فالأولى تقديم الأفضل ؛ لأنه الأصلح قطعًا ، وإذا بايع أهل الحل والعقد المفضول, ولم يكن هناك أي سبب فالإمامة له منعقدة وطاعته واجبة [1523].

علمًا بأنّ الصلاح هذا يختلف من ولاية أخرى ، فينبغي أن يجعل في كل ولاية الأصلح لها ، فإنّ الولاية لها ركنان كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -, وهما : القوة ، والأمـانة , أخذًا من الآية الكريمة في قوله تعالى:

[القصص / 26] .

وقال : (والقوة في كل ولاية بحسبها . فالقوة في ولاية

الحرب ترجع إلى شجاعة القلب ، وإلى الخبرة بالحروب و المخادعة فيها . والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسُنة ، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام . والأمانة ترجع إلى خشية اللّه ... وترك خشية الناس ... فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها ، فإذا تعين رجلان أحدهما : أعظم أمانة . والآخر : أعظم قوة . قدم أنفعهما لتلك الولاية ، وأقلهما ضررًا فيها) [1524] .

وهذا هـو مذهب أهل السُنة كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه -, بقوله : (أهل السُنة يقولون ينبغي أن يولى الأصلح للولاية إذا أمكن , إما وجوبًا عند أكثرهم ، وإما استحبابًا عند بعضهم ، وإن عدل عن الأصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم , ومن كان عاجزًا عن توليته الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور) [1525] .

إذن فالأقدر على تحقيق أهداف الإمامة هو الأولى بـ التنصيب , سواء كان فاضلا ً أو مفضولا ً ؛ لأنه إذا كان صالحًا في نفسه ضعيفًا في تدبير الأمور أثر هذا الضعف على جميع الأمة ، أما إذا كان قويًا في سياسته , وحسن تدبيره , وعنده شيء من التقصير في الطاعة فإن هذا التقصير ترجع مضرته على نفسه دون الأمة ، فهو أولى بـ التقديم – كما مرّ معنا منع النبي أبا ذر من التولية - أما إذا اجتمع الفضل والصلاح في شخص واحد فهو الأولى بـ التقديم بلا شك ، وإنما يصار إلى الثاني لأجل المصلحة العامة وخوف وقوع الفتنة ، وهذا ما حدا بعمر بن عبد العزيز أن لا يولي رجلا ً صالحًا بعده ، كما قال مالك [1526] - رحمه اللّه - للعمري : (أتدري ما الذي منع عمر بن عبد

العزيز أن يولي رجلا ً صالحًا ؟) قال العمري : (لا أدري) . قال مالك : (لكني أنا أدري ، إنما كانت البيعة ليزيد بعده فخاف عمر إن ولى رجلا ً صالحًا أن لا يكون ليزيد بد من القيام , فتقوم هجمة فيفسد ما لا يصلح) [1527] .

يقول الإمام الشاطبي – رحمه اللّه - تعليقًا على هذه الرواية : (فظاهر هذه الرواية أنّه إذا خيف عند خلع غير المستحق , وإقامة المستحق أن تقع فتنة وما لا يصلح ، فالمصلحة في الترك) [1528] .

وبهذا ننتهي إلى أنّ الأفضلية ليست شرطًا في الإمامة ، ولا يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه [1529] , وبالتالي يسقط دليل الأفضلية الذي استدل به الاثنا عشرية عقلا ً على الإمامة .

الخاتمة

الحمد لله خالق الأرض والسماوات , أحسن تدبير الكائنات , وقدر الأرزاق والأقوات , وأخرج الناس من الظلمات , وهداهم بالآيات البينات ، والشكر له على كرمه وتتابع الهبات، وأشهد أنّ لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، شهادة تشفع لي عند الممات وجمع الرفات، وأصلي وأسلم على أشرف خلقه المؤيد بـ المعجزات الباهرات , وعلى أزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات ، الطائعات , وعلى آله , وأصحابه أفضل البريات , وبعد :

فأحمده – تبارك وتعالى - على أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث , وجمع ما تيسر من شتات أدلتهم العقلية , وتقريرها من خلال الروايات وأقوال علماء الاثني عشرية, فكان التوفيق والتسديد من اللّه – تبارك وتعالى -هادي العبيد أن أتوصل من خلال دراستي لهذا الموضوع : (الأدلة العقلية على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد) إلى نتائج عديدة مهمة من خلال عشرين مبحثـًا موزعة على ستة فصول , وتمهيد يوضح مفهوم الإمامة , ومكانتها, وحكم من أنكرها , و تعريف العقل والدليل العقلي , ومدى مكانته وحجيته في الاستدلال على مسائل العقيدة, وعلى مسألة الإمامة على وجه الخصوص . ومدخل فيه عرض لقاعدة اللطف الإلهي وأول من قال بها من الاثني عشرية , ومدى التزامهم بها مع غياب الإمام .

وفي خاتمة هذا البحث أقيد أهم النتائج التي توصلت إليها مع اختصارها على النحو الآتي :

أولا ً: النتائج العامة :

الأولى :

في حقيقة الأمر تخلو مسألة الإمامة من الأدلة النقلية الصحيحة السند الصريحة الدلالة , لذا لجأ الإمامية الاثني عشرية إلى الأدلة العقلية , مصرحين بأن " الشرع لا يُعتمد عليه في إثبات هذا الأصل ؛ لأنه ثابت عندهم بالعقل , سواء ورد به الشرع أم لم يرد بلا خلاف بين المتقدمين و المعاصرين , وبين الأخباريين والأصوليين .

الثانية :

أساس الفساد في عقائد الإمامية هو الاعتقاد أولا , ثم تسخير النصوص لموافقة عقيدتهم بإعمال الدليل العقلي , مما جعلهم يتأرجحون في الاستدلال ما بين حديث ضعيف السند صحيح الدلالة , و حديث صحيح السند ضعيف الدلا لة ! وكلاهما باطل أدى في نهـاية الأمر إلى القول بتعارض النقل , والعقل, وتقديم ما يوافق عقيدتهم , وما يناسب هواهم .

الثالثة :

تعتبر قاعدة اللطف الإلهي اللبنة الأساسية التي تبنى عليها الأدلة العقلية على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية , وعلى الرغم من كل الاعتراضات القوية والانتقادات الوجيهة التي وجهت إليها إلا أنّ الإمامية الاثني عشرية تمسكوا بها , وصدروا بها استدلالاتهم العقلية .

الرابعة :

بضعف الأدلة العقلية التي استدل بها الاثنا عشرية على مسألة الإمامة , والقاعدة التي استندت عليها , ومعارضتها للعقل الصريح , والنقل الصحيح تسقط أهم مسألة عند الإ

إمامية الاثني عشرية , وبالتالي يسقط المذهب برمته .

ثانيـًا : النتائج الخاصة :

1. على الرغم من انعدام الأدلة النقلية القطعية على الإ مامة , وضعف الأدلة العقلية إلا أنّ الإمامية الاثني عشرية كفروا مخالفيهم من الأمة الإسلامية لعدم اعتقادهم بإمامة الأئمة الاثني عشر !
2. عادة ما يستدل متأخرو الإمامية الاثني عشرية في صياغة الأدلة العقلية بصورها ومقدماتها على روايات ضعيفة السند والدلالة ؛ لموافقتها المذهب!
3. لم يظهر من الأئمة الأحدعشر- فالثاني عشر المزعوم لا حقيقة لوجوده - أي جهد في إرساء قواعد الإمامة , وتأصيلها بين الناس بالخطب أو الدروس ! وهذا يدل على أنّ الأئمة لا يعتقدون أن الإمامة منصب .
4. بوفاة الإمام العسكري سنة 260 هـ أصبح الاثنا عشرية بلا إمام , وهذا مخالف لقاعدة اللطف الإلهي التي تستوجب وجود إمام يقرب الناس من الطاعة , ويبعدهم عن المعصية في كل وقت – حسب زعمهم - !
5. إلزام الإمامية الاثني عشرية بثبوت وجه قبح مع فقد ا لإمام إما في قاعدة اللطف الإلهي, وإما في التكليف مع إثباتها ؛ فمع ثبوت وجه القبح في كلا الأمرين ينقض طريق وجوب الإمامة في كل زمان ؛ لأنّ كون الناس مع رئيس متصرف أبعد من القبيح لو اقتضى كونه لطفـًا واجبـًا في كل حال , وقبح التكليف مع فقده ؛ لأنّه تكليف بما لا يطاق , وبما لا وصول إليه إلا من طريق الإ مام المفقود .

6. الاضطراب الحاصل بين الاثني عشرية بفقد الإمام اضطرهم إلى القول بالنيابة العامة , وولاية الفقيه ، مما أدى إلى تناقض واضح مع فلسفة الإمامة التي تقول بوجوب الإمام في الأرض , ووجـوب تعيين الله له في كل زمان ومكان ، تحقيقـًا للطفه تعالى , ورفقه بعباده .

7. بطلان وجوب فعل الأصلح على الله تعالى ؛ لأنه يوجب نهاية القدرة , وتنفيذ ما في الخزائن , وفي هذا تعجيز لـ له - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا - فهو لا يجب عليه شيء , يفعل ما شاء , ويحكم بما يريد كما أيدته النصوص المنسوبة لأئمتهم .

8. تبين لنا بطلان وصف الاثني عشرية إمامهم بالإنسان الكامل ؛ لأنّ الكمال الثابت ليس محدود ًا يعلمه الناس كلهم , ومادام هذا الكمال البشري غير محدود , إذن فهو نسبي ! فلا توجد قاعدة ثابتة لهذا الكمال حتى يبني متأخرو الإمامية الاثني عشرية عليه دليل الحكمة .

9. بطلان دعوى الاثني عشرية بأنّ الإمام يعلم حركتهم وما في نفوسهم وقلوبهم ويستطيع تنويرها ؛ لمعارضة ذلك نصوص الكتاب والسُنة من أنّ الله - تبارك وتعالى - مختص بعلم الغيب دون غيره , وهـداية نفوس العباد , وتنويرها بيد خالقها .

10. اتصال غير النبي والإمام بعلم الغيب وارتباطه به عن طريق الكشف – حسب معتقد الاثني عشرية - , وهذا ينقض دعوى تفرد الأئمة بعلم الغيب , وربما يفتح هذا الباب لبقية الشيعة الاثني عشرية للوصول إلى

مرتبة الإمامة !

11. فساد ما ذهب إليه الاثنا عشرية بأنّ الإمامة من الأمور الفطرية , وهي إتمام للنبوة وامتداد لها ! وذلك لما تبين لنا بأنّ الفطرة السليمة تقول إنّ كانت النبوة ناقصة , ولا بد لها من إتمام , فالأولى إتمامها بأنبياء لا بأوصياء مختلف فيهم , أو غائبين ! وقد رأينا أنّ الباري - تبارك وتعـالى - قد ختم النبوة – ولا خلاف في هذا بين أهل السُنة والاثني عشرية - وهذا دليل على كمالها , ولا حاجة لمتمم لها .

12. تبين لنا أنّ حاجة البشرية لبعثة الأنبياء والرسل مما اتفق عليه أصحاب الملل قاطبة , وذلك لمدى الارتباط بين وجود الإنسان وبين تحقيق الغاية التي خلق من أجلها , ولم يتفقوا على الحاجة إلى أئمة الشيعة ، خاصة وأنّ أئمة الاثني عشرية لم يحاولوا أن يُوصلوا أتباعهم إلى هذه الهداية الربانية , لا لأنهم كانوا أئمة فقصروا في وظيفتهم , ولكن لأنهم ليسوا أئمة منصوبين من الله .

13. ظهر لنا من خلال واقع الإمامية الاثني عشرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا بطلان ما ادعوه بأنّ قاعدة اللطف الإلهي توجب على رب العالمين أن يرسل أئمة ؛ للعناية بالأمة , ولمنعها عن الخروج عن الصراط المستقيم , ولردع الظالم عن ظلمه , والفاسق عن معصيته , ولرفع الفساد, وحسم الفتن , وقهر المعتدين!

14. كانت عناية الله بجعله النظام الأحسن المتمثل في وجود إمام معصوم على وجه الأرض , مخالفة لحال الأئمة , وحال أتباعهم الإمامية الاثني عشرية فما عانوه

من اضطهادات – على حد زعمهم - أئمة وأتباعـًا تنفي وجود النظام الأحسن , كما تنفي أنّ من متطلباته وجود إمام معـصوم على الإطلاق .

15. لا تقتضي الأفضلية العصمة على الإطلاق ! ولا يعد كل ذي فضل معصومـًا البتة ! كيف وقد ورد على ألسنة من وصفوهم بالعصمة ما يناقض دعوى عصمتهم .

16. ظهر لنا أنّ سيدنا علي قد أطاع الخلفاء الثلاثة , وقام بمبايعتهم , وانضم إلى رعيتهم , وقاتل تحت رايتهم وهذا متفق عليه ، وتعدُّ بيعته لهم إقرار ًا بشرعية خلافة الذين سـبقوه , وهذا الإقـرار حجة على المنتسبين إليه بهتانـًا وزورًا !

17. بطلان تقديم الفاضل على المفضول ؛ لما تبين لنا في البحث الكثير من الروايات المنسوبة إلى أئمة الاثني عشرية تدل على سمو إيمان الصحابة , وفضلهم بصورة عامة , وفضل أبي بكر , وعمر , وعثمـان بصورة خاصة .

وبهذا أختم بحثي , راجيةً من الله أن أكون قد وفقت فيه للصواب , ونهج أولي الألباب , فإن أصبت فمن الكريم الوهاب , فله الفضل ومنه الثواب , وإن أخطأت فأستغفر الله العظيم الجناب , الغفور التواب , سائلة إياه أن يهبنا رحمة من عنده يهدى بها قلوبنا ، ويجمع بها شملنا ، ويلم بها شعثنا ، ويرد بها الفتن عنا ، ويصلح بها ديننا ، ويحفظ بها غائبنا ، و يرفع بها شاهدنا ، ويزكى بها عملنا ، ويبيض بها وجهنا ، ويـ لهمنا بها رشدنا ، وأن يحيينا في الدنيا مؤمنين طائعين , غير ضالين ولا مضلين , وأن يتوفنا مسلمين تائبين , وأنْ لا

يصرفنا عن بحر جوده خاسرين , وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين و الصلاة , والسـلام على محمد الهادي الأمين , وعلى آله الطيبين , وأصحابه أجمعين , ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس التراجم .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الفرق والمذاهب .
- فهرس الدول
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

580	43	
100	44	
337	45	
271	47	
596	84	...
545	99	...
583	111	...
135	129	
337	153	...
594	159	
82	163-164	...
102	170-171	...
594	174	

605	177	
101	179	
545	185	
100	197	...
519	221	
593	257	...
101	269	
		" سورة آل عمران "
386	3	...
110	7	...
285	32	
604	43	
596	61	
351	81	
547	144	

		...
511	145	
54	159	...
597	164	...
102	190-194	...
332	197	...
" سورة النساء "		
574	1	...
285	13-14	...
36	59	...
284	64	...
285	65	
262	69	
546	82	
545	105	

5	115	
544	163-164	...
116	165	..
		" سورة المائدة "
333	3	...
386	48	...
22	55	
449	61	
335	67	...
		" سورة الأنعام "
447	14	...
83	32	
318	38	...
332	50	...

" سورة الأنفال "		
	2	610
	32	103
...	33	402
...	41	605
...	42	137
" سورة التوبة "		
...	28	493
	32	500
...	99	380
...	100	593
	103	357
	115	116
	128	379
" سورة يونس "		

365	22	
571	31	
571	35	
58	57	
	" سورة هود "	
58	1	
446	7	...
450	31	
332	49	
423	118-119	...
	" سورة يوسف "	
100	109	

101	111	...
" سورة الرعد "		
544	7	
334	8	...
444	15	
" سورة إبراهيم "		
46	1	
463	11	...
274	27	
" سورة الحجر "		
531	9	
" سورة النحل "		
543	36	...
371	40	
378	43	...
46	44	

47	64	
46	89	
" سورة الإسراء "		
447	1	...
448	3	
52	9	
450	25	
462	44	
443	61	
379	90-93	...
302	105	...
" سورة الكهف "		
336	1	...
443	50	

117	56	...
326	60	
326	66-69	...
326	71	
326	74-75	...
326	77	
40	110	
" سورة مريم "		
448	2	
86	58	
622	71	
622	72	
" سورة طه "		
87	115	
443	116	
86	121	
86	122	

316	124-126	...
" سورة الأنبياء "		
273	23	
547	34-35	...
485	79	...
" سورة الحج "		
117	3-4	...
117	8	
367	31	...
" سورة المؤمنون "		
23	1-2	
237	14	
273	54-56	
545	73	
427	115	
" سورة النور "		
596	12	...

286	52	
619	55	...
285	63	.
285	69	...
		" سورة الفرقان "
47	1	
285	27-29	..
607	70-71	...
426	77	...
		" سورة الشعراء "
546	2	
606	180	
303	210-211	
		"سورة النمل "
83	12	...
316	65	...
271	73	

316	75	
		" سورة القصص "
252	7	...
638	26	...
105	56	...
450	85	...
		" سورة العنكبوت "
272	6	
83	35 - 34	...
101	35	
		" سورة الروم "
597	21	...
154	27	...
147	30	...
605	38	
255	47	
		" سورة لقمان "
83	12	...

" سورة السجدة "		
...	7	237
	18	580
" سورة الأحزاب "		
...	7	350
...	37	59
...	40	607
...	66-68	285
" سورة فاطر "		
	15	447
	18	148
"سورة يس"		
	12	318
" سورة الصافات "		
...	109-111	448
...	136-138	83
	171	449
...	180-182	142

" سورة ص "		
547	29	
449	30	
445	85	
" سورة الزمر "		
148	7	
377	8	...
82	17-18	...
511	42	
36	65	...
" سورة غافر "		
148	17	
272	61	...
320	65	...
83	67	...
" سورة فصلت "		
371	11	
" سورة الشورى "		

143	11	
122	19	...
574	23	...
55	36-38	...
545	52	...
		" سورة الزخرف "
445	87	
		" سورة الدخان "
253	4	
		" سورة الجاثية "
619	32	
		" سورة الأحقاف "
332	9	...
484	15	...
		" سورة محمد "
116	24	
447	38	...
		" سورة الفتح "

595	29	...
		" سورة الحجرات "
596	11	
637	13	...
		" سورة ق "
83	37	..
		" سورة الذّاريات "
444	56-58	...
		" سورة الطور "
148	21	
606	40	
		" سورة النجم "
300	3	
335	13	
451	29-30	
		" سورة الحديد "
543	25	...

" سورة المجادلة "		
...	12	580
...	13	580
" سورة الحشر "		
	7	605
" سورة الممتحنة "		
...	10	519
" سورة الجمعة "		
...	2	379
" سورة الطلاق "		
....	11	46
" سورة الملك "		
...	2	446
	10	100
" سورة الجن "		
...	1-2	502
	19-21	448
...	26-27	332

" سورة المزمل "		
337	1-10	...
" سورة المدثر "		
148	38	
" سورة الإنسان "		
444	1-3	...
146	30	
" سورة التكوير "		
146	29	
" سورة البينة "		
582	6	
582	7	
" سورة الزلزلة "		
148	7-8	
"سورة القدر "		
253	4	...
" سورة الكافرون "		
445	1-3	...

" سورة الإخلاص "		
	3-4	462

فهرس الأحاديث النبوية

يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ...	626
يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا ...	316
يا عِبَادِي ! إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا...	275
يا علي إنّ أول خلق خلقه اللّه العقل ...	80
يا معاذ ! أتدري ما حق اللّه على العباد ؟...	451
يكون اثنا عشر أميرًا ...	66

فهرس الآثار

فهرس التراجم

فهرس الأشعار

عقـال		ضـلال	
وربّ جوهر علمٍ لو أبـ وح به	*	لقيـل لي أنت ممن يعبد الوثنا	190
يا أمة السوء لا سعيـ ـاً لربعـكم	*	يا أمـة لم تراع ـِ أحمـد اً فينا	510
يا غاية الإيجاد يا بدو الـورى	*	يا موئل الميعاد أنت م ـوزع	403

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الدول

فهرس المصادر والمراجع

1 / القرآن الكريم

2 / المصادر والمراجع العامة :

أ - المخطوطة والرسائل الجامعية :

- مخطوط نهاية العقول في دراية الأصول , لأبي عبد اللّه محمد بن الحسين الخطيب الرازي , المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم 748 , قسم علم الكلام .
- الفطرة ووظائفها في الإسلام , لمحمد سليمان فرج , رسالة ماجستير , كلية أصول الدين , جامعة الأزهر , نوقشت عام 1982م .
- دليل العقل دراسة موضوعية مقارنة للدليل الرابع من أدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية , لرشدي محمد عرسان عليان , رسالة دكتوراه , جامعة الأزهر , كلية الشريعة والقانون , نوقشت عام 1390هـ .
- الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد , لأبي الفوز السويدي , تحقيق : فهد السحيمي , رسالة دكتوراه , قسم العقيدة ,كلية الدعوة وأصول الدين , الجامعة الإسلامية , نوقشت عام 1414هـ .

ب – المطبوعة :

- أحكام أهل الذمة , لابن قيم الجوزية , تحقيق: يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري , دار ابن حزم ,

بيروت , ط 1 , طبع عام 1418 هـ .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية , لعلي بن محمد الماوردي ,شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي , القاهرة ,ط 3 ,طبع عام 1393 هـ .
- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد , لسعود بن عبد العزيز العريفي , دار عالم الفوائد , مكة المكرمة , ط 1, طبع عام 1419هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة , لنور الدين علي بن محمد , تحقيق : محمد الصباغ , مؤسسة الرسالة , بيروت , طبع عام 1391هـ .
- الإشارات والتنبيهات لابن سينا , شرح نصير الدين الطوسي , تحقيق : سليمان دنيا , دار المعارف , مصر , ط3 .
- الإصابة في تميز الصحابة, لابن حجر , تحقيق : علي البجاوي , دار الجيل , بيروت , ط1 , طبع عام 1412هـ .
- أصول الدين , لجمال الدين الغزنوي , تحقيق : عمر وفيق الداعوق, دار البشائر الإسلامية , بيروت , ط1 , طبع عام 1419 هـ .
- أصول مذهب الشيعة , لناصر القفاري , دار الرضـا , الجيزة , ط3 , طبع عام 1418 هـ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , للشنقيطي , تحقيق : مكتب البحوث والدراسات , دار الفكر للطباعة و النشر , بيروت , طبع عام 1415هـ .
- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي , لمحمود عصام

الميداني , راجعه : عبد الرحمن حميدة , نشر دار دمشق , سوريا , ط 2 , طبع عام 1997م .
- الأعلام , لخير الدين الزركلي , دار العلم للملايين , بيروت .
- إعلام الموقعين , لابن القيم , تحقيق , طه عبد الرؤوف سعد , دار الجيل , بيروت , طبع عام 1973 هـ .
- إغاثة اللّهفان , لابن القيم الجوزية , تحقيق : محمد حامد الفقي , دار المعرفة, بيروت , ط2 , طبع عام 1395هـ .
- إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة , لعبد الملك الشافعي , مكتبة الرضوان , مصر , ط 1 , طبع عام 1426هـ .
- الإمامة من كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل , للقاضي عبد الجبار الهمداني , اعتنى به : هيثم خليفة الطعيمي , المكتبة العصرية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1427هـ .
- الإمامة دراسة تأصيلية في ضوء مرويات آل البيت , لأبي عبد الله الأثري , ط 1 , طبع عام 1429هـ .
- الإمامة العظمى , لحمود بن عبد الله الشعيبي , دار الصفوة , مصر , ط 1 , طبع عام 1428 هـ .
- الإمامة العظمى عند أهل السّنة والجماعة , لعبد اللّه بن عمر بن سليمان الدميجي , دار طيبة , الرياض , ط1 , طبع عام 1407هـ .
- الإمامة والنص , لفيصل نور , تقريظ : سعد بن عبد اللّه الحميد , وعثمان الخميس, دار الصديق للنشر والتوزيع , اليمن , ط1 , طبع عام 1425هـ .
- الأنساب , للسمعاني , لعبد اللّه البارودي , دار الجنان , بيروت , ط1 , طبع عام 1408 هـ .

- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل , لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي , تحقيق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات , لابن الوزير , دار الكتب العلمية , بيروت , ط2 , طبع عام 1987م .
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية ، لأبي عبد اللّه شمس الدين الزرعي الدمشقي ، دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , طبع عام 1404 هـ.
- الاعتصام , للشاطبي , تحقيق : سليم بن عيد الهلالي , دار ابن القيـم , الدمام , ط1 , طبع عام 1423هـ .
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد , للبيهقي , تحقيق : عبد الله محمد الدرويش , اليمامة للطباعة والنشر , بيروت , ط1 , طبع عام 1420هـ .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين , للرازي , تحقيق : علي سامي النشار, دار الكتب العلمية , بيروت , طبع عام 1402هـ .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم , لابن تيمية , تحقيق : محمد حامد الفقي , مطبعة السُنة المحمدية , ط 2 , طبع عام 1369هـ .
- البداية والنهاية , لابن كثير , مكتبة المعارف , بيروت .
- البرهان في أصول الفقه , لأبي المعالي الجويني , تحقيق : عبد العظيم محمود الديب , دار الوفاء , المنصورة , ط 4 , طبع عام 1418هـ .
- تأملات في نهج البلاغة , لمحمد الصادق , تقديم : صالح بن عبد الله الدرويش , دار السلامة للنشر والتوزيع , القاهرة , ط1 .
- تاج العروس من جواهر القاموس , للزبيدي , تحقيق :

علي شيري , دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع , بيروت , طبع عام 1414 هـ .

- تاريخ الأمم والملوك , للطبري , مؤسسة الأعلمي , بيروت .
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والا جتماعي , لحسن إبراهيم حسن , دار الجيل , بيروت , ط 13 , طبع عام 1411هـ .
- التاريخ الكبير , للبخاري , تحقيق : هاشم الندوي , دار الفكر , بيروت .
- تاريخ مدينة دمشق , لابن عساكر , تحقيق , محب الدين العمري , دار الفكر , بيروت, طبع عام 1995 م .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين , للإسفراييني , تحقيق : كمال يوسف الحوت , عالم الكتب , لبنان , ط 1 , طبع عام 1403هـ .
- تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل , لأبي زرعة العراقي , تحقيق : عبد الله نوارة , مكتبة الرشد , الرياض , طبع عام 1999م .
- تحفة الطالب , لابن كثير , تحقيق : عبد الغني بن حميد , دار حراء , مكة المكرمة , ط1 , طبع عام 1406 هـ .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي , للسيوطي , تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف , مكتبة الرياض الحديثة , الرياض .
- تذكرة الحفاظ , للذهبي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 .
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة , للزركشي , تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , ط 1

, طبع عام 1406هـ .

- التسهيل لعلوم التنـزيل , لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط 4 , طبع عام 1403هـ .
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق , لزكي مبارك , مطبعة الاعتماد, مصر, ط1 , طبع عام 1357هـ.
- التعرف لمذهب التصوف , لمحمد الكلاباذي , دار الكتب العلمية , بيروت , طبع عام 1400هـ .
- التعريفات , للجرجاني , تحقيق: محمد باسل عيون السود , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , طبع عام 1421هـ.
- تفسير البغوي , للبغوي , تحقيق : محمد عبد الله النمر,وعثمان جمعة ضميرية , و سليمان مسلم الحرش , دار طيبة , الرياض , ط2 , طبع عام 1414هـ.
- تفسير القرآن العظيم , لابن أبي حاتم الرازي , تحقيق : أسعد محمد الطيب , مكتبة الباز , مكة المكرمة , ط3 , طبع عام 1424هـ .
- تفسير القرآن العظيم , لابن كثير , دار الفكر , بيروت , طبع عام 1401هـ .
- التفسير الكبير , للرازي , درا الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1421هـ .
- تقريب التهذيب , لابن حجر , تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت , ط2 , طبع عام 1415هـ .
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد , للبغدادي , تحقيق : كمال يوسف الحوت , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1408هـ .

- تلخيص كتاب الموضوعات , لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي , تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم , مكتبة الرشـد , الرياض , ط 1 , طبع عام 1419هـ .
- التمهيد , لابن عبد البر , تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي , ومحمد عبد الكبير البكري , وزارة عموم الأ وقاف , المغرب , طبع عام 1387هـ .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع , للملطي , تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري , المكتبة الأ زهرية , مصر , طبع عام 1418هـ .
- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء , للسبتي , تحقيق : محمد رضوان الداية , دار الفكر المعاصر , لبنان , ط1 , طبع عام 1411هـ .
- تهذيب التهذيب , لابن حجر , دار إحياء التراث العربي , بـيروت , ط2 , طبع عام 1413هـ .
- تهذيب الكمال , للمزي , تحقيق : بشار عواد معروف , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1, طبع عام 1400 هـ .
- التوحيد , للماتريدي , تحقيق : فتح اللّٰه خليف , دار الجامعات المصرية , الإسكندرية .
- توحيد الألوهية , لابن تيمية , تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي , مكتبة ابن تيمية , الرياض , ط 2 .
- التوسل والوسيلة, لابن تيمية , تحقيق : زهير الشاويش ,المكتب الإسلامي , بيروت , طبع عام 1390هـ .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, للسعدي , تحقيق : ابن عثيمين , مؤسسة الرسالة , بيروت , طبع عام 1421هـ .
- الثقات , لابن حبان , تحقيق : شرف الدين أحمد , دار

الفكر , بيروت , ط 1 , طبع عام 1395هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن , للطبري , تحقيق : صدقي جميل العطار, دار الفكر , بيروت , طبع عام 1415 هـ .
- الجامع لأحكام القرآن , للقرطبي , دار الريان للتراث , مصر .
- الجرح والتعديل , لأبي محمد الرازي , دار إحـياء التراث , بيروت , ط1 , طبع عام 1271هـ .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لأحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ، تحقيق: علي سيد صبح المدني , مطبعة المدني , مصر .
- الحجة في بيان المحجة , لأبي القاسم إسماعيل بن محمد , تحقيق : محمد ربيع المدخلي , دار الراية , الرياض , ط 2 , طبع عام 1419هـ.
- حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد , لناصر القفاري , دار الفضيلة , الرياض , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- الخلافة أو الإمامة العظمى , لمحمد رشيد رضا , مطبعة المنار , طبع عام 1341هـ .
- درء تعارض العقل والنقل , لابن تيمية , تحقيق : محمد رشاد سالم , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية , الرياض , ط 2 , طبع عام 1399هـ .
- ذيل تذكرة الحفاظ , لمحمد بن علي الحسيني , دار الكتب العلمية , بيروت .
- الرد على الأخـنائي , لابن تيمية , تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني , المطبعة السلفية , القاهرة.
- الرد على القائلين بوحدة الوجود , لعلي قاري , تحقيق : على رضا بن علي رضا, دار المأمون للتراث , دمشق , ط1 , طبع عام 1415 هـ .

- الرد على المنطقيين , لابن تيمية , تحقيق : رفيق العجم , دار الفكر اللبناني , بيروت , ط1 , طبع عام 1993 م .
- روح المعاني , للألوسي , دار إحياء التراث الـعربي , بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير, لابن الجوزي , المكتب الإ سلامي للطباعة والنشر , دمشق , ط1 , طبع عام 1384هـ .
- السراج الوهاج على متن المنهاج , للغمراوي , دار المعرفة للطباعة والنشر , بيروت .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة , للألباني , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع , الرياض, طبع عام 1415هـ .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة , للألباني , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع, الرياض , ط1 , طبع عام 1422هـ .
- السُنة , لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني , تحقيق : محمد ناصر الألباني, نشر المكتب الإسلامي , بيروت , ط1 , طبع عام 1400هـ .
- سنن أبو داود , لأبي داود , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , دار الفكر , بيروت .
- سنن ابن ماجه , لابن ماجه القزويني , تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , دار الفكر, بيروت .
- سنن الترمذي , للترمذي , تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون , دار إحياء التراث, بيروت .
- السنن الكبرى ، للنسائي ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , طبع عام 1411 هـ.
- السياسة الشرعية , لشيخ الإسلام ابن تيمية , دار الكـ

تاب العربي , بيروت , ط 4 , طبع عام 1969 م .

- سير أعلام النبلاء , للذهبي , تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط 9 , طبع عام 1413هـ .
- السيرة النبوية , لابن هشام , تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد , دار الجيل , بيروت , ط1 , طبع عام 1411هـ .
- شرح أصول اعتقاد أهل السُنة والجماعة , للالكائي , تحقيق : أحمد سعد حمدان الغامدي , دار طيبة , الرياض , طبع عام 1402هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية , للعلامة ابن أبي العز الحنفي , تحقيق : جماعة من العلماء, خرج أحاديثها محمد ناصر الألباني , المكتب الإسلامي , بيروت , ط9 , طبع عام 1408هـ .
- شرح المقاصد في علم الكلام , للتفتازاني , دار المعارف النعمانية , باكـستان , ط1 , طبع عام 1401 هـ .
- شرح مذاهب أهل السُنة , لابن شاهين , تحقيق عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة - مصر، ط1، طبع عام 1415 هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة و التعليل , لابن حجر , تحقيق : محمد بدر الدين الحلبي , دار الفـكر , بيروت , طبـع عام 1398هـ .
- الشورى في ظل نظام الحكم , لعبد الرحمن عبد الخالق , الدار السلفية ودار القلم , الكويت , طبع عام 1975 م .
- الصارم المنكي في الرد على السبكي , لابن عبد الهادي , تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري , مكتبة التوعية الإسلامية .
- الصحاح , لإسماعيل بن حماد الجوهري , تحقيق : أحمد

عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين , بيروت , ط 4 , طبع عام 1407هـ .

- صحيح ابن حبان , لابن حبان , تحقيق : شعيب الأ رنؤوط , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط2 , طبع عام 1414هـ .
- صحيح البخاري , للبخاري , تحقيق :مصطفى ديب البغا , دار ابن كـثير, بي-روت , ط3 , طبع عام 1407 هـ .
- صحيح سنن أبي داود , لمحمد ناصر الدين الألباني , مكتب التربية لدول الخليج , ط 1 , طبع عام 1409هـ .
- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
- صفحات في علوم القراءات , لأبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي, المكتبة الإمدادية , مكة المكرمة , ط1 , طبع عام 1415هـ .
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال و الزندقة , لأبي العباس الهيثمي, تحقيق : عبد الرحمن التركي , وكامل الخراط , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط 1 , طبع عام 1417هـ .
- الصواعق المرسلة , لابن قيم الجوزية , تحقيق : علي محمد الدخيل , دار العاصمة , الرياض , ط 3 , طبع عام 1418هـ .
- الضعفاء الكبير المعروف بضعفاء العقيلي , لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي, تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي , دار المكتبة العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1404 هـ .
- الضعفاء والمتروكين , لابن الجوزي , تحقيق : عبد الله

القاضي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1406هـ .

- الضعفاء والمتروكين , للنسائي , تحقيق : محمود إبراهـيم زايد , دار الوعي, حلب , ط1 , طبع عام 1369 هـ .
- الطبقات الكبرى , لابن سعد , دار صادر , بيروت .
- طبقات المدلسين , لابن حجر , تحقيق : عاصم بن عبد الله القريوتي , مكتبة المنار , عمان , ط1 , طبع عام 1403هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن قيم الجوزية , تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر , دار ابن القيم , الدمام , ط2 , طبع عام 1414 هـ.
- العقيدة الأصفهانية , لابن تيمية , تحقيق : سعيد بن نصر بن محمد , مكتبة الرشد للنشر والتوزيع , الرياض , ط1 , طبع عام 1422 هـ .
- علل الحديث ومعرفة الرجال , لابن حنبل , تحقيق : صبحي البدري , مكتبة المعارف , الرياض , ط 1 , طبع عام 1409هـ .
- عون المعبود , لمحمد شمس الحق , دار الكتب العلمية , بيروت , ط2 , طبع عام 1995 م .
- الغنية في أصول الدين , عبـد الرحمن النيسابوي, تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر , مؤسسة الكتب , لبنان , ط1 , طبع عام 1406 هـ .
- غياث الأمم في التياث الظلم , لأبي المعالي إمام الحرمين عبد الملك الجويني , تحقيق :مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم , دار الدعوة , الإسكندرية , ط1 , طبع عام 1400 هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري , لأحمد بن حجر , تحقيق : محب الدين الخطيب , دار المعرفة , بيروت .

- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير , للشوكاني , دار الفكر , بيروت .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية , لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الجمل , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة ط 1 , طبع عام 1998م.
- الفتوحات المكية , لابن عربي , دار صادر , بيروت .
- الفرق بين الفرق , للبغدادي , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية للطباعة والنشر , بيروت , طبع عام 1413هـ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل , لابن حزم , مكتبة الخانجي , القاهرة .
- فضائح الباطنية , للغزالي , تحقيق : عبد الرحمن بدوي , دار الكتب الثقافية, الكويت .
- فضائل الصحابة , لابن حنبل , تحقيق : وصي الله محمد عباس , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط 1 , طبع عام 1403هـ .
- الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء , لعبد الملك الشافعي , مكتبة البخاري , مصر , ط 1 , طبع عام 1427هـ .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة , للشوكاني , تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي , المكتب الإسلامي , بيروت , ط 3 , طبع عام 1407هـ .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى , مصر , ط1 , 1356هـ .
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث , للقاسمي , دار الكتب

العلمية, بيروت , ط 1 , طبع عام 1399هـ .

- قواعد العقائد , للغزالي , تحقيق : موسى محمد علي , عالم الكتب , لبنان , ط 2 , طبع عام 1405 هـ .
- قواعد الفقه , لمحمد البركتي , دار الصدف , كراتشي , ط 1 , طبع عام 1407هـ .
- الكامل في ضعفاء الرجال , للجرجاني, تحقيق: يحيى مختار غزاوي , دار الفكر, بيروت , ط3 , طبع عام 1409هـ .
- كتاب العين , للفراهيدي , تحقيق : مهدي المخزومي , مؤسسة دار الهجرة للنشر, إيران , ط2 , طبع عام 1409 هـ .
- كتاب المواقف , لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإ يجي , تحقيق : عبد الرحمن عميرة , دار الجيل , بيروت , ط 1 , طبع عام 1417هـ .
- الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد , لخالد محمد علي الحاج, دار إحياء التراث الإسلامي , قطر .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأ فعال , للهندي , تحقيق : محمود عمر الدمياطي , دار الكتب العلمية , بيروت , طبع عام 1419هـ .
- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع , لمحمد بن خليل بن إبراهيم , تحقيق: فواز أحمد , دار البشائر الإسلامية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1415هـ .
- اللآلئ المصنوعة في الأ حاديث الموضوعة , للسيوطي , تحقيق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1417هـ .
- لسان العرب , لابن منظور , دار إحياء التراث العربي ,

قم , ط 1 , طبع عام 1405هـ.

- لسان الميزان , لابن حجر , تحقيق : دائرة المعارف النظامية بالهند , مؤسسة الأعلمي , بيروت , ط3 , طبع عام 1406هـ .
- المجروحين , لابن حبان , تحقيق : محمود إبراهيم زايد , دار الوعي , حلب.
- مجمع الزوائد , للهيثمي , نشر دار الريان , بالقاهرة , دار الكتاب العربي بلبنان , طبع عام 1407هـ .
- مجموع الفتاوى , لشيخ الإسلام ابن تيمية , جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه, الرياض , ط 1 , طبع عام 1386 هـ .
- المحصول في علم الأصول , للرازي , تحقيق : طه جابر العلواني , جامعة الإمام محمد بن سعود , الرياض , ط 1 , طبع عام 1400هـ .
- مختصر التحفة الإثنى عشرية , لمحمود شكري الألوسي , تحقيق : محب الدين الخطيب , نشر المطبعة السلفية , القاهرة , طبع عام 1373هـ .
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة , لمحمد بن أبي بكر بن القيم, اختصره : محمد بن الموصلي , مكتبة الرياض الحديثة , الرياض .
- المدخل إلى السنن الكبرى , للبيهقي , تحقيق : عبد الرحمن الأعظمي , دار الخلفاء للكتاب , الكويت , طبع عام 1404 هـ .
- المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم , للحاكم النيسابوري , تحقيق : ربيع هادي عمير المدخلي , مؤسسة الرسالة , بيروت, ط 1 , طبع عام 1404 هـ .
- المستدرك على الصحيحين , للحاكم النيسابوري , تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية ,

بيروت , ط1 , طبع عام 1411هـ .
- المستصفى في علم الأصول , للغزالي ,تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1, طبع عام 1413هـ .
- مسند الإمام أحمد , مؤسسة قرطبة , مصر .
- المسودة , لابن تيمية , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , دار نشر المـدني , القاهرة .
- مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد , لإيمان العلواني , دار التدمرية , الرياض , ط 1 , طبع عام 1429 هـ .
- مصرع التصوف , للبقاعي , تحقيق عبد الرحمن الوكيل , دار نشر عباس أحمد الباز , مكة المكرمة , طبع عام 1400 هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول , للحكمي , تحقيق : عمر بن محمود , دار ابن القيم , الدمام , ط 1 , طبع عام 1410 هـ .
- معارج القدس , للغزالي , دار الآفاق الجديدة , بيروت , ط2 , طبع عام 1975 م .
- المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , أ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين, القاهرة , طبع عام 1415هـ .
- معجم البلدان , لياقوت الحموي , درا الفكر , بيروت .
- المعجم الكبير , للطبراني, تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي, مكتبة العلوم والحكم , الموصل , ط2 , طبع عام 1404هـ .
- معجم المؤلفين , لعمر رضا كحالة , مطبعة دار إحياء التراث العربي, بيروت, نشر مكتبة المثنى .

- معجم المحدثين , للذهبي , تحقيق : محمد الحبيب الهيلة , مكتبة الصديق, الطائف , ط1 , طبع عام 1408 هـ .
- معجم المناهي اللفظية , لأبي بكر أبو زيد , دار العاصمة , الرياض , ط 3 , طبع عام 1417هـ .
- معجم مصطلحات الصوفية , لعبد المنعم الحفني , دار المسيرة , بيروت , طبع عام 1400 هـ .
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، بيروت , دار الجيل , ط2 , طبع عام1420 هـ.
- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها , لعبد الله القرني , دار عالم الفوائد , مكة المكرمة , ط 1 , طبع عام 1419هـ .
- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج , لمحمد الخطيب الشربيني , دار الفكر , بيروت .
- المغني في أبواب التوحيد والعدل , للقاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد أبادي , تحقيق : عبد الحليم محمود و سليمان دنيا ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة , طبع عام 1966 م .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة , لابن قيم الجوزية , دار الكتب العلمية , بيروت .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين , لعلي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق: هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي , بيروت، ط 3 .
- مقدمة ابن خلدون , لابن خلدون , دار الفكر , دمشق .
- الملل والنحل , للشهرستاني , تحقيق : أمير على مهنا , وعلي حسن فاعور , دار المعرفة , بيروت , ط2 , طبع

عام 1413 هـ .

- منهاج السُنة النبوية , لابن تيمية , تحقيق : محمد رشاد سالم , مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية , الرياض , ط1 , طبع عام 1406 هـ .
- منهاج الطالبين وعمدة المفتين , للنووي , دار المعرفة , بيروت .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج , لمحي الدين النووي , تحقيق : خليل مأمون شيحا , دار المعرفة بيروت , ط1 , طبع عام 1414هـ .
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُنة و الجماعة , لعثمان بن علي حسن , مكتبة الرشد , الرياض , ط3 , طبع عام 1415هـ .
- المنهل الروي , لا بن جماعة , تحقيق : محيي الدين عبد الرحمن , دار الفكر , دمشق , ط2 , طبع عام 1406 هـ .
- الموافقات, للشاطبي , تحقيق : إبراهيم رمضان , دار المعرفة , بيروت , ط5 , طبع عام 1422هـ .
- موسوعة الفلسفة , لعبد الرحمن بدوي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , طبع عام 1984 م .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة , لدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف : مانع الجهني , دار الندوة العالمية للطباعة و النشر والتوزيع , الرياض , ط3 , طبع عام 1418هـ .
- الموضوعات , لابن الجوزي , تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط2, طبع عام 1403هـ .
- موضوعات الصاغاني , للصاغاني , تحقيق : نجم عبد

الرحمن خلف , دار المأمون للتراث , دمشق , ط 2 , طبع عام 1405هـ .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال , للذهبي , تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , طبع عام 1995م .
- النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية , لمحمد الأمير الكبير المالكي , تحقيق :زهير الشاويش , المكتب الإسلامي , بيروت , ط 1 , طبع عام 1409هـ.
- نظام الحكم في الإسلام , لمحمد يوسف موسى , راجعه : جسين يوسف موسى , دار الفكر العربي , القاهرة .
- نقد ولاية الفقيه، محمد مال الله ، دار الصحوة الإسلا مية ، طبع عام 1409 هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر , لابن الأ ثير , تحقيق : محمود محمد الطناحي, و طاهر احمد الزاوي , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
- نونية ابن القيم الجوزية , لابن القيم , بشرح أحمد بن إبراهيم عيسى , تحقيق زهير الشاويش ,نشر المكتب ا لإسلامي , بيروت , ط3 , طبع عام1406 هـ.
- هدية العارفين , لإسماعيل باشا البغدادي , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
- الوافي بالوفيات , للصفدي , تحقيق : أحمد الأرناؤوط, وتركي مصطفى, دار إحياء التراث , بيروت , طبع عام 1420هـ .
- الوعد الآخروي شروطه وموانعه , لعيسى بن عبد الله السعدي , دار عالم الفوائد , مكة المكرمة , ط 1 , طبع عام 1422هـ .

3/ المصادر والمراجع الشيعية :

أ - المخطوطة :

- التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية , لعبد الله الجزائري , مخطوط رقم (2269) مكتبة آستانة قدس , بقم .

ب - المطبوعة :

- أجوبة الاستفتاءات , لعلي الخامنئي , دار النبأ للنشر و التوزيع , الكويت , ط 1 , طبع عام 1415هـ .
- آداب عصر الغيبة , لحسين الكوراني , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , طبع عام 1410هـ .
- الإرشاد , للمفيد , دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت .
- الأسرار الفاطمية , لمحمد فاضل المسعودي , مؤسسة الأنـوار الفاطمية , بيروت , ط3 , طبع عام 1423هـ.
- أصل الشيعة وأصولها , لجعفر آل كاشف الغطاء , تحقيق : علاء آل جعفر , مؤسسة الإمام علي, قم , ط1 , طبع عام 1415هـ .
- أصول البحث, لعبد الهادي الفضلي ,مؤسسة دار الكتاب الإسلامي,قم .
- الأصول الستة عشر من الأصول الأولية , لتحقيق ضياء الدين المحمودي , نشر دار الحديث , قم , ط 1 , طبع عام 1423هـ .
- الأصول العامة للفقه المقارن , لمحمد تقي الحكيم , مؤسسة آل البيت , النـجف, ط 2 , 1390 هـ .
- أصول العقائد في الإسلام , لمجتبى اللاري , مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم , قم , ط1 , طبع عام 1424هـ.

- أصول الفقه , لمحمد رضا المظفر , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين, قم , 1370 هـ .
- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية , لجعفر السبحاني , مؤسسة الإمام الصادق , قم , ط 1 , طبع عام 1421هـ .
- إعلام الورى بأعلام الهدى , لأبي علي الطبرسي , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , مطبعة ستارة , قم , ط1 , طبع عام 1417هـ .
- أعيان الشيعة , لمحسن بن عبد الكريم الأمين , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , طبع عام 1406 هـ .
- إقبال الأعمال , لابن طاووس , تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني , مكتب الإعلام الإسلامي , قم , ط 1 , طبع عام 1414هـ .
- الألفين , للحلي , مكتبة الألفين , الكويت , ط1 , طبع عام 1405هـ .
- الإلهيات على هدى الكتاب والسُنة , لجعفر السبحاني , الدار الإسلامية , قم .
- الأمالي , الصدوق , تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة , نشر مركز الطباعة والنشر بمؤسسة البعثة,قم,ط1,طبع عام 1417هـ .
- الأمالي , الطوسي , تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة , نشر دار الثقافة للطباعة , قم , ط1 , طبع عام 1414هـ .
- الإمام المهدي ومفهوم الانتظار , لكاظم جعفر مصباح , دار البصائر للطباعة والنشر , طهران , ط 1 , طبع عام 1423هـ .
- الإمام جعفر الصادق , لعبد الحليم الجندي , نشر مطابع الأهرام التجارية , نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , القاهرة ,ط 1,طبع عام 1397هـ.

- الإمام علي بن أبي طالب , لأحمد الرحماني الهمداني , المنير للطباعة والنشر , طهران , ط 1 , طبع عام 1417 هـ .
- الإمامة , لمرتضى مطهري , ترجمة : جواد علي كسار , مؤسسة أم القرى , ط1 , طبع عام 1417هـ.
- الإمامة وقيادة المجتـمع , لكاظم الحائري , مطبعة باقري , قم , ط 1 , 1416هـ .
- أمل الآمل , للحر العاملي , تحقيق : أحمد الحسيني , مطبعة الآداب , نشر مكـتبة الأنـدلس , النجف , طبع عام 1404هـ .
- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية , لجواد التبريزي , مطبعة شريعت , نشر دار الصـديقة الشهيدة , قم , ط2 , طبع عام 1382 هـ .
- الأنوار البهية في تواريخ الحجج البهية , لعباس القمي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم , ط1 , طبع عام 1417 هـ .
- الأنوار القدسية , لمحمد حسين الأصفهاني , تصحيح وتعليق : علي النهاوندي , مؤسسة المعارف الإسلامية , قم , ط 1 , طبع عام 1415هـ.
- الأنوار النعمانية , لنعمة الله الجزائري , مؤسسة الأ علمي للمطبوعات , بيروت , ط4 , 1404 هـ .
- أوائل المقالات , للمفيد , دار المفيد للطباعة والنشر , بيروت , ط2 , طبع عام 1414 هـ .
- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة , للحر العاملي , تحقيق : مشتاق مظفر , مطبعة نكارش , نشر دليل ما , قم , ط 1 , طبع عام 1422هـ .
- الاجتهاد والتقليد , للخوئي , مطبعة الصدر , نشر دار الهادي , قـم , ط3 , طبع عام 1410 هـ .

- الاحتجاج , لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي , تحقيق:محمد باقر الخرسان, دار النعمان للطباعة و النشر , النجف .
- الاختصاص , للمفيد , تحقيق : علي أكبر غفاري , ومحمود الزرندي , نشر دار المفيد للطباعة , بيروت , ط 2 , طبع عام 1414هـ .
- اختيار معرفة الرجال , المعروف برجال الكشي , للطوسي , تحقيق : مير داماد, ومحمد باقر الحسيني, ومهدي الرجائي , مطبعة بعثت , نشر مؤسسة آل البيت , بقم , طبع عام 1404 هـ .
- الاعتقادات في دين الإمامية , للصدوق , تحقيق : عصام عبد السيد , دار المفيد للطباعة والنشر , بيروت , ط 2 , طبع عام 1414هـ .
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار , لمحمد باقر المجلسي , مؤسسة الوفاء , بيروت , ط2 , طبع عام 1403هـ .
- بحث حول الولاية , لمحمد باقر الصدر , دار التعارف للمطبوعات, بيروت , ط 2 , طبع عام 1399هـ .
- بحوث في علم الرجال , لمحمد آصف المحسني , مطبعة طاووس بهشت , قم , ط 4 , طبع عام 1421هـ .
- بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية , لمحسن الخرازي , مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين , قم , ط5 , طبع عام 1418هـ .
- بداية الوصول في شرح كفاية الأصول , لمحمد طاهر آل الشيخ راضي , تقديم محمد عبد الحكيم الموسوي , مطبعة ستارة , إيران , ط 1 , طبع عام 1425هـ .
- البرهان في تفسير القرآن , لهاشم البحراني , مؤسسة ا

لأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- بصائر الدرجات , لمحمد بن الحسن الصّفار , تحـقيق : ميرزا محـسن كوجه باغي , مطبعة الأحمدي , نشر مؤسسة الأعلمي , طهران , طبع عام 1404هـ .
- بلغة الفقيه , لمحمد مهدي بحر العلوم , شرح وتعليق : محمد تقي آل بحر العلوم , منشورات مكتبة الصادق , طهران , ط 4 , طبع عام 1403هـ .
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة , لمحمد تقي التستري , تحقيق : مؤسسة نهج البلاغة , دار أمير كبير للنشر , طهران , ط1, طبع عام 1418هـ .
- تاج المواليد , للطبرسي, مكتبة المرعشي النجفي, قم , طبع عام 1406هـ .
- تاريخ الغيبة الصغرى , لمحمد الصدر , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , 1412 هـ .
- التحرير الطاووسي , لحسن زين الدين العاملي , تحقيق فاضل الجواهري , مطبعة سيد الشهداء , نشر مكتبة المرعشي النجفي , قم , ط 1 , طبع عام 1411هـ .
- تحرير العروة ,لمصطفى الخميني , مطبعة مؤسسة البروج , نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- تذكرة الفقهاء , للحلي , مطبعة مهر , نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , قم , ط 1 , طبع عام 1414هـ .
- تراجم الرجال , لأحمد الحسيني , مطبعة صدر , نشر مكتبة المرعشي النجفي, قم , طبع عام 1414هـ .
- تصحيح اعتقادات الإمامية , للمفيد , تحقيق : حسين دركاهي , دار المفيد للطباعة والنشر , بيروت , ط2 , 1414هـ .
- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية

الفقيه ,لأحمد الكاتب, الانتشار العربي للطباعة و النشر ,بيروت ,ط 6 ,طبع عام 2008م .

- تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى , لمحمد اسحاق فياض , مطبعة أمير , نشر انتشارات محلا تي , إيران .
- تعرف على الإسلام , لهادي المدرسي , مكتبة الفردوس للطباعة والنشر , بيروت , ط 1 , طبع عام 1424هـ .
- تفسير أبي حمزة الثمالي , لأبي حمزة ثابت بن دينار , تحقيق : عبد الرزاق محمد حسين , تقديم محمد هادي معرفة , مطبعة الهادي , قم , ط 1 , طبع عام 1420هـ .
- تفسير الصافي , للكاشاني , تحقيق: حسين الأعلمي , مطبعة مؤسسة الهادي بقم, ونشر مكتبة الصدر بطهران , ط2 , طبع عام 1416هـ .
- تفسير العسكري, المنسوب للإمام أبي محمد الحسن العسكري , مطبعة مهر, نشر مدرسة الإمام المهدي , قم , ط1 , طبع عام 1409 هـ .
- تفسير العياشي , للعياشي , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط1, طبع عام 1411هـ .
- تفسير القمي , لعلي بن بابويه القمي , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط1 , طبع عام 1412هـ .
- تفسير سورة الحمد , لمحمد باقر الحكيم , مطبعة شريعت , ونشر مجمع الفكر الإسلامي , قم , ط1 , طبع عام 1420هـ .
- تفسير فرات الكوفي , للكوفي , تحقيق : محمد الكاظم , المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي , طهران , ط1 , طبع عام 1410 هـ .
- تفسير نور الثقلين , لعبد علي بن جمعه الحويزي , تحقيق : هاشم الرسولي المحلاتي , مؤسسة إسماعيليا

ن , قم , ط4 , طبع عام 1412هـ .

- تقريب المعارف , لأبي الصلاح تقي بن نجم الحلبي , تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون , طبع عام 1417 ه ـ .
- تكملة أمل الآمل , لحسن الصدر , تحقيق : أحمد الحسيني , مطبعة الخيام , نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي , قم , طبع عام 1406 هـ .
- تلامذة المجلسي , لأحمد الحسيني , مطبعة الخيام , ونشر مكتبة المرعشي النجفي , قم , ط1 , طبع عام 1410هـ .
- تلخيص الشافي , للطوسي , تعليق : حسين بحر العلوم , مطبعة معراج , نشر مؤسسة انتشارات المحبين , توزيع مكتبة الصفا , قم , ط1 , طبع عام 1382 هـ .
- التمهيد في شرح عقائد التوحيد , لصائن الدين بن تركة , تقديم : حسن الرمضاني الخرساني, مؤسسة أم القرى ,بيروت , ط1 ,طبع عام 1424هـ.
- تهذيب الأحكام , لأبي جعفر الطوسي , تحقيق : حسن الخرسان ,تصحيح : محمد الآخوندي , مطبعة خورشيد , نشر دار الكتب الإسلامية , طهران , ط4 , طبع عام 1365هـ .
- تهذيب المقال في كتاب الرجال , للأبطحي , مطبعة سيد الشهداء , قم , ط2 , طبع عام 1412 هـ .
- التوحيد , لابن بابويه القمي , تحقيق : هاشم الحسيني الطهراني , منشورات جماعة المدرسين , قم , طبع عام 1387هـ .
- جامع الرواة , لمحمد علي الاردبيلي , نشر مكـتبة المحمدي , قم .

- جامع السعادات , للنراقي , تحقيق وتعليق : محمد كلا نتر , تقديم : محمد رضا مظفر , مطبعة النعمان , النجف .
- جنود العقل والجهل , للخميني , ترجمة : مؤسسة أم القرى , دار المحجة البيضاء , بيروت , ط1 , طبع عام 1424 هـ.
- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام , لمحمد حسن المعروف بالجواهري , تحقيق : عباس القوجاني , مطبعة خوشيد , نشر دار الكتب الإسلامية , طهران , ط 3 , طبع عام 1367هـ .
- الحاشية على أصول الكافي , لبدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي , تحقيق : محمد تقي الموسوي , دار الحديث للطباعة والنشر , قم , ط 1 , طبع عام 1425هـ .
- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة , ليوسف البحراني , تحقيق : محمد تقي الايرواني , وفهرسة : يوسف البقاعي , دار الأضواء للطباعة والنشر , بيروت, ط3 , طبع عام 1413هـ .
- حصر الاجتهاد , للآقا بزرك الطهراني , تحقيق : محمد علي الأنصاري , مطبعة الخيام , نشر مدرسة الإمام المهدي , إيران , طبع عام 1401هـ .
- الحق المبين في معرفة المعصومين , للكوراني , دار الهادي للطباعة والنشر , بيروت , ط 2 , طبع عام 1423هـ .
- حق اليقين في معرفة أصول الدين , لعبد الله شبر , مؤسسة الأعلمي للمطبـوعات , بيروت, ط1 , طبع عام 1418هـ .
- حقائق الإيمان , للشهيد الثاني , تحقيق : مهدي رجائي ,

إشراف : محمود المرعشي , مطبعة سيد الشهداء , نشر مكتبة المرعشي النجفي العامة , قم , ط1 , طبع عام 1409هـ .

- حقيقة الإمامة , للمولى عبد الصمد الهمداني , مركز بقية الله الأعظم , بيروت , طبع عام 1999م .
- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية , للملا صدرا الشيرازي , دار إحياء التراث, بيروت , ط3 , طبع عام 1981 م .
- حياة الإمام المهدي , لباقر شريف القرشي , مطبعة أمير , قم , ط 1 , طبع عام 1417هـ .
- خاتمة مستدرك الوسائل , النوري الطبرسي , مطبعة ستارة , نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , قم , ط 1 , 1416هـ .
- الخرائج والجرائح , لقطب الدين الراوندي , مؤسسة الإمام المهدي , قم .
- الخصال , للصدوق , تحقيق : علي أكبر الغفاري , نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية . قم .
- خلاصة الأقوال , للحلي , المطبعة الحيدرية , النجف , ط2, طبع عام 1381هـ .
- خلاصة عبقات الأنوار , لحامد النقوي , مطبعة خيام , ونشر مؤسسة البعثة الإسلامية , طهران , ط 1 , طبع عام 1405هـ .
- الخميني و الدولة الإسلامية ، لمحمد جواد مغنيه، دار العلم للملايين، بيروت، طبع عام 1979 م.
- الدر الثمين , لرجب البرسي , تحقيق : علي عاشور , منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط1 , طبع عام 1424 هـ .
- الدر المنضود , للكلبايكاني, مطبعة أمير ,نشر دار القرآن

الكريم ,قم , ط 1, طبع عام 1412هـ .

- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية , لـ لمنتظري , مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي , نشر المركز العالمي للدراسات الإسلامية , قم , ط1 , طبع عام 1408هـ .
- دراسة عامة في الإمامة , لإبراهيم الأميني , ترجمة : كمال السيد , مطبعة ثامن الأئمة , نشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر , قم , ط 2 , طبع عام 1426 هـ .
- الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية , ليوسف البحراني , شركة دار المصطفى لإحياء التراث , بيروت , ط1 , طبع عام 1423هـ .
- الدروس الشرعية في فقه الإمامية , لشمس الدين العاملي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , بقم , ط1 , طبع عام 1412هـ .
- دروس في أصول فقه الإمامية , لعبد الهادي الفضلي , مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر , قم , ط 1 , طبع عام 1420 هـ .
- دروس في العقائد الإسلامية, لمكارم الشيرازي, مدرسة الإمام علي بن أبي طالب , طبع عام 1419هـ .
- دروس في العقيـدة الإسلامية , لمحمد تقي مصباح اليزيدي , ترجمة :هاشم محمد , مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع بقم , ط 4,طبع عام 1424هـ.
- دروس في علم الأصول , لمحمد باقر الصدر , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ط 2 , طبع عام 1406هـ .
- دلائل الإمامة , لابن جرير الطبري الشيعي , مطبعة البـعثة , قم , ط1 , طبع عام 1413هـ .
- الدليل العـقلي على إمامة علي , لعلي الميلاني , مركز ا

لأبحاث العقائدية , قم , ط1 , طبع عام 1421 هـ .

- الذريعة إلى تصانيف الشيعة , للآقا بزرك الطهراني , دار الأضواء , بيروت , ط2 , طبع عام 1403 هـ .
- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة , لمحمد بن مكي , تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , مطبعة ستارة , نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث, قم , ط 1 , طبع عام 1419هـ .
- ربع قرن مع العلامة الأميني , لحسين الشاكري , مطبعة ستارة ,قم , ط 1, طبع عام 1417هـ .
- رجال ابن داود , لابن داود الحلي , المطبعة الحيدرية , النجف , طبع عام 1392 هـ.
- رجال الخاقاني , لعلي الخاقاني , تحقيق : محمد صادر بحر العلوم , مكتب الإعلام الإسلامي , قم , ط 2 , طبع عام 1404هـ .
- رجال الطوسي , للطوسي , تحقيق : جواد القيومي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين, قم , طبع عام 1415 هـ .
- رجال النجاشي , للنجاشي , تحقيق : موسى الشبيري الزنجاني , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم , ط5 , طبع عام 1416هـ .
- الرسائل الرجالية , لابي المعالي محمد بن محمد الكلباسي , تحقيق : محمد حسين الدرايتي , مطبعة سرور , نشر دار الحديث , قم , ط 1 , طبع عام 1422هـ .
- الرسائل العشر , للطوسي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم .
- رسائل الكركي , لعلي بن الحسين الكركي , تحقيق : محمد الحسون , إشراف : محمود المرعشي , مطبعة

الخيام ,نشر مكتبة المرعشي النجفي , قم , ط 1 , طبع عام 1409هـ .

- رسائل المرتضى , للمرتضي , تحقيق : مهدي رجائي , مطبعة سيد الشهداء, نشر دار القرآن , قم , طبع عام 1405 هـ .
- الرسالة السعدية , لابن مطهر الحلي , تحقيق : عبد الحسين محمد علي بقال, مطبعة بهمن , ونشر مكتبة مرعشي نجفي , قم , ط1 , طبع عام 1410 هـ .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات , لمحمد باقر الخوانساري , الدار الإسلامية للطباعة والنشر و التوزيع , بيروت , ط 1 , طبع عام 1411هـ .
- الروضة في فضائل أمير المؤمنين , لشاذان بن جبرئيل القمي , تحقيق : علي الشكرجي , مركز الأمير , قم , ط 1 , طبع عام 1423هـ .
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين , لعلي خان المدني الشيرازي , تحقيق : محسن الحسيني الأميني , مؤسسة النشر الإس-لامي , قم , ط4 , طبع عام 1415هـ .
- رياض المسائل , لعلي الطباطبائي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسية , قم , ط 1 , طبع عام 1412هـ .
- زبدة الأصول , لمحمد صادق الروحاني , مطبعة قدس , نشر مدرسة الإمام الصادق , قم , ط1 , طبع عام 1412هـ .
- السرائر , لابن إدريس الحلي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم , ط 2 , طبع عام 1410 هـ .
- السقيفة ,لسليم بن قيس الهلالي , دار الإرشاد الإسلا

امي , بيروت , ط3, طبع عام 1414هـ.

- السلفية بين أهل السُنة والإمامية , لمحمد الكثيري , الغدير للطباعة والنشر , بيروت , ط1 , طبع عام 1418 هـ .
- سماء المقال في علم الرجال , لأبي الهدى الكلباسي , تحقيق : محمد الحسيني القزويني , مطبعة أمير , نشر مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسـلامية , قم , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- الشافي في الإمامة , للمرتضى , مؤسسة إسماعليان , قم , ط 2 , طبع عام 1401هـ .
- شرح إحقاق الحق , للتستري , تعليق : شهاب الدين النجفي , منشورات مكتبة آية اللّه العظمى مرعشي النجفي , قم .
- شرح أصول الكافي , لمحمد صالح المازندراني , نشر مركز المعجم الفقهي , قم.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمـة الأطهار , للنعمان المغربي , تحقيق : محمد الحسيني الجلالي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم .
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة , لعلي الميلاني , مؤسسة دار الهجرة, قم , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- الشيعة في أحاديث الفريقين , لمرتضى الأبطحي , مطبعة أمير , ط 1 , طبع عام 1416هـ .
- الشيعة في الميزان , لمحمد جواد مغنية , دار الشروق , بيروت, ط 4 , طبع عام 1399هـ .
- صحيفة الرضا , جمع مؤسسة المهدي بإشراف محمد باقر الأبطـحي , مطبعة أمير , نشر مؤسسة المهدي , قم , طبع عام 1408 هـ .

- الصحيفة السجادية الكاملة , منسوبة لعلي زين العابدين , تحقيق حاج عبد الرحيم أفشاري , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم , طبع عام 1404هـ .
- صراط الحقّ في المعارف الإسلامية والأصول العقائدية ، لمحمّد آصف المحسني ، نشر القسم الثقافي في الحركة الإسلامية الأفغانية , قم ، ط 2 , طبع عام 1413هـ .
- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم , لزين الدين العاملي ,تحقيق : محمد الباقر البهبودي ,نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية , العراق , ط1, طبع عام 1384هـ .
- صراط النجاة , للتبريزي ,مطبعة سلمان الفارسي ,نشر دفتر نشر بركزيده , قم , ط 1 , طبع عام 1416هـ .
- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال , لعلي أصغر الجابلقي المعروف بالبروجردي, تحقيق : مهدي الرجائي , مطبعة بهمن , نشر مكتبة المرعشي النجفي , قم , , ط1 , طبع عام 1410هـ .
- عدة الأصول , للطوسي , تحقيق : محمد رضا الأ نصاري , مطبعة ستارة , قم , ط1 , طبع عام 1417 هـ .
- عدة الأصول , للطوسي , تحقيق : محمد مهدي نجف , مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر , قم .
- عدة الداعي ونجاح الساعي , لابن فهد الحلي , تصحيح : أحمد الموحدي القمي , مكتبة وجدان , قم .
- عقائد الإمامية , لمحمد رضا مظفر , تحقيق وتعليق : تقديم : حامد حنفي داود, مطبعة بهمن , انتشارات أنصاريان للطباعة والنشر , قم .

- العقائد الحقة , لعلي الحسيني الصدر , دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط 1 , طبع عام 1426هـ .
- العقل العملي دراسات منهجية في الحسن والقبح العقليين , لمحمد سند , دار الهادي , ببيروت , ط1 , طبع عام 1423هـ .
- العقل المجرد , لمحمد حسين المبارك , دار البيان العربي , بيروت , ط1 , طبع عام 1414 هـ .
- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت , لجعفر السبحاني , ترجمة: جعفر هادي , الوكالة العالمية للتوزيع , بيروت .
- العقيدة من خلال الفطرة في القرآن , لجوادي آملي, ترجمة دار الصفوة, نشر دار الصفوة ببيروت , ط 1 , طبع عام 1415هـ .
- علل الشرائع , للصدوق ,المطبعة الحيدرية , النجف,طبع عام 1386 هـ .
- علوم القرآن , لمحمد باقر الحكيم , مطبعة مؤسسة الهادي , ونشر مجمع الفكر الإسلامي , قم , ط3 , طبع عام 1417هـ .
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب , لجمال الدين المعروف بابن عنبة, تحقيق : محمد حسن آل الطالقاني , منشورات المطبعة الحيدرية , النجف , ط 2 , طبع عام 1380هـ .
- عيون أخبار الرضا , للصدوق , تحقيق : الشيخ حسين ا لأعلمي , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط1 , طبع عام 1404هـ .
- عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة , لحسين آل عصفور , مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة

المدرسين ,قم , ط 1,طبع عام 1410هـ .

- الغيبة , لأبي جعفر الطوسي , تحقيق : عباد الله الطهراني و علي احمد ناصح, مطبعة بهمن , نشر مؤسسة المعارف الإسلامية , قم , ط1 , طبع عام 1411هـ .
- الغيبة , للنعماني , تحقيق : علي أكبر الغفاري , مكتبة الصدوق , طهران .
- الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة , لفاضل المالكي , مركز الأبحاث العقائدية, قم , ط 1 , طبع عام 1420هـ .
- فتح الأبواب , لابن طاووس الحسيني , تحقيق : حامد الخفاف , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , بيروت , ط 1 , طبع عام 1409 هـ .
- فدك في التاريخ , لمحمد باقر الصدر , تحقيق : عبد الجبار شرارة , مركز الغدير للدراسات الإسلامية , ط 1 , طبع عام 1415هـ .
- فرائد الأصول , لمرتضى الأنصاري , مطبعة باقري , نشر مجمع الفكر الإسلامي , قم , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- فرق الشيعة , للنوبختي , تحقيق : محمد صادق بحر العلوم , المطبعة الحيدرية , نشر المكتبة المرتضوية , النجف , طبع عام 1355 هـ .
- الفصول الغروية في الأصول الفقهية , لمحمد حسين الحائري , دار إحياء العلوم الإسلامية , قم , طبع عام 1404هـ .
- الفصول المختارة , للمفيد , تحقيق : مير علي شريفي , دار المفيد , بيروت , ط2 , طبع عام 1414 هـ .
- الفصول المهمة في أصول الأئمة , للحر العاملي , تحقيق : محمد بن محمد حسين القائيني , مطبعة نكين , ونشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا،

قم , ط1, طبع عام 1418هـ .

- الفهرست , لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم تحقيق : يوسف علي الطويل , دار الكتب العلمية , بيروت , ط2 , طبع عام 1422هـ .
- الفهرست , للطوسي , تحقيق : جواد القيومي , مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي , نشر مؤسسة الفقاهة , قم , ط1 , طبع عام 1417 هـ .
- الفوائد الرجالية , لمحمد مهـدي بحر العلوم , تحقيق : مـحمد صادق بحر العـلوم , مكتبة الصادق , طهـران , ط1 , طبع عام 1363هـ .
- الفوائد المدنية , للاسترابادي , بتحقيق :رحمة اللّه الرحمتي الأراكي , مؤسسة النشر الإسلامي , قم , ط1 , طبع عام 1424 هـ .
- في رحاب العقيدة ,لمحمد سعيد الطباطبا ئي ,مؤسسة المرشد ,بيروت, ط2 , طبع عام 1424هـ .
- القاموس الفقهي , لسعدي أبو حبيب , دار الفكر , سورية , ط 2 , طبع عام 1408هـ .
- قرب الإسناد , لأبي العباس عبد اللّه الحميري , مطبعة مهر , نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , قم , ط1 , طبع عام 1413 هـ .
- قصص الأنبياء , للجزائري , منشورات الشريف الرضي , قم .
- قصص الأنبياء , للراوندي , تحقيق : المرزا غلام رضا ,مؤسسة الهادي , بيروت , ط1, طبع عام 1418 هـ .
- قواعد المرام في علم الكلام , لابن ميثم البحراني , تحقيق : أحمد الحسيني , مطبعة الصدر , نشر مكتبة المرعشي النجفي , ط 2 , طبع عام 1406هـ .

- القواعد والفوائد , لمحمد بن مكي , تحقيق : عبد الهادي الحكيم , منشورات مكتبة المفيد , قم .
- الكافي في الأصول والفروع , للكليني , تحقيق : علي أكبر غفاري , مطبعة حيدري , نشر دار الكتب الإسلا مية , طهران , ط3 ,طبع عام 1388هـ .
- كامل الزيارات , لابن قولويه , تحقيق : جواد القيومي , مؤسسة النشر الإسلامي , نشر مؤسسة نشر الفقاهة , قم , ط 1 , طبع عام 1417هـ .
- كتاب الأربعين , للماحوزي , تحقيق: مهدي رجائي , مطبعة أمير , قم , طبع عام 1417هـ .
- كتاب الطهارة , للخوئي , مطبعة الصدر , ونشر دار الهادي , قم , ط3 , طبع عام 1410هـ .
- كتاب المكاشفات , لمحمد حسين التبريزي النجفي , تقديم وتحقيق : رضا محمد حُدرج , دار المحجة البيضاء , بيروت , ط1 ,طبع عام 1423هـ .
- كسر الصنم , لأبي الفضل البرقعي , ترجمة : عبد الرحيم البلوشي , راجعه : عمر محمود أبو عمر , دار البيارق , ا لأردن , ط 1 , طبع عام 1419هـ
- كشف الحجب والأستار , لإعجاز حسين , مكتبة المرعشي النجفي , قم , ط 2 , طبع عام 1409هـ .
- كشف الغمة في معرفة الأئمة , للأربلي , نشر مكتبة بني هاشمي , تبريز , طبع عام 1381هـ .
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد , للحلي, تعليق :جعفر السبحاني , الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط 1 , طبع عام 1427هـ .
- كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثنى عشر, لعبد اللطيف الحسيني , مطبعة الخيام , انتشارات بيدار , قم , طبع عام 1401هـ .

- كفاية الأصول , لمحمد كاظم الخراساني , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , قم .
- كليات في علم الرجال , لجعفر السبحاني, مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم , ط3 , طبع عام 1414هـ .
- كمال الدين وتمام النعمة , للصدوق , تحقيق : علي أكبر غفاري , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم , طبع عام 1405 هـ .
- كنز الفوائد , لأبي الفتح الكراجكي , مطبعة غدير ,نشر مكتبة المصطفوي , قم , ط 2 , طبع عام 1369هـ .
- الكنى والألقاب , لعباس القمي , تقديم : محمد هادي الأ ميني , نشر مركز المعجم الفقهي , قم .
- لقد شيعني الحسين (ع) , لإدريس الحسيني المغربي , مطبعة مهر , نشر منشورات أنوار الهدى و الاعتصام للطباعة والنشر , ط 1 , طبع عام 1415 هـ .
- اللهوف في قتلى الطفوف , لابن طاووس , نشر أنوار الهدى , قم , ط 1 , طبع عام 1417هـ.
- المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة , لشرف الدين الموسوي , مراجعة وتحقيق : محمود البدري , مؤسسة المعارف الإسلامية , قم , ط 1 , طبع عام 1421هـ .
- مجمع البحرين , للطريحي , تحقيق : أحمد الحسيني , مكتب النشر للثقافة الإسلامية , قم , ط 2 , طبع عام 1408هـ .
- مجموعة الرسائل , لطف الله الصافي , نشر مؤسسة الإ مام المهدي , قم , طبع عام 1404 هـ .
- المحاسن , لأحمد بن محمد البرقي , تصحيح وتعليق :

جلال الدين الحسيني, دار الكتب الإسلامية , طهران , طبع عام 1370هـ .

- محاضرات في الإلهيات ,لجعفر السبحاني ,تلخيص : علي الرباني الكلبايكاني , مؤسسة الإمام الصادق , قم .
- المختصر النافع , لأبي القاسم نجم الدين الحلي , نشر قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة , طهران , ط 3 , طبع عام 1410هـ .
- مختصر بصائر الدرجات , للحسن بن سليمان الحلي , المطبعة الحيدرية , النجف, ط1 , طبع عام 1370هـ .
- مدينة المعاجز , لهاشم البحراني ,تحقيق : عزة الله المو لائي الهمداني , مطبعة بهمن , نشر مؤسسة المعارف الإ سلامية , قم , ط1 ,طبع عام 1413هـ .
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول , لمحمد باقر المجلسي , مقابلة وتصحيح: هاشم رسولي, دار الكتب ا لإسلامية , طهران , طبع عام 1379 هـ.
- المراسم العلوية في الأحكام النبوية , لسالار , تحقيق : محسن الحسيني الأمي-ني , مطبعة أمير , ونشر المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت , قم , طبع عام 1414هـ .
- المزار , للمفيد, تحقيق: محمد باقر الأبطحي , نشر دار المفيد, بيروت, ط 2 , طبع عام 1414هـ .
- المزار , لمحمد المشهدي , تحقيق : جواد القيومي الأ صفهاني , طبع مؤسسة النشر الإسلامي , قم , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- المسائل العشر في الغيبة , للمفيد , تحقيق : فارس تبريزيان الحسون , نشر مركز الأبحاث العقائدية , قم , ط 1 .
- المسائل الناصريات , للمرتضى , تحقيق : مركز البحوث

والدراسات العلمية, مطبعة الهدى , نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية , طهران, طبع عام 1417 هـ .

- مسائل عقائدية , لعلاء الدين القزويني , دار المحجة البيضاء , بيروت , ط2 , طبع عام 1421 هـ .
- مستدرك الوسائل , للنوري الـطبرسي , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , ط1 , طبع عام 1408هـ .
- مستدرك سفينة البحار , لعلي النمازي الشاهرودي , تحقيق : حسن بن علي النمازي , مؤسسة النشر الإسلا مي التابعة لجماعة المدرسين , قم , ط1, طبع عام 1419هـ .
- مستدركات أعيان الشيعة , لحسن الأمين , درا التعارف للمطبوعات , بيروت , طبع عام 1408 هـ .
- مستدركات علم رجال الحديث , لعلي النمازي الشاهرودي , مطبعة شفق, إيران , ط 1 , طبع عام 1412هـ .
- مستمسك العروة , لمحسن الحكيم, منشورات مكتبة المرعشي النجفي , طبع عام 1404 هـ .
- مستند الشيعة , للنراقي , مطبعة ستارة , نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , إيران , ط1 , طبع عام 1415 هـ .
- المسلك في أصول الدين , للحلي , تحقيق : رضا الأ ستادى مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة , مشهد , ط1 , طبع عام 1414هـ .
- مشارق أنوار اليقين , للبرسي , تحقيق : علي عاشور , مؤسسة الأعلى للمطبوعات , ط 1 , طبع عام 1419هـ .
- مشارق الشموس الدرية في أحقية مذهب الأخبارية , لعدنان البحراني , نشر المكتبة العدنانية , البحرين .
- مصائب آل محمد , لمحمد محمدي الاشتهاردي ,دار

الكتاب العربي , بيروت, ط1 , طبع عام 1424هـ .

- مصابيح الجنان , للقمي , دار الفقه , إيران , ط 59.
- المصباح , للكفعمي , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط 3 , طبع عام 1403هـ.
- مصباح المنهاج , لمحمد سعيد الحكيم , مطبعة جاويد , نشر مؤسسة المنار للطباعة والنشر , قم , ط 1 , طبع عام 1415هـ .
- معالم العلماء , لابن شهر آشوب , تحقيق : محمد صادق بحر العلوم , نشر مركز المعجم الفقهي , قم .
- معاني الأخبار , للصدوق , تصحيح : علي أكبر غفاري , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , طبع عام 1379هـ .
- معتقدات الشيعة, لعلي السيد حسين المكي , المؤسسة الدولية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , طبع عام 1424هـ .
- معجم أحاديث المهدي , لعلي الكوراني العاملي , مطبعة بهمن , نشر مؤسسة المعارف الإسلامية , قم , ط 1, طبع عام 1411 هـ .
- معجم ألفاظ الفقه الجعفري , لأحمد فتح الله , مطابـع المدخول , الدمام, ط 1 , طبـع عام 1415 هـ
- معجم المطبوعات النجفية , لمحمد هادي الأمين, تقديم :عبد الحميد العلوجي , مطبعة النعمان ,نشر مطبعة الآداب , ط1 ,طبع عام 1385 هـ .
- معجم رجال الحديث , للخوئي, مركز المعجم الفقهي بـ الحوزة العلمية , قم, ط5 , طبع عام 1413هـ .
- معرفة الإمـام , للطهراني , تعريب :علي هاشم , دار المحجة البيضاء , بيروت , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- معرفة الحديث وتاريخ نشره وتدوينه وثقافته عند

الشيعة , لمحمد باقر البهبودي ,دار الهادي , بيروت .

- مفاهيم القرآن, لجعفر سبحاني , مؤسسة الإمام الصادق, قم , ط 4 , طبع عام 1413هـ .
- مفتاح أحسن الخزائن الإلهية , لمصطـفى الخميني , مطبـعة العروج , نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمـيني, بقم , ط1 , طبع عام 1418هـ .
- مفتاح الفلاح , للبهائي العاملي , منشورات مؤسسة الأ علمي للمطبوعات , بيروت .
- المفيد من معجم رجال الحديث , لمحمد الجواهري , المطبعة العلمية , نشر مكتبة المحلاتي , قم , ط 2 , طبع عام 1424هـ .
- مقاتل الطالبين , لأبي الفرج الأصفهاني , تحقيق : كاظم المظفر , منشورات المكتبة الحيدرية , النجف , ط 2 , طبع عام 1385هـ .
- مقدمة تفسير البرهان المسماه بـ" مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار" , لأبي الحسن العاملي , مؤسسة الأ علمي للمطبوعات , بيروت , ط1 , طبع عام 1419هـ .
- المقنع في الغيبة , للمرتضى , تحقيق : محمد علي الحكيم , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , بيروت , ط 1 , طبع عام 1416هـ .
- المقنعة , للمفيد , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم , ط2, طبع عام 1410 هـ .
- المكاسب , لمرتضى الانصاري , تحقيق : لجنة تحقيق التراث بمجمع الفكر الإسلامي , مؤسسة الهادي , قم , ط1 , طبع عام 1418هـ .
- الملل والنحل , لجعفر سبحاني , مركز مديريت حوزة علمية , قم, ط2, طبع عام 1408هـ.
- المنطق , لمحمد رضا المظفر , نشر مؤسسة النشر الإسلا مي التابعة لجماعة المدرسين , قم .

- من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين , منتظري , تعريب : السيد حسن علي حسن , مطبعة القدس , نشر دار الفكر , قم , ط1 , طبع عام 1425 هـ .
- من لا يحضره الفقيه , للصدوق ,تحقيق : علي أكبر الغفاري , منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية , قم , ط2 , طبع عام 1404هـ .
- منار الهدى في النص على إمامة الإثنى عشر , لعلي البحراني , تحقيق : عبد الزهراء الخطيب , دار المنتظر للطباعة والنشر , بيروت , ط 1 , طبع عام 1405هـ .
- مناقب آل أبي طالب , لا بن شهر آشوب , المطبعة الحيدرية , النجف , طبع عام 1376 هـ .
- منتهى الدراية في توضيح الكفاية , لمحمد جعفر الشوشتري , مؤسسة دار الجتاب الجزائري للطباعة و النشر , النجف , ط 6 , طبع عام 1415هـ .
- منية الطالب في شرح المكاسب , لمحمد حسين النائيني , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم , ط1 , طبع عام 1418 هـ .
- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب , محمد الريشهري , تحقيق : مركز بحوث دار الحديث بمساعدة محمد كاظم الطبطائي ,نشر دار الحديث , قم, ط 2 , طبع عام 1425هـ .
- موسوعة المصطفى والعترة , لحسين الشاكري , مطبعة ستارة , نشر الهادي , قم , ط1 , طبع عام 1417هـ .
- موسوعة مؤلفي الإمامية , لفريق البحث في المجمع الفكر الإسلامي منهم أحمد المهدي ,وأحمد البحراني , حسن البدري وآخرون , مطبعة شريعت, قم , ط1 , طبع عام 1420 هـ .
- ميزان الحكمة , لمحمد ري شهري , دار الحديث , قم ,

ط1 , طبع عام 1416 هـ .
- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر لعلامة الشيعة الحلي , شرح: المقداد السيوري , دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط 2 , طبع عام 1417هـ .
- النبوة والنبي , لإبراهيم الأميني , ترجمة : جعفر الهادي , دار الصفوة , بيروت , ط 1 , طبع عام 1993م .
- نتائج الأفكار في نجاسة الكفار , للكلبايكاني , مطبعة أمير , نشر دار القرآن الكريم , قم , ط 1 , طبع عام 1413 هـ .
- النص والاجتهاد , لشرف الدين الموسوي , تحقيق : أبو مجتبي , مطبعة سيد الشهداء , قم , ط 1 , طبع عام 1404هـ .
- نظرية الإمامة ,حوار مع كمال الحيدري , بقلم :جواد علي كسار , مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر , بيروت , ط 1 , طبع عام 1426هـ .
- نظرية الحكم والمقام الغيبي في الإمامة , بحوث لمحمد سند , إعداد : محمد علي بحر العلوم , دار الهادي للطباعة والنشر , بيروت , ط 1 , طبع عام 1422هـ.
- نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار , حامد حسين اللكهنوي , بشرح : علي الميلاني , مطبعة مهر , قم , ط1 , طبع عام 1414 هـ .
- نقد الرجال , للتفرشي , مطبعة ستارة , مؤسسة آل البيت لإحياء التراث, قم , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- النكت الاعتقادية , للمفيد , تحقيق : رضا المختاري , دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط 2 , طبع عام 1414هـ .

- نهاية الدراية في شرح الكفاية , للأصفهاني , تحقيق : مهدي أحدي أمير كلائي , مطبعة أمير , انتشارات سيد الشهداء , قم , ط 1 , طبع عام 1374هـ .
- نهج الإيمان , لابن جبر , مطبعة ستارة , مجتمع إمام هادي , إيران , ط 1 , طبع عام 1418هـ .
- نهج البلاغة , المنسوب للإمام علي بن أبى طالب , شرحه وضبط نصوصه : محمد عبده , تقديم : هاني الحاج , المكتبة التوفيقية , القاهرة .
- نهج الحق وكشف الصدق , للحلي , تقديم : رضا الصدر , تعليق : عين الله الحسني الأرموي , مطبعة الصدر , نشر مؤسسة دار الهجرة , قم .
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة , لمحمد باقر المحمودي , مطبعة النعمان , النجف , ط1 , طبع عام 1387 هـ .
- النوادر , للقطب الراوندي , تحقيق : سعيد رضا على عسكري , دار الحديث , قم , ط1 , طبع عام 1407 هـ .
- نوادر المعجزات , لابن جرير الطبري الشيعي , مدرسة الإمام المهدى , قم , ط1 , طبع عام 1410 هـ .
- نور الأفهام في علم الكلام , لحسن الحسيني اللواساني , تحقيق : إبراهيم اللواساني , مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين , قم , ط 1, طبع عام 1425هـ .
- نور البراهين , لنعمة الله الجزائري , تحقيق : الرجائي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم , ط1 , طبع عام 1417هـ .
- الهداية , للصدوق , تحقيق : مؤسسة الإمام الهادي , مطبعة اعتماد , نشر مؤسسة الإمام الهادي , ط 1 , طبع

عام 1418هـ .
- الهداية الكبرى , لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي , مؤسسة البلاغ , بيروت , ط4 , طبع عام 1411هـ .
- هداية المسترشدين , لمحمد تقي الرازي , مؤسسو النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم .
- هوية التشيع , للوائلي , دار الصفوة ,بيروت , ط 3 ,طبع عام 1414 هـ.
- الوحي والنبوة , لمرتضى المطهري , ترجمة : عباس الترجمان , دار المحجة البيضاء, بيروت, ط 1 , طبع عام 2000م .
- وسائل الشيعة , للحر العاملي, مطبعة مهر , ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث , قم, ط2, طبع عام 1414هـ.

4/ الدوريـــات :

أ - الدوريات العامة :

- مجلة الأزهر , مجلة شهرية مجانية , يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالقاهرة .
- مجلة رسالة الإسلام , مجلة ثقافية فصلية , تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة .
- صحيفة الوقت البحرينية , صحيفة إلكترونية يومية سياسية مستقلة , تصدر عن دار الوقت للإعلام ب البحرين .

ب - الدوريات الإمامية :

- مجلة تراثنا , مجلة فصلية , تـصدر عن مؤسسة آل

البيت لإحياء التراث بقم .
- مجلة دوحة الولاية , مجلة شهرية إلكترونية , تصدر عن جمعية المعارف الإسلامية الثقافية بقم .

5/ المواقـع الإلكترونيـة :

أ - المواقع العامة :

http://ar.wikipedia.org
http://islam.aljayyash.net
http://www.islamway.com
http://ssultann.maktoobblog.com
/http://www.fnoor.com
http://www.islamicfegh.com
www.muslimphilosophy.com//:http

ب - المواقع الإمامية :

http://www.alkadhum.org
http://almaleky.net
http://arabic.esraco.net
http://forum.maktoob.com
http://saaid.net
http://shakiry.com
/http://www.alameli.net
http://www.aletra.org
http://www.alhaydari.com
http://www.al-milani.com
http://www.al-shia.org
http://www.al-waeli.com
http://www.alwelayah.net
http://www.ansarweb.net
http://www.baghdad4ever.net
http://www.dijlh.net

http://www.haydarya.com
http://www.holilah.com
http://www.maarefislam.org
http://www.maarefislam.org
http://www.makaremshirazi.org
http://www.marfa-alkalima.com
http://www.mbsadr.com
http://www.saafi.org
http://www.saihat.net
http://www.site.aqaed.com
http://www.tabrizi.org
http://www.wattani.net
http://www.wilayah.ir
www.14masom.com
www.alfadhli.org
www.alhakeem.com
www.imamsadeg.org
www.muslimphilosophy.com
www.zahrah.com

فهرس الموضوعات